

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الإسكندري أحمد أمين على الجارم
عبد العزيز البشري أحمد ضيف

الجزء الثاني

للسنة الرابعة والخامسة الثانويتين

حق الطبع للدارس الأميرية محفوظ للوزارة

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٦

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الاسكندري أحمد أمين على الجارم
عبد العزيز البشري أحمد ضيف

الجزء الثاني

للسنة الرابعة والخامسة الثانويتين

حق الطبع للدارس الأميرية محفوظ للوزارة

القاهرة
طبع بالطبعة الأميرية ببولاق
١٩٣٦

فهرس الكتاب

العصر الجاهلى

الشعر

صفحة

- ١ — امرؤ القيس
قطعة من معلقته " قفا تبك من ذكرى حبيب ومنزل " .
- ٢ — زهير بن أبى سلمى ٧
قطعة من معلقته " أمن أم أوفى دمنة لم تكلم " .
- ٣ — عمرو بن كلثوم ١٢
قطعة من معلقته " ألا هبى بصحنك فأصبحينا " .
- ٤ — عنترة بن عمرو بن شداد ١٦
قطعة من معلقته " هل غادر الشعراء من متردّم " .
- ٥ — لبيد بن ربيعة ٢٢
قطعة من معلقته " عفت الديار محلها فقامها " .
- ٦ — النابغة الذبياني ٢٧
قطعة من قصيدته " كلينى لهم يا أسمة ناصب " .
- ٧ — أعشى قيس ٣١
قطعة من قصيدته " ودع هريرة إن الركب مرتحل " .
- ٨ — طرفة بن العبد ٣٨
قطعة من قصيدته " لنحولة أطلال بيرقة شهيد " ٣٨ ، قطعة من قصيدته " سائلوا عنا
الذى يعرفنا " ٣٤

صفحة

- ٩ — تأبط شرا ٤٦
 قطعة من قصيدته "يا عيد مالك من شوق وإبراق".
 ١٠ — الحارث بن حلزة ٥٠
 قطعة من معلقته "آذنتنا ببيتها أسماء".

عصر صدر الإسلام وبني أمية

آيات من القرآن الكريم

- ٥٥
 ٧٦ — آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال ٧

الشعر

- ١ — كعب بن زهير ٦٦
 قطعة من قصيدته "يانت سعاد فقلبي اليوم متبول".
 ٢ — قتيلة بنت النضر ٧٠
 قصيدة "يا راجبا إن الأثيل مظنة".
 ٣ — المثقب العبدى ٧١
 قطعة من قصيدة "أفاطم قبل بينك متعيني".
 ٤ — مالك بن الريب التميمى ٧٦
 قطعة من قصيدة "ألا ليت شعري هل أبين ليلة".
 ٥ — أعشى باهلة ٨٠
 قصيدة "إني أتتى لسان ما أمر بها".
 ٦ — الخنساء ٨٤
 قصيدة "ما هاج حزئك أم بالعين عوار" (١٦٦) ٨٤
 ٧ — حسان بن ثابت ٨٧
 قطعة من قصيدته "تبلى قوادك في المنام خريدة" ٨٧ ، من قصيدة "أسألت
 رسم الدار أم لم تسأل" ٨٩

- ٨ — الحطيئة ٩١
من قصيدة " ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند " ٩١ ، من قوله يهجو الزبرقان " والله
ما معشر لا مواءموا امرأ جنباً " ٩٤
- ٩ — الأخطل ٩٥
من قوله " بكر العواذل يتدنن ملامتي " ١٠٠
- ١٠ — الفرزدق ٩٩
من قوله يهجو جريراً " يا بن المراغة والهجاء اذا التقت " ٩٩ ، من قوله يمدح
سعيد بن العاص " وكوم تنعم الأضياف عينا " ١٠٢
- ١١ — جرير ١٠٥
من قوله يمدح عبد الملك بن مروان " أتصحو أم فؤادك غير صاح " ١٠٥ ، من
قوله يرد على الفرزدق " لمن الديار بركة الروحان " ١٠٧
- ١٢ — القطامي ١١٤
من قصيدته " ما اعتاد حب سليمي حين معتاد " .
- ١٣ — ذو الرمة ١٢٠
من قصيدته " أراح فريق جيرتك الجمالا " .
- ١٤ — ابن قيس الرقيات ١٢٥
من قصيدته " لم يصح هذا الفؤاد من طربه " ١٢٥ ، من قصيدته " أفقرت بعد
عبد شمس كداء " ١٢٨
- ١٥ — قطري بن الفجاءة ١٣١
" لعمرك إني في الحياة لزاهد " .
- ١٦ — عمران بن حطان ١٣٣
" يا روح كم من أنحى مشوى نزلت به " ١٣٣ ، " إن التي أصبحت يعيا بها
زفر " ١٣٤
- ١٧ — الكيث ١٣٥
" طربت وما شوقا الى البيض أطرب " .

صفحة

١٨ — جميل بن معمر "ألا ليت أيام الصفاء جديد" .
١٣٨

١٩ — عمر بن أبي ربيعة
١٤١ "قال لي صاحبي ليعلم ما بي" ١٤١ ، "ألم تسأل الأطلال والمتربعا" ١٤٢

٢٠ — كثير عزة
١٤٥ "خليلي هذا ربيع عزة فاعقلا" .

النثر في ذلك العصر

١ — من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٤٨ جملة من كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه ١٤٨
جملة من أحاديث » » » ١٥٢

٢ — أبو بكر الصديق
١٥٣ خطبته يوم السقيفة ١٥٣ ، وصيته لعمر ١٥٤ ، قوله في مرض الموت ١٥٥

٣ — عائشة
١٥٦

٤ — عمر بن الخطاب
١٥٦ رساله في القضاء ١٥٦ ، كتاب له الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل ١٥٨

٥ — عثمان بن عفان
١٥٩ خطبة له ١٥٩ ، كتاب له الى علي ١٦٠

٦ — علي بن أبي طالب
١٦٠ خطبة له في الجهاد ١٦٠ ، كتاب له الى معاوية ١٦٣

٧ — معاوية بن أبي سفيان
١٦٤

٨ — زياد بن أبيه ، "خطبته البتراء"
١٦٥

٩ — عبد الله بن الزبير ، "خطبة له بعد قتل أخيه مصعب"
١٦٨

١٠ — قطري بن الفجاءة ، خطبة له
١٦٩

- ١١ — المجاج بن يوسف ، خطبة له ١٧١
- ١٢ — عبد الحميد الكاتب ، من رسالته الى الكتاب ١٧٣
- طائفة من أمثال العرب في الجاهلية والإسلام ١٧٥

العصر العباسي الأول

الشعر

- ١ — ابن هرمة (مختار من شعره) ١٧٩
- ٢ — بشار بن برد (» ») ١٨٢
- ٣ — السيد الحميري (» ») ١٨٨
- ٤ — مروان بن أبي حفصة (» ») ١٩٠
- ٥ — العباس بن الأحنف (» ») ١٩٣
- ٦ — أبو نواس (» ») ١٩٥
- ٧ — أبا ن اللحق (» ») ٢٠٥
- ٨ — مسلم بن الوليد (» ») ٢٠٧
- ٩ — أبو العتاهية (» ») ٢١٧
- ١٠ — أبو تمام (» ») ٢٢٢
- ١١ — دعبل الخزاعي (» ») ٢٣٦
- ١٢ — علي بن الجهم (» ») ٢٤٢
- ١٣ — الحسين بن الضحاك (» ») ٢٤٦
- ١٤ — ابن الرومي (» ») ٢٤٨
- ١٥ — البحتري (» ») ٢٥٨
- ١٦ — ابن المعتز (» ») ٢٨٠

النثر الفني

- ١ — ابن المقفع (مختار من ثره) ٢٨٥
- ٢ — أحمد بن يوسف (» ») ٢٨٧
- ٣ — الحسن بن سهل (» ») ٢٨٩
- ٤ — قطعة تمثل أدب البرامكة ٢٩٠
- ٥ — الصولي (مختار من ثره) ٢٩٣

النثر العلمي

- ١ — أبو يوسف قطعة من كتاب الخراج ٢٩٦
- ٢ — قطعة من كتاب التاج المنسوب للجاحظ ٢٩٧
- ٣ — » » الكامل للبرد ٢٩٨
- ٤ — » من تاريخ الطبرى ٣٠٠
- ٥ — قصة من ألف ليلة وليلة ٣٠١

العصر العباسى الثانى

خراسان والعراق

الشعر

- ١ — الشريف الرضى (مختار من شعره) ٣٠٧
- ٢ — مهيار الديلمى (» ») ٣٠٩
- ٣ — أبو سعد الكاتب (» ») ٣١١
- ٤ — ابن لنكك (» ») ٣١٢
- ٥ — القاضى التنوخى (» ») ٣١٢
- ٦ — أبو القاسم الدينورى (» ») ٣١٣

صفحة

٣١٣ (مختار من شعره)	٧ — ابن المنجم
٣١٤ (» »)	٨ — الضبي
٣١٤ (» »)	٩ — أبو الفضل الميكالي
٣١٥ (» »)	١٠ — الأبيوردي
٣١٦ (» »)	١١ — الطغرائي
٣١٨ (» »)	١٢ — الشهرزوري

النثر الفني

٣١٩ (مختار من نثره)	١ — ابن العميد
٣٢١ (» »)	٢ — ابن عباد
٣٢٣ (» »)	٣ — الخوارزمي
٣٢٦ (» »)	٤ — بديع الزمان
٣٣١ (مقامة من مقاماته)	٥ — الحريري

النثر العلمي

٣٣٩	١ — قطعة من كتاب الخصائص لابن جني
٣٤٠	٢ — دلائل الإعجاز للبرجاني

الأدب في مصر والشام

الشعر

٣٤٣ (مختار من شعره)	١ — المتنبي
٣٥٦ (» »)	٢ — أبو فراس الحمداني
٣٦٠ (» »)	٣ — أبو العلاء المعري
٣٧٠ (» »)	٤ — كشاجم

صفحة

- ٥ — أبو بكر بن عمار (مختار من شعره) ... ٤٠٥
- ٦ — ابن وهبون (» ») ... ٤٠٧
- ٧ — ابن خفاجة (» ») ... ٤٠٨
- ٨ — ابن سهل (» ») ... ٤١١
- ٩ — ابن الخطيب (» ») ... ٤١٤

النثر الفني

- ١ — ابن زيدون (نبذة من رسالته الجدية) ... ٤١٥
- ٢ — الفتح بن خاقان (نبذة من قلائد العقيان) ... ٤١٧
- ٣ — أبو عمرو الباجي (قطعة من ثره) ... ٤١٩
- ٤ — ابن خفاجة (» ») ... ٤٢٠
- ٥ — أبو عامر بن عقال (» ») ... ٤٢١

النثر العلمي

- ١ — قطعة من كتاب المخصص لابن سيده ... ٤٢٢

المغرب وممالك البربر

الشعر

- ١ — علي بن محمد الايادي (مختار من شعره) ... ٤٢٣
- ٢ — ابراهيم الرقيق القيرواني (» ») ... ٤٢٥
- ٣ — أبو عبدالله محمد القزاز (» ») ... ٤٢٦
- ٤ — ابراهيم الحصري القيرواني (» ») ... ٤٢٧
- ٥ — ابن رشيق (» ») ... ٤٢٧

صفحة

- ٦ — ابن شرف (مختار من شعره) ... ٤٢٩
٧ — ابن حمديس (» ») ... ٤٣٠

النثر الفني

- ١ — التماساني (مختار من نثره) ... ٤٣٢

النثر العلمي

- ١ — ابن شرف (قطعة من كتابه أعلام الكلام) ... ٤٣٤

عصر الماليك العثمانيين

الشعر

- ١ — شمس الدين الكوفي (مختار من شعره) ... ٤٣٧
٢ — بدر الدين يوسف الذهبي (» ») ... ٤٣٨
٣ — الشاب الظريف (» ») ... ٤٣٩
٤ — السراج الوراق (» ») ... ٤٤٢
٥ — نصير الدين الحمامي (» ») ... ٤٤٣
٦ — ابن الوردي (» ») ... ٤٤٥
٧ — صفى الدين الحلبي (» ») ... ٤٤٧
٨ — ابن نباته (» ») ... ٤٥٣
٩ — ابن قرناص (» ») ... ٤٥٧
١٠ — الشهاب الخفاجي (» ») ... ٤٥٩
١١ — السيد عبد الرحيم العباسي (» ») ... ٤٦٠

النثر الفني

- ١ - محي الدين بن عبد الظاهر (قطعة من نثره) ٤٦١
- ٢ - ابن حبيب الحلبي (مختارات من كتابه نسيم الصبا) ... ٤٦٣
- ٣ - الشهاب الخفاجي (المقامة الساسانية) ٤٦٦

النثر العلمي

- ١ - الدميري (من كتابه حياة الحيوان) ٤٧٠
- ٢ - ابن خلدون (نبذة من مقدمته) ٤٧٢
- ٣ - المقريزي (« الخطط ») ٤٧٤
- ٤ - شمس الدين النواجي (« حلبة الكيت ») ٤٧٥

العصر الحديث

الشعر

- ١ - الخشاب (مختار من شعره) ٤٧٧
- ٢ - الشيخ حسن العطار (« ») ٤٧٩
- ٣ - السيد علي الدرويش (« ») ٤٨٠
- ٤ - الشيخ الشهاب (« ») ٤٨٣
- ٥ - الشيخ ناصيف اليازجي (« ») ٤٨٤
- ٦ - السيد محمد صالح مجدي (« ») ٤٨٥
- ٧ - السيد علي أبو النصر (« ») ٤٨٦
- ٨ - صفوت الساعاتي (« ») ٤٨٨
- ٩ - عبد الله باشا فكري (« ») ٤٨٩
- ١٠ - الشيخ علي الليثي (« ») ٤٩٣
- ١١ - السيد عبد الله النديم (« ») ٤٩٥

صفحة

- ١٢ - محمود باشا سامى البارودى (مختار من شعره) ... ٤٩٦
- ١٣ - حفنى بك ناصف (» ») ... ٥٠٢
- ١٤ - اسماعيل باشا صبرى (» ») ... ٥٠٥
- ١٥ - ولى الدين يكن (» ») ... ٥١٠
- ١٦ - الشيخ محمد عبد المطلب (» ») ... ٥١٢
- ١٧ - حافظ ابراهيم بك (» ») ... ٥١٧
- ١٨ - شوقى بك (» ») ... ٥٢٥

الثر الفنى

- ١ - الشيخ حسن العطار (مختار من ثره) ... ٥٣٧
- ٢ - الشيخ نصيف اليازجى (» ») ... ٥٣٨
- ٣ - أحمد فارس الشدياق (» ») ... ٥٤٤
- ٤ - عبد الله باشا فكرى (» ») ... ٥٤٥
- ٥ - السيد عبد الله نديم (» ») ... ٥٤٩
- ٦ - السيد جمال الدين الأفغانى (» ») ... ٥٥١
- ٧ - مصطفى بك نجيب (» ») ... ٥٥٢
- ٨ - ابراهيم بك المويلحى (» ») ... ٥٥٤
- ٩ - الشيخ ابراهيم اليازجى (» ») ... ٥٥٦
- ١٠ - مصطفى باشا كامل (» ») ... ٥٥٨
- ١١ - الشيخ أحمد مفتاح (» ») ... ٥٦٢
- ١٢ - الشيخ على يوسف (» ») ... ٥٦٣
- ١٣ - الشيخ حمزة فتح الله (» ») ... ٥٦٦
- ١٤ - حفنى بك ناصف (» ») ... ٥٦٨

صفحة

- ١٥ — السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (مختار من ثره) ٥٧٣
- ١٦ — سعد باشا زغلول (» ») ٥٧٥
- ١٧ — محمد بك المولى يحيى (» ») ٥٧٧

النثر العلمى

- ١ — الجبرقى (نبذة من تاريخه) ٥٨٢
- ٢ — الشيخ حسين الموصفى (» كلامه) ٥٨٣
- ٣ — الشيخ محمد عبده (رسالة التوحيد) ... ٥٨٤
- ٤ — قاسم بك أمين (كتابه تحرير المرأة) ٥٨٦
- ٥ — فتحى باشا زغلول (مقدمة كتاب سر تقدم ٥٨٨
- ٦ — جرجى بك زيدان (كتابه تاريخ آداب اللغة العربية) ٥٩٠
- ٧ — الشيخ محمد بك الخضرى (كتابه تاريخ الأمم الإسلامية) ... ٥٩١

العصر الجاهلي

(١) الشعر

(١) لامرئ القيس من معلقته : (١)

قفا نَبِك من ذكري حبيب ومتل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)

* *

وقد أغتدنى ، والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوايد هيكل (٣)

مكر مفتر مقبل مدبر معا بكمود صخر حطه السيل من عل (٤)

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي أشهر شعراء الجاهلية ، وأحد الأربعة المقدمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة الالامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للثنين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء في مخاطبة الاثنين ، ولو كان المراد واحدا ، لأن أقل الرفقة في السفر ثلاثة . وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع يجتد بينها سقط اللوى منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذي كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبي قفا معي هنا وأسعداني بالبكاء ؛ لتذكرى العيش الذي قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل في هذا المكان الذي بين الدخول وحومل الخ .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبل طلوع الشمس . والوكات : جمع وكنة وهي الموضع الذي يبيض فيه الطائر أو يبيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعر أى القصير ، وذلك من محاسن الخيل . والأوايد : جمع آبد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الضخم (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راجيا فرسا أجرد ضخما كأنه في سرعته قيد الوحوش لأنه يحاذيها في الجرى ويكون بجانبها ؛ حتى كأنها واقفة مقيدة ، فيسهل على راجيه صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذ عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفتر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معا) أى أن هاتين الصفتين اجتمعتا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه في وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ على أنه لو أراد ذلك لكان من المبالغات المقبولة في الشعر ، أى أنه إذا وصل الإقبال بالإدبار كانا في رأى العين كأنهما حركة واحدة في وقت واحد لا تحس العين الفرق بينهما . ثم إنه شبهه في سرعته أيضا بكمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال . وفيه إشارة إلى صلابته .

- كُمَيْتٌ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَزَّلِ (١)
 عَلَى الذَّبْلِ جَبَّاشٌ، كَأَن أَهْتَزَّامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ عَلَى مِرْجَلِ (٢)
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَى أَثَرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ (٣)
 يَزِلُّ الْغَلَامُ الْخِفَافُ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ (٤)
 دَرِيرٌ نَحْذَرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ تُتَابِعُ كَفْيَهُ بِنَحِيْطٍ مُّوَصَّلِ (٥)

(١) الكميت : الفرس الأحمر الذي تميل حمرة إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمتزل بصيغة اسم الفاعل : السيل أو المطر الذي ينزل الصخور ويجزها إلى أسفل (المعنى) أنه فرس مكثز اللحم ألمس الظهر ، وللاسته يزل اللبد الذي يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجباش : الذي يجيش في عدوه كما تجيش القدر في غلباتها . والاهتزام : شدة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحمة : غلبه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه في استرسال عدوه قدر تغل وتجيش لازدياد عدوه كلها واصل الجرى ولهزيم جوفه .

(٣) المسح : الذي يسح العدو محال المطر . والسابحات : الخيل التي تسبح في عدوها وتبسط أيديها كالسباح في الماء . والوتى : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذي تركله الخيل بأرجلها (المعنى) أن هذا الفرس عند ما تفترا الخيل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار - لا يفر هو ؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار ؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركب الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، وإذا ركب العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدة قوته .

(٥) در الفرس : عدا عدوا شديدا مهلا فهو درير . والنذرورف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهي شظية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، ويدخل فيه خيط ، فيجر الصبي الخيط بيديه فتدور الشظية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمر الخيط : أحكم فتله . شبه الفرس في شدة عدوه بسرعة النذرورف في دورانه . ووصف الخيط بأنه موصل إشارة إلى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالنذرورف حتى أن الخيط يتقطع فيصطله .

- له أَيْطَلَا ظِي ، وساقا نَعَامَةً ، وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وتَقْرِيْبٌ تُتَقَلُّ (١)
ضَالِعٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلٍ (٢)
كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا آتَتْهُ مَدَاكَ عُرُوسٍ ، أَوْ صَلَايَةٍ حَنَظَلٍ (٣)
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ عُصَارَةٌ حَنَاءٍ يَشِيْبُ مَرْجَلُ (٤)
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَدَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلٍ (٥)
فَادْبَرْنَ كَالْجَزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوَلٍ (٦)

(١) أَيْطَلَا الظي ونحوه : خاصرته ، ونخص الظبي لضمور أبطليه ، والإرخاء : الجري الذي فيه سهولة ، والسرحان : الذئب ، والتقل : ولد الثعلب ، وتقريب الفرس في العدر : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هذا الفرس فيه عدة محاسن ، فخاصرته ضامرتان ، وساقاه طويلتان صليبتان ، وهو في جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفي الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، سابغ الذنب بحيث إذا نظرت إليه من خلفه رأيت ذنبه يستد الانقراج الذي بين نخذه ، وذنبه فوق الأرض ليس بقصير ولا طويل طولاً فاحشاً فغطاه الفرس برجليه ، وليس هذا الذنب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظهر — والمراد بالمتنين هنا جانباً ظهره — وانثنى : وقف في ناحية من البيت . والمداك : الحجر الذي يداك به الطيب أي يسحق . والصلاية : الصخرة الملساء يدق بها لب الحنظل (المعنى) أن هذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مسرج رأيت ظهره براقاً أملس كأنه مداك العروس أو صلاية الحنظل ، ونخص العروس لاهتمامها بأمر الطيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية . وهن الأوائل والمتقدمات في السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس يلاحق أوائل الوحش بله أو آخرها ، فعند ما يطعنها أو يضربها راحته يصيب رشاش دمائها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحمرة ؛ فكأن عصارة حناء صبغت منه شعراً شائباً مسرحاً . ويفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكمية بيضاء .

(٥) عَنَّ : ظهر . ودوار (بفتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذي لون ذيله أسود (المعنى) ظهر لنا سرب من بقر الوحش كأن نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لأبسات ملاءات سود الذبول : وذلك لأن بقر الوحش بيض الظهر وسود القوائم .

(٦) الجزع : نرذ فيه بياض وبهواد ، والبياض في الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذي له أعمام وأخوال كرام ؛ فهو عزيز على أهله =

- فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ ، وَدُونَهُ جَوَّاحِرَهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلْ (١)
- فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا ، وَلَمْ يُنْضِجْ بِمَاءٍ فُيْغَسَلْ (٢)
- فَطَبَّلَ طُهَاهُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ (٣)
- وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ، مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْفِلْ (٤)
- قَبَاتٍ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَجَلَامُهُ وَبَاتٍ بَعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ (٥)

== يقدرونه قلائد الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق مرب البقر، فردّها على أعقابها، فدارت حيرة، وكانت أشبه بقلادة جزع فرق بين خرزاتها بخرزات أخرى، وكانت هذه القلادة في عنق صبي كريم على أهله؛ فبذلك تكون خرزاتها أجود راصف.

- (١) الجواهر: المتخلفات. والصرّة: الجماعة. وتزيل: أصله تزيل، أي لم تنفترق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش، وبقيت أواخرها لم تنفترق كأنها لسرعته لم تشعر بما أصاب أوائلها؛ فلم تدع وتنفترق، فأصبحت في حكمنا أيضا.
- (٢) المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصل بين ثور ونعجة، فأدركهما في طلق واحد، ولم يعرق عرقا يعم جسده؛ حتى يصير كأنه غسل بماء.
- (٣) الطهارة: جمع طاه وهو الطباخ. والصفيف من الشواء: ما صفف مرققا على الحجر. والقدير: ما طبخ في القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد، فمنهم من يشوى، ومنهم من يطبخ في القدر. - متعجلا. - ويرلفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج؛ أي من بين منضج صفيف شواء. - أو منضج قدير بالإضافة. - فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه؛ بغير مثله.
- (٤) الطرف: البصر. ورحنا: من الرواح أي الرجوع عشية. ويقصر: يتخير دون إدراك محاسنه. (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشي بقينا ننظر بأبصارنا إلى محاسن هذا الفرس؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة؛ فبقينا ينتجه النظر إلى محاسن أعالي جسمه، إذا بمحاسن أسافله تجذب النظر إليها؛ فلا يمكننا حصر النظر في شيء واحد من محاسنه.

- (٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه وجلامه، وبات بمرأى عيني قائما غير مطلق؛ لأننا على سفر؛ فنحن على استعداد لركوبه في أي وقت وعند أي خطر. يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصل اليوم بالغد في احتمال الركوب والعدو.

- أصباح ترى برقاً أريك وميضه
كلمع اليدين في حبي مكمل (١)
- يضيء سناه، أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل (٢)
- قعدت له، وصحبتى بين ضارج
وبين العذيب، بعد ما متأملي (٣)
- على قطن بالشيم أيمن صوبه،
وأيسره على الستار فيذبل (٤)
- فأضحي يسح الماء حول كتيفة
يكب على الأذقان دوح الكنهل (٥)
- ومر على القنان من نقيانه
فأنزل منه العصم من كل منزل (٦)

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ في وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصباح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحبي . والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبي من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحب لثقله . والمكمل : المستدير (المعنى) يا صاحبي أنت ترى البرق الذي أريك لمعه كلمع اليدين وحركتهما السريعة في إندار وغضب - وهذا البرق يلعب في سحاب متراكم مستدير .

(٢) المعنى كان هذا البرق - حال كونه يضيء - لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت بذيال المصابيح المفتل ، وهي الفتيلة ، وفي الكلام قلب . أى أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ، أى أمال السليط مع الفتيلة الى جانب لتكون متغذية دائماً بالزيت ، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتى : أصحابي . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعدت لذلك البرق أنظر من أين يمجى بالمطر ، ويا بعد ما تأملت أى ما أبعده ، وبعد منصوب على النداء التعجبى وما زائدة .

(٤) قطن الستار ويزبل : أسماء ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتد في جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكانت يساره على جبل الستار فيذبل ، بحسب نظرنا وتقديرنا .

(٥) كتيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهل : شجر شائك (المعنى) فأضحي المطر يسح الماء حول كتيفة ويقلب سيله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنقيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشد عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (يتظرون اليك من طرف خفي) . والعصم : الوعول ، واحدها أعصم ، وهو ما كان في معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد في غيرها - (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

- وَتِيْمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيدًا يَجْنَدَلُ (١)
 كَانَ تَيْسِيرًا فِي عَرَائِينَ وَبَلَدِهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (٢)
 كَانَ ذُرَى رَأْسِ الْمُجِيمِرِ غُدُوَّةً مِنْ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ - فَلُكَّةٌ مَغْزَلُ (٣)
 وَأَلْقَى بِصَخْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ (٤)
 كَانَتْ مُكَائِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صَبِيحَنَ سُلَاقًا مِنْ رَحِيقِ مُفْلَقِلٍ (٥)

(١) وتيماء : كانت من مدن اليهود قديماً في الجاهلية . وهي بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام إلى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالي والحصن المرتفع أطما (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سيل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعاً ولم يترك بها بناء قائماً إلا إذا كان مشيداً بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) تيسير : اسم جبل . والعرائين : جمع عرينين وهو : أول الشيء ومقدمه . الويل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزمل : اللف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كان هذا الجبل عند أرائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شسبه الجبل وقد غطاه الماء والغثاء . إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجزء مزمل على المجاورة إذا كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغثاء : ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، ولُكَّةُ المغزل : الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغثاء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط : من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغبيط : الأرض المنخفضة . والباع : الثقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثلل بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهي : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأثبتت نباتاً حسناً . مختلفاً ألوانه وأزهاره ، فكان نزوله بها كنزول التاجر اليمني إذا جاء محملاً بعباب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيباً لهم في شرائها .

(٥) المكاي : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحاً . والسلاف : أول ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلقل : الذي يلذع لذع الفلقل أو الذي وضع فيه الفلقل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادي جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبهجة كأنها شربت صباحاً رحيق سلاف مفلقل فسكرت وطربت ..

كَانَ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقِي عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوى أَنَا يَبِشُ عُنْصَلُ (١)

(٢) لَزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا : (٢)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَاتِهِ الدَّرَاجَ قَالَتْ شَلَمُ (٣)

* *

سَعَى سَاعِيَا غَيْظَ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدِّمِّ (٤)

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ : مِنْ قُرَيْشٍ وَجَرَاهِمِ (٥)

(١) السباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : يصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهي بعد النباش أنا يباش ، جمع أنبوشة . أولا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال في بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجهه . أنه مقلوبة على ظهورها بادية خراطيم رؤسها وأطرافها ؛ فترى من بعد كانتها أنا يباش عنصل .

(٢) هو زهير بن أبي سليم ربيعة بن رباح المزني ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولا وأكثرهم تهذيبا لشعره ، وآل أبي سليم نشأوا في غطفان أحلافا لهم ، وإن كان نسبهم في مزية ، وتخرج زهير في الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر في زمانه ، ففارقهما في الشعر ، وله ديوان شعر كثير منه في مدح هرم بن سنان الذي ياتي المترى ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها لحسن مسجده هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بشحلهما ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثه آلاف بعير . ومات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٣) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنة : ما اسود من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحوماته الدراج والمثلث : موضعان بجند (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنته لم تتكلم عند وقوفنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قولنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٤) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح بين العشيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف المدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السيلان في الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفة والمودة بالدم .

(٥) جرهم : قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

- بِمِينَا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا (١) على كُلِّ حَالٍ : من سَحِيلٍ وَمُبَرَّمٍ (١)
- تَدَارَكْتُمَا عَبَسَا وَذُبْيَانٌ بَعْدَ مَا تَفَانُوا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٢) تَفَانُوا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٢)
- وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ تُدْرِكِ السَّلَمَ وَاسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ - نَسَلَمَ بِعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمٍ (٣) بِعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمٍ (٣)
- عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرَهَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَثَرًا مِنَ الْحَيِّدِ يَعْظُمُ (٤) وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَثَرًا مِنَ الْحَيِّدِ يَعْظُمُ (٤)
- فَأَصْبَحَ يَجْرَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادٍ كُمْ مَغَانِمُ شَيْءٍ مِنْ إِفَالٍ الْمُزْنَمِ (٥) مَغَانِمُ شَيْءٍ مِنْ إِفَالٍ الْمُزْنَمِ (٥)
- تَعْنَى الْكُلُومُ بِالْمِثْنَيْنِ ، فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٦) يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٦)
- فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً وَذُبْيَانٌ : هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسَمٍ (٧) وَذُبْيَانٌ : هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسَمٍ (٧)
- فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهُمَا يُكْتِمَ اللَّهُ يَعْلَمَ لِيَخْفَى ، وَمَهُمَا يُكْتِمَ اللَّهُ يَعْلَمَ

- (١) السحيل : الخيط أو الحبل يقتل قتلا واحدا ، والمبرم : ما يقتل خيطين ثم يقتل ثانياً ويحبلان خيطاً واحداً (المعنى) أقسم بمينا لنعم السيدان أتما في حال الرخاء وحال الشدة .
- (٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب في شدة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وتخرجوا للحرب فهلكوا .
- (٣) العقوق : قطعة الرحم ، والمأثم : الإثم .
- (٤) معدن عدنان أبو القبائل النزارية ومنها المدوحان .
- (٥) التلاد من الإبل : ما ولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزمن : فحل كريم من الإبل ذنموا أذنه ، أى ميزوه بعلامة .
- (٦) التعقبة : الحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها تنجوما أى أفساطا . (المعنى) أن الجراح يحى أثرها بيذل المئين من الإبل يغرمها على أفساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما المدوحان .
- (٧) يريد بالأحلاف القبائل التي حالقت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم تخليع على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فإن الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه في يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمناً بالبعث .

يُؤَخَّرُ ، فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ ، فَيُدْنَرُ	لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُعَجَّلُ ، فَيُنْقَمَ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ	وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ (١)
مَتَى تَبَعَثُوهَا تَبَعَثُوهَا ذَمِيمَةٌ	وَتَضَرَّى إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا ، فَتَضْرَمُ (٢)
فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَابِثِهَا ،	وَتَلْقَحُ كَشَافًا ، ثُمَّ تَحْمِلُ ، فَتُنْتِمِ (٣)
فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ ، كُلُّهُمْ	كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ (٤)
فَتُغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا	قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٥)

- (١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثي عن الحرب وتخويفكم وإيلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم ويل الحرب وذقتموه ، فلا تقربوها .
- (٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والنضرية : الحمل على الضراوة . وضرمت النار تضرم : التهب . (المعنى) متى تهبجوا الحرب تهبجوها مذمومة ، ويشدحها ، وتضطرم نارها .
- (٣) العرك : الدلك ، والثقال : الجسد أو الخرقه توضع تحت الرحي ليقع عليها الطحين ، والباء في « بثقالها » بمعنى « مع » و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاحا كشافا بأن تحمل في حامين متوالين ، وتنتم أى تأتي في كل مرة من المرتين بتوأمين . (المعنى) إذا هجتم الحرب طحتكم طحن الرحي ، وتقوم زما طويلا في شدة فتكون كالناقة التى تحمل حملين في حامين متابعين ثم هى لا تلد إلا توأمين .
- (٤) أشام : مصدر من الشؤم على وزن أفعّل أو صفة لمحدوف . وأحمر عاد لقب لما قرناقة صالح نبي ثمود عليه السلام ، وسموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، ويريد بعاد هنا ثمود : إما توها وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشام شؤم قد ارطاقوا الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، قرضع وتفظم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرورها .

- (٥) أى فتغل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والهلاك .

- لَهْمَرِي لَنَعَمَ الْحَيَّ جَرَّ عَلَيْهِمُ بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ (١)
وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا ، وَلَمْ يَتَجَمَّعْ (٢)
وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ (٣)
فَشَدَّ ، وَلَمْ تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ (٤)
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ لَهُ لِبْدٌ ، أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ (٥)
جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ سَرِيعًا ، وَإِلَّا يُبْدَ بِالظُّلْمِ يُظْلِمُ (٦)

(١) يؤاتيه : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الحرية والحماية التى لا تجعلهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : « وكان طوى كشحا انخ » وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبيل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضر الحصين بن ضمضم الأخذ بالنار بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله إلى أن لقي رجلا من عبس فشده عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه إذا غضبت عبس لفتيلها ، فنارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتييل ، وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستترة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الخذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفسه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن تقسى بألف فرس ملجم أى بألف فارس من قومى .

(٤) أم قشعم : كنية للنية ، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشده الحصين على العيسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفرزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنما شد عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف الحصين ويقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف الحصين بأنه جريء إذا ظلم عاقب ظالمه سريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقتة بنفسه .

رَعَوْا مَا رَعَوْا مِنْ ظُمْنِهِمْ ، ثُمَّ أَوْرَدُوا غِمَارًا تَسِيلَ بِالرَّمَا حِ وَبِالدِّمِ (١)
 فَقَضَوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَا مُسْتَوِيلٍ مُتَوَخِّمٍ (٢)
 لَعْمُكَ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلِّمِ (٣)
 وَلَا شَارَكُوا فِي الْقَوْمِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ ، وَلَا وَهَبَ مِنْهُمْ ، وَلَا أَبْنِ الْمُخْزَمِ
 فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْـبَحُوا يَعْقِلُونَهُ عُلَّالَةً أَلْفَ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَصِّمٍ (٤)
 تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمُخْرَمِ
 حَتَّى حَلَالٍ يَعِصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالَى بِمُعْظَمِ (٥)

(١) يقال رعت الماشية الكلاً ورعاها صاحبها الكلاً أيضاً ، والظم : ما بين الشربتين وجلس الإبل عن الماء الى غاية النوبة ، والغمار : جمع غمر وهو الماء الكثير . ويريد بالظم هنا وبورود الغمار الرجوع الى الحرب . (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدة ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غماراً منها لا تسيل إلا بالرماح والدم .

(٢) قضا : أفضوا . وأصدروا : أرجعوا ، والكلاً المستوبل : هو العشب الوبيل أى يجب الوبال ، والمتوخم بمعناه . (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلاً الوبيل . ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال : لعمرك الخ .

(٣) ابن نهيك ، والقنيل الذى قتل فى المكان المثل ، ونوفل ، ووهب وابن المخزم كل هؤلاء عقلمهم أمثال هرم بن سنان والحارث بن عوف ، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم ، وإنما غرموا تبرعاً وإيثارة للصلح بين القبيلتين .

(٤) العلالة : الشئ بعد الشئ . والمصم : التام . والمخرم : الطريق فى أعلى الجبل ، (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القنيل بألف تام العدد بعدها ألف أخرى من الابل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعلى الجبل لأجل الرعاية للقوم القاتلين .

(٥) الحى الحلال : الكثير والعدد ، أو المتقاربون فى المنازل ، المعظم : الخطب العظيم . (المعنى) تساق هذه الابل ، لأجل المحافظة على ولائها حتى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

يكرام ، فلا ذو الوتر يدرك وتره لديهم ، ولا الجاني عليهم بمسلم

(٣) لعمر بن كلثوم من معلقته التي مطلعها : (١)

ألا هبي بصبحك فأصبحنا ولا تبقي نحمور الأندرينا (٢)



أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نحبك اليقيننا (٣)

بأننا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد رويننا (٤)

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديننا (٥)

وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحجريننا (٦)

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر: أى الثار وتره منهم ، ولا الجاني عليهم بما جر عليهم من الجنابات في العثار الأخرى بمسلم أى مخذول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائهم المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيد للفخر . وأمه ليلي بنت مهلهل أنحى كليب . قال هذه المعلقة في ملاحاة وقعت بينه وبين الحارث بن حزة اليشكري في مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند ، ويفخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بخمسة نصف قرن .

(٢) الصحن : القدح الواسع ، وأصبحنا أى أسقينا الصبوح وهو الشرب في الصباح ، والأندرين : قرية جزبي حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهي بيضاء ، ونصدرها وهي حمراء ، وقد رويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميم ، مشتق من أجزه اذا ألباه الى المضيق .

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا (١)
 وأنزلنا البيوت بذى طلوح إلى الشامات تنفى الموعدينا (٢)
 وقد هرت كلاب الحى منا وشذبنا قتادة من يلينا (٣)
 متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحيناً
 يكون ثفالها شرقى نجد وهوتها قضاة أجمعينا (٤)
 نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تستيمونا (٥)
 قريناكم فجعلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا
 نعم أناسنا ، ونعف عنهم ونحمل عنهم ما حملونا (٦)

(١) أى قتلناه وأسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه بنافذة . والصافن : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لبعث .

(٢) ذو طلوح : مكان جنوبى نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحياناً ، وتنفى الموعدين أى تزيل من بين هذين البلدين من الأعداء ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، ونزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نجت خوفاً ، والتشذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكها ، والقتادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من يلينا ويقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقه تجعل تحت الرمح يسقط عليها الطحين ، واللهور : القبضة من الحب تعلق فى الرمح (المعنى) أن كيدنا وحر بنا تشبه الرمح ، وهذه الرمح تدور بالحرب فى شرق نجد وتلتهم قضاة أجمعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسخر بأعدائه ويقول : نزلتم علينا فى إغارتكم كالأضياف ، فجعلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسرها الحجارة ويدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بنحينا إذا أيسرنا ، ونعف عن أموالهم إذا أعسرنا ، ونحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع .

نُطَاعِنُ مَا تَرَانَحَى النَّاسُ عَنْهَا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا (١)
يُسْمِرُ مِن قَنَا الْخَطَى لُدُنْ ذَوَابِلَ ، أَوْ بِيضِ يَعْتَلِينَا (٢)
نَشْقُ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ ، فَتَخْتَلِينَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٣)
وَأَنَّ الضَّغْنَ بَعْدَ الضَّغْنَ يَبْدُو طَلِيكَ ، وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدِّفِينَا (٤)
وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتَ مَعْدُ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا (٥)
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ عَلَى الْأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا (٦)
نَجْشُدُ رُءُوسَهُمْ فِي غَيْرِ رِ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٧)

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فطاعن أعداءنا بالرمح إذا لم يلاصقونا ودت أشخاصهم منا ، فاذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى بطاعن بها ، فقال : إنها سمر لذبوها وجفاف مائها ، وإنما من القنا الخطى أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابة . ووصف السيوف فقال إنها بيض تعلى الرؤوس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع الخش الخلا وهو النبات الرطب ، أى نجعل الرقاب لها كالتخلا ، فتختلها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والسوق : جمع وسق ، وهو الحمل .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب فحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول :

تعلم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم تفرط فيهم بل دافعنا دونه حتى لا يزالنا ويخفى منا .

(٦) العمد : جمع عمود ، ونحرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفص (كسبب) وهو متاع البيت .

وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والظعن (المعنى) نحن لا بطمع فينا فى ظعن ولا إقامة ؛ فنحمى أنفسنا ، ونمتنع من يلينا من أعدائنا منا .

(٧) أى فقطع رؤوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، وتدهلهم ؛ فلا يدرون أى شئ . يجابوناه ،

ويبتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ . تَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا (١)
 كَانَ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضْبُنَ بَارْجُوانٍ أَوْ طَلِينَا (٢)
 إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَانِ حَيٌّ مِنْ الْهُولِ الْمَشَبِّهِ أَنْ يَكُونَا (٣)
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ مُحَافِظَةً ، وَكُنَّا السَّابِقِينَ
 بُشْبَانَ يَرُونَ الْقَتْلَ جَدًّا وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرِّبِينَ
 حُدَيَّا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا مَقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَنِينَا (٤)
 فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصْبًا تُبِينَا (٥)
 وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنُمَعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّينَا (٦)

(١) لم يصف أعداءه بالجن وقلة الدفاع عن أنفسهم ، بل يقول إنهم انتصروا على أقوام شجعان ماهرين في استعمال السيوف مثلنا ؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كخاريق بأيدي لاعين ، والخاريق : جمع مخراق ، وهو المنديل أو الخرقه تلف ويضرب بها ، وهي لعبة من لعب الصبيان (الطرفة) .

(٢) الأرجوان : صبغ أحمرأى كأنها صبغت به من الدماء . والمراد بالثياب العذبات التي تربط بأطراف الرماح تحت أسننها .

(٣) عى بالأمر : تحير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه ، والإسنان التقدم بالخيال إلى القتال (المعنى) إذا تحير قوم في الإقدام على القتال من شدة الهول المخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال ككتيبة ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا ؛ فكان غيرنا المترددين ، وكنا نحن السابقين إلى القتال بشبان الخ .

(٤) الحديا : مصغر الحدوى : اسم من التحدى ، وهو المباراة ومنازعة الغلبة في الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم ، بل نتحدى الجميع ، ونقول لهم اخرجوا إلى قتالنا : نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أي مضاربتنا وممانعتنا) بنهم عن بنينا .

(٥) العصب : الجماعات ، والنبون الجماعات من الخيل والناس في تفرقة ، جمع ثبة (بالضم) وهو ملحق بجميع المذكر السالم .

(٦) أمعن في الأمر : أبعد فيه وتوغل ، وهو يتعدى بحرف الجز (في) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق ، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة ، أو على نزع الخافض ، والتلبب التحزم

برأيس من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا (١)

(٤) لعنرة بن عمرو بن شداد العبسي من معلقته التي مطلعها : (٢)

هل قادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم (٣)

* *

أني ملئ بما علمت ؛ فإني سمح مخالفتي إذا لم أظلم (٤)

فاذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم (٥)

= بالسلاح ، والتشهير في الأمر (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال مبكرين وننشر خيلنا في الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفي يوم أمتنا عليهم نبادي نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، متشمرين لها ، مدججين بالأسلحة ؛ فالقتال دأبنا في الخوف والأمن .

(١) الرأس : الحى الذين لا يحتاجون إلى إغاثة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ، وجشم ابن بكر أحد أجداد الشاعر (المعنى) أننا عند إمعاننا في الغارة نغير على أعدائنا بجى من بني جشم بن بكر لا يحتاجون إلى نجدة غيرهم ، فنندق بهم السهول والأوعار ، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغزبتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والجماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدونه في عداد العبيد على عادتهم في أبنائهم المولدين من الإماء ؛ فكان يرعى إبلهم ويخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأنقذ قومه من المهالك في غارات أعدائهم عليهم ، وأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء . حتى صار فارس عبس الأوحده ، وضرب به المثل في الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمتردم : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئا من الشعر لم يصلحوه ويهدبوه أو معنى لم يسبقوا إليه حتى يتبأ للمثل أن يأتي به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك في آثارها .

(٤) المخالفة : المعاصرة بخلق حسن .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شئ . مر الطعم جدا .

ولقد شربتُ من المُدَامَةِ بَعْدَ مَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعَلَّمِ (١)
 بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَيْسَرَةٍ قُرِنتُ بِأَزْهَرٍ فِي الشَّمَالِ مُقَدِّمِ (٢)
 فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مَسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ (٣)
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي
 وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدِّلاً تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَكِشْدُقِ الْأَعْلَمِ (٤)
 عَجَلْتُ يَدَايَ لَهُ بِمَارِقِ طَعْنَةٍ وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ كَلَوْنَ الْعَنْدَمِ (٥)
 هَلَّا سَأَلْتَ الْقَوْمَ يَا بَنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس أو من زوالها الى العصر .
 ومعنى ركود الهواجر سكونها ، أي سكون الناس فيها في بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ،
 وأراد به القدح الذي شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذي اشتراها به ، والأقرب الأول ؛
 لأن البيت الآتي يوضحه .

(٢) الزجاجاة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع مرار بالكسر ،
 وهو الخبط في بطن الكف أو الوجه والجبهة ، والمراد بها الخروز والخطوط والطرائق . والأزهر :
 الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمقدم : الذي عليه الفدام ، وهي المصفاة تكون على فم الأبريق .
 (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أي كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فم مصفاة
 كان في جهة الشمال من الكأس أو في شمال الساق .

(٣) وافر أي تام سليم لم يجرح بسب أو طعن فيه .

(٤) مجدلاً : صريعاً على الجدالة وهي الأرض . وتمكؤ : تصفر وتصوت . والفريصة : العضلة
 التي ترعد من جسم الدابة أو الإنسان إذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليا . (المعنى) ورب زوج
 غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعاً على الأرض تصوت فريصته من شدة انفجار الدم منها بعد طعنه فيها مشبهة
 في سعتها شدق الرجل الأعلم .

(٥) المرق : الطعن ، ومارق طعنة : أي بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أي ورشاش طعنة نافذة
 الى الجوف ، ولون هذا الرشاش كالون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

- إذ لا أزال على رحالة ساجح . نهيد تعاوره الكماة مُكَلِّمٌ (١)
 طوراً يُعرض للطعان ، وتارة . يأوى إلى حصيد القسي عَرْمَرَم (٢)
 يُخبرك من شهد الوقائع أنى . أغشى الوغى وأعف عند المغنم (٣)
 ومدجج كره الكماة نزاله . لا مجن هرباً ولا مستسلم (٤)
 جادت يداى له بعاجل طعنة . يثقف صدق القناة مقوم (٥)
 برحبة الفرغين يهذى جرسها . بالليل معتنس السباع الضرم (٥)
 فشككت بالرحم الطنويل ثيابه . ليس الكريم على القنا مجرم (٦)

(١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجرى الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والساجح : الفرس الذى يسط يديه معا عند العدو . والنهد : الغليظ الصدر ، وتعاوره الكماة أى تعاوره وتتناوبه الفرسان التامو السلاح بالطعن ، والكماة : جمع كمي ، والمكلم المجرح .

(٢) المحصد من القسي : المحكم قتل أوتاره وربطها . والشىء العرمرم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يهيا مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسي المثينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحرب .

(٣) يخبرك مجزوم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .

(٤) المدجج بالسلاح : الذى ستره أى أنه تام السلاح مثل الكمي و(هرباً) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمعن يتعدى بنى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا معن فى الحرب ، ولكن لما كان لفظ معن يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تكره الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء بلجته ، ولا يستسلم لهم فيأسروه ، قتله بطعنة عاجلة من ربح مثقف مقوم صدق القناة صلحها مستويها .

(٥) برحبة الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، وللدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتنس من السباع : الطالب الشىء ليلاً . والضرم : الجباع (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كاللدلو الواسعة المصبين يهذى تحرير الدماء منها جباع السباع الى قتيلا فتأق لنا كله .

(٦) قالوا إن الثياب هنا كناية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

- وترصته جزر السباع ينشئه ما بين قلة رأسه والمعصم (١)
ومشك سابعة هتكت فزوجها بالسيف عن حامى الحقيقة معلّم (٢)
ريذ يده بالقيد إذا شتا هتاك غايات التجار مألوم (٣)
بطل كان ثيابه في سرحة يخذى نعال السبت ليس بتوّم (٤)
لما رآنى قد قصدت أريده أبدى نواجذه لغير تبسم (٥)
فطعنته بالرمح ، ثم علوته يهنّد صافى الحديد يخذم (٦)

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشئه : يعنى يتناوله بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعول كسعر ومغشم ، مشتقة من الشك بمعنى اللزوم والصوق وشدة الاتصال . والسابعة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتكت فزوجها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجنه (المعنى) ورب درع سابعة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققها بضربة من سيفى ، فأنكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقيد ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء ، لأنه زمن الجذب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمر ينجيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه ، فيقلعون راياتهم ، ويذهبون فيا كل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتوّم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وأنه ليس بتوّم اذ التوّم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو آثر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

- عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعَظِيمِ (١)
إِلَى أَنْ قَالَ :
- نُبْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكُفْرَ مَحْبَةً لِنَفْسِ الْمَنِيعِ (٢)
وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضَّحَى إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَيْمِ (٣)
فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمَرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَغْمُغُمِ (٤)
إِذْ يَتَّقُونَ بَنِي الْأَيْسَةِ لَمْ أُخِمِ عَنْهَا، وَلَوْ أَنِّي تَضَاقِقَ مُقَدِّمِي (٥)
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مَذْمُومِ (٦)
يَدْعُونَ عَنَّتْ، وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ يَثِيرُ فِي لَبَانِ الْأَدْهِمِ (٧)

(١) (عهدى به) مبتدأ وخبر، و(شدَّ النهار) أى عند شدَّ النهار، أى عند ارتفاعه، وهو وقت الضحى .
والعظيم : نبات النيلج تصبغ الثياب بمصارتها ، فيكون لونها أسود الى زرقه . أى أن دم هذا القبيل جف
على رأسه وأصابه فاسود فصار كصبغ النيلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : يحودها . و(محبته) مصدر ميمي من خبت ضد طاب . أى أن كفران عمرو هذا
لنعمة الشاعر أفسد نفسه عليه ففقه وكرهه .

(٣) تقلص : تقصير وترتفع — أى حفظ وصية عمه بثباته وصبره عندما حاربوا أعداءهم وقت
الضحى ، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه ، أى عن أسنانه .

(٤) حومة كل شيء : معظمه ، أى فى ساحة الموت العظيمة . والغمرات : الشدائد . والتغمغم : الصوت
يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن ، بل أقدم عليها ولو كان الموضع الذى أقدم عليه أمانى متضايقا من تراحم
الأعداء بهجومهم على .

(٦) يتذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال ، فعندئذ عطف عليهم غير مذموم على عمل
بل مدحوا عليه .

(٧) عنتر : أى يا عنتره حذفت التاء للترخيم ، وروى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان :
جمع شطن ، وهى إنجيل الطويلة الشديدة القتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

ما زلت أرميهم بِثُغْرَةٍ نَحْرِهِ وَلَبَّاهُ حَتَّى تَسْرُبَلَ بِالدِّمِ (١)
 فَزَوَّرَ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بَلْبَاهُ وَشَكَا إِلَى بَعْبُرَةٍ وَتَحْمُجِ (٢)
 لَوْ كَانَ يَدْرِى مَا الْمَحَاوِرَةُ اشْتكى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي
 وَالْخَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَابِسًا مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظِمِ (٣)
 وَلَقَدْ شَقَى نَفْسِي ، وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قِيلَ الْفَوَارِسُ : وَيَكْ عَنْتَرَا أَقْدَمِ (٤)
 ذُلُّ جَمَالِي حَيْثُ شِئْتُ ، مَشَابِعِي لُبِّي ، وَأَحْفِزُهُ بِرَأْيِ مُبْرَمِ (٥)
 إِنِّي عِدَانِي أَنْ أَزُورِكَ فَاعْلَمِي مَا قَدْ عَلِمْتَ ، وَبَعْضُ مَا لَمْ تَعْلَمِي (٦)
 حَالَتْ رِمَاحُ بَنِي بَغِيضٍ دُونَكُمْ وَزَوَّرَتْ جَوَانِي الْحَرْبِ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ (٧)

(١) أى بنقرة نحره .

(٢) العبرة : تردد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمج : الصوت المنقطع دون الصهيل ، ويفعله إذا طاب العلف ، أو رأى صاحبه الذى ألفه ، فاستأنس إليه .

(٣) الخبار : الأرض اللينة . والشَيْظِم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفنا حسن للفرس الكريم .

(٤) وبك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجباً لك ! أقدم ! أو هى مخففة من وبك ، أو ويحك .

(٥) الدلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضد الصعب الحرون . ومشابعى قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والمبرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مذللة لتعودها السير لا يصعب أن يوجهها إلى أى أرض . ويصف نفسه أيضاً بأنه حاضر العقل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضاً يدفعه ويقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرقتى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما أنا بغيض لما . وزواه ذيا وزويا : نجاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجنابة . (المعنى) صرح ببغض الأسباب التى حالت دون زيارة محبوبته ، فقال : صرقتى عنك الحرب الناشئة بين عبس وذبيان ، وصرقتى عشائر القيلتين بمجنابة بعض على بعض ، فاضطرت لمظاهرة قومى فى حروبهم مع أنى لست من جناتها ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرتها .

ولقد كررتُ المهرَ يدعى نحره : حتى اتقتني الخيلُ بأبني خذيم
ولقد خشيتُ بأن أموتَ ولم تدرُ للحرب دائرةٌ على أبني ضمضم
الشاتمي عريضى ، ولم أشتيمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي (١)
إن يفعلوا فلقد تركتُ أباهما بجزراً للجامعة ونسِر قشعم (٢)

(٥) من معلقة لييد بن ربيعة التي مطلعها : (٣)

عفت الديار : محلها فقامها بمنى ، تأبد غولها فرجامها (٤)

- (١) يقال نذرت دم فلان : إذا أبحته لكل من يقدر على قتله .
(٢) الجامعة : الضبع كأن في مشيها نهما أى عرجا ، والقشعم : من النسور الكبير . (المعنى)
إن يندروا دمي فقد قتلت أباهما ضمضا وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .
(٣) هو أبو عقيل لييد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء والقواد والمعمرين الأجواد ،
وهو من بني عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المصرية ، وأمه عبسية ، وكان في الجاهلية شجاعا فائكا
جوادا شاعرا ، شهد له النابذة ، وهو غلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم
وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يروله في الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفه
والمرء يصلحه المجلس الصالح

- ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش
ثلاثين ومائة سنة وليد شاعر يجيد الفخر والثناء في لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .
(٤) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فقامها معطوف على محلها ،
والفاء هنا للترتيب الذكري أى لعطف ما يحسن ذكره بعد سابقه إذا تفاوتنا بخصوص أو عموم أو تفصيل
أو إجمال . إذ أن المحل (كما هنا) مكان الحلول أى النزول ولو لم تكن مدة النزول طويلة ، والمقام مكان
الإقامة وهى الثبات والاستقرار في المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وعند الجرمي — من كبار أئمة
النحويين — أنها لا تفيد الترتيب في الأماكن . والأشبه أن تكون هنا بمعنى (إلى) كقوله تعالى : « إن الله
لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » أى من بعوضة إلى ما فوقها . وتأبد : توحش ، وخلا
من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع في وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . (المعنى) درس مكان
النزول ومكان الإقامة من دياراً حبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .



أو لم تكن تدري نوارُ بأننى وصَّالٌ عَقْدِ حَبَائِلِ جَدَامُهَا (١)
تَرَكَ أَمَكْنِيَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَفُوسِ جِهَاْمُهَا (٢)
بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقِي لِذِيذِ لَهْوِهَا وَنِدَامُهَا (٣)
قَدْ بَتَّ نَسَامَرَهَا ، وَغَايَةَ تَاجِرٍ وَافِيَتْ إِذْ رُفِعَتْ ، وَعَزَّ مُدَامُهَا (٤)
أَغْلَى السَّبَاءَ بِكُلِّ أَدَكْنٍ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدَحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا (٥)
وَعْدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقِرَّةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (٦)

(١) نوار : اسم امرأة ، والجدام : القطاع ، والحبائل : جمع حباله : مصيدة الصائد وشركه .
وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدث بها عن مفاخر نفسه ومآثر قومه . (المعنى) أو لم تكن تعلم نوار بأننى
وجل أخدع الناس بوصلى عقد حبائلى وهم لا يتخدعوننى ؟ فهم إن نصبوا حبائلهم قطعنها عليهم . وإذا أريد
بالحبائل أسباب الشئ ودواعيه كان المعنى : أنى أصل من يستحق المواصله وأقطع من يستحق القطيعة .

(٢) اعتلق الشئ : تعلق به ، و (بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت ، وفى جزم يعتلق
هنا كلام عريض ، والأجود أن يكون معطوفا على لم أرضها وتكون (أو) للاضراب ويكون المعنى إنى
تَرَكَ أَمَكْنِيَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا بل إذا لم تعقنى المنية أى أنى أتركها وقت كراهتى بل مدّة حياتى .

(٣) التفت فى كلامه الى نوار وقال : (بل أنت . . البيت) والليلة الطلق : التى لا حر ولا يرد فيها
يؤذيان ، والندام : المنادمة :

(٤) السامر : من يتحدث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الرأية ، والتاجر : الخمار يرفع رأيته عند
نزوله على الحى إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على ليلىة فى البيت السابق (المعنى) كم من ليلة طلق
يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ، وكم من رأية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رأيته واشترت
مدامتها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحديث ، يحب اللهو
والطرب ، وبذل فى ذلك نفيس المال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجعلها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ،
والعائق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخابية ، وقدحت وفض ختامها : واحد .

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كففت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى)
ورب صباح يوم بارد ذى رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهى تصرقه وتمعن فيه كيف شاءت ،
قد كففته عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع : يتحدث بالفتوة والكرم .

- بَصْبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذَبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتَرٍ تَأْتَالُهُ إِيهَامُهَا (١)
 بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ لِأَعْلٍ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا (٢)
 وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي فَرُطٌ ، وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا (٣)
 فَعَلَيْتُ مَرْتَقِبًا عَلَى مَرْهُوبَةٍ حَرَجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا (٤)
 حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا (٥)
 أَسْهَلْتُ ، وَانْتَصَبْتُ بِكَذْعٍ مُنِيفَةٍ بَجَرْدَاءَ يَحْصُرُ دُونَهَا جَرَامُهَا (٦)

(١) الصبوح : الشرب صباحاً ، أى شرب نحر صافية ، والكريئة : المغنية الضاربة بالعود ، والموترة : المرد لأنه ذوات تار وتأتاله : تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويتلهى بسماع مغنية عوادة .

(٢) حاجتها : أى حاجة الخمر : أى حاجته هو إليها ، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعاً ، والدجاج : يريد بها الديكة ، والعلل : الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشربها صياح الديكة لأكرر شربها حين استيقظ نواورها أى سقاتها النائمون .

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحاية قومه وأصحابه فقال : (ولقد حميت الحى الخ) وشككتى : جميع سلاحى ، يريد تحملى شاكى السلاح ، وفرط : أى فرس تقدم الخيل فى بحيث أصبح لجامها وشاحالى . وتوشح الفارس بجام فرسه : أن يلقبه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ بداه كلتاها للعمل بالسلاح .

(٤) عليت وعلوت واحد ، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية ، وخرج : مرتفع . فى تكاثف وتواحم أولاصق رداثم ، والقنم : الغبار .

(٥) والضمير فى ألفت يعود على الشمس المفهومة من المقام . والكافر : السائر من أسماء الليل ، وأجن : ستر ، والثغر : موضع المخافة ، أى علوت على الجبال التى يتعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد والضباب الحامل للغبار أقرب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار ، حتى اذا ألفت الشمس يدها فى الليل ، وبدأت تغيب فيه ، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحي العدو ، ولم يعد لمراقبى فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل .

(٦) أسهلت : نزلت الى السهل . (وبكذع منيفة) : أى بكذع نخلة مرتفعة ، وجرداء : خالية من الكرب ملساء ، ويحصر : يكل ويضجر ، وجرامها : قطاع كجائنها عند فضجها (المعنى) عند ما أسهلت مرحت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتعب دون الوصول الى رأسها من يجذ أعذاقها — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالآيات الثلاثة الآتية .

وَقَعْتَهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَشَلَّهُ	حتى اذا سَخَنْتُ ، وَخَفَّ عِظَامُهَا (١)
قَلَقْتُ رِحَالُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا	وَابْتَلَّ مِنْ زَيْدِ الْحَمِيمِ حِرَامُهَا (٢)
تَرَقَّى ، وَتَطَعَنُ فِي الْعَنَانِ ، وَتَنْتَحِي	وَرَدَ الْحِمَامَةِ إِذَا أَجَدَّ حَمَامُهَا (٣)
وَكثِيرَةٌ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٌ	تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُنْخَشَى ذَامُهَا (٤)
غُلِبَ ، تَشْدَرُ بِالذُّحُولِ ، كَأَنَّهَا	جَنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا (٥)
أُنْكِرْتُ بَاطِلَهَا ، وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا	عِنْدِي ، وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَى كِرَامِهَا (٦)

(١ و ٢) رَفَعْتَهَا : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كالميسور والمعسور ، وطرده النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخفف عظامها : أى خفف قصب قوائمها بمعنى أسرع ، والرحالة : مرج كان يعمل من جلود الشاة بصسوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجرى الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) طردها طرد النعام حتى اذا حيت واشتدت سرعتها اضطرب مرجها عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع رَأْسُهَا ، وتطعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمام هنا القطاة (المعنى) أن هذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنان أخرى ، تمر فى سيرها من القطاة الى الماء وقد سبقها اليه جماعة حمام مبرعة فهى تجدد مسرعة فى أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفسه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغرباء ، لما يحضرها من ألوان الناس بمجهولة العاقبة ، ونوافلها : غنائمها والنصرف فيها ، وذامها : عيبها وطارهزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العتق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشذر بالذحول : تهدد وتوعد بالأحقاد والنارات . والبدي هنا : واد لبني عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحققها انصرفت به (المعنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة الأنساب والألوان بمجهولة العاقبة بحيث ترجى مغائرها وأقوالها بالنظر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهدد وتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدي راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ، فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض هوى وحسن بلائى لا بمعونة كرامها ومنهم على .

- وجزورٍ أيسارٍ دعوتُ لحفها بمغاليقٍ مُتشابهٍ أجسامُها (١)
 أدعو بهنَّ لعافرٍ أو مُطفيلٍ بِذَلَّتْ لِحيرانٍ الجميعِ لحامُها (٢)
 فالضيف والجار الجنب كأنما هبطا تبالةً مُخِصبا أعضامها (٣)
 تأوى الى الأطنابِ كُلِّ رذِيَّةٍ مِثْلِ البَلِيَّةِ قالصٍ أهدامُها (٤)
 ويكَلَّلون إذا الرياحُ تناوحت خُلُجًا ، مُمَدُّ شوارعًا أيتامُها (٥)

(١ و ٢) . يصف في الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضييفان والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشتري للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذى يضرب بالقداح ، وهى أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة فى القمار ، والمغاليق من نعوت قداح الميسر التى يكون لها الفوز ، (أدعو بهن) أى بالمغاليق ، (لعافر أو مطفيل) أى للعب بها على جزور عاقر فتكون سمية أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنًا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامرين دعوت من أجل نخرها سواء كانت عاقرة أم مطلقا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها لجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (فى العسير) أعضامها ، أى وديانها وهى من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره التريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تبالة . ومن أمثالهم ، ما حلت تبالةً لتحرم الأضياف .

(٤) الأطناب : جمع طناب وهى حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعًا أو الأرملة البائسة ، والبلية فى الأصل : الناقة يموت صاحبها ، فتشد عند قبره حتى تموت ، ويقولون إنه يبعث عليها فى القيامة ؛ وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بمحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو الثوب الخلق البالى . (المعنى) تأوى الى أفنية خيامنا كل رذية بائسة توشك أن تموت جوعًا وهزالًا ، قصيرة الثياب البالية ، فتطعم .

(٥) الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزداد فيها ، وشوارع : نعت للخلج ، والشوارع النوق ترد الشريعة وهى منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل . واليتامى لحومًا يكللون بها جفانهم عند تناوح الرياح واشتداد هبوبها من كل ناحية وذلك فى الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

(٦) قال النابغة الذبياني : (١)

كَلِّني لِهَمٍّ يا أُمِّمَةً ناصِبٍ وِلِيلٍ أَقاسِيهٍ بَطِيٍّ الكواكِبِ (٢)
 تَطاولَ ، حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُتَقَيِّضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرعَى النَجُومَ بآيِبِ (٣)
 وَصَدْرٍ أَراحَ اللَّيْلُ عازِبَ هَمِّهِ تَضاعَفَ فِيهِ الحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٤)
 عَلَيَّ لَعَمْرٍو نَعْمَةٌ بَعْدَ نَعْمَةٍ لَوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذاتِ عَقارِبِ (٥)

(١) هو أبو أمانة زياد بن معاوية أحد أشرف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد فحول شعراء الجاهلية : لقب بالنابغة لشبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر في الجاهلية ، ولكنه أثر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر ، فقتر به إليه ، ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، فقتر إلى ملوك الشام . فدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائده الرائعة كانت سببا في عفوهم عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعدّه كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هي قصيدته التي أولها :

يا دار ميسة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

أوهى القصيدة التي أولها :

عرجوا فحوا لنعم دمنة الدار : ما ذا تحيون من تؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التي نشرحها وهي التي مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان بالشام .

(٢) كَلِّني لِهَمٍّ : أى دعيني وهمي من وكله للشئ . أى أسليه له . وأمِّمَةً : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لِهَمٍّ أى هم ذو نصب أو ناصب صاحبه . وبَطِيٍّ الكواكب أى غروب كواكبه . توهم أن ليله بطي . الكواكب وأن طويلا لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٣) وليس الذي يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذي « آليت » والذي يرعى النجوم يريد النجم الذي يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذي يهذى النجوم) وإياب النجوم والشمس مغيبا كأنها رجعت إلى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أول النجوم الطالعة في هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أول غائب . وكل ذلك كناية عن طول الليل .

(٤) وصدر : أى وكلي أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب . (المعنى) ودعيني أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذي أرجع هذا الليل ما كان غائبا من هم . ثم اقتضب الكلام اقتضابا وشرع في مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .

(٥) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يذكرها من ولا أذى .

- حلفت يمينا غير ذي مثنوية (١) ولا علم إلا حسن ظن بصاحب (١)
 لئن كان للقبرين قبر يجلق (٢) وقبر بصيداء الذي عند حارب (٢)
 ولحارث الجفني سيد قومه (٣) ليثمن بال جيش دار المحارب
 وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت (٤) كائب من غسان غير أشائب (٣)
 بنو عمه دنيا، وعمرو بن عامر (٤) أولئك قوم بأسهم غير كاذب (٤)
 إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم (٥) عصائب طير تهدي بعصائب (٥)
 يصاحبهم حتى يغرن مغارهم (٦) من الضاريات بالدماء الدوارب (٦)
 تراهن خلف القوم خزا عيونها (٧) جلوس الشيوخ في ثياب المراتب (٧)

(١) أي حلفت يمينا لم استثن فيها ، ولا علم إلا بصحة هذه اليمين إلا تفتي وحسن ظني بصاحبي الذي أمله .
 (٢) أي لئن كان المدوح عمرو منسوباً لصاحبي هذين القبرين وهو الواقع . وجلق : اسم لدمشق .
 وصيداء : من مدن ساحل الشام . وحارب : موضع قريب منها ، وذكر صفة صيداء باعتبار أنه بلد .
 وصاحب القبرين : هما الأب ، والجد الأول ، والحارث الجفني : هو الجد الثالث لأن المدوح هو عمرو
 ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الجفني لأنه سيد آل جفنة . (المعنى) لئن
 كان هذا المدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ في المدح) ليلغن مبلنهم وليلطن
 بجيشه أعداءه فيغزوه في عقر دارهم كما كان آباؤه وأجداده يفعلون .

(٣) أشائب : جمع أشابة وهم الأخلاط ، أي أن هذه الكائب كلها من صلب غسان .
 (٤) أي أن هذه القبائل هم بنو عمه الأدنون ، وبنو عمه الأبعدون في القرابة وهم بنو عمرو بن عامر .
 (٥) أي إذا غزوا حلفت عليهم جماعات النور والعقبان والرخم لنا كل ممن يقتلونهم .
 (٦) أي تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى .
 (٧) خزا : جمع أنزرو وخزراء ، أي ضيقة العيون خلقة ، أو أنها تتخاذر أي تقبض أجفانها لتحقد
 النظر . جلوس الشيوخ الخ . أي أنها عند اشتداد القتال تقع على أعلى الأرض والهضاب كأنها في ريشها
 ووقوفها وتحديد النظر ترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا ألتفوا بأكسية المراتب يحدون النظر إلى
 شيء بعيد . والمراتب : جمع مرتبات وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب .

- جوانح قد أيقن أن قبيله
إذا ما التقى الجمعان أول غالب (١)
- لهن عليهم عادة قد عرفنها
إذا عرض الخطى فوق الكواشب (٢)
- على عارفات للطعان عوايس
بين كلوم بين داي وجالب (٣)
- إذا استنزوا عنهن للطعن أرقلوا
إلى الموت إرقال الجمال المصاعب (٤)
- فهم يتساقون المنية بينهم
بأيديهم بيض رفاق المضارب (٥)
- تطير فضاضا بينها كل قونس
ويتبعها منهم فراش الحواجب (٦)
- ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بين فلول من قراع الكتائب (٧)

(١) جوانح : أى مائلات للوقوع .

(٢) أى القنا الخطى المنسوب الى الخط بلد بالبحرين . والكواشب : جمع كاشبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل الى الظهر بحيث اذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها ريمحه مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح اذا عرضت على الكواشب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٣) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكوم : الجراح . والداى : الذى يسيل دما . والجالب : اليابس الذى نشأت عليه جلبة يابسة .

(٤) أرقلوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) اذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق فى المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا الى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٥) يتساقون : أى يسقى بعضهم بعضا .

(٦) الفضاض : ما انقض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التى توضع على الرأس من الفولاذ . وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التى تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحنق . والضمير فى يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — وهو القوانس (المعنى) يطير بين هذه السيوف قوانس الفرسان فضاضا ، ويتبع هذه القوانس فى الطيران فراش جماجم الفرسان .

(٧) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى حدة السيف . والقراع : المضاربة بالسيوف . وهذا الاستثناء مماه ابن المعتز تاكيد المدح بما يشبه الذم إذ أن اقلالها من قراع الكتائب نحر وفضل ؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضررهم للأعداء .

- تُورَثُ من أزمانٍ يومٍ حلِمةٍ إلى اليومِ قد جُرِّبَ كُلُّ التجاربِ (١)
تَقْدُ السُّلُوقِ المضاعَفَ نسجِه وتوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبَّاحِ (٢)
بُضْرِبُ يُزِيلُ الهامَ عن سَكَّاتِه وطعنٍ كإِزْإِغِ المَخاضِ الضوَّاربِ (٣)
لَهُمْ شِمْةٌ لم يُعْطِها اللهُ غَيْرَهُمْ من الجودِ، والأحلامُ غيرُ عوازِبِ (٤)
مَحَلَّتَهُمْ ذاتُ الإلهِ ، وديْنُهُمْ قويمٌ ، فما يَرْجُونَ غيرَ العواقِبِ (٥)
رَفَاقُ النعالِ طيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحْيَوْنَ بالريحانِ يومَ السِّباسبِ (٦)

(١) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليلة ، وهو يوم انتصرت فيه القساسة على المناذرة . وحليلة هذه آية الحارث بن أبي شمر جد المدوح الثالث وكانت ضمنت عسكراً بها عند رجوعهم منصورين بالطيب ف قيل في المثل (ما يوم حليلة بسر) .

(٢) السلوق : أى الدرع السلوقي . والدرع مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا ، وهو منسوب إلى بلاد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام . والصفاح : الحجارة العراض ، ونار الحباحب : شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى الحباحب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسج وإذا ضرب بها الحجارة قدحت شرراً يمتطير كأنه نار الحباحب .

(٣) الهام : جمع هامة وهى الرأس ، وسكاته : حيث يسكن ويستقر . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها والمخاض : النوق الحوامل . والضوَّارب : التى تضرب بأرجلها (المعنى) إذا ضرب بها أزال الهام عن الأعناق وإذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كأنه دفاع بول النوق الحوامل .

(٤) الأحلام : العقول . والعوازب : البعيدة أو الغائبة : أى أنهم أجواد حاضرو العقول .

(٥) يروى محلتهم ذات الإله ومجلتهم فعنى الأولى مبسكنهم دار نفس الإله يريد بيت المقدس والأرض المقدسة . ومعنى الثانية : كتاب حكمتهم ومقروؤهم ذات الإله . أى عبادة الإله . والعواقب : جمع عاقبة أى عاقبة أعمالهم جزاء الإله لهم عليها . يصفهم بأنهم متدينون .

(٦) رفاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا ينخسفونها طباقاً ، وذلك كناية عن قلة مشيهم لأنهم ملوك لا يمشون بل يركبون الخيل غالباً . وحجزة الأزار والسراويل : مجمع شدهما على الوسط من الجسم ، كناية عن عفتهم . والريحان الزهر الطيب الرائحة . والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند المنصارى وكان المدوح نصرانياً ، وذلك كناية عن رقة أمرجتهم وحسن أذواقهم أو محافظتهم على التقاليد المرعية .

- تَحْيِيْرُهُمْ بِيَضِّ الْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةُ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ (١)
يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضْرِ الْمَنَاكِبِ (٢)
وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لِأَرْبِ (٣)
حَبُوتُهَا غَسَانٌ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا بِقَوْمِي ، وَإِذْ أُعِيْتُ عَلَى مَذَاهِبِي (٤)

(٧) قَالَ أَعْشَى قَيْسٌ : (٥)

- وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ (٦)

(١) الولائد : الإماء . والإضريح : الخزانة الأحرار اللون ، والخز : ثياب تنسج من الصوف المخلوط بالحرير ، والمشاجب : جمع مشجب ، وهو الأعواد تنشر عليها الثياب وتعلق . أي أنهم ملوك أهل نعمة خدمهم الولائد البيض ، وثيابهم ثمينة مصونة تعلق على المشاجب .

(٢) الأردن : جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص (المعنى) يصونون أجسادهم العريضة في التمتع بثياب بيض الأردن خضر المناكب . وكان هذا الزي من لبس الملوك .

(٣) اللارب : الثابت اللازم (المعنى) أنهم قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ، فإذا أصابهم خير لم يثقلوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم فلم يقنطوا ، فوصفهم بالاعتدال .

(٤) أي حبوت بقصائدي غسان عند ما كنت لا حقا بقومي غير خائف من أحد وعند ما كنت خائفا هاربا من النعمان ، وضائق على مذاهبي . أي أنهم خير من يمدحهم في حال الأمن والخوف .

(٥) هو أبو بصير ميمون ، الأعشى بن قيس بن جندل القيسي البكري ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، وابتغى نفسه إلى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة في قرية منها تسمى «منقوحة» ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والأجواد ، ومنهم المناذرة ، وملك نجران ، حتى طمع في جوائز كسرى فرحل إليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطولة ، وهو أحد المكثرين في وصف الخمر ، وعرب في شعره كثيرا من الألفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنه في نفس سامعه حتى ممي صناعة العرب ، ومات في أوائل ظهور الإسلام . وعده كثير من أصحاب المعلقات ، وأن معلقته القصيدة اللامية التي مطلعها :

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

وقيل : معلقته هي القصيدة التي نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قريب له ، فولدت خليدا الآتي

ذكره في شعره .

- غَرَاءُ فَرَعَاءُ مُصْقَوُّ عَوَارِضِهَا : تَمْشِي الْهُوَينِي كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ (١)
 كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارِيهَا : هَرُّ السَّحَابَةِ ، لَارِيثٌ وَلَا عَجَلُ (٢)
 تَسْمَعُ لِلْحَلَى وَسَوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ : كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عَشِيرُ زَجَلُ (٣)
 لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِرَانَ طَلَعَتَا : وَلَا تَرَاهَا لَسَرَ الْجَارِ تَخْتَلُ (٤)
 يَكَادُ يَصْدَعُهَا (لَوْلَا تَشَدُّدُهَا) : إِذَا تَقَوْمُ إِلَى جَارَاتِهَا - الْكَسَلُ (٥)
 إِذَا تَقَوْمُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَصُورَةً : وَالزَّبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرَادْنَهَا شَمِلُ (٦)
 مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعِشَبَةٌ : خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَاطِلُ (٧)

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفراء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأبيات من الأسنان ، يريد أنها تقيه الأسنان ، الوجي : الذى يشكى حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون مشيه متافلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى : إن هذه الجارية لسمنها وتدلها تمشى متمهلة متميلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشوق : شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صغار إذا جفت فثرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حطبها بصوته اذا ضربته الريح . والزجل : رفع الصوت بالطرب ، والزجل بالكسر صفة منه .

(٤) تختل : أى تنسعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات متنعيات .

(٦) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم ، وهو نابغة المسك أوحقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقائق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسمين المنبعثة من أطراف أكامها شاملة عامة للكان الذى هى فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض

وقيعان .

- يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مؤزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مَحْتَبِلٌ (١)
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا تَشْرَ رائِحَةُ ولا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ (٢)
صَدَّتْ هَرِيرَةُ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا جهلاً بِأَمِ خَلِيدٍ، حَبَلٌ مَنْ يَصِلُ؟ (٣)
أَيْنَ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرِيهِ رَبِيبُ الْمَنُونِ وَدَهْرٌ مُقْنِدٌ خَيْلُ (٤)
قَالَتْ هَرِيرَةُ لِمَا جِئْتُ زَائِرَهَا: وَيَلِي عَلَيْكَ! وَيَلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ! (٥)
إِنَّمَا تَرَيْنَا حُفَاةً ، لَا نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَجْهَى وَنَنْتَعِلُ (٦)
وَقَدْ أَقَوْدُ الصَّبَا يَوْمًا ، فَيَتَبَعُنِي وَقَدْ يَصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَّةِ الْغَزَلُ (٧)

(١) كوكب كل شيء : مظهره ويريد به هنا جماعة الزهر ، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكفه نبات تام النمو ملتف عليه كالنفاف الإزار .

(٢) الأصل : جمع أصيل وهو من العصر إلى الظلام ، وخص هذا الوقت لأن الجلو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار ، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٣) أم خليل : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبى ، يعنى . إذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن ؟ .

(٤) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمقنن : الآتى بالقنن وهو السفه فى الرأى ، ومثله الخبال .

(٥) « ويلي عليك وويلي منك » أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك ، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى . (المعنى) أمن أجل أن رأيتى هريرة رجلاً أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لما زرتها « ويلي عليك الخ » .

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صددت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شايأ غنيا طروباً غزلاً يشرب الخمر مع فتیان مثله ويستمتع للفتيان ويسمى بهم فقال : «إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ» أى إن ترينا نقبل مرة فتمشى حفاة فليس هذا دائماً دائماً فانا نمشى أيضاً متعلين فطوراً نفتقر وطوراً نغنى .

(٧) أقود الصبا الخ : أى أتصابى ، وآتى بأفعال الفتیان ، ويصحبني منهم الغزل ذو الشره ، وهى نشاط الشباب .

- وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني (١) شاوِمْشَلْ شَلُولْ شَلْشَلْ شَلِيلْ (١)
 في فتية كسيوف الحنيد قد علموا (٢) أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلْ (٢)
 نازعتهم قُضْبَ الرِّيحَانِ متيكنَا (٣) وقهوةٌ مُزَّةٌ رَأُووقُهَا خَضِلْ (٣)
 لا يستفيقون منها، وهي راهنةٌ (٤) إِلَّا بهَاتٍ، وَإِنْ عَلَّوَا، وَإِنْ نَهَلُوا (٤)
 يسعى بها ذو زجاجاتٍ له نطفٌ (٥) مُقْلَصٌ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ مُعْتَمِلٌ (٥)
 ومستجيبٌ تخالُ الصَّنَجُ يُسمِعُهُ (٦) إِذَا تُرَجَّعَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ (٦)

(١) الحانوت : بيت الخمار، والشاوي : الذي يشوي اللحم ، والمشل : السواق الخفيف ، والشلول : الغلام الحار الرأس الخفيف الروح النشط في عمله ، والشول : من يشول بالشئ الذي يشتريه المشتري ، فيحمله له ويرفعه . (المعنى) قد أ بكر الى حانة الخمار يتبعني غلام طاه يشوي لي اللحم ويسوق دابتي سوقا حسنا ، ويحمل لي ما أشتريه في نشاط وخفة روح ، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعاني مبالغة ، ولكنها عيبت عليه .

(٢) أى كالسيوف في المضاء والصرامة وأن مخفقة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وبجملته خبرها « هالك كل من ... الخ » فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (المعنى) أى في فتية قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يتدرون الذات خوف أن يفوتها الموت عليهم .

(٣) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة : الخمرة ، والراووق : الوعاء الذي تزوق فيه الخمر ، وخضل : دأثم الذي لا يجف لكثرة شربهم . (٤) راهنة : دائمة أمامهم أى لا يتبهون إلا اذا أبطأ عليهم الساق فصاحوا به " هات " ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

(٥) النطف : القرطة من اللؤلؤ ، ومقْلَص : مشمر ، والسربال : القميص ، والمعتمل : النشط . (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ ، مشمر ذيله معتمل نشيط .

(٦) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحركاته ، أى أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رفاق من صفر يصفق باحدهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا « الكاسات » وهو أيضا نوع من الآلات الوترية ، وترجع : تردد النغم ، والقينة : الأمة ، وقيل : إذا كانت مغنية ، والمرأة الفضل : التي تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

- والساحباتُ ذُيُولَ الرِّيطِ آوِنَةٌ والرافلاتُ على أعجازها العِجَلُ (١)
 من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ به وفي التجارب طولُ اللهو والغزل (٢)
 أبلغ يزيدَ بنى شيبانَ مَالِكَةً: أبا بُبَيْتٍ أَمَا تَتَفَكُّ تَأْتِكِلُ (٣)
 أَلَسْتَ مُنْتَهِيًّا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ولستَ ضائرها ما أَطَّتِ الإِبِلُ (٤)
 كَأَطْحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعْلُ
 تُغَرِّى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتِهِ يومَ اللِّقَاءِ، فَتُرْدِي، ثُمَّ تَعْزِلُ (٥)
 لَا أُعِيرُ فَنَّا إِنْ جَدْتُ عِدَاوَتَنَا وَالتُّمَسَّ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضٌ تُحْتَمَلُ (٦)
 نُكَلِّمُ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدِّينَ إِنْ غَضِبُوا أَرْمَاحَنَا، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ، وَتَعْبِثِلُ (٧)
 لَا تَقْعُدَنَّ، وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطَبًا تَعُودُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ (٨)

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنح ، أى وتخال الصنح يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهن نغم العود ، وبالرفع على تقدير وعدنا الساحبات ، والريط : الملايات ، وآوينة : جمع أوان . والرافلات : البحارات لنياهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهوت وتغزلت طويلاً فى تجاربي .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأتكى : يأكل بعضك بعضاً من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤثى ، وأطت الإبل : أنت تعبنا وحنينا . (المعنى) لست بضارنا أبداً الدهر .

(٥) تغرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا وبينهم فهلك الناس باغرائك ثم تعزل القتال .

(٦) عوض : طرف لمستقبل الزمان ضد فط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارقك . أى لا أفارقك

أبداً ، وتحتمل بالبناء للجهول . أى يحتمل لولئك أى يتمتع من الغضب والغيظ . أى لا أظنك إن احترم الشرييننا والتمس منك المساعدة تنضب للشمس وتنصره .

(٧) أى يجعلهم لحمه وطعاماً لرمائحنا وذو الجدين : قيس بن مسعود من أشراف العرب .

(٨) أكاتها : أجمعها ثم تعود بالله من شرها وتبتهل إليه فى اجتنابها .

- سائل بني أسيد عنا، فقد علموا أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل (١)
 واسأل قشيراً وعبد الله كلهم واسأل ربيعة عنا كيف تفتعل (٢)
 إنا نقاتلهم حتى تقتلهم عند اللقاء، وإن جاروا، وإن جهلوا
 قد كان في آل كهف إنهم احتربوا والجاهلية من يسعى وينضل (٣)
 إني لعمر الذي خطت مناسمها تحدى، ويسيق إليه الباقر الغيل (٤)
 لأن قتلتم عميدا لم يكن صدداً لنقتلن مثله منكم، فتمثيل (٥)
 لأن منيت بنا عن غيب معركة لا تليفنا عن دماء القوم تنقل (٦)
 لا تنتهون . وإن ينهي ذوو شطيط كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل (٧)

(١) شكل : أزواج، أي خبر ثم خبر .

(٢) ناتي بالأمر العظيم المتدع .

(٣) آل كهف والجاهلية : حيات من العرب، أي لقد كان في هذين الحين من يسعى لأخذ ثاره ويناضل فادخولك أنت بينهم ولست منهم .

(٤) خطت : سفت التراب بمناسمها، والمناسم : جمع منسم كجلس ، طرف الحف من البعير وتحدى : نزع في السير مع اضطراب، والباقر : البقر، والغيل ككتب، جمع غبول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إني أحلف بالله الذي ترحل إلى بيته إبل الحجيج بسرعة تثير التراب بمناسمها ويساق إليه البقر الكثير ليضحي به هديا يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد، وصدد الشيء : المقابل له أو القريب منه فتمثيل أي تخير الأمثل فالأمثل . (المعنى) لأن قتلتم منا سيدا لم يكن في رومة الشأن مقاربا للقاتل لنقتلن به أفضل سيد فيكم .

(٦) منيت : أصيبت وابتليت بنا بعد معركة، ونقتل : نلوي وننصرف (المعنى) لأن ابتليت بحربنا لا نجدنا نجحد دماء تومك ونشرا منها بل نعرف بها ونستعد للاقاتكم عند ما تريدون أخذ النار منا .

(٧) ينهي : ينهي، أي أنكم لا تنتهون عن أذانا ولن ينهي ذو الجور والبغي العميق في نفوسكم كالطعنة الجائفة التي إذا عولجت بوضع الزيت والفنيل يذهب الزيت والفنيل فيها لغورها ولم يقن العلاج .
 مربي الجرح بلا بره .

- حتى يَظَلَّ عميدُ القومِ مرَتَفَقًا يدفعُ بالراحِ عنه نِسْوَةٌ عَجَلُ (١)
 أصابه هِنْدُوَانِيٌّ، فأَقْصَدَهُ أو ذابِلٌ من رماح الخطِّ معتدل (٢)
 كَلَّا ! زعمتمُ بأنا لا نقاتلُكم إنا لأُمثالكم يا قومنا قُتِل (٣)
 نحن الفوارسُ يومَ الحِنُوِ ضاحيةً جَنَى فُطَيْمَةٍ لا مِيلٌ ولا عُزْل (٤)
 قالوا : الطعانُ ، فقلنا : تلكَ عادتنا ، أو تَنزِلونَ ، فإننا مَعَشَرٌ تُزَل (٥)
 قد نَحْضِبُ العَيْرَ في مَكُونٍ فائِلِه وقد يَشِيطُ على أرماحنا البطل (٦)

(١) العجل : جمع عجول : المرأة الشكلى ، أى لا تتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم ، فيظل معتمدا على مرفقه يهيم بالقيام فلا يستطيع ، وقد قرعته أنصاره أو قتلوا ، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة ثمكالى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل .

(٢) الهندوانى : المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى ، وأقصده : أصابه فلم يخطئه . أو ذابل : أى ربح ذابل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

(٣) قتل : جمع قتول أى قتال .

(٤) الحنو : الموج من جبل ورمل ومن كل شيء : و يوم الحنو : من أيامهم ويسمى « حنو قراقر ، وحنو ذى قار » . وفطيمة : اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيان . وقيل الشيء ضاحية : أى علانية — والميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجنايى وأدى فطيمة حيث لم تكن ثمة فارسين ولا عزلا من السلاح .

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فتجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون .

(٦) العسير : المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح ، والفائل : عرق يجرى من الجوف الى الفخذ . ومكنون فائله : الدم الذى ينفجر منه . ويشيط : يهلك (المعنى) اننا بصراء بمواضع الطعن فاذا كان الصيد والطرود طعنا حمار الوحش فى فائله فنحضبنا العير بدمائنا التى تنزف منه ، واذا كان القتال طعنا الفارس فرقعناه على رماحنا .

(٨) قال طرفة بن العبد (١)

لخولة أطلال ببرقة شهيد تلوح بكاقي الوشم في ظاهر اليد (٢)
 وقوفا بها صحي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتجلد (٣)
 كأن حدوج المالكية غدوة خلأيا سفين بالنواصف من دد (٤)
 عدوية أو من سفين ابن يامين يجور بها الملاح طورا، ويهتدي (٥)

(١) هو عمرو طرفة بن العبد البكري أحد فحول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ، ورباه أعمامه ، ومال إلى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به طعنا الناس والملوك ، وكان ممن هجأهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يتعرض لمعرفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند إلى الوالي بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنة على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل إلى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه في بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التي نحن بصدد شرحها .

(٢) خولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة في الأصل : المكان الذي اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . وبرقة شهيد : اسم ديار محبوبته . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصبغ أسود بنرز الإبر في الجلد .

(٣) وقوفا منصوب : إما على أنه حال سبية من فاعل تلوح ، وهو الأقرب هنا ، ويكون إذا جمع واقف ، ويكون صحي فاعلا للفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدى . وإما على أنه مصدر مفعول مطلق بفعل محذوف أى يقف وقوفا صحي الخ (المعنى) لاحت لي هذه الأطلال ، وأصحابي حابسون مطيهم من أجل في هذه البقعة ناصحين لي بالتجلد والصبر : يقولون : لا تهلك حزنا وتجلد .
 (٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمالكية : أى المنسوبة إلى بني مالك بن سعد . والخلأيا : جمع خلوة ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة في الوادي . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هودج المالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ في وصف هذه السفن فقال عدوية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا ويهتدي طورا على حسب تصاريف الرياح .

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَوزَ مَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفَايِلُ بِالْيَدِ (١)
وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطَى لَوْلُؤَ وَزَرَ جَدِ (٢)
خَذُولٌ تُرَاعَى رَبِّبًا بِخَيْسِلَةٍ تَتَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي (٣)
وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مَنُورًا تَتَخَلَّلُ حَرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ نَدِ (٤)

(١) الحباب : موج البحر المزبد . والحيزوم : الصدر . والمفايل : الذي يلعب لعبة الفيال أو المفايلة ، وهي لعبة لصبيان الأعراب ، وهي تراب يكومونه ، ثم يخبثون فيه خبيثا ، ثم يشق الفاييل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين ، ثم يقول : في أي الجانبين خبأت ؟ فان أجاب المستول بالصواب ظفر وإلا فروطب .
(٢) وفي الحي : أي في منازل القبيلة ظبي أحوى ، أي أسود العين ، يريد به محبوبته ، ثم ذكر بعض أوصاف الظبي وبعض أوصاف المحبوبة فقال : هذا الظبي ينفض المرد أي يأكل ثمر الأراك نقضا بغمه . شادن : أي صغير السن . وهذه المحبوبة تنقلد سمطين أحدهما فوق الآخر ، سمطا من اللؤلؤ ، وسمطا من الزبرجد . واللؤلؤ : نرز كريم يكون في جوف نوع من الأصداف . والزبرجد : جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون .

(٣) الخذول : البقرة الوحشية أو الظبية إذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهي خاذل أيضا رصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث . وفي البيت السابق بوصف الذكر بقوله (أحوى) من أجل أن البقرة الخذول وإن رعت مع صواحبها لا تزال تتلفت إلى ولدها والهة عليه ترنو إلى ناحيته بمنحو . وذلك ما يريده في وصف محبوبته عند تلقاها ونظرها بتدل لمن يراعيها وتراعي بمعنى ترعى مع غيرها . والبربر : انقطع من البقر والظباء . والخميلة : الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المتهدلة . والبربر : ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التلفت والنظرات كأنها مهابة مذعورة على ولدها ، فهي إن رعت مع صواحب لها خذلتها واجتنبتهن ولا تزال متلفتة إلى ناحيته ولدها ، وهي متنعمة كالمهابة التي ترى البريز وتدخل في خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها .

(٤) الثغر الألمى : الأسمر اللثة ، وهم يعدحون سميرتها لدالاتها على اكتناز الدم فيها ، وهو أمانة الصحة . والمتور : حفة لموصوف محذوف أي كأن أخوانا متورا . وخبر كأن محذوف تقديره (هو) أو (فيه) وتخلل الشيء حل في خلله . وحر الرمل خالصه . والدعص : الكتيب من الرمل (المعنى) كأن فيه أخوانا منورا تخلل دعصه الندى الذي نبت فيه رملا خالصا تقيا . والأخوان : الذي ينبت في الرمل الندى النقي يكون أنقى بياضا .

سَقَّتْهُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ إِلَّا لِشَاتِهِ أَسِفَّ ، وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ ، بِأَيْمِدٍ (١)
وَوَجْهِهْ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ نَقَّى اللُّونَ لَمْ يَتَخَدَّدْ (٢)
وَأِنِّى لَأَمْضَى أَلْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجَاءَ مِرْقَالٍ تَرْوِجُ وَتَغْتَدِي (٣)
إلى أن قال :

على مثيلها أَمْضَى إِذَا قَالَ صَاحِبِي : أَلَا لَيْتَنِى أَفْدِيكَ مِنْهَا ، وَأَفْتَدِي (٤)
وَجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفًا ، وَخَالَهْ مُصَابِيًا ، وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرَصِدٍ (٥)
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى ؟ خَلَّتْ أُنْثَى عُيَيْتٌ ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ (٦)

(١) وصف الثغر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إياء الشمس أى ضوءها بياضا وحسنا أى أشربته حسنا . واستثنى اللثة لأن بياضها عيب ودليل على ضعف الدم بل هى سمراء كأنما نقرها أسف بأئمد وهو الكحل فاسودت لثته وبقيت مرسله على الأسنان لم تنقلص الى أعلى لأنها مترفة فى المأكل لا تكدم على نقرها بأكل الأشياء البائسة الغليظة التى تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل الناعم اللين .
(٢) ووجهه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقى اللون لم يتخدد أى يتكسر جلده ويتغضن فيطفى ذلك رونقه .

(٣) أَمْضَى : أتفد ، وألهم ما يهيم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة الملتصقة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروج وتغتدى : أى تصل سير الراح بسير الغدو . أى إذا همنى أمر يستدعى السفر أمضيته من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الراح بالغدو .

(٤) على مثيلها الخ : أى على مثل الناقة أسير فى القفلة الموحشة التى يقول صاحبى من خوفها : إنا هالكون ، فإلئنى أقدر على أن أفديك منها ، وأفندي نفسي — وضمير فيها يعود على القفلة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفا ، أى ارتفعت ، فلم تستقر : كما تخبش القدر إذا ارتفع غلبانها . والمرصد : المكان الذى يرصد فيه اللصوص والأعداء من يترهبهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أى إذا قال القوم : من قى لسلوك هذه القفلة وإمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ خلت أنهم يعنوننى ؟ فقلت بها غير كسل ولا متبلد .

- أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ ، فَأَجْدَمْتُ وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقَّدِ (١)
 فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلَيْدَةُ بِمَجْلِسِ تُرَى رَبِّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ (٢)
 وَلَسْتُ بِحَالِلِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ (٣)
 فَإِنْ تَبَغَّيْ فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّيْ وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ (٤)
 مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ كَأَمَّا رَوِيَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنًى فَاغْنِ وَازْدِدِ (٥)
 وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَى الْجَمِيعُ تَلَاقِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْمُصَمَّدِ (٦)
 نَدَامَايَ يَسْضُ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٍ تَرُوحُ إِلَيْنَا يَتَّ بُرْدٌ وَجُحْدِ (٧)

(١) القطيع : السوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضرباً في إثر ضرب . وأجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أول النهار خاصة . والأمعر والمغزاة : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : الملهب بالحز (المعنى) قتت بسلوك هذه المفازة فركبت ناقتي ، وضربت بها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحز وارتفع السراب في الأماضر الملهبة من الحز .

(٢) فذالت أى ماست وتبخرت . والوليدة : الجارية المولدة في بلاد العرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فنبخرت هذه الناقة كما تبختر جارية تعرض في مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافي .

(٣) التلاع : جمع تلة ، وهى مجارى المياه من رموس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شقاً . واسترفد : طلب الرشد وهو المعونة والعطاء (المعنى) لست ممن يستر في التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعنتهم .

(٤) الحانوت : حانة الخمار يعنى إذا طلبت معونتي تجدني إما في حلقة القوم عند المشورة وإجالة الرأي . وإما في حانات الخمارين ، أى أنى رجل جد إذا جد الأمر ، ورجل لهو إذا فرغت .
 (٥) يقول إذا جئتني أصبحك بشرب كأس ترويك ، وإن كنت قانيا عنها بما عندك فاعن به . وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شئ : أعلاه . والمصد : الذى يصعد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجمع الحى للفازة بالأنساب تجدني أتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) الندامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجداد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو =

- إذا نحن قُلْنَا : أسمعينا ، انبرث لنا
على رسلها مطروقةً لم تشدد (١)
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
تجاوب أظآر على رباع رد (٢)
وما زال شرابي النجور ولذتي
وبيعي وإنفاقي ، طريفي ومتلدي (٣)
إلى أن تحامثنى العشيرة كلها
وأفردت أفراد البعير المعبد
رأيت بني غبراء لا ينكرونني
ولا أهل هاذك الطرف الممدد (٤)
ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات ، هل أنت مُجلدي (٥)
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي (٦)

= الشعار (المعنى) نداماى أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاعة ، ومن نداماى مغنية تحب ، إلينا عشبة عليها برد تحته قبص أحمر اللون ، أو تحته قبص واحد على جسدها .

(١) أى إذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غنائك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هيئة فى وفق وتؤددة ، مطروقة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبالغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظآر : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة المرضع . والربيع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) إذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حين صوتها حين النياق التى فقدت فصلاتها .

(٣) شرابي : أى شربي . والطريف : المال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتلبد والمتلد : الذى يرثه عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرى المطلى بالقطران المبعد عن الإبل (المعنى) ما زال شربي للنعم ولذتي بها وبيعي وإنفاقي لأجلها هو كل ثروتي الحديثة والقديمة حتى تحامثنى عشيرتي لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت منفردا بلذاتي عنهم كالبعير الأجرى .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجسد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مد بالأطناب (المعنى) إن اعزلوني لا أكن مجهولا ؛ فإن الفقراء يعرفوننى بعطائهم ، وكذلك الأغنياء بحالاتى وشرف نسبي .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يامن يزجرني من أجل حضوري الحروب وانهماكى فى اللذات بأن كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أستبق إليها باقها ما ملكت يدي فى لذاتي .

وقال طرفة بن العبد :

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللحم (١)
يوم تبدى البيض عن أسواقها وتلف الخيل أعراج النعم (٢)
أجدر الناس برأس صلدم حازم الأمر شجاع في الوغم (٣)
كامل يحمل آلاء الفتى نبيه سيد سادات خضم (٤)
خير حى من معد علموا لكفى ولجار وابن عم (٥)
يجبر المحروب فينا ماله ببناء وسوام وخدم (٦)
نقل للشحم في مشتاتنا نحر للنب طرادو القرم (٧)

- (١) يوم تحلاق اللحم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكر الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليميزوا .
- (٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، نهاية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الإبل ، واللف : الجمع والضم ضد النشر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .
- (٣) الرأس الصلدم : القوى الصائب ، ويريد به هنا رأس القوم فى الحرب . أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع فى الحرب .
- (٤) الآلاء : جمع ألا (كحصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والآلا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الخمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بحأسنه ، أو يحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يحمل ضعفه وجهده بإعطائه وحايته .
- (٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعلموا بالبناء للعلوم أى عرفونا بذلك . والكفى : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى فى معد عرفه الناس مرجحوا للكفى ولجار ولابن العم .
- (٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال إذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخداما .
- (٧) نقله : أعطاه نقلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتها اللحم لبعد العهد بأكله . يعنى أننا نقلنا من يقصدنا الشحم فى الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق النيب ، ونطرد عن مشتهى اللحم قرمه باطعامه إياه .

- تَزَعُ الجَاهِلَ في مَجْلِسِنَا فَتَرَى المَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ (١)
 وَتَفَرَّعْنَا مِنْ ابْنِ وائِلٍ هَامَةَ المَجْدِ وَخُرطومَ الصَّكْرَمِ (٢)
 مِنْ بَنِي بَكْرَازَا مَا تُسِيبُوا وَبَنِي تَغْلَبَ ضَرَابِي البُهْمِ (٣)
 حِينَ يَنْجِي النَّاسَ نَجْمِي سَرِينَا وَاصْخِي الأَوْجِيَه مَعْرُوفِي الكَرَمِ (٤)
 بِجُسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرِيَّاتِ مُتَرَاتِ العَصَمِ (٥)
 وَفُحُولٍ هَيْكَلَاتٍ وَوُخْجُ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى الشَّوْرِ أَرْزَمِ (٦)
 وَقَنَا جُرْدٍ وَخَيْلٍ مُنْمَرٍ شُرْبٍ مِنْ طُولِ تَعَلَاكِ اللُّجَمِ (٧)

(١) نزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر : والحرم . ما يحارب عنه الإنسان ويحبه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا تكف الجاهل فلا يأتي في مجملتنا بسفاهة فكان مجملتنا حرم يحبه أو حرم يلجزم ديننا .
 (٢) على صيغة الماضي يسكون العين والخرطوم الأنف — أي وقد تفرعنا ونسلنا من ابني وائل بكر وتغلب الذين هما بمنزلة هامة للجد وأنف للكرم . والأنف يكون به عن الأنفة والعز والشيم .
 (٣) ثم فسر معنى ابني وائل بأنهما بكر وتغلب وضراو البهم : جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .
 (٥) جمع الحسام على حسامات نادر ، ورسب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب في الضريبة . وإذا قرئت رسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمتر القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشيء ويشده ويربطه من الحبال وتحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .
 (٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، وجمعه على هيكلات نادر ، ووخج : جمع وقاح ، يريد الفرس الصلب الخافر ، وأعوجيات : جمع أعوجى ، وهو الفرس ينصب إلى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزم ، وهو الفرس بعض على فأس اللجام من شدة نشاطه . والشاور : السبق ، أي ونجى مربنا بخيول فحول صلبة الخوافر أعوجيات شديدة في السبق .

(٧) وقنا جرد : أي رماح مجزدة من الكعوب الغليظة ، وخيل ضمير : أي ضامرات ، وشرب : ضامرات صلاب ، وتلاك اللجم وعلكها تحريمتها والعص عليها بالقلم . واللجم : جمع لجام .

- آدَت الصنعةُ في أمثِها فهي من تحَت مُشِحاتُ الحُزمِ (١)
تَسْقِي الأرضَ رِيحٌ وُحٌّ وُرقٍ يَقَعَرْنَ أنبَاكَ الأَتمِ (٢)
وتَقَرِّي اللحمُ من تعدائها والتغالي ؛ فهي قُبُّ كالعِجمِ (٣)
خُلجُ الشدِّ مُلِحَاتٌ إذا شالت الأيدي عليها بالجدَمِ (٤)
قَدما تنضو إلى الداعي إذا خلَّ الداعي بدعوى ، ثم عمِّ (٥)
بشبابٍ وكُهولٍ نُهْدٍ كُليوثٍ بين عريس الأَجمِ (٦)

(١) آدى : قوى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلقه وتسميته ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشحات الحزم : أى أن أحزمها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومتنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوى متونها وأعظمها حسن القيام على علقها حتى أنك ترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الرِّيح : انبساط الخافر في زفة ، والأرح : الحافر العريض ، والجمع رَح . وورق : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، ويقعرن : يقطنن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحددة الرأس . أى تتق تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقنلح الآكام .

(٣) تقرى : تشقق ، وتفرت العين : انجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو . والتغالى : شدة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شئ (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها وينبجس بالعرق من شدة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى البيوسة .

(٤) الخُلج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدي : ارتفعت . والجدَم : جمع جذمة ، وهو السوط .
(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخال : خصص . والداعي : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا فلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع فاهد ، وهو الشجاع الذى يمضى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) قال تأبط شرا : (١)

يا عَيْدُ ما لَكَ مِنْ شَوْقٍ وإِيرَاقٍ وَمِنْ خَيْالٍ على الأهوال طَرَّاقٍ (٢)
يسرى على الأئين والحَيَّاتِ مُحْتَفِيًّا نفسى فداؤُكَ مِنْ سارٍ على ساقٍ (٣)
إِنى إِذا خُلَّةٌ ضَنْتَ بنائِلها وأمسكتُ بضعيف الوصل أَحْذاقٍ (٤)
نَجوتُ مِنْها نَجائى مِنْ بَجيْلَةٍ إِذا أَلقيتُ ليلَةَ خَبِتِ الرِّهْطِ أُرَواقى (٥)
لَيْلَةَ صاحوا وأَغَرُوا بى سِراعَهُم بالعيكَّتَيْنِ لَدى مَعْدَى ابنِ بَرَّاقٍ (٦)
كأَنما حَنَحَنا حُصًّا قَوادِمُه أو أُمَّ خَشَفَ بَدى شَتَّ وطَبَّاقٍ (٧)

(١) هو ثابت بن جابر الفهمى ، وفهم إحدى قبائل قيس عيلان المضرية ، وتأبط شرا : لقب لقب به لأنه حمل الى أمه أفاعى فى جراب يتأبطه (وكانت طلبت منه فائدة) ف قيل فيه تأبط شرا فلزمه . وكان لصا فأنكا عدا ، داهيا . وغزا هو وعمرو بن براق الفهمى (وكان يليه فى العدو) قبيلة بجيلة ، فلم يظفرا منهم بفرة . فثاروا خلفهما على الخيل ، فقاتلهم عدوا . وفى ذلك يقول القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٢) العيد هنا : ما يعتاده من الحزن والشوق والأرق ، وما لك من شوق : يعنى ما أعظمك من شوقه كقولهم : مالك من فارس ! فى التعجب من فروسيته مثل ما تقول : قاتله الله من شاعر ! والإيراق : التأريق ، مصدر آرقه الهم والشوق . ومر طيف : أى ومرور طيف المحبوبة عليه فى غفوته ، وطراق : أى يطرق ليلا . (المعنى) يأبى الذى يعتادنى من الشوق والتأريق وطروق طيف الأحبة متجشما ان غفوت الى الأهوال ووطء الحيات ما أعظمك وأعجبك . ثم وصف هذا الطيف بالبيت الآتى .

(٣) يسرى : أى يسير ليلا ، والأئين : التيب والإحياء ، محتفيا : أبى مبالغا فى الإكرام والاهتمام بشأنى .

(٤ و ٥) الخلة هنا : الخلية أو الخليلات ، وضنت : بنحت ، والنائل : العطاء والفائدة ، والأحذاق : المتقطع ، من قولهم حبل أحذاق ، أى متقطع قطعاً ، ونجوت : خلصت ، وبجيْلَةٍ : التى أغار عليها ولحقته ، والرهط : اسم واد ، وخبته : بطنه ، ويقال ألقي أرواقه : اذا عدا عدوا شديدا . (المعنى) أى إن ضنت خبيسة على ، وأصبح وصلها لى كالحبل المتقطع خلصت منها خلوصى من فرسان بجيلة عند ما أدركونى ليلا بنجت الرهط ، فألقيت أرواقى ، وعدوت عدوا قصرت عنه خيلهم فقتهم .

(٦ و ٧) العيكان : جبلان أو موضع يبلاد بجيلة ، وابن براق : رفيقه فى هذه الغارة ، ومعداه : مكان عدوه ، وحشحوها حركوا وهاجوا ، والحص : جمع أحص ، وهو الذى تساقط شعره ، والمراد به هنا =

لا شيء أسرع مني ليس ذا عُدُرٍ وذا جناح يجنب الرِّيدَ خَفَّاقٌ (١)
 حتى نجوتُ، ولما يترعُوا سَلْبِي بواله من قبيض الشَّدِّ غَيِّدَاقٌ (٢)
 ولا أقولُ إذا ما خُلَّةٌ صرمتُ : يا ويح نفسي من شوقٍ وإشفاقٍ ! (٣)
 لكنما عيولي ان كنتُ ذا عولٍ على بصيرٍ بكسب الحمدِ سَبَّاقٍ
 سَبَّاقٍ غَايَاتٍ مجيدٍ في عشيرته مرجع الصوتِ هَذَا بين أَرْفَاقٍ

= العظيم ، وهو الذكر من النعام ؛ لأن قوائم النعام لا ريش فيها ، وذات خشف : أى ظلية ، والخشف ولدها ، وذو شت وطباق : واد به الشث والطباق ، وهما نباتان . (المعنى) عند ما صاحوا في هذه الليلة ، وأغروا بني المسمرين منهم في البيكتين وهو المكان الذي تراهى لهم ابن براق رفيق يعدو فيه كانوا كأنما هاجوا مني ظلياً أو ظلية ، فلم يلحقوني .

(١) العذر : جمع عذار ، وهو ما سال على خذ الفرس من اللجام ، وذو العذر : الفرس ، وذو الجناح الخفَّاق يجنب الريد : هو الطير الذي يرتقى الى أعلى الجبل كالعقاب والنسر ، والرَّيد الحرف الناق من الجبل في أعلاه خارجاً عن معظمه .

(٢) السلب : ما يسلب من القنبل من السلاح والدرع والثياب ، والواله هنا : البقرة التي فقدت رلدها فهي تجرى مذعورة عليه . قال الأعشى : يذكر بقرة وحش أكل السباع ولدها :
 فأقبلت وألها نكلى على عجس كل دهاها وكل عندها اجتماعاً

ورجل قبيض الشد (أى العذر) : سريع نقل القوائم ، ويقال إنه لعيداق الشد : سريع الجرى ، والباء في قوله بواله للتجريد ، أى نجوت بنفسى وأنا شديد العدو كأتى وحشية والهة .

(٣) صرمت : قطعت ، أى قطعت الود وهجرت . ويح : كلمة رحمة ، ويا ويح نفسي : نداء للترحم كما في نحو يالهِف نفسي للتحزن ، والإشفاق : الخوف . والعول : اسم مصدر من التعويل على الشيء والاعتماد والانتكال عليه . وعلى بصير : أى صاحب بصيرة الخ . ومرجع الصوت : مكره في الخلق ، والهد : الصوت الغليظ الجهير . (المعنى) أى لكنما اعتمادى (ان كنت ذا اعتماد) انما يكون على رجل خير بكسب الحمد سباق اليه والى غايات المجد في قومه جهير الصوت غليظه بين رفقاءه ، وكانوا يمدون من السيد جهارة صوته وغلظه .

- عَارِي الظَّنَابِيْب مُشْتَدَّ نَوَاشِرُهُ مَدَلَاجِ أَدْهَمَ وَاهِي الْمَاءِ غَسَاقُ (١)
 حِمَالِ أَلْوِيَّةٍ، شَهَادِ أَنْدِيَّةِ قَوَالِ مُحْكَمَةٍ، جَوَالِ آفَاقِ (٢)
 فَذَلِكَ هُمِّي وَغَزَوِي : أَسْتَغِيثُ بِهِ إِذَا اسْتُغِيثَ بِضَافِي الرَّأْسِ نَعَاقُ (٣)
 كَالْحَقْفِ حَدَّاهُ النَّامُونَ، قَلَّتْ لَهُ : ذَوُ ثَلَتَيْنِ وَذُو بَيْهَمٍ وَأَرْبَاقُ ! (٤)
 وَقُلَّةِ كِسْنَانِ الرِّيحِ بَارِزَةِ ضُحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مَحْرَاقِ (٥)
 بَادَرْتُ قُنْتَهَا صَحْبِي - وَمَا كَسَلُوا - حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَا قَبْلَ إِشْرَاقِ (٦)

(١) الظَّنَابِيْب : جمع ظَنُوبٍ ، وهو حرف عظم الساق من أمام . وعَرِي الظَّنَابِيْب واشتداد النواشر (وهي عروق ظاهر الذراع) كناية عن ضهور العضل ويسه وعدم ترهل لحمه ، وذلك محمود في رجال العمل والحرب والجرى ، والمدلاج : من يكثر السير في دج الليل أى في وسطه وأواخره . والأدهم هنا : كناية عن الليل . وواهى الماء : أى منصب الماء كأنه في قرية واهية متشققة لشدة مطره . والغساق : الماء المنصب أيضا ، أو يكون صفة للأدهم وهو الليل وأنه مظلم .

(٢) هذا السيد الذي أعول عليه من صفته أنه حمال ألوية في الحروب ، شهادة أندية للشاورة في معضلات الأمور ، قوال أقوال محكمة من الشعر أو الحكمة أو الأقضية الفاصلة في المشكلات ، كثير أسفار للغنم والاكتساب ؛ فهو شجاع عاقل حكيم كساب .

(٣) بضا في الرأس : أى بضا في شعر الرأس ، نفاق شديد الصياح في سوق الإبل والغنم . (المعنى) بهذا الرجل الشجاع الحكيم أستغيث إذا استغاث غيرى براعى ضأن أحق ينق بها .

(٤) الحقف هنا : الرمل العظيم المستدير ، وحداه : الصقه ولبده ، والنامون : المرتفعون . والثلة : الطائفة من الغنم ، والبهيم : صفار الغنم ، والأرباق : جمع ربق وهو جبل له عراشدة فيها البهيم . أى إن رأس هذا الراعى كالحقف لبده من يرتقى إليه من الناس بأقدامهم ، وهذا الراعى قلنا له استهزاء : أنت ذو ثلثين الخ فمالك وللحرب .

(٥) القلة : أعلى الجبل ، وضُحْيَانَةٍ : بارزة للشمس .

(٦) بادرت : استبقت ، وقنتها أعلاها : أى استبقت أصحابي إلى قنتها أى أعلى جزء مستطيل فيها إلى السماء . وما كسلوا أى وما كسلوا عن اللحاق بي في صعودها ، حتى نمت إليها : أى حتى ارتفعت وارتفعت إليها قبل إشراق الشمس .

- لا ظِلَّ في رَيْدِها إِلَّا نَعَامُها منها هَزِيمٌ ، ومنها قائم باق (١)
 بَشْرَةٌ خَلَقَ يُوقِي الْبَنَاتُ بِها شَدَّتْ فيها سَريحا بعد إطراق (٢)
 بل ما لِعَذَّةٍ خَذَالَةٍ أَشِبْ حَرَّقَ باللوم جِلْدِي أَيَّ تَحْراق (٣)
 يقول : أَهْلَكَتَ مَالًا لَوْ قَنِعْتَ بِهِ : مِنْ ثوبِ صِدْقٍ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقٍ (٤)
 عاذِلَتِي ، إِنْ بَعْضَ اللومِ مَعْنَفَةٌ وهل مَتاعٌ — وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ — باق (٥)

(١) في ريدها : أى الحرف الناقى منها المشرف على الهواء ، والنعامه هنا : ما نصب من خشب يستظل
 الريشة أى العين الذى يستطلع حال الأعداء فى الحرب أو يستطلع الصيد ، والهزيم : المتكسر .
 (٢) الشرة : النعل الخلق أى البالية أو هو الخلق من كل شئ ، والبنات : الأصابع من اليدين
 أو الرجلين أو منهما جميعا أو الأطراف وكل مناسب هنا . أى أنه كان يسترأصابعه وأطرافها بنعال بالية ليقبها بها من
 حدة شظايا الصخور ، وهو يرتقى تلك القنة . والسريح : السيور من الجلد تشد بها النعال وتقوى وتخصف والواحد
 مريجة ، والإطراق : تقوية النعل بجلد آخر فوق الجلد الأول ، أى انى وقيت أصابعى وأطرافى بنعال
 بالية قويتها بشدها بسيور من الجلد بعد أن أطرقتها وقويتها بطبق آخر من الجلد فوقها . وقد وصف نفسه
 فى هذه الأبيات الأربعة بأنه رجل مخاطرة وإقدام لا يألوا إذا فدحه الطلب أن يرتقى قنن الجبال المحرقة
 فيصعدا مستبطناً فى يديه ورجليه نعالا بالية يخصصها بسيور وطباق من الجلد فوقها ، ليكون عينا وريشة لصحبه
 أو ليفلت من طالبيه . ثم أضرب عن وصف القنة مقتضبا الكلام بمعارضة اللاتمين له على إتلاف ماله فقال
 بل ما لعذالة الخ .

(٣) عذالة وخذالة أى لرجل عذالة خذالة : للبالغة من العذل والخذلان والتاء فيهما كذلك كما فى نحو
 وحالة ، والأشب : اللاتم العائب .

(٤) أهلكت مالا : أى مالا عظيما فالتذكير هنا للتعظيم نحو إن له لإبلا ، وسيكون لفلان معنى شأن
 و (لو) هنا للتمنى فلا جواب لها ، أو شرطية والجواب محذوف دل عليه ما قبله أى لكان كثيرا كافيا
 أو لأغناك . ومن ثوب صدق الخ : بيان لهذا الحال ، وصدق الشئ : ثبوت الصفات الحمودة له ، فيقال
 لسان صدق بالإضافة ، ودرس صدق ، وثوب صدق . والبز : الثياب التى تلبس ، أو ما اتخذ متاعا للبيت
 من التسيب كالستور ونحوها . والأعلاق : الأشياء النفيسة من السلاح وغيره .

(٥) عاذلتى : أى يا عاذلتى ، بوجه الخطاب لامرأة بعد توجيهه لرجل ، ومعنفة : مصدومي من
 العنف ، وهو ضد الرق أى أن بعض اللوم شديد على نفس الملولم .

إني زعيم لئن لم تتركوا عدلى أن يسأل الحى عنى أهل آفاق: (١)
 أن يسأل القوم عنى أهل معرفة فلن يخبرهم عن (ثابت) باق
 سدد خيالك من مال تجمعه حتى تلاقى الذى كل امرئ لاق
 لتقرعن على السن من ندم اذا تذكرت يوماً بعض أخلاق

(١٠) من معلقة الحارث بن حنظلة اليشكري التى مطلعها: (٢)

آذنتنا بيننا أسماء ربّ ثاويمل منه الشواء (٣)

* * *

وأنا من الحوادث والأند بقاء خطب تعنى به ونساء (٤)
 أن إخواننا الأراقم يغلو ن علينا فى قيلهم إحقاء

(١) إني زعيم : أى إني كفيئل إن لم تكفوا عن عدلى أن أفارقكم إلى حيث لا تعلمون مفرى ،
 فتسألون عنى أهل النواحي والآفاقين من تتوسمون فيهم المعرفة فلا يخبركم باق يلقاكم منهم بخبر عن ثابت
 (وهو اسمه) والخلال فى البيت بعده : جمع خلة وهى الحاجة . ثم عاد ، وقال لعاذلته : لتقرعن البيت الخ .
 (٢) هو الحارث بن حنظلة اليشكري أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الحمزية المشهورة .
 كان فى بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم فى تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالاً . وكثير من الرواة
 يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند
 الملك عمرو ، وكانت يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حنظلة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ،
 ففتخر بقومه وأيامهم فى حروب البسوس مع تغلب ، وفى غيرها — وعمر الحارث طويلاً .

(٣) آذنتنا : أعلمتنا ، وبيننا : بفراقها لنا ، وثاوي : مقيم . أى كثيراً ما تركه إقامة المقيم بين قوم
 لنقل كلفته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٤) نعى به : تقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية
 لبني بكر قبيلة الشاعر ، ويغنون علينا : يتجاوزون الحد فى التقول علينا ، والقييل : القول ، والإحقاء : شدة الإلحاح
 والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون ويتشددون
 فى نسبة ما لم نفعل الينا .

- يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْبِ ب، ولا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ (١)
- زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْدَ رَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَا الْوَلَاءُ (٢)
- أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ :
- مِنْ مُنَادٍ، وَمِنْ مُجِيبٍ، وَمِنْ تَصَدُّ مِهَالٍ خَيْلٍ ، خِلَالَ ذَلِكَ رُغَاءُ (٣)
- أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا عِنْدَ تَعْمُرٍ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ (٤)
- لَا تَجْنُنَا عَلَى غِرَاتِكَ ؛ إِنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ (٥)
- فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَنِيمٍ مِنَّا حُصُونٌ ، وَعِزَّةٌ قَعَسَاءُ (٦)
- قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضَتْ بَعْيُونَ النَّاسَ فِيهَا تَعْيُطٌ وَإِبَاءُ (٧)

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرىء عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم .

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب سحارا مثلاً مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاررون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبعة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوحى ما قيل فى وصف التأهب للإرتحال . وأصدقه وأوضحه تصويراً للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٥) لا تَحْلُنَا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فمن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا .

(٦) الشناءة : البغض ، وتمينا : ترفنا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزرة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وببيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها ، والإباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن تنال بسوء .

- وَكَاَنَ الْمُنُونُ تَرْدَى بِنَا أُرْ عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ (١)
 مُكْفِهْرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُ تَوَهُ لِلْسُدْهِرِ مُؤَيِّدُ صَمَاءِ (٢)
 أَيْمًا خُطَّةٍ أَرْدْتُمْ فَأَدُو هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمَلَاءُ (٣)
 إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَا قُبَ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ (٤)
 أَوْ نَقَشْتُمْ ، فَالنَّقْشُ يَجْشَمُهُ الْبَا سٌ ، وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ (٥)
 أَوْ سَكْتُمْ عَنَّا ، فَكُنَّا كَمَنْ أَغْ مَضَّ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا أَقْدَاءُ (٦)

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء في (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعما : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتناقصه ، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهي الصماء .

(٣) الخطئة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملاء ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها في معاملتنا فابعثوها إلينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحمة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطئة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فإن ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإيرائنا من العار .

(٦) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونفضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدَّ تَمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ؟ (١)
 هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُتَهَبُّ النَّا سُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ (٢)
 إِذْ رَكِبْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرِ حَرِينَ سِيرًا حَتَّى نَهَاها الْحِساءُ (٣)
 ثُمَّ مِلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمَ مَنَا، وَفِينَا بَنَاتٌ مُرَّةٌ إِمَاءُ (٤)
 لَا يَقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ لِي، وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ النِّجَاءُ (٥)
 لَيْسَ يُنْجِي مُوْائِلًا مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجَاءُ (٦)

(١) وَإِنْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فِيهِ مِنَ الصِّلَحِ وَالْتِرَاضِي فَمَنْ الَّذِي أَخْبَرْتُمْ أَنَّ لَهُ الْعُلُوَّ عَلَيْنَا حَتَّى تَطْمَعُوا فِينَا - وَحَدَّثَ هُنَا تَعَدَّتْ إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ .

(٢) غَوَارًا : أَيْ مَغَاوِرَةً بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ ، وَالْعُوَاءُ : الصَّبَاحُ . (الْمَعْنَى) إِنْ كُنْتُمْ لَا تَتَّقُونَ عَنَا فَقَدْ عَلِمْتُمْ فَعَالَنَا وَحَفَظْنَا لَأَنْفُسِنَا ، بَلْ بَغَلْنَا عَلَى غَيْرِنَا مِنْ قِبَائِلٍ تَمِيمٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا ، أَيَّامَ كَانَ النَّاسُ يَتَهَبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ مِنْهُمْ صَبَاحٌ .

(٣) يَرِيدُ بِالسَّعَفِ النَّخْلَ ، وَالْحِساءُ : جَمْعُ حَمِيٍّ ، وَهُوَ الرَّمْلُ يَكُونُ الْمَاءُ تَحْتَهُ قَرِيبًا ، أَيْ هَلْ عَلِمْتُمْ إِذْ رَكِبْنَا الْجَمَالَ مِنْ نَحْلِ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى اتَّهَبْنَا إِلَى الْحِساءِ .

(٤) فَأَحْرَمْنَا : أَيْ دَخَلْنَا فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ فَأَمْتَنَعْنَا عَنْ قِتَالِهِمْ وَفِينَا بَنَاتُهُمْ سَبَايَا . وَمرَّةٌ : أَبُو قَبِيلَةٍ تَمِيمٍ .

(٥ وَ ٦) النِّجَاءُ : الْإِسْرَاعُ وَالْفِرَارُ ، وَالْمُوَائِلُ : الَّذِي يُطْلَبُ مُوْئِلًا أَيْ مَلْجَأً ، وَالطَّوْدُ : الْجَبَلُ .

وَالْحَرَّةُ : الْأَرْضُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ السُّودَاءِ . وَالرَّجَاءُ : الْغَلِيظَةُ . (الْمَعْنَى) أَنَّ الشَّدَّةَ كَانَتْ عَامَةً فَلَمْ يَقُمْ الْعَزِيزُ فِي الْبَلَدِ السَّهْلِ لِمَا فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْخَوْفِ . وَلَمْ يَنْفَعِ الذَّلِيلُ فِرَارَهُ وَلَوْ التَّجَا إِلَى رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ تَحَصَّنَ فِي حَرَّةٍ غَلِيظَةٍ .

عصر صدر الإسلام ونبى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . (٢) الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا (٣)
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . (٤) (٥) (٦)

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (٧)
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ (٨) (٩)

(١) معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم

(٢) الجملة حال من الضمير في اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجعين أن تتخطوا في سلك المتقين .

(٣) كالفرش المبسوط .

(٤) كالقبة المضروبة عليكم .

(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .

(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدفون صحة الشرك .

(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب إليهم المجادلون من الكفار ،

خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئاً كما أنكم لا تسألون عن هياتهم .

(٨) الاختلاف : التمايز .

(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ
 حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ
 الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمْ
 اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ .

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

(١) السماء : جهة العلو .

(٢) البث : النشر والتفريق .

(٣) تصريف الرياح : تدير مهامها وأحوالها .

(٤) أشد حبا : لأنه لا تقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددن بين الأصنام ، أو اللاتجئين الى الله .
 حين الشدة فقط .

(٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق
 الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .

(٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .

(٧) كره : أى عودة الى الحياة الدنيا .

(٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .

(٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حوّل
 من بيت المقدس الى الكعبة بمكة وبصح أن يكون الخطاب عاما .

(١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .

(١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاييج منهم .

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وءاتى الزكاة والموفون^(١)
بعهدهم إذا عهدوا والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا^(٢)
وأولئك هم المتقون .

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال^(٣)
الناس بالإثم وأنتم تعلمون .^(٤)

ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه^(٥)
وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث^(٦)
والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه^(٧)
جهنم ولبئس المهاد . ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله^(٨)

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا : تلقوا . بالإثم : أى بما يوجب إثمًا كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون
بحالة حاله . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للسلهين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو اذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه : والمعنى على ذلك أن الأتفة وحمية الجاهلية حملته على

الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبئس المهاد : جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم مخذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بش المهاد مهاده .

(١٠) يشري نفسه : يبيعها ويذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاء . والله

يعرف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقربين فائزين .

رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً^(١) وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . فَإِنْ زِلْتُمْ^(٢) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فاعلمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .^(٤)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى^(٥) أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكََ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ الْمَلِكََ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ
وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .^(٩)^(١٠)

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . . (٢) ميين : ظاهر العداوة .

(٣) زلتم : حذتم عن الدخول في السلم . . والبيّنات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعاً .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق .

واسع : لا يضيق فضله . طليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المَن : أن يعتد الإنسان بإحسانه على من أحسن إليه .

(٨) الملك هنا : كل شيء فعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص .

(١٠) المراد بإخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوان من مراده وإيمانه .

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ^(١) أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ^(٣) ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ^(٥)
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هم المفلحون . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنَتِ لَهُمْ ^(٦) وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْتَقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لنؤمنن بالله
ولننصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكّيهم : لا يثني عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبما رحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . اللفظ : سبى الخلق الجاني : غليظ القلب ، قاسيه .

انقضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء بعد الشورى .

^(١) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصِلُونَ سَعِيرًا .

^(٢) وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ شَيْءٍ حَسِيرًا .
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا .
^(٣) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنْ
الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَاتِمٌ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ
اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا . ^(٤) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .



^(٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

- (١) هذا أمر للأوصياء بخافة الله في أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بدارارهم الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر في الإنصاف وحسن العشرة .
(٢) أى ما يجر إلى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على النعمة أيضا كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يخنان نفسه : يخونها بالمعاصي . الأثيم : المهمل في المعاصي .
(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .
(٦) الوكيل : المحامي الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعداه ضرره .
(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك أن العرب كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقذاح مكتوب على أحدها أمر في ربي . وعلى الآخر نهاني ربي . والثالث غفل . فان خرج الأمر مضوا ، وان خرج الناهي تمجنوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية .
رجس : قدر تعافه العقول .

وَالْمَيْسِرَ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَتَمُّ مَنْتَهُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ .



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ، فَلَوْلَا
إِذَا جَاءَهُمْ بِأُسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ،
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ^(٥) حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً ^(٦) فَازَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ^(٨) أَزَرَ ^(٩) اتَّخَذَ أَصْنَامًا مَاءِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ،
وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ ^(١٠)

(١) هذا الاستفهام إيدان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعذار قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بأعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقرة . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون :
يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم إليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحاناً لهم بالشدة
والرخاء .

(٦) مبلسون : متحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) أزور : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية فومه من طريق النظر
والاستدلال .

عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربّي فلما أفل^(١) قال لا أحبّ الآفلين . فلما رءا القمر
بازغا قال هذا ربّي فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربّي لأكوننّ من القوم الضالّين . فلما رءا^(٢)
الشمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إني برىء مما تُشركون .^(٣)
إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .^(٤)
إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ذلكم الله^(٥)
فاني تؤفكون . فائق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً . ذلك تقدير^(٦)
العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا^(٧)
الآيت لقوم يعلمون . وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا^(٨)
الآيت لقوم يفقهون ، وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء^(٩)
^(١٠)

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بازغا : مبتدئا في الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثّة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء في وجهت .

والحنيف : المسلم .

(٥) فائقه بالنبات والشجر الذي ينبت منه .

(٦) تؤفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فائق الإصباح : شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل . سكنا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا

اليه . حسباناً : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب

كشباب وشبان : العزيز العليم : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بينها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة هي آدم عليه السلام . مستقر : في الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع :

في الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَرَيْسَهُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِهْلِكْنَا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

(١) الخضر : شئ، أخضر يخرج من الحبة مشعبا . الحب المتراكب : هو السفل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلوعها قنوان، وهى الأعذاق : جمع قنوكهنوان جمع صنو .
دانية : قرية التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شئ . بنعه : فضجه . الآيات :
العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا لهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسيية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستئارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالغنا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبيل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

(١) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
وَإِذْ كُنَّا إِذْ أَتَمُّ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ نَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَيْنَكُمْ
وَإَيْدَكُمْ بِنَصِيرِهِ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . (٢)

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . (٣) الشَّنَّ حَصْحَصَ الْحَقُّ . (٤) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَبِّىَ خَلَقَهُ . (٥) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ . (٦) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . (٧) إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ . (٨) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . (٩) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ . (١٠)
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . (١١) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . (١٢) وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

- (١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات ، ومن أوجه لأعراب لا تصيب أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم .
- (٢) يمتن الله عليهم بما يتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .
- (٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .
- (٤) حصحص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .
- (٥) يقال للشخص ينظر الى وجه ضيف دون القسوى الهام . وأصلها أن الإنسان يعجب من البعث فاسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .
- (٦) يجابه بها من فرط فوقع فى مغبة عمله .
- (٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .
- (٨) فى قرب المتظر .
- (٩) فى الحرمان .
- (١٠) للنص على أن لكل شئ غاية .
- (١١) مدبر الشريعة فيه .
- (١٢) تستعمل فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ . مَا عَلَى
 الْحَسَنِينَ مِنْ سَبِيلٍ . هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ . كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً
 كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ . ءَالَتُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ . تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى . وَلَا
 يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ . كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ .
 وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ . لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ
 وَالطَّيِّبُ . ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مِثْلُ هَذَا
 قَلِيلٌ الْعَامِلُونَ . وَقَلِيلٌ مَا نُهُم . فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ .

- (١) في ظهور الخير من غير مظاهر .
- (٢) تستعمل في تحمل الإنسان نتيجة عمله .
- (٣) في الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .
- (٤) للحسن : يجود بما يشاء .
- (٥) في الخير : جزاؤه الخير .
- (٦) الضعيف : يفوز بالقوى .
- (٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .
- (٨) تستعمل للجماة كالمفكرين وأهواؤهم مختلفة .
- (٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .
- (١٠) تعصب الإنسان لما عنده .
- (١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .
- (١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بنهاية الجهد .
- (١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشريع .
- (١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .
- (١٧) استكبار الشيء وتجيده .
- (١٨) للأشياء النادرة .
- (١٩) تستعمل في لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشَّعْر

(١) قال كعب بن زهير^(١) :

- بانتُ سعادُ قلبي اليومَ متبولُ متيمٌ عندها لم يُجَزَّ مكبولُ^(٢)
وما سعادُ غداةَ البين إذ برزتُ إلا أغنَّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ^(٣)
تجلو عوارضُ ذي ظلمٍ إذا ابتسمتُ وكأنه منهلٌ بالراح معلولُ^(٤)
شُجَّتْ بذى شَـبَمٍ من ماءٍ مخنيةٍ صافٍ بأبطحٍ أضحى وهو مشمولُ^(٥)
تنفى الرياحُ القذى عنه وأفرطه من صوبٍ غاديةٍ بيضٍ يعاليلُ^(٦)
ويلُ آتمها خلةً لو أنها صدقتُ بوعدِها ولو أنَّ النصحَ مقبولُ^(٧)

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التي نشرحها . ويعد شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، ويقال إنه توفي سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الأغن : الذي في صوته غنة ، وهي صوت محبوب . غضيض الطرف : أى في طرفها كسر وفنور .

(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . معلول : أى مسقٍ بالتمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجت : أى مزجت بالماء لذهب سورتها . وبذى شيم أى بماء ذى شيم . والشيم : البرد . والمخنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دفاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : النمامة تأتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها فى رواية ابن هشام أكرم بها . والخلة هنا : الصديقة .

لَكَتَهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دِمِهَا بَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ ^(١)
 فَمَا تَقْسُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُلُ ^(٢)
 وَلَا تَمْسُكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ ^(٣)
 أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا وَمَا إِخْلَالٌ لَدَيْنَا مِنْكَ تَتَوِيلُ
 فَلَا يَغُرُّكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ إِنْ الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ تَضْلِيلُ
 أُمِسْتُ سَعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمَرَايِلُ ^(٤)



نَبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ ^(٥)
 مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلْ قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلٌ ^(٦)
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ، وَلَمْ أَذْنِبْ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خطفه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكره .
 والولع : الكذب .

(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تقرأى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .
 (٣) عرقوب : يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل إنه وعد أخاه ثمر نخلة ، وقال : ائتني إذا
 أطلع النخل ، فلما أطلع قال : إذا أبلح . فلما أبلح قال : إذا أزهى . فلما أزهى قال : إذا أرطب .
 فلما أرطب قال : إذا صار تمرًا . فلما صار تمرًا جده من الليل ولم يعطه شيئاً .

(٤) العتاق : الإبل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مراسل ،
 وهو السريع .

(٥) أوعد : هدد .

(٦) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

- لَقَدْ أَقَوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ يرى وَيَسْمَعُ مَا قَدْ أَسْمَعُ الْقَيْلُ (١)
- لَظَلَّ تَرَعْدُ مِنْ وَجْدٍ بِوَادِرِهِ إن لم يكن من رسول الله تنويل (٢)
- مَا زِلْتُ أَقْتَطَعُ الْيَسْدَاءَ مَدْرِعًا جَنَحَ الظَّلَامِ، وَثُوبُ اللَّيْلِ مَسْبُولُ (٣)
- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زِعُهَا فِي كَفِّ ذِي نَقِيَاتٍ قَوْلُهُ الْقَيْلُ (٤)
- فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذْ أَكَلَّهُ وَقِيلَ : إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ (٥)
- مَنْ ضَيَّعَ بِضْرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرَهُ فِي بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ (٦)
- يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحِمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلُ (٧)
- إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَرَكَ الْقَرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَغْلُولُ (٨)
- مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الْجَوِّ نَافِرَةٌ وَلَا تَمَشِّي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ (٩)

(١) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهدته القيل أو سمع القيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد ، جواب لو في البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة ، وهي هنا بين المنكب والعنق .

(٣) أدرع الظلام أي لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنا زعها : أي لا أجذبها . والقيل : أي القول الحق .

(٥) أخوف : أي أعظم مسبب للخوف . ومنسوب : أي مسئول عن نسبك .

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق . وضراء الأرض أي الأرض المستوية التي تأويها

السباع وبها تبد من الشجر . والمخدر : مكان إقامة الأسد . وبطن عثر مأسدة . أي . مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والنوحش .

(٧) يلحم : أي يطعم اللحم . معفور : أي ملق في التراب . والخراديل : القطع ، والمعنى يصبح الأسد

فيطلب صيدا الولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواكب . والقرن : المائل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا

الذي لا يستطيع المشي . وفي رواية مجدول .

(٩) الجؤ : البر الواسع . والأراجيل : جمع رجيل وهو الرجل غير الراكب .

- ولا يزال يُوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ
إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
زَالُوا، فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعِصْمُهُمْ
شَمُّ الْعُرَانِينَ أَبْطَالٌ لِبُوسِهِمْ
بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ
لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ
مُضْرَجُ الْبَزِّ وَالْدَرَسَيْنِ مَأْكُولٌ (١)
مَهْنَدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا (٢)
عِنْدَ الْإِقْعَاءِ وَلَا مِثْلُ مَعَاذِيلِ (٣)
ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلِ (٤)
مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلِ (٥)
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولِ (٦)
قَوْمًا، وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا (٧)
لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ (٨)

(١) البز : الثياب . والدرس : الثوب الخلق ؛ أى أن برادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلعا ممزقة .

(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترص له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعاذيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له .

(٤) الزهر : البيض . وعرد : قر وأعرض . والتنايل : القصار .

(٥) شم العراني : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .

(٦) بيض : صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال : والقفعاء : نبات ينسبط على الأرض يشبه حلق الدروع .

(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .

(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قتيبة بنت النضر بن الحارث تبكي أخاها

- يا راجيا إن الأئيل مَظِنَّةً من صُبحِ خامسة ، وأنت موفق (٢)
أبلغ بها ميتا بأن تحية ما إن ترأل بها النجائب تخفيق (٣)
مني إليك ، وعبرة مسفوحة جادت بواكِفها ، وأخرى تحق (٤)
هل يسمعي النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق (٥)
أحمد يا خيرِ ضنءٍ كريمية في قومها ، والفحل فحل معرق (٦)
ما كان ضرك لو مننت؟ وربما من الفتى وهو المغيظ المحقق (٧)
أو كنت قابل فدية فلينفقن بأعز ما يغلو به ما ينفق (٨)

(١) قتيبة بنت النضر وقيل أخته نشأت في قومها بنى عبد الدار بن قصي من قريش . وكان أخوها أباوها النضر مع قريش على الرسول في غزوة بدر فامر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قوته أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحله .

(٢) الأئيل : موضع فيه قبر النضر ، تقول إن الأئيل بظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجيبة . وهي جياذ الإبل . وخفقان النجائب : شدة اهتزازها ، وإن زائدة .

(٤) مني متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أي بلغه مني رسالة ، واذكر له عبرة على فقدته سالت ، وعبرة أخرى جددت ، وأخذ حزنها بالخلق فحنقه .

(٥) أم هنا للإضراب : أي بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضنء : الولد . والنجيبة : الكريمة . والمعرق : من له أصول راسخة في الكرم . والمعنى أن أمك شريفة وأباك عريق في المجد .

(٧) المعنى إذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخي وأطالته فقد يغفر الكريم ، وهو منطو على الغيظ والحق .

(٨) أي وما ضرك لو قبلت فدية ، فأنك إن فعلت أتفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

فالنضر أقرب من أسرت قرابةً وأحقهم إن كان عتيق يعتق (١)
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحامٌ هناك تُشقق! (٢)
 صبراً يقاد إلى المنية متعباً رسف المقيد ، وهو عانٍ موثق (٣)

(٣) قال المشقّب العبدى (٤)

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأتّ بيني! (٥)
 فلا تعيدى مواعد كاذباتٍ . تمر بها رياح الصيف دوني (٦)
 فاني لو تخالفني شمالي خلافاً ما وصلت بها يميني (٧)
 إذا لقطعتها ، ولقلت : بيني كذلك أجتوى من يجتويني (٨)
 لمن ظنّ تطالع من خيب؟ فما خرجت من الوادى حين (٩)

(١) كان تامة : أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتيق وفكاك .

(٢) تنوشه : تتناوله ، والله أرحام : تعجب أى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أى صابرا على القتل ، والمعنى أنه يقاد يموت صبرا وهو منعب يرسف رسف المقيد وهو

أسير موثق .

(٤) هو العائد بن محسن بن نعلبة من ربيعة نشأ في الجاهلية يمدح عمرو بن هند وكان هو سيّدا مقدما ذا مآثر

جدة . ويعتد من أصحاب المشوبات له شعر جيد في أغراض شتى منها مشوبته هذه في مدح عمرو بن هند .

(٥) ومنعك ما سألت الخ : أى ومنعك ما أسأله هو وفراقك سواء .

(٦) تمر بها الخ : أى تذهب مع الرياح ، وخص رياح الصيف لأنها رياح لا خير فيها تأتى بالغبار فقط .

(٧) خلافاً : أى مثل خلافاً ، ما وصلت بها يميني : أى لقطعتها .

(٨) أجتوى : أكره .

(٩) خيب : ماء في طريق مكة ، فما خرجت من الوادى الخ أى استمرت سائرة في الوادى مدة .

ومعنى الحين . بعد حين قصير .

- مَرُونَ عَلَى شَرَافٍ فَذَاتِ رِجْلٍ وَنَكَبْنُ الذَّرَاحَ بِالْيَمِينِ (١)
 وَهْنٌ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ قَلْبَا كَأَنَّ حُمُولَهُنَّ عَلَى سَفِينِ (٢)
 يُشْبِهَنَّ السَّفِينِ وَهْنٌ بُخْتُ عَرَاضَاتُ الْأَبَاهِرِ وَالشُّثُونِ (٣)
 وَهْنٌ عَلَى الرِّجَائِزِ وَإِكْنَاتُ قَوَاتِلُ كَلِّ الْأَشْجَعِ مُسْتَكِينِ (٤)
 كَغَزَلَانٍ خَذَلَانِ بِذَاتِ ضَالٍ تَتَوَشَّ الدَّانِيَاتِ مِنَ الْغُضُونِ (٥)
 ظَهَرَتْ بِكَلَّةٍ وَسَدَانٍ أُخْرَى وَثَقَبْنَ الْوَصَاوِصَ لِلْعِيُونِ (٦)
 وَهْنٌ عَلَى الظَّلَامِ مُطْلَبَاتُ طَوِيلَاتِ الذَّوَائِبِ وَالْقُرُونِ (٧)
 وَمِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبٍ كَلُونِ الْعَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ (٨)
 إِذَا مَا قُتِنَهُ يَوْمًا يَرَهُنَّ يَعْزُّزُ إِلَيْهِ لَمْ يَرْجِعْ بِحِينِ (٩)

(١) شراف : ماء لبنى أسد . وذات رجل : موضع . ونكبن : أى عدلن . والذرائح : موضع .

(٢) فليج : موضع .

(٣) يشبين : يمثان . البخت : الإبل الخراسانية . والعراضة : العريضة . والأباهر : الظهور .
 والشثون : جمع شأن وهو مجتمع قبائل الرأس .

(٤) الرجائز : مراكب للنساء تشبه الهوادج . وإكнат : جالسات . والأشجع : الطويل أود والشجاعة .
 ومستكين : أى خاضع لمن .

(٥) خذلان : أى قرن من القطيع . وذات ضال : موضع . تنوش : تناول .

(٦) الكلة : الستر الرقيق . وثقبن : أى فتحن . والوصاوص : خروق في الستر بقدر العين ، وقيل لهذا
 البيت سمى الشاعر بالثقوب .

(٧) الظلام : الظلم . مطالبات : مرغوب فيهن .

(٨) من ذهب متعاق مجذوف تقديره وأعجب مثلاً ، والتريب المراد به الصدر ، وليس بذى غضون
 صفة للتريب . والغضون : التجاعيد .

(٩) أى إذا ما تركن هذا الذهب مرهونا عند أحد الناس عز على هذا الذهب أن يبقى بعيداً عن
 صدورهن لشغفه بها .

- بتلهية أريش بها سهامي تبذ المرشقات من القطين^(١)
 علون رباوة وهبطن غيبا فلم يرجعن قائلة حين^(٢)
 فقلت لبعينهن وشدد رحلي لهاجرة نصبت لها جيني :
 لعلك ان صرمت الجبل مني كذاك أكون مصحبي قروني^(٣)
 فسراهم عنك بذات لوث غدافرة كطريقة القيون^(٤)
 بصادقة الوجيف كأن هرا يباريها يأخذ بالوضين^(٥)
 كساها تامكا قردا عليها سوادى الرضيخ مع اللجين^(٦)
 إذا قلت أشد لها سناقا أمام الزور من قلق الوضين^(٧)
 كأن مواقع الثفات منها معرس باكرات الورد جون^(٨)

(١) التلهية : التسلية واللهو . وراش السهم . ألصق به الريش ليرى به . والمرشقات : اللاني يرشقن القلوب بنظراتهن . تبذ : تغلب . والقطين : أهل الدار للفرد والجمع . يقول تبذ هذه المرأة غيرها بالحسن .
 (٢) الرباوة : ما ارتفع من الأرض . والغيب : ما هبط منها . والقائلة : نصف النهار . ومعنى الشطر الثاني أنهم لم يكذبوا يقين .

(٣) الصرم : انقطع ، وجواب الشرط محذوف . ومصحبي : أى مصاحبتي . والقسرون : النفس أى أنك إن قطعت حبل مودتي قطعتك ، وكذلك أكون في كل حال لا أقبل ضيما ولا أصاحب إلا قسي .
 (٤) ذات لوث : ناقة قوية . غدافرة : شديدة . القيون : الخدادون .
 (٥) الوجيف : السير السريع ، والوضين : حزام الرجل . يقول كأن هرا شد إلى الحزام فهي تخرج منه .
 (٦) التامك : السنام المرتفع . والفرد : المتلبد . وسوادى الرضيخ : أى الفت والنوى المدقوق .
 واللجين : اللزج من العلف .

(٧) السناف : حبل يشد على الصدر ويربط بحزام الرجل من جانبه . والزور : الصدر .
 (٨) الثفات : مامس الأرض من الناقة عند مبركها . والمعرس : المكان الذي ينزل فيه آخر الليل للراحة . ومعرس القطا : خفي جدا . باكرات الورد : مسرعات إلى ورود الماء يريد بها القطا . الجون : المسائلة إلى السواد ، يقول إنها تتجافى في مبركها فآثارها في مبركها كأنها القطا .

- يَجِدُ تَنْفَسُ الصُّعْدَاءِ مِنْهَا قُوَى النَّسْعِ الْمُحَرَّمِ ذَى الْمَتُونِ (١)
 تَصَاكُ الْحَالِيَيْنِ بِمَشَقَّتِهِ لَهُ صَوْتُ أُخٍّ مِنْ الرِّينِ (٢)
 كَانَ نَفَى مَا تَنْفَى يَدَاهَا قِذَافُ غَرِيْبَةٍ بِبَيْدَى مُعِينِ (٣)
 وَتَسْمَعُ لِلذَّبَابِ إِذَا تَغَنَّى كَتَغْرِيدِ الْحَمَامِ عَلَى الْوُكُونِ (٤)
 فَالْقَيْتُ الزَّمَامَ لَهَا فَنَامَتْ لِعَادَتِهَا مِنَ السَّدَفِ الْمُئِينِ (٥)
 كَانَتْ مَنَآخِهَا مُلْقَى لِحَامِ عَلَى مَعْزَائِهَا وَعَلَى الْوَجِينِ (٦)
 كَانَ الْكُورُ وَالْأَنْسَاعُ مِنْهَا عَلَى قَرَوَاءَ مَاهِرَةٍ دَهْسِينِ (٧)
 يَشُقُّ الْمَاءُ جُؤْجُؤَهَا وَيَعْلُو غَوَارِبَ كُلِّ ذَى حَدَبٍ بَطِينِ (٨)

- (١) يجد : يقطع ، والنسع المحرم : السير من الجلد المدبوغ دون تلين . والمتون : القوى . والمعنى أنها إذا زفرت قطعت النسع بنفسها . والصعداء : النفس المردود إلى الجوف .
 (٢) تصاك : ترج . والمشتر : المتفرق يريد الحصى المتطاير . والحالبان : حرقان يكتنفان السرة .
 (٣) الغريبة : الناقة الغريبة . والمعين : الأجير ، أى كان ما تنفيه يداها من الحصى ما يرمى به الأجير الناقة الغريبة إذا حاولت ورود الماء .
 (٤) قال الأصمعي : الذباب هنا حذ نابها إذا صرفت به . ويصح أن يراد به الذباب المعروف .
 والوكون : عشاش الطير .
 (٥) السدف : ظهور الصبح ، أى أنها سارت طول الليل وبركت كعادتها وقت الصبح .
 (٦) المناخ : مكان الإناخة . والمعزاء : الأرض الكثيرة الحصى . والوجين : ما غلظ من الأرض .
 يشبه ما يمس الأرض بموقع الحمام أى أنها تتجافى في المبرك لكرمها .
 (٧) الكور : الرجل . والأنساع : السيور . والقرواء : السفينة . ماهرة : سابحة مجيدة .
 دهين : مدهونة .
 (٨) الجؤجؤ : الصدر . والغوارب : الأمواج . والحذب : تلاطم الماء بعضه ببعض عند جريانه .
 والبطين : الواسع البعيد النور .

- غدت قوداء منشقا نساها تجاسر بالنخاع والوتين (١)
- إذا ما قت أرحلها بليلى تأوه آهة الرجل الحزين (٢)
- تقول إذا درأت لها وضيئي : أهذا دينه أبداً وديني ؟ (٣)
- أكل الدهر حل وارتحال ؟ أما يبق على وما يقيني
- فأبقى باطلاً والحد منها كدكان الدراينة المطين (٤)
- ثبت زمامها ، ووضعت رجلي ونمقة رفدت بها يميني (٥)
- فرحت بها تعارض مسبطراً على صحصاحه وعلى المتون (٦)
- إلى عمرو ، ومن عمرو أنتني أحي النجدات والحلم الرصين (٧)
- فأما أن تكون أحي بحق فأعرف منك غنى أو سميني ،
- والأفاطرحني ، وأتركني عدواً أتيك وتقييني
- وما أدري إذا يمت أمراً أريد الخير أيهما يليني (٨)
- أالخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يتغيني

- (١) القوداء : الذلول . والنسا : عرق في الفخذ . وتجاسر : أي تجاسر أي تمضي في عزم .
والوتين : عرق في القلب .
- (٢) تأوه : أي تنأوه .
- (٣) درأته : دفعته وأزالته عن موضعه . الوضين : حزام الرجل . والدين : العادة والدأب .
- (٤) الدكان : المصطبة . والدراينة : البوابون . والمطين : المطلق بالطين . والباطل هنا :
الركوب للهو .
- (٥) النمقة : الوسادة . رفدت الخ : منحها يميني .
- (٦) المسبطر : الطريق الممتدة ؛ والصحصاح : المستوى . ومتون : جمع متن ، وهو ما صلب من الأرض .
- (٧) يريد عمرو بن هند ملك الحيرة ، ومن عمرو أنتني أي هذه الناقة من عطاياه .
- (٨) يليني : أي يقرب مني .

(٤) قال مالكُ بنُ الرِّيبِ التَّمِيمِيُّ^(١)

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنُّ لَيْلَةً يَجْتَنِبُ الْغَضَى أَرْجَى الْقِلَاصِ النَوَاجِيَا
 قَلَيْتَ الْغَضَى لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبُ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الْغَضَى مَا شَى الرُّكَّابَ لِيَالِيَا
 لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَى لَوْ دَنَا الْغَضَى مَرَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَى لَيْسَ دَانِيَا
 أَلَمْ تَرِنِي بِعَتِّ الضَّلَالَةِ بِالْهَسْدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا^(٢)
 دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدَ وَصَحْبَتِي بِبَذَى الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا^(٣)
 أَجَبْتُ الْهَوَى لِمَا دَعَانِي بِزَفَرَةٍ تَقَنَّنْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا^(٤)
 لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا^(٥)
 فَلِلَّهِ دَرَى يَوْمَ أَنْرُكُ طَائِعَا بَنِي بَاعِلَى الرَّقَّتَيْنِ وَمَالِيَا^(٦)

(١) مالك بن الريب المازني التميمي شاعر فاتك لص نشأ في بادية بني تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد وينال الناس بالشرف يطلبه الولاة فيفرحون حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغريته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) في جيش ابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولي خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خنقه فلدغته حية في داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية . الطيسان : كورتان بخراسان ، أى دعاني الهوى وأنا في المكان ذى الطيسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال في المدح والدعاء ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله ، وأراد بهذا

التركيب هنا التعجب من نفسه . والرقتان : قريتان قرب البصرة .

ودرُ الأطباءِ السانحاتِ عِشِيَّةً يُخَبِّرُنَ أَنِي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا (١)
 ودُرُ كَبِيرِي اللّٰسَدَيْنِ كِلَاهِمَا عَلَى شَفِيقٍ نَاصِحٍ لَوْ نَهَانِيَا (٢)
 ودُرُ الهوى من حيثُ يدعو صحَابَه ودُرُ لِحَاجَاتِي ودُرُ انْتِهَائِيَا (٣)
 تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَى فَلَم أَجِدْ سِوَى السِّيفِ وَالرُّمَحِ الرُّدَيْنِيَّ بَاكِيَا (٤)
 وَأَشَقَرَ خُنْذِيذٍ يَجُرُّ عَنَانَه إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا (٥)

* * *

ولكنْ بأطرافِ السُّمَيَّةِ نِسْوَةً عَزِيزَةً عَلَيَّهِنَّ الْعَشِيَّةَ مَا يِيَا (٦)
 صَرِيحٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ يَسُوونَ قُبْرِى حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا
 وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَيِّتَتِي وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَقَاتِيَا (٧)
 أَقُولُ لِأَصْحَابِي : أَرْفَعُونِي لِأَتْنِي يَقْرَءُونِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَأَ لِيَا (٨)
 قِيَا صَاحِبِي رَحَلِي دَنَا الْمَوْتُ فَانْزِلَا بِرَابِيَةِ ، إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا

(١) إما أنه يقصد بالطباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : وإما أنه يقصد الأطباء الحقيقية وأنها وإن سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تتيمن به العرب كانت خداعة في هذا وأنها في الحقيقة كانت تدير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو التمتني . والضمير يعود للشفيق . .

(٣) ودرب حاجاتي يتهم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينة ، وهي امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكي على في دار

الغربة إلا سيفي ورمحي .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيد : أى طويل صلب .

(٦) السمية : موضع .

(٧) خل بها جسمي : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون في سمت بلاد اليمن .

أقيماً على اليوم أو بعض ليلة ولا تُعجلاني ؛ قد تيت ما بيا
وقوما اذا ما استل رُوحى وهيثا لى السدر والأ كفان ثم ابكاليا (١)
وخطا باطراف الأسنّة مضجعى وردّا على عيّنّى فضّل ردائيا
ولا تحسدانى - بارك الله فيكما - من الأرض ذات العَرَض أن تُوسعا ليا
خُذاني بخُترانى ببردى إليكما فقد كنتُ قبلَ اليوم صعباً قياديا
وقد كنتُ عَطافاً إذا الخيل أدبرت سريعا الى الهيجا الى من دعانيا
وقد كنتُ محموداً لدى الزاد والقري وعن شتى ابن العم والجار وانيا
وقد كنت صباراً على القرن فى الوغى ثقيلاً على الأعداء عَضْباً لسانيا (٢)
وطوراً ترانى فى ظلال ومجمّع وطوراً ترانى والعِناق ركائيا (٣)
وطوراً ترانى فى رَحَى مستديرة تُحرق أطراف الرماح ثيابيا (٤)
وقوما على يثر الشبيك فأشعما بها الوحش والبيض الحنان الروانيا (٥)
بانكما خلفتاني بقفرة تهيل على الريح فيها السوافيا (٦)
ولا تنسيا عهدى خليلي إني تقطّع أوصالى وتبلى عظاميا (٧)

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقة لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمتعاً بلذات العيش فى ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا التفت

المجامع ، ويصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعناق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافيا ، وهو الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

- فلن يعدم الوالون بيتا يُجِنِّي ولن يعدم الميراثُ مِنِّي المَوالِيا (١)
- يقولون : لا تَبْعُدْ ! وهم يدفنونني وأين مكانُ البعْدِ إلا مكانيَا (٢)
- غداة غدٍ يالهف نفسي على غد إذا أدلجوا عني وخَلَفْتُ ثاويَا (٣)
- وأصبح مالي من طريف وتالد لغيري وكان المال بالأمس ماليا (٤)
- فيا ليت شعري هل تغيرت الرحي رحي المثل أو أضحت بفلج كما هيا (٥)
- إذا القوم حلّوها جميعًا وأنزلوا بها بقرًا حمَّ العيون سواجيا (٦)
- ربّين وقد كان الظلامُ يُجِنِّيها يسفن الخزامى نورها والأقاحيا (٧)
- وهل ترك العيس المراقيل بالضحا تعاليمًا، تعلو المتون القياقيا (٨)
- إذا عصب الرُكبان بين عترة وبولان عاجوا المبقيات المهاديا (٩)
- ويا ليت شعري هل بكت أم مالك كما كنتُ لو عالوا نعيك با كيا (١٠)

- (١) بيتا يجنني : قبرا يواريني . والموالي : الأقارب .
- (٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لا تبعد .
- (٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاوي : مقيم .
- (٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .
- (٥) رحي المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .
- (٦) حلوها : أي نزلوا بها . حم : جمع حماء وهي السوداء . والنسواجي : جمع ساجية وهي العين الساكنة ، وهي صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقرة هنا النساء الحسنات وما في البيت بعده ترشيح .
- (٧) يجنّيا : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحي : جمع أخوان هو نبت زهره أبيض مفلج .
- (٨) العيس : الإبل . المراقيل : جمع مرقال وهي للسريعة . والتعالى : الارتفاع في السير . والمتون : الجمادات المرتفعة . والقياقي : جمع قيقاءة وهي الأرض الغليظة .
- (٩) عترة : مكان في وادي بطن فلج . المبقيات : التي يبقى جزيها بعد انقطاع جري غيزها وكلاهما .
- (١٠) عالوا : رفعوا أي بلغوا . أي كما كنت با كيا عليك يا أم مالك لو بلغوني نعيك .

إذا مِتُّ فاعتادى القبور فسلمى على الرِّيمِ أُسْقِيتِ الغمام الغواديا (١)
ترى جدثًا قد جرت الريح فوقه غبارًا كلون القسطلاني هابيا (٢)
رهينة أجمار وترب تضرعت قرارتها منى العظام البوايا

* * *

أقلبُ طرفي فوق رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مُراعيا
وبالرمل منّا نسوة لو شهدتنى بكنين وفدين الطيب المداويا
فمنهن أمى وابنتها وخالتى وباكية أخرى تهيج البوايا (٣)
وما كان عهد الرمل منى وأهله ذميًا ، ولا بالرمل ودعتُ قاليا

(٥) وقال أعشى باهلة (٤)

إني ألتني لسان ما أسر بها من علولا تجب فيها ولا سخر (٥)
جاءت مرجمة قد كنت أحذرها لو كان ينفعني الإشفاق والحذر (٦)

(١) الريم : القبر . الغوادي : جمع غادية . السحابة الباكرة المطر .

(٢) القسطلاني : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب

قتله بنو الحارث بن كعب في رجل منهم فرثاه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشيء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه

ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء . أى أن الخبر الذى وصل إليه من مكان بعيد خير لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجمة : الحديث المريج : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

- تَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَتُنَّا ، وَكَانَتْ دُونَنَا مُضَرُّ (١)
- إِذَا يُقَادُّ لَهَا ذِكْرُ أَكْذَبِهِ حَتَّى أَتُنِّي بِهَا الْأَنْبَاءُ وَالْخَبَرُ (٢)
- فَبِتْ مَكْتَبًا حَيْرَانَ أَنْدَبُهُ وَلَسْتُ أَدْفَعُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
- بِفَاشَتِ النَّفْسِ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مُعْتَمِرٍ (٣)
- إِنْ الَّذِي جَثَّتْ مِنْ تَثْلِيثِ تَنْدِيهِ مِنْهُ السَّيَّاحُ وَمِنْهُ الْجُودُ وَالْغِيَرُ (٤)
- تَنْعَى امْرَأً لَا تُغِبُّ الْحَيَّ جَفْنَهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ خَوَى نَوَّعَهَا الْمَطَرُ (٥)
- وَرَا حَتِ الشُّوْلُ مَغْبَرًا مَنَّا كِبَاهَا شُعْنًا تَغْيِّرُ مِنْهَا النَّيَّ وَالْوَبْرُ (٦)
- وَأَجْحَرَ الْكَلْبَ مَبِيضُ الصَّقِيعِ بِهِ وَضَمَّتْ الْحَيَّ مِنْ صُرَّادِهِ الْجَحْرُ (٧)
- عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ الْمَطَى إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُزْرُ (٨)

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمر على الناس سريعاً حتى وصلت إلى وكان بيني وبينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أ كذبها حتى تواترت الأنباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوماً وتركت يوماً . والجفنسة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريماً يرسل الجفان إلى الحي حتى فى أوقات الشدائد والجذب حينما يخلف المطر ما كانت تنذره علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة تجف لبنها . والشعث : جمع شعناء وهى المغبرة الرأس المتلبدة

الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحرك الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد

البرد ولا مطرفيه .

(٨) أرملوا : فل زادهم ، والتصقت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر .

هو خبر المطى .

- لا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكُومَاءُ ضَرِبَتَهُ (١)
 قَدْ تَكْظِمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ يَفْجُوها
 أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها وَيَسْأَلُها
 مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكْذِرُهُ
 يَمْشِي بِلَيْدَاءَ لَا يَمْشِي بِها أَحَدٌ
 كَأَنَّهُ بَعْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفَسَهُمْ
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ تَجَلُّ
 إِمَّا يُصِيبُهُ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ
 أَخُو حُرُوبٍ وَمَكْسَابٌ إِذَا عَدِمُوا
 بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أَخْرَوْتَ السَّفَرُ (٢)
 حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِها الْجَرَرُ (٣)
 يَخْشَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النُّوْفُلُ الزُّفَرُ (٤)
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرٌ
 وَلَا يُحْسُ خَلَا الْخَافِي بِها أَثَرُ (٥)
 بِالْبَاسِ يَلْمَعُ مِنْ أَقْدَامِهِ الشَّرَرُ (٦)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عَسَرُ (٧)
 يَوْمًا فَقَدْ كَانَتْ يَسْتَعْلِي وَيَنْتَصِرُ (٨)
 وَفِي الْخِيفَةِ مِنْهُ الْجِدُّ وَالْحَذَرُ (٩)

- (١) البازل : ما برز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون منه إذا انحوت سبع سنين . الكوماء : الناقة الضخمة السام . وأخروط السفر : أي طالت مدته ، وبعدت طريقته .
 (٢) تكظم : أي تحبس غيظها على مضض ، ويفجؤها : يجيئها بغاءة وبغتة . والجرر : جمع جرة . وهي الكرش التي يضع فيها البعير طعامه لئلا كله ثانية . يعني أنه لكثرة عادته بعقر الإبل إذا رآته كظمت وحبست جررها خوفاً وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .
 (٣) الرغائب : العطايا يعطيها ويسألها : أي مرة يعطي بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والطلامة : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .
 (٤) اليلد : الفلاة . والخافي : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .
 (٥) صدق القوم أنفسهم : أي إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعني إذا جأراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليبلغوا مداه قد خابوا ، وتراه وقد لسع الشر من أقدامه لقوة عدوه .
 (٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . ويأسرته : لا يئته ولا طفته . والعسر : قلة السباحة وضيق الخلق .
 (٧) إما : هي إن الشرطية المدغمة في ما . والمناوأة : المعاداة .
 (٨) الجدد : الاجتهاد في الأمر .

- مردى حروب شهاب يستضاء به (١) كما أضاء سواد الطخية القمر (١)
- مهفف أهضم الكشحين منخرق (٢) عنه القميص، لسير الليل مختقر (٢)
- ضخم الدسيسة متلاف أخو ثقية (٣) حامى الحقيقة منه الجود والفخر (٣)
- طاوى المصير على العزاء منجرد (٤) بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر (٤)
- لا يتارى لما فى القدر يرقبه (٥) ولا يعرض على شرسوفه الصفر (٥)
- تكفيه فلذة لحم إن ألم بها (٦) من الشواء، ويروى شربه الخمر (٦)
- لا يامن الناس ممساة ومصبجة (٧) فى كل فج، وإن لم يغزى ينظر (٧)
- المعجل القوم ان تغلى صراجلهم (٨) قبل الصباح، ولما مسح البصر (٨)
- لا يغمز الساق من أين ولا نصب (٩) ولا يزال أمام القوم يقتفر (٩)

- (١) المردى : الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسره الصخور . والشهاب : شعلة من النار . والطخية : الظلمة .
- (٢) المهفف : الخفيف اللحم . أهضم الكشحين . أى ضامر الخصر . منخرق عنه القميص : هذا كناية عن طول أسفاره .
- (٣) الدسيسة : العطية . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرها .
- (٤) المصير : المعى ، وجمعه مصران . والعزاء : السنة الشديدة المجدة ، والمنجرد هنا : المسرع بالسير .
- يعنى أنه فى السنة المجدة يطوى أحشاه على الجوع ، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات .
- (٥) يتارى : يجلس وينظر . والشرسوف : غضروف الضلع المشرفة على البطن . والصفر والصفار : دوية تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع .
- (٦) الفلذة : القطعة الصغيرة . والشرب : أصله الشرب وسكنت الراء . وهو مصدر شرب بمعنى عطش . والخمر : قدح صغير أو أصغر الأقداح .
- (٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يفرقوما انتظروا حملته فى خوف .
- (٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليان قدورهم وذلك قبل الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم .
- (٩) يغمز الساق : يجسها . والأين والنصب : النعب . ويقتفر : يتبع ويمجى على أثره

عِشْنَا بِهِ بَرْهَةً دَهْرًا فَوَدَّعْنَا كَذَلِكَ الرِّيحُ ذُو النَّصْلَيْنِ مِنْكَسِرِ
 فَنِعَمَ مَا أَنْتَ عِنْدَ الْخَيْرِ تُسَالُهُ وَنِعَمَ مَا أَنْتَ عِنْدَ الْبَاسِ تُحْتَضِرُ^(١)
 أَصَبْتُ فِي حَرِّمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَسِيَّةٍ هِنْدَ بْنَ سَلَمَى ؛ فَلَا يَهْنَأُ لَكَ الظَّفَرُ !
 فَإِنْ جَزَعْنَا فَإِنَّ الشَّرَّ أَجْزَعُنَا . وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعَشَرُ صَبْرٍ^(٢)

(٦) قَالَتِ الْخَنَسَاءُ^(٣) تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا

مَا هَاجَ حُزْنَكَ ؟ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أَمْ ذَرَفَتْ أَنْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ^(٤)
 كَانَ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِدْرَارُ^(٥)
 تَبْكِي لَصَخْرِهِ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلِهْتُ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارُ^(٦)
 تَبْكِي خُنَاسٌ فَمَا تَنْفَكُ مَا عَمَرْتُ لَهَا عَلَيْهِ رَذِينَ ، وَهِيَ مِقْتَارُ^(٧)

(١) البأس : الشدة ، وتحتضر أى يطلب حضورك .

(٢) صبر : جمع صبور .

(٣) هى السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى . نشأت فى بيت مجده وسبيادة تقول المقطوعات من الشعر . فلما قتل أخوها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى تبغت فى الرثاء لذلك . وتعد الخنساء على رأس الشواعر العربيات لفقده تسعرها وصدق شعورها مع جمال الأسلوب وسلاسته . وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ .

(٤) ما : استفهامية . والعوار : رمد العين : وذرفت : قطرت قطرا متتابعاً . تقول أى شئ ، هاج حزنك أبك رمد ؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها ؟

(٥) كأن عيني أى دموع عيني . والفيض : الماء الكثير . والمدرار الغزير .

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء . والعبرى : التى لا تجف دموعها وعبراتها . والوله : شدة الجزع والأستار هنا : الأجار والتراب يهال على الميت . وقولها من جديد التراب يدل على قرب موته وهذا يستلزم شدة الجزع .

(٧) ما عمرت : أى مدة عمرها . والمقتار : التى أصابتها قرة أى ضعف .

- تبيكي خناسٌ على صخيرةٍ ، وحقَّ لها (١) إذ رآها الدهرُ ؛ إنَّ الدهرَ ضرَّارٌ (١)
- لا بُدَّ من ميتةٍ في صرفها غيرُ (٢) والدهرُ في صرفه حَوْلٌ وأطوار (٢)
- يا صخرُ ورَّادَ ماءٍ قد تناذره (٣) أهلُ المواردِ ما في ورده عار (٣)
- مشى السَّبْتَى إلى هَيْجَاءٍ مُضْلَعَةٍ (٤) له سلاحانِ أُنْيَابٌ وأظفار (٤)
- فما عجولٌ على بوَّ طُفِيفٍ به (٥) لها حنينانِ إصْفَارٌ وإكْبار (٥)
- ترتُّعٌ ما رتعتُ حتى إذا أدَّ كرتُ (٦) فأنما هي إقبالٌ وإدبار (٦)
- لا تَسْمَنُ الدهرُ في أرضٍ وإن رُبعتُ (٧) فأنما هي تَحْنَانٌ وتَسْجَار (٧)
- يوما بأوجدَ مني يومَ فارقني (٨) صخرٌ ، وللدَّهْرِ إحْلَاءٌ وإمْرار (٨)
- وإنَّ صخرًا لكافينا وسيدنا (٩) وإنَّ صخرًا إذا نشتو لنَّحَار (٩)

(١) رآها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) في صرفها : أى في حدوثها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والثقاب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت حوض المنية وقد خاله كل وارد ، على أنه ليس في ورده من عار لأنه لا مقر منه .

(٤) السبتي : الجري ، والنمر . والهيجاء : الحرب . والمضلة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التي يموت ولدها وهو صغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدلى منها قرأه . والإصغار في الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت : أى أنها ترعى ما دامت ناسية ما أصاب ولدها حتى إذا ذكرته لم بقز لها قرار من شدة الحزن .

(٧) ربت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت في أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما في حنين . والتسجار : مد الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت بيتين

(٩) نشتو أى تدخل في الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجلب والشدّة .

- وان صخرًا لَمَقْدَامٌ إذا ركبوا وإن صخرًا إذا جاعوا لعقار (١)
 أغرَّ أبلج تأتم الهداة به كأنه عَنَّم في رأسه نارُ (٢)
 جلدٌ جميلٌ المحيا كاملٌ ورِعٌ وللحروب غداة الرُّوعِ مسعار (٣)
 حمالُ ألوية هباطٍ أوديةٍ شهَادُ أنديةٍ للجيش جرَّار (٤)
 فبت ساهرةً للنجم أرقبُه حتى أتى دون غورِ النجم أستار (٥)
 ليكه مَقَرٌّ أفنى حرِبَتَه دهرٌ ، وحالفه بؤسٌ وإقتار (٦)
 ورققةٌ حارَّ هاديهم بمهلكةٍ كأن ظلماتها في الطُّخيةِ القار (٧)
 لا يمنع القومَ إن سالوه خَلَعَتَه ولا يحاوزُه بالليلِ مُرَّار (٨)

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشریف : والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين . وهذا مما يمدح به الرجل .
 والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهداة وأنه في الشهرة والظهور وأوفى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل في قمته نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والورع : المجتنب لما لا يعنيه . وفي رواية ذرع والذرع الحسن العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء في الحرب ، وهو لا يعتصم بالجلال خوفاً ، بل يهبط الوديان للقتال ، ثم انه حكيم راجع الراى يشهد أندية عقلاء القبيلة وأهل الراى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرًا أى حتى غلقت ظلمات القبور ، فنبت صخرًا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحرية : ما يعيش الإنسان به من المال .

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المزار : جمع مار ، أى لو سئل ثوبه ما منعه ، ولا يبرداره إنسان إلا أصاب .

(٧) قال حسان بن ثابت^(١) يذكر الحارث بن هشام وهزيمة
يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :
تَبَلَّتْ قُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ نَحْرِيْدَةً تَسْقِي الضَّجِيعَ بَيَّارِدٍ بِسَامِ^(٢)

*
*
*

يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً وَلَقَدْ عَصَبْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي^(٣)
بَكَرْتُ عَلَى بُسْخَرَةٍ بَعْدَ الْكَرَى وَتَقَارِبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ^(٤)
زَعَمْتُ بَأَنَ الْمَرْءِ يُكْرِبُ يَوْمَهُ عُدُمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ^(٥)
إِن كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَتَجَوَّيْتُ مَنَجِي الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يِقَاتِلَ عَنْهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ^(٦)

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري . نشأ جاهلياً فآبى في الشعر يمدح المناذرة والنساسة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محباً إليه وإلى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٥٥ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامي عن الجاهلي بتأثير البيئة الجديدة فصار منبهاً ما لوفاً بعد أن كان وعراً غريب الألفاظ

(٢) تبلة الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيع : المضاجع . والبارد : البسام : النعم العذب كثير الابتسام .

(٣) أي من يسعدني لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهول ، مصدر سفه .

(٤) بكر يكر إلى الشيء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكر : يدني . والمعتكر : الجيش إذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعي أن فناء قوم الرجل وأهله يدني أجله ، فهي تنفره من الحرب ونحو غمارها .

(٦) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أي نجا مسرعاً بفرسه متشبهاً برأسها وجامها فراراً من هول الحرب .

- تَذُرُ العَنَاجِيجَ الجِيَادَ بَقْفَرَةٍ مَرَّ الدِّمُوكِ يُحْصِدُ وَرِجَامٍ (١)
- مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَاَرَمَدَتْ بِهِ وَثَوَى أَحَبَّتْهُ بِشَرِّ مَقَامٍ (٢)
- وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ نَصَرَ الْإِلَهَ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
- طَحَنَتْهُمْ — وَاللَّهِ يُنْفِذُ أَمْرَهُ — حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضَرَامِ
- لَسَوْلا الْإِلَهَ وَجَرِيهَا لَتَرْكُنْهُ جَزَرَ السَّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِي (٣)
- مَنْ كُلِّ مَأْسُورٍ يَشُدُّ صِفَادَهُ صَقُرٌ إِذَا لَاقَى الْكُتَيْبَةَ حَامِي (٤)
- وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ حَتَّى تَزُولَ شَوَاخُ الْأَعْلَامِ (٥)
- بِالْعَارِ وَانْذَلَّ الْمُبِينُ إِذَا رَأَوْا بِيضَ السِّيُوفِ تَسُوقُ كُلِّ هُمَامٍ (٦)
- يَيْدِيَّ أَغَرَّ إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ نَسَبُ الْقِصَارِ سَمِيذَعٍ مِقْدَامٍ (٧)
- بِيضٌ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا أَصْمَتَتْ كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالٍ كُلِّ غَمَامٍ (٨)

(١) العناجيج : جياد الخيل . الديموك : الأرنب السريعة . وفي رواية (الذمول) وهي الناقة تسير الذميل ، والمحصد : من أحصد الزرع إذا جف وقرب حصاده . والرجام : جمع رجمة ، وهي حجارة تنصب على القبر .

(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .

(٣) الضمير في تركته للخيول ، وجزر السباع : أي طعمتها ويريد بالحوامي سنايك الخيل .

(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .

(٥) جدله صرعه على الجدالة : وهي الأرض ذات الرمل الرقيق أو عام . يقول إن هذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .

(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أي يشعرون .

(٧) الأغر : الكريم الثعال والشريف . ونسب القصار أي نسب قصار النسب ، يقولون فلان قصير النسب أي أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد . والسמידع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف والشجاع والرجل الخفيف في حاجته . ييدى متعلق بمحذوف حال من بيض .

(٨) بيض : خبر تلبنداً محذوف أي سلاحه بيض ، وأصمعت بمعنى أسكنت لشدة هولها . ثم شبهها في لغاتها بالبرق في ظلمة الغمام .

وقال حسان يمدح عمرو بن الحارث الغساني وقومه :

- أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ نَسْأَلِ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبُضْيَعِ فُحُومِلِ (١)
فَالْمَرْجِ مَرْجَ الصُّفْرَيْنِ خَاسِمِ فِدْيَارِ سَالِي دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَلِ (٢)
دِمْنٌ تَعَاقِبُهَا الرِّيحُ دَوَارِسُ وَالْمُدْجَنَاتِ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعْرَلِ (٣)
دَارُ لِقَوْمٍ قَدْ أَرَاهُمْ مَرَّةً فَوْقَ الْأَعْرَةِ عِزُّهُمْ لَمْ يُنْقَلِ
سَيِّدُ اللَّهِ دُرُّ عَصَابَةٍ نَادِمَتْهُمْ يَوْمًا بِجِلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (٤)
يَمْشُونَ فِي الْحُلَلِ الْمَضَاعِفِ نَسْجُهَا مَشَى الْجَمَالَ إِلَى الْجَمَالِ الْبُزْلِ (٥)
الضَّارِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصِلِ (٦)
وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيهِمْ وَالْمَنْعَمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمِلِ (٧)
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضِلِ

- (١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابي والبضيع وحومل : مواضع .
(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهي البالية . لم تحلل
أى لم ينزل أحد بها .
(٣) الدمن : جمع دمة ، وهي آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس :
جمع دارسة . والمدجئات : السحب الكثيرة الأمطار .
(٤) جلق : دمشق .
(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ،
وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .
(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة تلبس على الرأس .
وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيوف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم
الصغيرة فى سرعة .
(٧) المرمل : الذى فى زاده والتصق بالرمل . يصفهم بالجود والرفق والتواضع .

- يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (١)
- يَسْقُونَ دِرْيَاقَ الرَّحِيقِ ، وَلَمْ تَكُنْ تُدْعَى وَلَا تُدْهِمُ لِنَقْفِ الْحَنْظَلِ (٢)
- بَيْضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الْطَرَّازِ الْأَوَّلِ
- فَلَبِثْتُ أَزْمَانًا طَوِيلًا فِيهِمْ ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلْ (٣)
- إِمَّا تَرَى رَأْسِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ شَمَطًا ، فَأَصْبَحَ كَالثُّغَامِ الْمُحْوِلِ (٤)
- وَلَقَدْ يَرَانِي مُوعِدِي كَأَنِّي فِي قَصْرِ دُومَةٍ أَوْ سِوَاهِ الْهَيْكَلِ (٥)
- وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ كَطَعْمِ الْفُلُقُلِ (٦)
- يَسْمَى عَلَى يَكَايِسِهَا مُتَنَطِفٌ فَيُعَلِّنِي مِنْهَا ، وَلَوْ لَمْ أَنْهَلْ (٧)

- (١) البريص : موضع بدمشق . وبردَى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوله ممزوجاً من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر ممزوجاً بالخمر العذب البارد المصفى .
- (٢) الدرياق : لغة في الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . نقف الحنظل : شقه . ويكنى بأن إمامهم لا تشق الحنظل عن يسارهم .
- (٣) طويلاً : صفة لمفعول مطلق أى لبثاً طويلاً . وأدركت : أى أمنتعت عن اللهو بتاتلاً .
- (٤) إما : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت يبيض ورقه إذا يبس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .
- (٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيداً عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .
- (٦) الحانوت : الحانة .
- (٧) المتنطف : لابس القروط . وأعله : سقاء ثانية . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقيني ثانية ، ولو لم أظمأ .

- إِنِّى نَأْوِلَتْنِى فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ - قُتِلَتْ - فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلْ (١)
- كَلَنَاهَا حَلَبُ الْمَصِيرِ فَعَاظَنِى بِزَجَاجَةٍ أَرْخَاهَا لِلْمَفِصِلِ (٢)
- بُزْجَاجَةٍ رَقَصَتْ بِمَا فِى قَمَرِهَا رَقَصَ الْقَلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعِجِلِ (٣)
- نَسَبِ أَصِيلٍ فِى الْكَرَامِ وَمِذْوَدِى تَكْوَى مُوَاسِمُهُ جُنُوبَ الْمُصْطَلِ (٤)
- وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا وَنَسُودُ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِى
- وَيَسُودُ سَيِّدُنَا جَحَاجِحَ سَادَةٍ وَيُصِيبُ قَائِلُنَا سَوَاءَ الْمَفِصِلِ (٥)
- وَنَحَاوُلُ الْأَمْرَ الْمَهْمَ خَطَابَةً فِيهِمْ ، وَنَفِصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضَلِ (٦)
- وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رُكَّابُنَا وَمَتَى تُحْكَمْ فِى الْبَرِيَّةِ نَعْدِلُ

(٨) وَلِلْحَطِيبَةِ (٧) يَمْدَحُ بَغِيضَ بْنِ عَامِرٍ

- أَلَا طَرَقْنَا بَعْدَ مَا هَجَّوْا هِنْدُ وَقَدْ سِرْنَ نَحْمَسًا وَأَتَلَّابٌ بِنَا نَجْدُ (٨)
- أَلَا حَبَّذَا هِنْدُ وَأَرْضُهَا هِنْدُ وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ

- (١) قتل الشراب : مزجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساق بحسب الأصل ولم يقصد به الشر هنا .
- (٢) كَلَنَاهَا : أى الخمر الصرف والمزوجة . فامتنى أشدهما إرخاءً للفواصل ، وهى الخمر الصرف .
- (٣) معنى رقص الكأس بما فى قمرها : صعود الفقايع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : النانة .
- (٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطلى : المستدفئ . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .
- (٥) سيد جحاجح : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كسجد : كل ملتحق عظامين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .
- (٦) المهمل : المشكل .
- (٧) هو أبو مليكة جرول الخطيئة العيسى ، نشأ معلول النسب حاقدا على أهله ، تبرأ بالناس يهجوهم جميعا على قبح صورته وراثته وفساد إسلامه الى أن مات سنة ٥٩ هـ - وهو من مدرسة زهير جيد الشعر مستوى الأسلوب قوى التأثير يعد من الناحية الفنية منيد المخضرمين .
- (٨) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجمت الأعين ، وبعد أن سارت الإبل نحس ليال وظهر لنا نجد .

- وهند أتى من دونها ذو غوارب يقمص بالبوصى معروف ورد (١)
- وإن التي نكبتها عن معاشر غضاب على أن صدت كما صدوا (٢)
- أت آل شماس بن لآي وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد (٣)
- فإن الشقي من تعادي صدورهم وذو الجدد من لأنوا إليه ومن ودوا (٤)
- يسوسون أحلاما بعيدا أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدد (٥)
- أقلوا عليهم - لا أبا لأبيكم - من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا (٦)
- أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا (٧)
- وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا (٨)

- (١) من معاني الغارب أنه أعلى كل شيء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية . وقص البحر بالسفينة : حركها بموجه . والبوصى : ضرب من السفن . والمعروف : المتراكم الأمواج . والورد : الجريء . أو الأحمر الضارب إلى الصفرة . يقول : إن بني وبين هند مجرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .
- (٢) نكبتها أى نحيبها وأبعدتها . والضمر للذمة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أى أن المدحة التى عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صدت عنهم كما صدوا عنى .
- (٣) جملة أت خبر إن فى البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعد : القديم أو الكثير . أى جاء فى هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم .
- (٤) نسب العداوة إلى الصدور لأنها مكان الفيض والعداوة . والجدد : الحظ .
- (٥) أى يحكمون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة التانى . وإذا غضبوا كانوا أهل سنيطة أى غيظ . وجد أى اجتهد أو عجلة .
- (٦) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم أباء يتسبون إليها عند المفارقة .
- (٧) البنى أو البنى بكسر الباء وضمتها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثانى جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدوا أى وإن عقدوا الزيمة أو نقوها أو إن عقدوا على الحرب حملوا .
- (٨) أى كدوا من أعطوه يطلب الجزاء على النعمة .

- وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهر رُدُّوا بعض أحلامكم رُدُّوا (١)
- وإن غاب عن لأي بفيض كفتهم نواشي لم تَطُرْ شواربهم مُرَدُّ (٢)
- وكيف ولم أعلمهم حذلوكم على مُفْطِيع، ولا أديمكم قَدُّوا (٣)
- مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم، وبنى الجَدُّ (٤)
- فمن مبلغ لأيا بأن قد سعى لكم إلى السُّنُورَةِ العَليَا أخ لكم جَلْد (٥)
- جرى حين جارى لا يُسارى عَنَانُهُ عِنَانٌ ولا يَتَنِي أجاريه الجَهْد (٦)
- رأى مجد أفتوام أضيع فختهم على مجدهم لما رأى أنه الجَدُّ (٧)
- وقد لامني أفناء سعد عليهم وما قلتُ إلَّا بالذى علمتُ سعد (٨)

(١) المولى : ابن العم أو الجار أو الخليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى في شأن أضر به واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .

(٢) لأي : عشيرة بنيض بن عامر . ونواشي : جمع ناشئة يريد بهم فتيان القبيلة . ولم تطرون شواربهم : لم تظهر .

(٣) المفطع : الأمر تجاوز الحد في الشناعة . والأديم هنا : العرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم في خطب ملم ، ولم ينالوا من عرضكم .

(٤) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار فراقهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٥) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجَلْد : القوى ، بمعنى أن يبلغ إنسان لأيا أن أخاهم سعى للمجد حتى وصل قته العليا .

(٦) لا يسارى عَنَانُهُ : أى لا يجاريه . والأجارى : جمع إجارية ، وهى : الجرى والجهد والطبيعة ، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سبق أحدا في طريق المجد لم يسبقه أحد ، ولم يقعد به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٧) أى لما رأى أن المجد انما هو في الجَد والاجتهاد في الأمور .

(٨) يقال : هو من أفناء الناس : أى لا يعلم بمن هو .

وقال يهجو الزبرقان بن بدر :

- والله ما معشر لاموا امرءاً جنباً
لقد مررتكم لو أن درتكم
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم
وقد نظرتكم إيناء صادرة
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم
أجمعت يأساً مبيناً من نوالكم
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً
جاراً لِقوم أطالوا هونَ منزله
- في آل لآي بن شماس بأيكاس (١)
يوماً يحيى بها مسحى وإبساسي (٢)
كما يكون لكم متحى وإمراسي (٣)
لخمس طال بها حوذى وتنساسي (٤)
ولم يكن لجراحي منكم آسي (٥)
ولا ترى طارداً للحر كالباس
ذا فاقة حل في مستوعر شاسي (٦)
وغادروه مقيماً بين أرماس (٧)

(١) الجنب هنا : القريب . في آل لآي أي في مديح آل لآي . وأيكاس : جمع كيس ، وهو اللهبب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٢) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدر . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدر . يريد أنه حاول تملقهم كثيراً فلم ينل منهم شيئاً .

(٣) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر لي جذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزل منها . يريد أنه تعد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصمهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب الحمد .

(٤) الإيناء : مصدر أوفى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآنية من الماء . والخمس من أظاء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء في اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعاً . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهداً إجهاد ناقة أعيائها التعب فهي تساق وترجى .

(٥) الآسي : الطبيب . وفي رواية غيب أنفسكم أي ما كان مستورا من بخلكم .

(٦) المستوعر : المكان الوعر . والشاسي بالهمز ومهل المكان الغليظ المرتفع . أي لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلاً في مكان وعر قاحل فأعانه .

(٧) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أي وتركوه كاليت بين أموات القبور .

- مُلُوا قِرَاه ، وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ^(١) وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ^(١)
 لَا ذَنْبَ لِي الْيَوْمَ إِنْ كَانَتْ نَفُوسُكُمْ كِفَارِكِ كَرِهْتُ ثَوْبِي وَإِلْبَاسِي^(٢)
 مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَةٍهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي^(٣)
 وَأَبَعْتُ يَسَارًا إِلَى وَفَرٍ مُذَمِّمَةٍ وَاحِدِجَ إِلَيْهَا بِذِي عَمْرُكَيْنِ أَنْكَاسٍ^(٤)
 مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ قَلْتُ مَعَاوِلَكُمْ مِنْ آلِ لَأَى صَفَاءُ أَصْلُهَا رَاسِي

(٩) قَالَ الْأَخْطَلُ يَفْضُلُ الْفَرْزَدَقَ عَلَى جَرِيرَ :

- بَكَرَ الْعَوَازِلُ يَتَسَدِّرْنَ مَلَامَتِي وَالْعَالَمُونَ فَكَلَّهْمُ يَلْحَانِي^(٦)
 فِي أَنْ سَقَيْتُ بَشْرِيَّةً مَقْذِيَّةً صِرْفٍ مَشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ شُنَانٍ^(٧)

- (١) هَرَّتْهُ الكلاب : نجت . وهذا كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم . وقوله (جرحوه) يريد أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .
 (٢) الكفار : المرأة تبغض زوجها . أي ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعري أو مقامى فيكم بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .
 (٣) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسوء ، وهذا من أقذع الهجاء .
 (٤) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء . والمذمة : يريد بها هنا الملوءة يقال : برذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحديج البعير يحده : شدة عليه الرجل والعرك : انشقاق فى إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .
 (٥) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبى نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضرة عامة وقيس خاصة . ولما كان متصلاً بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك وكذا الخمر لمعاقرته إياها . وكان الأخطل أحظى الشعراء لدى الأمويين ، اتخذوه شاعراً يناضل عنهم أعداءهم . وقد دخل بين الفرزدق وجرير فى التهاجى متصراً للأول فمعد بذلك من أصحاب النقائض . ويمتاز شعره بمجالة الأسلوب ، وترك الإقذاع فى الهجو . مات فى أول خلافة الوليد سنة ٨٥ هـ ، على المشهور .
 (٦) العواذل : جمع طاذلة ، اللائمة . يتسدرن ملامتى : يسرعن الى لومى . يلحانى : يعيننى .
 (٧) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشة : ممزوجة . شنان : ماء بارد ، وواد بالشام .

- فَظَلَلْتُ أَشْقَى صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا عَمْدًا لِأَرْوِيَهُ كَمَا أُرْوَانِي
وَذَكَرْتُ - إِذْ جَرَّتِ الشَّمَالُ فَمِيجَتْ شَوْقًا لَنَا - رَيًّا وَأُمًّا أَبَانِ (١)
وَالْحَارِثِيَّةَ؛ إِنِّي مُهْدٍ لَهَا مَبْدَحًا يُشَبُّ بَيْنَ كُلِّ مَكَانِ (٢)
لَا قِيَمَتَيْنِ يَجْمَعُهُمَا فَارِثَتِي صُورَ الْمَهَا بِزَخَارِفِ الْبُنْيَانِ (٣)
وَنُحُورَهُنَّ دِيَاسِقُ مِنْ قَضِيَّةٍ وَنَوَاهِدُ كُنُوعِ الرُّمَانِ (٤)
وَمُرْمَلِ الْحَنَاءِ يُصْبِحُ قَانِيًا كَدَمِ الذَّبِيحِ - بَارُوجٍ وَبَنَانِ (٥)
يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ الشُّتُورِ بِأَعْيُنٍ يُجِلُّ يَمْتَنِّ الْعَاشِقِينَ حَسَانِ (٦)
نَظَرًا مَخَالِسَةً وَهَنَ صَوَائِدُ بَنُحُودُورَهُنَّ وَأَحْسَنَ الْأَلْوَانِ (٧)
وَإِذَا رَأَيْنَ الشَّيْبَ لَمْ يَقْرَبْتَهُ وَالْغَانِيَاتُ عَنْ الْكَبِيرِ غَوَانِي
يَقْطَعْنَ مِنْهُ حَبْلَ كُلِّ مَوَدَّةٍ جَهْلًا، وَهَنَ إِلَى الشَّبَابِ رَوَانِي (٨)

- (١) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين أى ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال .
(٢) يشب الخ : يذكرن فى كل مكان .
(٣) المهما : جمع مهامة البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة فى جمال العينين . الصورة : الشكل يعنى أنهم يشبهن الصور التى تزين بها الأبنية .
(٤) نحور : جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا .
(٥) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرملة أى المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئًا : شديد الحرارة .
أزوح : جمع راحة وهى باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروجهن وبنائهن .

- (٦) خلل : جمع خلة الثقبه . نبجل : جمع نجلاء الواسعة العين الحسنة .
(٧) مخالسة : مسروقاً بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر السترا والبيت .
(٨) الجهل هنا : الجفاء . روانى : دائماً النظر ، المفرد رانية .

- أني أديمُ لدى الصفاءِ مودتي وإذا تغيَّرَ كنتُ ذا ألوانٍ (١)
وأصُدُّ عن صرمِ الصديقِ تَكْرُمًا حينًا ، وما دهري له يهوانٍ (٢)
وأفارقُ الخُلالانَ عن غيرِ القلي وأميتُ عندي السرُّ بالكتانِ (٣)
ولقد غَدوتُ على القنيصِ بنَهْدَةٍ عندَ البديهةِ سهوةَ القذفانِ (٤)
تَنَقَّضُ في أثرِ الأوابدِ مثلَ ما تنَقَّضُ كاسرةٌ من العقبانِ (٥)



- ما بال قومٍ لا تَغيبُ أذاتُهم قُعسُ الظهورِ من الحينِ بطنٍ (٦)
هم هيجوا حربي وما لهم بها لو واجهتهم باللقاءِ يدانٍ (٧)
حربَ امرئٍ ما إن ترثَ سلاحه أبدا ولا يَغترُّ بالحدَّانِ (٨)
قبح الإلهُ بنو كليبٍ لأنهم لا يحفظون محارمَ الجيرانِ (٩)

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطعة وهجر . يقول : ما همى هوأنه .

(٣) الخلالان : جمع خليل الصديق . القلي : البغض . أميت السر لا أبذيه فكأنه ميت .

(٤) غدت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم . عند البديهة أى مستعدة للجرى حين تفجؤها به . السموة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .

(٥) الأوابد : جمع أبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين طائر من الجوارح .

(٦) ما بالهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لا تغيب : لا تنقطع . قعس الظهور : مفردة أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضد الأحدب . الحين : رجع فى البطن . بطن : عظام البطون ، المفرد بطن وبطين . بطن صفة لقوم (جرير) .

(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .

(٨) ترث : تبلى . الحدتان : النواذب . لا يغتر بالحدتان : لا تأخذه النواذب على غرة لاستعداده لها دائما .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرمة ما لا يحل انتهاكه .

- وإذا تُؤدِبَ للكارم والعلَّاء
لم يُنَدَّبُوا لترادف الأعوان (١)
- أجرير إنك والذي تسمُوه
كأسيِّفةٍ نخرت بِحَدَجِ حصان (٢)
- حملت لرَبَّتِها فلمَّا عُولِيَتْ
نسلت تعارضها مع الأظعان (٣)
- أَتَعَدُّ مَأْثَرَةً لِغَيْرِكَ نخرها
وسناؤها في سالف الأزمان (٤)
- تأجُّ الملوك ونفخرهم في دارم
أيامَ يربوعٍ مع الرعيان (٥)
- متلفٌ في بُرْدَةٍ حَبِيقِيَّةٍ
بفناء بيتٍ مذلَّةٍ وهوان (٦)
- يَغْدُو بِنَيْهِ يَثْلَّةٌ مَذْمُومَةٌ
ويكون أكبرهم رِبْقَانِ (٧)
- سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ جَمْعٍ تَلْعَةٍ
بالمجد عند مواقف الركبان (٨)
- إِخْسَاءٌ كُلِّيبٌ، إِلَيْكَ، إِنْ مُجَاشِعًا
وأبا الفوارس نهشلًا أخوان (٩)
- قومٌ إذا خَطَرَتْ عَلَيْكَ قُرُومُهُمْ
ظرحوك بين كلال كل وجران (١٠)

- (١) تؤدب : نذب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للكارم والمعالى .
- (٢) تسموه : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيِّفة : الأثمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرة ضد الأثمة يقول ان نخرت بما ليس لك كفخر الأثمة بحدج سيدتها .
- (٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حياها الأظعان : النساء في الهودج .
- (٤) مأثرة : محمودة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمآثر مضروأنت من نخذ حقير هو يربوع لا مجده .
- (٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية يخدمها .
- (٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .
- (٧) التلة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثني ربق : حبل يشد في عنق البهم .
- (٨) التلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان أى عند المفاخرة والتحاكم .
- (٩) إخسأ : ابتعد محققرا . إليك : تنح وإبعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كجاشع .
- (١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلال كل : جمع كل كل وهو الصدر . والجران : صفحة العنق . يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة .

(١٠) وقال الفرزدق يذكر تفضيل الاخطل إياه على الشعراء

ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا

يابن المرافة والهجاء إذا التقت أعناقهُ وتماحك الخَصْمَانِ (٢)

يابن المرافة أن تغلب وأئيل رفعوا عَنَانِي فوق كُلِّ عَنَانِ (٣)

كان الهذيل يقود كُلَّ طِمْرَةٍ دهماء مُقْرِبَةٍ وكلَّ حِصَانِ (٤)

يَصْهَنُ بالنظر البعيد كأنما إرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ (٥)

يَقْطَعُنْ كُلَّ مَدَى بَعِيدٍ غَوْلُهُ خَبَبَ السَّبَاعِ يَقْدُنْ بِالْأَرْسَانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي أحد فحول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويمازجه حتى نبغ فيه ، واتصل بولاية العراق يمدحهم ويهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام . ويمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعاني والميل الى الفخر في هجائه والفحش في غزله وقد مات سنة ١١٤ هـ .

(٢) ابن المرافة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمازى .

(٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى الهذيل بن هبيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يمدون اليها حين الفزع .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرْنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبالها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الخيل . يقول : كأنها تصل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهان بالنظر البعيد أنها تصل إذا رأت شبحا من بعد لحظة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخيب للفرس : عدو فيه يقوم على رجله تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الحبل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

- وَكأنَّ رَاياتِ الْهُذَيْلِ إِذَا بَدَتْ فَوْقَ الْخَيْسِ كَوَاسِرُ الْعِقبَانِ (١)
 وَرَدُّوا إِرَابَ يَحْفَلٍ مِنْ وَائِلٍ لِحَبِّ الْعِشَى ضُبَارِمِ الْأَرْكَانِ (٢)
 وَبَيْتٌ فِيهِ مِنَ الْخِيفَةِ عَائِدًا أَلْفٌ عَلَيْهِ قَوَانِسُ الْأَبْدَانِ (٣)
 تَرَكُّوا لِتَغْلِبَ إِذْ رَأَوْا أَرْمَاحَهُمْ بِإِرَابٍ كُلُّ لَيْثِمَةٍ مِدْرَانِ (٤)
 تُدْمِي - وَتَغْلِبُ يَمْنَعُونَ بَنَاتِهِمْ - أَقْدَامَهُنَّ حَجَارَةُ الصَّوَّانِ (٥)
 يَمْشِينَ فِي أَثَرِ الْهُذَيْلِ وَتَارَةً يَرُدُّونَ خَلْفَ أَوَاحِرِ الرِّكْبَانِ (٦)
 لَوْلَا أَنَاثُهُمْ وَقَضَلُ حُلُومِهِمْ بَاعُوا أَبَاكَ بِأَوْكَيْسِ الْأَثْمَانِ (٧)
 وَالْخَوْفَزَانُ أَمِيرُهُمْ مُتَضَائِلٌ فِي جَمْعٍ تَغْلِبُ ضَارِبٌ بِجِرَّانِ (٨)

- (١) الخيس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .
 (٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا ، الجفل : الجيش الكثير الخيل . لحب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحي ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .
 (٣) عائدا : محتيا . القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ يقول : يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .
 (٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .
 (٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .
 (٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .
 (٧) أوكيس : أبجس .
 (٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد في تغلب وكذلك غزاها الخوفزان في بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الخوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عنق البعير ، وضرب بجمرانه : برك .

أَحْبَبَنَ تَغْلِبَ إِذْ هَبَطَنَ بِإِلَادِهِمْ لَمَّا سَمِعَ وَكُنَّ غَيْرَ سَمَانٍ
يَمْشِينَ بِالْفَضَلَاتِ وَسَطَ شُرُوبِهِمْ يَتَّبَعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ وَدُخَانٍ (١)
يَتَّبَاعُونَ إِذَا انْتَشَوْا يَبْنَاتِكُمْ عِنْدَ الْإِيَابِ بِأَوَكَيْسِ الْأَثْمَانِ (٢)
وَأَسْأَلُ يَتَغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ عَمْرًا، وَهُمْ قَسَبُوا عَلَى النَّعْمَانِ (٣)
قَتَلُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ، وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ قَدْ عَلَتَا عَلَى النَّيْرَانِ (٤)
لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ
حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ وَابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ يَوْمَ الْكَلَابِ كَاكْرَمِ الْبُنْيَانِ (٥)
إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمُهَا كَلْبٌ عَوَى مُتَهَمٌ الْأُسْنَانِ (٦)
قَوْمٌ إِذَا وَزَنُوا بِقَوْمٍ فَضَّلُوا مِثْلَى مَوَازِينِهِمْ عَلَى الْمِيزَانِ

(١) الفضلات : الخمر أى يسقين الرجال ويخدمهم . الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيمة : يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .

(٢) انتشوا : سكروا .

(٣) ابن هند عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله في قصة مشهورة . قسطوا : جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .

(٤) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعه . أوقدوا نارين : اشارة الى يوم خزازي لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا مرنجيب بن الحرث الكندي عم امرئ القيس .

(٦) الأراقم : حى من تغلب . متهم منكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب
هجو الشائع :

وَكُومٍ تُنْعِمُ الْأَضْيَافَ عَيْنًا وَتُصْبِحُ فِي مَبَارِكِهَا ثِقَالًا (١)
حَوَاسَاتِ الْعَشَاءِ خُبْعِثَاتٍ إِذَا النِّجَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمَالَا (٢)
كَأَنَّ فِصَالَهَا حَبَشُ جِعَادٍ تَحَالُ عَلَى مَبَارِكِهَا جُفَالَا (٣)
لَا تُكَلِّفُ أُمَّهُ دَهْمًا مِنْهَا كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلْدٍ جَلَالَا (٤)
أَرِقْتُ فَلَمْ أَنْمَ لَيْلًا طَوِيلًا أَرَأَيْتُ هَلْ أَرَى النَّسْرَيْنِ زَالَا (٥)
فَارَقْنِي نَوَائِبُ مِنْ هُمُومٍ عَلَيَّ، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرِي عِيَالَا (٦)
وَكَانَ قَرَى الْهُمُومِ إِذَا اعْتَرَتْنِي زَمَاعًا لَا أُرِيدُ بِهِ يَدَالَا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أ كوم . تنعم : تقرو تسر . المبارك : جمع مبارك
موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واروب ، خبره تنعم .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعتات : ضخام شديدا ، المفرد
خبعتة . النجاء : ريح انخرقت عن مهاب الرياح راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين
مطلع الشمس وبنات نعش .

(٣) الفصال ، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل
جفال : صوف كثير . يشبه الفصال بالحش ذوى الشعر الجعد حتى لتظنها صوفا
(٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهاء : سوداء . الجلد : جلد البور . الجلال جمع
جل : وهو اللدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقط : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر ، ولآخر النسر الواقع
يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح ، وذلك بسبب هم .

(٦) أرقني : أمهرني . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل الفرد ، أى ليس همى بسبب
أبنائ الذين أعولهم .

(٧) قرى : أكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

- فَعَادَلْتُ الْمَسَالِكَ نَصَفَ حَوْلٍ وَحَوْلًا بَعْدَهُ حَتَّى أَحَالَا (١)
فَقَالَ لِي الَّذِي يَعْنِيهِ شَأْنِي نَصِيحَةً قَوْلِهِ سِرًّا وَقَالَا : (٢)
عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَاسْتَجِرْهُمْ وَخُذْ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حِبَالَا (٣)
فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ فِي قُرَيْشٍ بَنَوْا لِبُيُوتِهِمْ عَمَدًا طَوَالَا (٤)
فَرَوَّحْتُ الْقُلُوصَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأُرْطَاةِ قَالَا (٥)
تَخْطَى الْحَسِرَةَ الرَّجُلَاءُ لَيْلًا وَتَقْطَعُ فِي مَخَارِمِهَا نِعَالَا (٦)
حَلَفْتُ بِمَنْ أَتَى كَعَنْفَى حِرَاءٍ وَمَنْ وَافَى بِمُحْجَتِهِ إِلَّا لَا (٧)
إِذَا رَفَعُوا سَمِعْتَ لَهُمْ عَجِيجًا عَجِيجَ مُحَلٍّ نَعْمًا نِهَالَا (٨)
وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ فَقَامَتْ وَسَخَّرَ لَابِنَ دَاوُدَ الشَّمَالَا (٩)

(١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدري لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .

(٢) يعنيه : يهيمه . شأني : أمري وحالي .

(٣) عليك بنى أمية : اقصدهم ، وسعيد بن العاص أموي . استجرتهم : استغث بهم . حبال جمع حبل : العهد والذمة .

(٤) العمدة : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجددا وشرقا .

(٥) رويحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل غضة . قال : نام في منتصف النهار . يعني شدة الحر .

(٦) الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنه يترجل فيها أو الكثرة الحجارة . المخارم : الطرق ، المفرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوقى به الخلف ، يصف وعورة الطريق .

(٧) الكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة أوى إليه الرسول حين الهجرة اختفاه من أعدائه . إلال : بجبل بعرفات حيث يقف الحاج والمعنى أنه أظهر دينه في مكة .

(٨) أي رفعا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح المحلى . هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الإبل . نهالا شاربة يشبه صوت الحاج بصوت المحلى ... الخ .

(٩) سمك : رفع . ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير إلى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

- وَمَنْ تَجَّى مِنَ الْغَمَرَاتِ نُوحًا (١) وَأَرَسَى فِي مَوَاضِعِهَا الْجَبَالَا (١)
لَئِنْ عَافَيْتَنِي وَنَظَرْتَ حَامِي (٢) لَأَعْتِنَنَّ إِنَّ الْخَدَثَانَ آ لَا (٢)
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ (٣) وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكَا حَلَالَا (٣)
وَلَكِنِّي هَجَوْتُ ، وَقَدْ هَجَّيْتُ (٤) مَعَاشِرٌ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالَا (٤)
فَإِنْ يَكُنْ الْهَجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي (٥) فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَا (٥)
وَأَنْ تَكُ فِي الْهَجَاءِ تُرِيدُ قَتْلِي (٦) فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُتَصِّرٍ مَقَالَا (٦)
نَرَى الشَّمَّ الْجَحَاجِ مِنْ قُرَيْشٍ (٧) إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْخَدَثَانِ عَمَالَا (٧)
بَنَى عَمَّ النَّبَى وَرَهْطَ عَمِيرو (٨) وَعُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ (٩) كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا (٩)
ضُرُوبٌ لِلْقَوَائِسِ غَيْرُ هَدٍّ (١٠) إِذَا خَطَرَتْ مُسَوِّمَةٌ رَعَالَا (١٠)

- (١) الغمرات : جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول في عهده كان الطوفان .
(٢) عافيتني : دفعت عني البلاء والدواء . وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حامى : راعيت عقلى وأناقى . اعتنن : اشتد وقوى . الخدثان النوائب . آل رجع .
(٣) زياد ابن أبيه : والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره إليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر إلى سعيد هذا .
(٤) رَضَخْتُ لَهُمْ : أعطيتهم قليلا من هجائي . السجال جمع سجيل : الدلو العظيمة . ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم .
(٥) قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ أَى تَهَاجِينَا ، قَلَمُ أَقْتُلُ أَنَا دُونَهُ ؟
(٦) فِي الْهَجَاءِ أَى بِسَبِّهِ . وَمَعْنَى الشُّطْرُ الثَّانِي : فَلَمْ تَسْمَعْ مَقَالَ الْمُسْتَجِيرِ . الْمُتَصِّرُ : الْمُسْتَظْهَرُ عَلَى عَدُوهِ .
(٧) الشَّمُّ جَمْعُ أَشْمٍ وَهُوَ السَّيِّدُ الْعَزِيزُ . الْجَحَاجُ جَمْعُ جَحْجَحٍ : السَّيِّدُ . عَالُ اشْتَدَّ وَتَفَاقَمَ .
(٨) الرَّهْطُ : قَوْمُ الرَّجُلِ . الْفَعَالُ : الْفَعْلُ الْحَسَنُ .
(٩) قِيَامًا : حَالٌ مِنْ مَفْعُولٍ نَرَى فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَ السَّابِقِ وَمَعْنَى يَرَوْنَ بِهِ يَرُونَهُ فَالْبَاءُ لِلتَّجْرِيدِ .
(١٠) الْقَوَائِسُ : أَعَالَى الْبَيْضِ مِنَ الْحَدِيدِ ، الْمَقْرَدُ قَوْسٌ . الْهَدُّ : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ . الْمُسَوِّمَةُ : الْخِيلُ الْمَعْلُومَةُ لِكُرْمِهَا . الرَعَالُ : جَمْعُ رَعْلَةٍ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْخِيلِ . يَصِفُهُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ .

(١١) وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان^(١)

أَتَصَحُّوْ ، أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عِشِيَّةٌ هَمَّ حُبُّكَ بِالرَّوَاكِ^(٢)
تَقُوْلُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ ! أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي ؟^(٣)
يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ ظَعَائِنٌ يَجْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحٍ^(٤)
ظَعَائِنٌ لَمْ يَدُبَّ مَعَ النَّصَارَى وَلَا يَدْرِيْنَ مَا سَمَّكَ الْقُرَاحِ^(٥)
فَبَعْضُ الْمَاءِ مَاءُ رَبَابٍ مُزْنٍ وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَبِيخٍ مِلَاحٍ^(٦)
سَيَكْفِيكَ الْعَوَاذِلُ أَرْحَى هِجَانُ اللَّوْنِ كَالْفَرْدِ الْإِيَّاحِ^(٧)
يَعِزُّ عَلَى الطَّرِيقِ يَمْنَحِيكَ كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقِدَاحِ^(٨)

- (١) ينتسب أبو حنيفة جرير بن عطية بن الخطمي إلى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق إلى دارم من تميم كذلك وقد ولد بالإمامة ونشأ في البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الولاة والخلفاء حتى اشتبك مع الفرزدق في التهاجي والنساب لعوامل سياسية واجتماعية ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ ويدل شعر جرير على عفة ودين وخلق حسن ورقة طبع ويمتاز بجمال الأسلوب ورقة النسيب وحسن التصرف في فنون الشعر ولاذع الهجاء ، وقفا نضه مع الفرزدق سجل لكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام .
- (٢) تصخرو : ترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . ويصح أن تكون أم بمعنى بل أي الإضراب .
- (٣) المراح : الاختيال والتبخر .
- (٤) الظعائن جمع طعنة : المرأة في الهودج . يجتزعن : يتمايلن أي يجتزعن بقدود كالرماح .
- (٥) القراح : قرية بين النهرين ، وربما كانت للنصارى .
- (٦) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفردة سبخة : أرض ذات تروملح . ملاح : مألحة .
- (٧) يكفيك : يكف عنك . أرحي : جعل منسوب إلى أرحب بطن من همدان . هيجان : أبيض كريم . اللباح : الثور الوحشي أو الأبيض الناصع . الفرد : السيف لا نظيره أي سائر يرح من العواذل بهذا الجمل أركبه إلى الخليفة . وهذا الجمل كالسيف في مضاء سيره .
- (٨) يعز : يشند . ابتترك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ : رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِنَاحٍ ^(١)
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقِرَاحِ ^(٢)
سَامَتْحُ الْبَحُورِ بَخْنِيْنِي أَذَاةَ اللُّوْمِ وَانْتِظَرِي امْتِنَاحِي ^(٣)
ثِقِي يَا لَهِ لَيْسَ لَكَ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالْجَاحِ
أَغْنِي - يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي - بِسَيْبٍ مِنْكَ ؛ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاكِ ^(٤)
فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَى حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِنَاحِي
سَاشْكُرَانِ رَدَدْتَ عَلَى رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي ^(٥)
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ ^(٦)
وَقَوْمٍ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ فِدَانُوا بِدُهُمٍ فِي مُلَمَلَبَةٍ رَدَاحٍ ^(٧)
أُبَحِّثُ حِي تِهَامَةً بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حَمِيَتْ يُسْتَبَاحُ ^(٨)

(١) أم حزره : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهي . ساغية : جائعة . الشيم : البارد من الماء . القراح الصافي .

(٣) منح الماء : استغناه واستخرجناه من البئر والمراد العطاء الذي يناله من عبد الملك بن مروان

المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذوارتياح أي الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش في مقدم الجناح وهي كبار الريش وضدّها الخوافي . والمراد إن

أعزرتني .

(٦) المطايا : جمع مديّة . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم .

المللمة : الكثيرة المتجمعة . رداح : كتية ثقيلة .

(٨) أبحت : حالت . الحمى : ما يحمي الإنسان وينتشر إشارة الى حروبه في بلاد العرب .

- لَكُمُّ شُمِّ الْجِبَالِ مِنَ الرِّوَايِ وَأَعْظَمُ سَبِيلٍ مُعْتَلِجِ الْبَطَاحِ (١)
 دَعَوَاتِ الْمَلْحَدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ جَمَاحًا هَلْ شَفِيَتْ مِنَ الْجِمَاحِ؟ (٢)
 فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيًّا أَلَفَّ الْعَيْصَ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِ (٣)
 فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ يَعْشَاتِ الْفُرُوعَ وَلَا ضَوَاحِ (٤)
 رَأَى النَّاسُ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَقَامُوا وَبَيَّنَّتِ الْمِرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ (٥)

وقال جرير يحيب الفرزدق عن قصيدته التي مطلعها — يابن المراغة — ويهجو

الأخطل ومحمد بن عُمير بن عَطَّارَد :

- لِمَنِ الدِّيارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا تَبِيعُ زَمَانُنا زِمَانِ (٦)
 إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي (٧)
 هَلْ رَامَ جَوْ سَوَيْقَتَيْنِ مَكَانَهُ أَوْ حُلَّ بَعْدَ مَحَلَّتَا الْبُرْدَانِ (٨)

(١) شَمَّ الجبال : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نباتها ، والأمواج : التطلمات . البطاح : جمع بطحاء . مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير إلى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بني أمية . جمحا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هبرزيا : أسدا . والهربزي : الأسوار من أساور الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحي : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عشات الفروع : ثليات أصول نباتها . ضواح : مات ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا : العبرة والفطنة . المراض جمع مريض : الباطل والمعوج وضده الصحيح .

(٦) الرقة : الأرض الفليضة ، وبرق بلاد العرب كثيرة منها برقة الروحان . يقول : لمن هذه الديار بتلك الرقة حيث قضينا زمنا لا ينغى به سواه . والاستفهام للتعظيم أى هى لمحبة كريمة على .

(٧) شفنى : أحزننى وهزلنى .

(٨) رام : فارق مضارعه يريم . السويقتان واحدة سويقة : اسم لعدة مواضع بالحجاز وغيره . ولعل موضعها هنا نجد .

البردان منى برد بضم فسكون : غديران بنجد . والاستفهام معناه الحسرة والتهف على أما كن طرء الزدومة .

- وَأَجَعْتُ بَعْدَ سُؤْلِهِنَّ صَبَابَةً وَعَرَفْتُ رَسْمَ مَنَازِلِ أَبْكَانِي (١)
- أَصْبَحَنَ بَعْدَ نَعِيمٍ عَيْشٍ مُؤْتَقٍ قَفَرًا وَبَعْدَ نَوَاعِمِ أَخْدَانِ (٢)
- قَدْ رَأَيْتُ تَزْعُ شَيْبٌ شَائِعٌ بَعْدَ الشَّبَابِ وَعَصِيرِهِ الْفَيْنَانِ (٣)
- شَعَفَ الْقُلُوبَ وَمَا تُقْضَى حَاجَةٌ مِثْلُ الْمَهَا بِصَرِيحَةِ الْحُومَانِ (٤)
- تَزَلُ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ فَرَاغِي وَعَرَفْتُ مَنَزِلَهُ عَلَى أَخْدَانِي (٥)
- حُورُ الْعُيُونِ يَمْسَنَ غَيْرَ جَوَادِفٍ هَزَّ الْجَنُوبِ نَوَاعِمَ الْعِيدَانِ (٦)
- وَإِذَا وَعَدْتِكَ نَائِلًا أَخْلَفْنَاهُ وَإِذَا غَنَيْتَ فَهِنَّ عَنْكَ غَوَانِ (٧)
- أَصْحَا فُوَادُكَ أَيْ حِينَ أَوَانِ أَمْ لَمْ يَرُعْكَ تَفَرُّقُ الْحَيْرَانِ (٨)
- أَخْطَا الرِّبْعُ بِلَادَهُمْ فَتَيَمَّنُوا وَلِحَبِيبِهِمْ أَحْبَبْتُ كُلَّ يَمَانِي (٩)

(١) الصبابة : الشوق والولع الشديد . رسم الدار : آثارها . يقول : لما رأيت خراب المنازل ودرومها أبكاني ذلك .

(٢) مؤتق : حسن معجب . أخدان جمع خدن : صاحب .

(٣) النزع : انحسار الشعر من جانبي الجبهة . الفينان : الحسن الشعر الطويل .

(٤) شعف : غلب . المهة مفردة مهة : البقرة الوحشية . الصريحة : القطعة من معظم الرمل . الحومان جمع حومانة : المكان الغليظ . يقول : ان النساء الجميلات يتعبن قلبي دون فائدة أحظى بها .

(٥) راعني : أفزعني . عرفت : تبينت .

(٦) حور جمع حوراء : شديدة سواد العين مع شدة بياضها . يمسن يحنن و يتبخترن . جوادف :

قصيرات . الجنوب : ريح تخالف الشمال : العيدان : النخل الطويل المفرد عيدانة ، يشبه النساء متبخترات بالنخيل تهزها الريح .

(٧) نائلا : وصلا . غوان : مستغنيات لا يبالين من ينصرف عنهن .

(٨) أي هل ترك قلبك العشق ، وقد حان وقت ذلك . يروع : يفزع .

(٩) أخطأ الربيع : لم ينزل المطر . تيمنوا : قصدوا البين .

- بَكَرَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً مُحْزُونَةً تَدْعُو الْمَدِيلَ فَهَيَّجَتْ أَحْزَانِي (١)
- لَا زِلَّتْ فِي غَلٍّ يَسُرُّكَ نَاقِصَ وَظِلَالٍ أَخْضَرَ نَاعِمِ الْأَغْصَانِ (٢)
- وَلَقَدْ أَبَيْتُ صَجِيعَ كُلِّ مُخْضَبٍ رَخِصَ الْأَنَامِيلَ طَيِّبِ الْأُرْدَانِ (٣)
- عَطِيرِ الثِّيَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مُدْبِلٍ يَمْشِي الْمُسَوِينِي مِشْيَةَ السُّكْرَانِ (٤)
- صَدَعَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَنٍ فَوَادِهِ صَدَعَ الزُّجَاجَةَ مَا لِيْذَاكَ تَدَانِ (٥)
- هَلْ تُؤْنَسَانِ - وَدِيرَ أَرَوَى بَيْنَنَا، بِالْأَعْرَلَيْنِ - بَوَاصِرَ الْأُظْعَانِ (٦)
- رَفَعَتْ مَائِرَةَ الدُّفُوفِ أَمَلَهَا طَوَّلَ الْوَجِيفِ عَلَى وَجَى الْأَمْرَانِ (٧)
- حَرْقًا أَضْرَبَهَا السَّفَارِكَانَهَا جَفَنَ طُيُوتَ بِهِ نِجَادِ يَمَانِ (٨)

- (١) بكرت : قامت مبكرة صباحا . الأيكة : الشجرة العظيمة . المديل : صوت الحمام أى تغرد .
- (٢) غل : ماء . يجرى بين الأشجار . أخضر أى روض خصب ناضر .
- (٣) رخص : ناعم . الأردن جمع ردن : أصل الكم . طيب : عطر .
- (٤) العبير : أخلاط من الطيب . الهوينى : التودة والرفق تصغير هونى مؤنث أهون . يشبه تمايل المرأة وهى ماشية بمشية السكران .
- (٥) صدع : شق . تدان : التثام .
- (٦) تؤنسان : تبصران والخطاب لصاحبه المقروضين على عادة العرب فى ذلك . دير أروى : بالشام . الأعزلان : واديان ، الريان والظمان ، لبنى خنظلة .
- (٧) رفع البعير : حمله على الإسراع . مائرة : ناقة سهلة السير سريعة . الدفوف جمع دف : الجنب . أملاها : أسأماها . الوجيف : ضرب من سير الإبل والخيول . الوجى : الحفا . الأمران ما يلين به الخلف إذا حفى .
- (٨) حرقا : ناقة ضامرة أو مهزولة . الجفن : الغمد . نجاد السيف : حائله . يمان : منسوب الى اليمين : أصلها ينى بياه النسب أتى بالألف بدل إحدى الياءين ، وحذفت هنا الأخرى على قاعدة المنقوص كقاض . يشبه ناقته فى الضمور بغمد السيف .

- وإذا لقيت على زرود مجاشعاً
قتلوا الزبير وقيل إن مجاشعاً
من كل متفخ الوريد كأنه
يا مستجير مجاشع يخشى الردى
إن ابن شعرة والقرين وضو طرى
أبني شعرة إن سعدا لم تلد
أبنا عدلت بني خضاف مجاشعاً
شهدت عشية رحران مجاشع
وطئت سنابك خيل قيس منكم
تركوا زرود خيثة الأعطان (١)
شهدوا يجمع ضيا طير عزلان (٢)
بغل تقاعس ، فوقه نرجان (٣)
لا تأمنن مجاشعاً بأمان (٤)
بئس الفوارس ليلة الحدان (٥)
قيناً يليتيه عصيم دحان (٦)
وعدلت خالك بالأشد سنان (٧)
يحاريف بجحف الحزير بطان (٨)
قتلى مصرعة على الأعطان (٩)

(١) زرود : مكان فيه يوم بين تغلب و يربوع ، وماء لبني مجاشع على طريق مكة . الأعطان جمع عطن : موطن الابل ومبركها حول الحوض .

(٢) كان الزبير بن العوام جارا لمجاشع فلم يجره وذلك بعد وقعة الجمل . ضيا طير جمع ضيطر : الضخم اللثيم . عزلان جمع أعزل .

(٣) الوريد : أحد عرقين عظيمين في العنق . تقاعس : تأخر .

(٤) الردى : الهلاك . ومجاشع قبيلة الفرزدق كما سبق .

(٥) حدتان الدهر : نوبه . ابن شعرة محمد بن عمير . القرين : حكيم بن زياد المجاشعي . وضو طرى من مجاشع كذلك .

(٦) البقين : الحداد . اللتان مثني لبت (بكسر اللام) : صفحة العنق . عصيم أثر . أى ليس فينا حدادون .

(٧) عدلت : سويت . سنان بن خالد : خال جرير ، وخال الفرزدق العلاء الضبي . أى كيف تسوى

بين قومي وقومك أو بين خالي وخالك مع بعد ما بينهما في المجد والشرف ؟

(٨) رحران : جبل قرب عكاظ فيه يوم لعامر على دارم . مجارف ، جمع مجرفة مبالغة في شدة شرهم والمعنى أنهم يهتمون الطعام . بجحف : مرضى البطون من الجحاف ، وهو مشيا . الحزير : طعام شبه عصيدة . بطان : عظام البطون .

(٩) سنابك : أطراف الحوافر ، المفرد سنبك كقنفذ . قيس : أصل بني عامر قرينة تغلب . مصرعة : مطروحة .

أَنَسَيْتَ - وَيْلَ أَيْبِكَ - ! غَدْرُ مَجَاشِعٍ (١) وَجَعْتُ لَيْلَةَ السَّيِّدَانِ (٢)
وَنَسَيْتَ أَغْنَيْنَ وَالرَّيَّابَ وَجَارَكُمْ وَنَوَارَ حَيْثُ تَصَلُّصِلُ الْمَجْثَلَانَ (٣)

* * *

لِلَّهِ دُرٌّ يَزِيدُ يَوْمَ دَعَاكُمْ (٤) وَالْخَيْلُ مُجْلِبَةٌ عَلَى حَبْلَانِ (٥)
لَا قَوْأَ قَوَارِسَ يَطْعَنُونَ ظُهُورَهُمْ نَشْطَ الْبِزَاةِ عَوَاتِقَ الْخِرْبَانِ (٦)
لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنْتَ مَجْدًا مِنْ نَسْلِ كُلِّ صِفْنَةٍ مِبْطَانِ (٧)
إِنْ رُمْتَ عَبْدِي أَسِيدَةً عِزَّنَا فَانْقُلْ مَنَاكِبَ يَذْبُلُ وَذَقَانِ (٨)
إِنَّا لَنَعْرِفُ مَا أَبُوكَ بِحَاجِبٍ فَالْحَقُّ بِأَصْلِكَ مِنْ بَنِي دُهْمَانَ (٩)

(١ و ٢) ويل أيبك : كلمة دعاء ، أى شرّ وهلاك له . غدر مجاشع أى بالزبير . جعثن : بنت غالب أخت الفرزدق ، وقصتها أن غالباً جاور طلبة بن قيس بن عاصم بالسيدان ، فكانت ظمياء ، بنت طلبة تتحدث إلى جعثن فاشتبهى الفرزدق حديثها وشغلت أخته ليلة فأخذ الفرزدق الجبل الذى كانت جعثن تصفق به لظمياء لتجى . ثم حرك الجبل فجاءت ظمياء للعادة فارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت إلى رحلها فلما سمع بأمرها تجمع قتيان من مقاعس فاستخرجوا جعثن من خباثتها ثم سبوا ليظهرها بها ، فعيره بذلك بغير وبالغ فيه .

(٣) مجلبة : مجتمعة . حبلان : موضع باليمن قرب نجران . يذكر الشاعر وقعة لهم .
(٤) نشط : جذب خفيف . البزاة : الصقور جمع باز . عواتق جمع عاتق : فرخ الطائر أول ما يطير . الخربان ، جمع خرب : الحيارى الذكر . يقول انهم همزوا فولوا ظهورهم حيث طعنوا طعننا هنيئاً سريعاً كما تفعل البزاة بالخربان .

(٥) محمد بن عمير بن عطار . الصفة من النساء الضخمة المسترخية . يعيره بذلك . المبطان : من همه بطنه .

(٦) عبد أسيدة : محمد بن عمير . أسيدة : أم مالك القشيري يذبل ، وذقان : جبلان . يقول له : ان أحسابنا كالجبال الراسية ؛ فهل تستطيع نقلها حتى تفخرنا .

(٧) أبوك : يعنى عمير بن عطار . بنو دهمان من بنى نصر بن معاوية .

- لَمَّا انْهَزِمْتَ كَفَى الثُّغُورَ مُشِيعٌ مِنْ غَدَاةٍ جَبُنْتُ ، غَيْرُ جَبَانَ (١)
 شَبَّتُ نَحْرْتُ بِهِ عَلَيْكَ وَمُعِقْلٌ وَبِمَالِكٍ وَبِفَارِسٍ الْعَلَّهَانِ (٢)
 هَبْلًا طَعَنْتَ الْخَيْلَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا طَعَنَ الْفَوَارِسَ مِنْ بَنِي عَقْفَانَ (٣)
 أَلْقُوا السَّلَاحَ إِلَى آلِ عَطَارِدٍ وَتَعَاظَمُوا ضَرْطًا مَلَى الدُّكَّانِ (٤)
 يَا ذَا الْعِبَاءَةِ إِنْ يَشَاءُ قَدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةُ النُّشْوَانِ (٥)
 فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَأَسْمَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شَيْبَانَ (٦)
 بَكَرٌ أَحَقُّ بَأَنَ يَكُونُوا مَقْنَعًا أَوْ أَبَ يَفُؤُوا بِحَقِيقَةِ الْخَيْرَانِ (٧)
 قَتَلُوا كُلَّيْكُمْ بِلَقْحَةٍ جَارِهِمْ يَا نُحْرَ تَغْلِبَ لَأَسْمَ بِهِجَانِ (٨)

(١) انهزمت : يعني أن محمد بن عمير كان على أذربيجان فأغار على أهل موغان فهزموه وأخذوا لواءه
 فشار إليهم عتاب بن ورقاء الرياحي فاسترد لواء محمد . كفى الثغور : حتى الحدود . مشيع : شجاع .
 وغير صفته .

(٢) شبت ومعل الرياحيان : العلهان : عبد الله بن الحارث اليربوعي . لأنه في يزوم : (بني غير جملهم)
 قالوا لأخيه بناس كثير وأصل العلهان الذي لا يعقل .

(٣) بنو عقفان بن يربوع : حتى من خزاعة دفعوا الخوارج عن الكوفة أيام الحجاج ، ففرض لهم ألفي
 درهم في السنة وهي درجة الشرف وهذا يسمى يوم البطين الخارجى .

(٤) آل عطارد من تميم رهط الفرزدق . الدكان : الحانوت جمعه دكاكين .

(٥) ذو العباءة الأخطل والعباءة مسح نصراني (كساء) . بشر بن مروان بن الحكم . النشوان :
 السكران . يعيره بما رشاه به محمد بن عطارد من زق نحر وحلة لفضل الفرزدق على جرير .

(٦) بنو شيبان من بكر . والأخطل تغلبى وكانت بين بكر وتغلب عداوة ومنافسة .

(٧) مقنع إقناع وكفاية . حقيقة : حق وحمى .

(٨) كليب : فارس وشاعر جاهلي . وهو خال امرئ القيس . وكان تغلبيا قتل في حرب البسوس .

لقحة : ناقة . نحر : ضيقو العيون أى لثام . الهجان : الخيلار .

- كَذَّبَ الْأَخِيْطَلُ إِنَّ قَوْمِي فِيهِمْ تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النُّعْمَانِ (١)
 مِنْهُمْ عُتَيْبَةُ وَالْحِجْلُ وَقَعْنَبُ وَالْحَتَفَاتُ وَمِنْهُمْ الرَّدْقَانِ (٢)
 إِنِّي لَعُرْفُ فِي السَّرَادِقِ مَتْرَلِيْ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَعِنْدَ كُلِّ رِهَانِ (٣)
 مَا زَالَ عَيْصُ بَنِي كَلَيْبٍ فِي حِمَى أَشْبِ أَلْفَ مَنَابِتِ الْعَيْصَانِ (٤)
 الضَّارِبِينَ إِذَا الْكَمَاةُ تَنَازَلُوا ضَرْبًا يَقْدُ عَوَاتِقَ الْأَبْدَانِ (٥)
 وَحَمَى الْفَوَارِسُ مِنْ غُدَانَةٍ إِنَّهُمْ نِعَمَ الْحِمَاةِ عَشِيَّةَ الْإِرْنَانِ (٦)
 إِنَّا لَنَسْتَلِبُ الْجَبَابِرَ تَاجَهُمْ قَابُوسٌ يَعْلَمُ ذَاكَ وَالْجَوْنَانِ (٧)
 وَلَقَدْ شَقَوْتُ مِنَ الْمَكْوَى جَنْبَهُ وَاللَّهُ أَنْزَلَهُ بِذَارِ هَوَانِ (٨)
 جَارَيْتُ مُطْلِعَ الْجَسَاءِ بِنَايِهِ رَوْقُ شَيْبَتِهِ وَعُمُرُكَ فَإِنِّي (٩)

(١) تاج الملوك . يشير الى أن الخلافة في قومه مضر إذ ذاك . راية النعمان : أى قديما لأنهم أسروا قابوس بن المنذر .

(٢) هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بمحامدهم .

(٣) السرادق : ما يمد فوق صحن البيت . ويريد المجتمع أو النادى .

(٤) العيص : الأصل . أشب : شجر متكاثف . العيصان : جمع عيص . بنو كليب : قبيلة جرير من تميم . يقول إن أصلنا عزيز منيع لا يرام .

(٥) يقْدُ : يقطع . عواتق جمع عاتق : ما بين المنكب والعتق . الكماة : الأبطال المفرد كمن . الأبدان : الدروع المفرد بدن .

(٦) الفوارس : هم وكيع بن حسان ومن شهده من بنى غُدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان . عشية الارنان : يريد عشية تكثر فيها الأصوات .

(٧) نستلب الخ : نغتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس . الجونان : حسان ومعاوية من كندة . (راجع كتاب النقائض بين جرير والفرزدق صفحة ٥٠٥ طبع أوروبا) .

(٨) المكوى جنبه : رجل يسمى الشرذى من بكر حرق جنبه ثم قتلته قيس بالبلخ .

(٩) المطلع : الضابط الأمر القوى عليه . الجراء : المفاخرة . روق الشباب أوله . أى فاجرت من هو أقوى منك .

مَا زِلْتُ مُذْ عَظِمَ الْخَطَارُ مُعَاوِدًا ضَبْرَ الْمِثْنِ وَسَبَقَ كُلَّ رِهَانٍ (١)
 مَا زَالَ مَسْتَرِلُنَا لِتَغْلِبَ غَالِبًا وَاللَّهُ شَرَفُ فَوْقَهُمْ بَنِيَانِي (٢)
 فَاقْبِضْ يَدَيْكَ فَإِنِّي فِي مُشْرِفٍ صَعِبِ الذَّرَا مُتَمَنِّعِ الْأَرْكَانِ (٣)
 وَلَقَدْ سَبَقْتُ فَمَا وَرَائِي لِأَحَقُّ بَدَأًا وَخُلِّيَ فِي الْجِرَاءِ عِنَانِي (٤)
 نَزَعَ الْأُخَيْطَلُ حِينَ جَدَّ جِرَاؤُنَا حَطَمَ الشُّوَى مُتَكَسِّرِ الْأُسْنَانِ (٥)
 قُلْ لِلْمُعْرِضِ وَالْمَشُورِ نَفْسُهُ مَنْ شَاءَ قَاسَ عِنَانَهُ بِعِنَانِي (٦)

(١٢) قال القطامي يمدح زفر القيسي وكان

قد أسره في معركة ثم عفا عنه (٧)

مَا اعْتَادَ حُبُّ سُلَيْمَى حِينَ مُعْتَادٍ وَمَا تَقَضَّى بَوَاقِي دَيْنِهَا الطَّادِي (٨)
 إِلَّا كَمَا كُنْتَ تَلْقَى مِنْ صَوَاحِبِهَا وَلَا كَيَوْمِكَ مِنْ غِرَاءٍ وَرَادٍ (٩)

(١) الخطار: جمع خطر: السبق يتراهن عليه. الضبر: البوئب. المئين أراد المئين من الغلاء جمع غلوة:

ومية السهم. والمعنى أني ما زلت غالباً مذقاست المهاجرة والمفاخرة بيننا.

(٢) أي أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم. (٣) المشرف العالي: يريد نسبه. صعب الذرا لا يرام

لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشيء. متمنع الأركان: صعب الجوانب لا يرتقى.

(٤) بدء: أول الأمر: أي منذ بدأ السباق. العنان: سائر اللجام، وترك العنان يكون للفرس غير

الصعب معتاد السباق، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والفوز فيها.

(٥) نزع: كف لما علم أنه مسبق بالشرف. حطم: متكسر. الشوى: القوائم. يشبه الأخطل

في تحلفه بالكلب الذي تكسرت قوائمه وأسنانه في العراك فقرها ربا.

(٦) المشور: المحمل أو المروض المختبر. يريد من شاء مفاخرتي بالمجد تقدم ليري مكانتي.

(٧) عمير بن شليم القطامي من تغلب نشأ كالأخطل واتصلت حياته بحروب قومه مع بني تغلب يصف

حروبها وينتصر لقومه وأكثر مدحه في زفر القيسي وأسماء الزاري. والقطامي ذو شعر مستوي الأسلوب

والقوة رائع جيد يتناول الفخر والحاسة والنسيب والوصف والمديح ويدل على خلق نبيل وشخصية ممتازة.

(٨) معتاد: اعتياد. تقضى: تأدى. الطادي: الثابت. أي لم يأت حبا في معاده ولم تؤد ما عليها

من ديون الوصل والرضا. (٩) الغراء: الحسناء. وراد: أبوها أو قيمها. أي أن شأنها شأن

صواحبها في الملل. ولكن يومها في التجنى والدل لا يشبهه يوم.

- بَيْضَاءُ مَخْطُوطَةٌ مَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٍ رِيًّا الرُّوَادِفِ لَمْ تُغْفَلْ بِأَوْلَادِ (١)
- مَا لِلْكَوَاعِبِ ! وَدَعْنِ الْحَيَاةَ كَمَا وَدَّعْنِي وَاتَّخِذْنِ الشَّيْبَ مِيعَادِي (٢)
- أَبْصَارُهُنَّ إِلَى الشَّبَابِ مَائِلَةٌ وَقَدْ أَرَاهُنَّ عَنَى غَيْرَ صُدَادِ (٣)
- إِذْ بَاطِلِي لَمْ تَقْشَعْ جَاهِلِيَّتُهُ عَنَى ، وَلَمْ يَتْرِكِ الْخُلَّانَ تَقْوَادِي (٤)
- كَنِيَّةُ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْغَضَبَةِ احْتَمَلُوا مُسْتَحْقِبِينَ أَسِيرًا مَالَهُ قَادِي (٥)
- بَانُوا ، وَكَانَتْ حَيَاتِي فِي اجْتِمَاعِهِمْ وَفِي تَفْرِقِهِمْ قَتْلِي وَإِقْصَادِي (٦)
- أَرْمَى قَصِيدَهُمْ طَرْفِي ، وَقَدْ سَلَكُوا بَطْنِ الْحَجِيمِرِ فَالْرُوحَاءِ فَالْوَادِي (٧)
- مُحَدِّدِينَ لِبَرْقِ صَابٍ فِي خَيْمٍ وَبِالْقُرْيَةِ رَادُوهُ بِرُؤَادِ (٨)

- (١) مخطوطة : لطيفة . المتنان : متنى متن وهما مكتنفا الصلب . بهكنة : شابة غضة ممثلة الجسم .
ريا : نامية . الروادف جمع ردف وهو العجز . تمغل : تلد كل سنة .
- (٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى . يدعو عليهن بالموت لما هجرنه لحلول شيبه . اتخذن معطوف على ودعنى .
- (٣) صداد : جمع صادة : المعرضة .
- (٤) الباطل : الضلال : تقشع : تذهب . جاهليته : سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق تقوادى : قيادتى الى اللهو .
- (٥) كنية الحى متعلق بودعنى : أى كما ودعنى حى كنت به كافيا ، النية : البعد والقصد . استحقب : اذخر . الأسير هو أوفزاده . ذو الغضبة مكان .
- (٦) بانوا : رحلوا . اقصادى : اهلاكى
- (٧) القصيد : الناحية . الطرف : النظر . الحجير : أرض لقزارة . الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة . الوادى : منعرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره .
- (٨) محددين : ناظرين بمحنة . صاب : انصب مطره . خيم : جمع خيمة . القرية بضم القاف وفتح الراء وتشديد الباء : موضع لطفى . رادوه طلبوه . الرواد : جمع رائد وهو الرسول يبعثه القوم لينظروهم مكانا ينزلون فيه .

يَخْفَوْنَ طَوْرًا وَأَطْوَارًا إِذَا طَلَعُوا . تَجْدَاءُ بِدَالِيٍّ مِنْ أَجْمَالِهِمْ بِأَدَى (١)
وَفِي الْخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا . حَتَّى تَصِيدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ (٢)
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ . مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْتُومُهُ بِأَدَى (٣)
فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَ بِهِ . مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي (٤)



مَنْ مُبْلَغُ زُفَرِ الْقَيْسِيِّ مَدْحَتُهُ . مِنَ الْقَطَامِيِّ قَوْلًا غَيْرَ إِفْنَادٍ (٥)
أَنْتِ وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ . وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي (٦)
مَنْ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَبَقَيْتَ مَعْرِفَتِي . وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلُ بِأَدَى (٧)
فَلَنْ أَثِيْبَكَ بِالنِّعَاءِ مَشْتَمَةً . وَلَنْ أَبَدَّلَ إِحْسَانًا بِإِفْسَادٍ
إِنْ هَجَوْتُكَ مَا تَمَّتْ مُكَارَمَتِي . وَإِنْ مَدَحْتُ لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِصْفَادِي (٨)

- (١) طورا : مرة . النجد : المرتفع من الأرض . بدا : ظهر . أجمال : جمع جمل .
(٢) الخدور جمع خدر : المودج أو مسكن الجارية . غمامات : جمع غمامة السحابة البيضاء .
والمراد المرأة الجميلة . برقن لنا : أطمعنا . مصطاد : مصيد اسم مفعول أو مكان .
(٣) يتقين : يخفونه . ياد : ظاهر .
(٤) ينبذن : يرمين ويتكلبن . الغلة : حرارة العطش ، الصادي : العطشان — أي يقع كلامهن منا
كوقع الماء من شديد العطش . فكلاهما أحسن ما يكون وقعا .
(٥) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر . وكان قد عفا عن القطامي وفك أسره لما هزم
مع قومه في إحدى الوقائع فدحه بهذه القصيدة . الإفناد : الكذب .
(٦) الهادي : النصل .
(٧) من عليك : مادحك . بما استبقيت أي بإفنائك على لمعرفتك إياي . تعرّض : ظهر وانكشف .
مقتل : موضع أقتل منه .
(٨) مكارمتي : مفاخرتك بالكرم . إصفاذي : إعطائي .

- قَتَلْتَ بَكْرًا وَكَلْبًا وَاشْتَلَيْتَ بِنَا
لَوْلَا كُتَّابٌ مِنْ عَمْرٍو تَصُولُ بِهَا
إِذْ لَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا كُلَّ سَلْهَبَةٍ
إِذْ الْفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ بِشِكَّتِهِمْ
إِذَا يَعْتَرِيكَ رِجَالٌ يَسْأَلُونَ دَمِي
فَقَدْ عَصَيْتَهُمْ وَالْحَرْبُ مُقْبِلَةٌ
وَالصَّيْدُ آلُ نَفِيلٍ خَيْرُ قَوْمِهِمْ
الْمَانِعُونَ غَدَاةَ الرُّوعِ جَارَهُمْ
- وقد أردت بأن يستجمع الوادي (١)
أرديت يا خير من يندوله النادي (٢)
وسابح مثل سيد الردهة العادي (٣)
حولي شهود وما قومي بشهاد (٤)
ولو أطعتهم أبكيت عوادي (٥)
لا، بل قدحت زنادا غير صلاب (٦)
عند الشتاء إذا ماضن بالزاد (٧)
بالمشرفة من ماض ومناد (٨)

- (١) بكر و كلب : قيلتان من عدنان . اشتليت : تداركت وأنقذت . يستجمع الوادي : يتم لك كل ما يسرك قبلنا .
- (٢) الكُتَّاب : جمع كتيبة : القطعة من الجيش . تصول : تسطو . أرديت : هلكت . يندو : يجتمع إليه للحديث والاستشارة . النادي : مجلس القوم .
- (٣) سلهبة : فرس طويلة . السيد : الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العادي : الهاجم يشبه الفرس بالذئب المعتدى في السرعة .
- (٤) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة المدوح وتغلب قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .
- (٥) يعتريك : يغشاك . يسألون دمي : يطلبون قتلي . عوادي جمع عائد : الزائر .
- (٦) قدح الزند : حاول إخراج النار منه . الزناد : جمع زند وهو العود يفتدح به النار . صلاب لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجليل .
- (٧) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأسه كبيرا . آل ثقيل : آل المدوح . ماض بالزاد مجل به . فهم كرام وقت الشتاء حين يبخل الناس .
- (٨) المانعون : الجامون ، الروع : الفزع . الجار : المجاور أو المستجير . المشرفة : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى عربية تدنو من ريفه . الماضي : السيف المستقيم القاطع .
المناد : الموج .

- أَيَّامَ قَوْمِي ، مَكَانِي مُنْصَبٌ لَهُمْ وَلَا يَظُنُّونَ إِلَّا أَنِّي رَادِي ^(١)
 فَاتَّاشَنِي لَكَ مِنْ غَبْرَاءَ مُظْلَمَةٍ حَبْلٌ تَضْمَنَ إِصْدَارِي وَإِيرَادِي ^(٢)
 وَلَا كَرَدَكَ عَنِّي بَعْدَ مَا كَرَبْتَ تُبْسَدِي الشَّنَاءَةَ أَعْدَائِي وَحُسَّادِي ^(٣)
 فَإِنْ قَدَرْتُ عَلَى يَوْمٍ بَجَرَيْتُ بِهِ وَاللَّهِ يَجْعَلُ أَقْوَامًا بِمِرْصَادِي ^(٤)
 نَفْسِي فِدَاءً بَنَى أُمَّهُمْ خَلَطُوا يَوْمَ الْعُرُوبَةِ أُرَادَا بِأُورَادِ ^(٥)
 بِيضًا صَوَارِمَ كَالشُّهْبَانِ نَعِيفُهَا فِي الْبَيْضِ مِنْ مَسْتَقِيمَاتٍ وَمَنَادٍ ^(٦)
 نَبِيتُ قَيْسًا عَلَى الْحَشَاكِ قَدْ نَزَلُوا مَنَابِجِي عَلَى الْأَضْيَافِ حَشَادٍ ^(٧)
 فِي الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الْعَالِي ذَوِي أَمَلٍ وَفِي الْحَيَاةِ فِي الْأُمُورِ زُهَادٍ
 الضَّارِبِينَ عُثْمِيرًا عَنْ بَيْوتِهِمْ بِالتَّلِيلِ يَوْمَ عَمِيرٍ ظَالِمٍ عَادِي ^(٨)

(١) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .

(٢) اتتاشني : تداركني . الغبراء : الداهية . حبل : عهد وذمة . الإصدار : الإرجاع عن الماء . الإيراد : إحضاره المورد . والمعنى أن عهدك قام بحفظي وحراستي .

(٣) كربت : دنت . الشنأة : البغض والشنائة . أى ليس من الفعال ما يشبه ردك الشرعني وقد كاد يثبت بي الأعداء لقرب ضياعي .

(٤) قدرت على يوم : أى اذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا : لما سمع زفر هذا قال : لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .

(٥) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أورادا جمع ورد : الجيش أو الجماعة أو السيف .

(٦) بيضا صوارم : سيوفاً قاطعة . الشهبان جمع شهاب : الكوكب أو المنقض منه . نعيم : قنبر على غير هدى .

(٧) الحشاك : نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشد : المستعد المناهب . أى نزلت قيس علينا للحرب فوجدتنا مستعدين للقائها وشبه الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب .

(٨) عمير بن الحباب القيسي ، قتل يوم العروبة ، وهو يوم تغلب على قيس . ضربه عن يمينه : صده عنه .

ثابت له عصب من مالك ربح	عند اللقاء مسارع إلى النادى (١)
ليست تجرح فرارا ظهورهم	وفي النحور كلوم ذات أبلاد (٢)
لا يُغمدون لهم سيفا وقد علموا	أن لم تكن لهم أيام إغساد (٣)
لا يُبعد الله قوما من عشيرتنا	لم يخذلونا على الجلى ولا العادى (٤)
محمية وحفاظا إنها شيم	كانت لقومى عادات من العاد (٥)
لم ترقو ما هم شر لإخوتهم	منا عشيّة يحرى بالدم الوادى (٦)
حال الحوادث والأيام دونهم	ونحن من بعدهم لسنا بخالد (٧)

(١) ثابت : اجتمعت . عصب جمع عصبه : الجماعة من الرجال أو الخيل . ربح : جراحة ثقيلة . مسارع : مسرعون . اللقاء : القتال . النادى : مجتمع القوم للحديث أو الكرم . يصف قومه بالشجاعة والمجد .

(٢) فرارا جمع فار : الهارب المنهزم . النحور جمع نحر : أعلى الصدر . كلوم جمع كلم : الجرح . أبلاد : آثار المفرد بلد . أى يبتون في القتال ، فتجرح صدورهم . ولا يفزون حتى يطعنوا في ظهورهم .

(٣) أغمد السيف : وضعه في الغمد ، سيوفهم مسلولة دائما لكثرة الحروب والاستعداد لها .

(٤) أبعد الله : نحاه عن الخير ولعنه . العشيرة : القبيلة أو بنو الأب الأقربون . الجلى : الأمر العظيم . العادى : الجائر المعتدى . والجملة الأولى دعائية .

(٥) محمية : حماية ومنع . حفاظا : دفعا عن المحارم . شيم جمع شيمة : الخلق والعادة والطبيعة .

العاد : جمع عادة .

(٦) شر لإخوتهم أى نقاتلهم ؛ ويريد فيسا . العشيّة : أول الظلام ، والمراد هنا وقت القتال .

(٧) فرقت بين الأخوة الحروب التى قتلهم والدهم الذى أفناهم ، ونحن ستلحقهم ، ويريد بالأخوة

بنو قيس وتغلب فكلاهما تزارى .

(١٣) قال ذو الرمة يمدح بلال بن أبي بردة

ابن أبي موسى الأشعري والى البصرة : (١)

أَرَا حَ فَرِيقُ جِيَرَتِكَ الْجَمَالَا كَانَهُمْ يُرِيدُونَ احْتِمَالَا (٢)
فَبِتْ كَأَنِّي رَجُلٌ مَرِيضٌ أَظُنُّ الْحَيَّ قَدْ عَزَمُوا الزِّيَالَا (٣)
وَبَاتُوا يُبْرِمُونَ نَوَى أَرَادَتْ بِهِمْ لِسَوَاءٍ طَيْتِكَ انْقِتَالَا (٤)
وَذِكْرُ الْبَيْنِ يَصْدَعُ فِي فُؤَادِي وَيُعَقِّبُ فِي مَفَاصِلِي امْذِلَالَا (٥)
فَأَرْغَوَا بِالسَّوَادِ قَدْرَ قَرْنٍ وَقَدْ قَطَعُوا الزِّيَارَةَ وَالْوَصَالَا (٦)
فَكِدْتُ أَمُوتُ مِنْ شَوْقٍ عَلَيْهِمْ وَلَمْ أَرَ نَاوِي الْأَظْعَانِ بَالِي (٧)
فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَهَ رَأْسَ حَوْضِي أَرَأَقِبُهُمْ ، وَمَا أَغْنَى قِبَالَا (٨)
كَأَنِّي أَشْهَلُ الْعَيْنَيْنِ بَازٍ عَلَى عَلِيَاءٍ شَبَّهَ فَاسْتَحَالَا (٩)

- (١) هو غيلان بن عقبة صاحب مية وخرقاء . نشأ في بيت أهله شعراء فكان أنبهم ذكرا وأبعدهم صيتا . وكان هواه مع الفرزدق على جرير لعصية نسبية . وعلى شعره مسحة البادية وصدق العشق في أسلوب جزل ولفظ غريب ، يتناول النسب ووصف الإبل والبادية والمدح ، وكانت وفاته بالبادية سنة ١١٧ هـ .
- (٢) الاحتمال : الرحيل . (٣) الزيال : الفرقة .
- (٤) يبرمون : يدبرون ويحكمون . سواء : غير طينتك : نيتك ووجهك . انقتال : انصراف .
- أى عزموا على سفر لا أريده . (٥) يصدع : يشق . امذلالا : خدروفتور .
- (٦) أرغوا جماهم : حركوها ليجعلوا عليها أكوارها استعدادا للسير فصوتت . السواد : القرى أو العدد الكثير . ذر قرن : يعنى قرن الشمس ، وقرنها : أولها . وذر : بدا وظهر .
- (٧) الأظعان : النساء في الهوادج . بالي : اهتم بي .
- (٨) الغزالة : ارتفاع الضحا . أشرفت : علوت . القبال : زمام النمل . أى علوت رأس حوضي وقت الضحا لأراقبهم ولكن لم يفد نظري شيئا . (٩) الباز : صرب من الصقور . أشهل العينين : في سوادها زرقة . علياء : مكان مرتفع مشرف . شبه : خيل إليه أنه رأى شيئا . استحال : نظر .

- رَأَيْتَهُمْ ، وَقَدْ جَعَلُوا فِتَاخًا (١) وَأَجْرَعَهُ الْمُقَابِلَةَ الشَّمَالَا (١)
 وقد جعلوا السبيّة عن يمين مقاد المهر، واعتسفوا الرمالا (٢)
 كأن الآل يرفع بين حُزوى ورأبسة الخوى بهم سيالا (٣)
 وفي الأظعان مثل مها رُمَاج عُلته الشمس فادرع الظلالا (٤)
 تجوف ككل أرطاة ربوض من الدهنا تفرعت الجبالا (٥)
 أولاك كأنهن أولاك إلا شوى لصواحب الأوطى ضئالا (٦)
 وأن هن أعجازا ثقالا وأن صواحب الأظعان جم (٧)
 وأعناق الطباء رأين شخصا نصبن له السوالف أو خيالاً (٨)

(١) فتاخ : أرض بالدهناء ذات رمال . الأجرع : رملة مستوية لا ثبت فيها . أى كان هذان الموضعان عن يسارهم .

(٢) السبية : رملة بالدهناء . اعتسفوا الرمال : عدلوا عنها في سيرهم .

(٣) الآل : السراب . حزوى : جبل بالدهناء . الخوى : بطن واد . السيال : نبات له شوك أبيض طويل يشبه الشاعر به الأظعان . يقول إن الآل يرفع هذه الظعان كأنه يرفع سيالا .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . رماج : موضع بالدهناء . ادرع الظلال : استتر بها . يشبه النساء الظاعنات بالمها في جمال العيون .

(٥) تجوف : تدخل وتستر . الأرطاة : شجرة ثمرها كالعتاب . ربوض : عظيمة . تفرعت : طلت . الحبال جمع حبل : الرمل المستطيل .

(٦) أولاك : الأولى للنسوة ، والثانية للبقر . الشوى : اليدان والرجلان . ضئال : دقاق . أى اتهمتا متشابهتان إلا أن أطراف النسوة بدان مميمة .

(٧) جم جمع جما : المرأة الملساء . الأظعان هنا : الهوادج المفرد ظعينة .

(٨) السوالف جمع سالفه : صفحة العنق عند معلق القرط . يقول رأين شخصا أو خيالاً فنصبن له السوالف . وأعناق معطوفة على (أعجازا) قبله . يشبه أعناقهن بأعناق الطباء طولاً .

- رَخِيَمَاتُ الْكَلَامِ مُبَطَّنَاتُ جَوَاعِلُ فِي الْبُرَى قَصَبًا خَدَالًا (١)
 جَمْعَنَ نَخَامَةً وَخُلُوصَ عِتْقٍ وَحُسْنًا بَعْدَ ذَلِكَ وَاعْتِدَالًا (٢)
 كَانَتْ جُلُودَهُنَّ مُمَوَّهَاتُ عَلَى أَبْشَارِهَا ذَهَبًا زَلَالًا (٣)
 وَمِيَّةٌ فِي الظَّعَائِنِ وَهِيَ شَكْتُ سَوَادَ الْقَلْبِ فَافْتَتَلَ افْتِتَالًا (٤)
 عَيْشِيَّةٌ طَالَعَتْ لِتَكُونَ دَاءً جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ أَوْ سُلَالًا (٥)
 تُرِيكَ بَيَاضَ لَبِّهَا وَوَجْهَهَا كَقَرْنِ الشَّمْسِ افْتَقَّ ثُمَّ زَالًا (٦)
 أَصَابَ خَصَاصَةً فَبَدَأَ كَلِيلًا كَلَا وَانْغَلَّ سَائِرُهُ انْغِلَالًا (٧)
 وَأَشْنَبَ وَاضِحًا حَسَنَ الثَّنَائَا تَرَى مِنْ بَيْنِ ثَنِيَّتِهِ خِلَالًا (٨)
 كَانُ رُضَابَهُ مِنْ مَاءٍ كَرِيمٍ تَرَقُّقَ فِي الرَّجَاجِ وَقَدْ أَحَالَ (٩)

- (١) رخيما: رقيقات . مبطنات : ضوامر البطون . البرى جمع برة وهي هنا الخلخال والسوار .
 القصب : الأذرع والسيقان : خدال : ضخمة مستديرة ، يشبه سيقانهم بالقصب الضخم المستدير .
 (٢) النخامة : عظم القدر والضخامة . العتق : الأصل والشرف .
 (٣) أبشار جمع بشر : ظاهر الجلد . زلالا : صافيا أى كان جلودهن مطلبات ذهبا .
 (٤) مية : صاحبة الشاعر . شكت : طعنت . سواد القلب : حبه . افتتل : لوى وأسر .
 (٥) طالعت : نظرت . الجوى : حرقه العشق . الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر
 واحدتها جناحة . السلال : داء في الرئة ، هو السل أو الهزال .
 (٦) اللبة : موضع القلادة . قرن الشمس : أول ما يبدو منها . افتق : بدا من بين السحاب .
 زال : اختفى .
 (٧) الخصاصه : فتق السحاب . كليل : ضعيفا . كلا كقولك لا في القلة . انغل : دخل
 للسحاب . السائر : الباقي .
 (٨) الأشنب : الفم البارد العذب . الواضح : الأبيض . الثنية : إحدى مقدم الأسنان ، خلا لا :
 فروجا أى أنها مقلجة الأسنان . وأشنب معطوف على كلمة (بياض) السابقة .
 (٩) الرضاب : الريق . ماء كرم : نحر . ترقيق : تحرك . أحال : أتى عليه حول فصار عتيقا .

- يَشْجُ بِمَاءٍ سَارِيَةٍ سَقَّتُهُ عَلَى صِمَانَةٍ رَصَفًا فَسَالَا (١)
- وَأَسْتَحَمَ كَالْأَسَاوِدِ مُسَبِّكًا عَلَى الْمَتْنَيْنِ مُنْسَدِلًا جُفَالَا (٢)
- وَمِيَّةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًا وَسَالِفَةٌ وَأَحْسَنُهُ قَذَالَا (٣)
- وَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا نَظَرًا وَعَيْنًا وَلَا أُمَّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالَا (٤)
- فِي السَّقَمِ الَّذِي لَا بُرَّةَ مِنْهُ وَبُرَّةُ السَّقَمِ أَوْ رَضَخَتْ نَوَالَا (٥)
- كَذَلِكَ الْغَانِيَاتُ فَرَّغْنَ مِنَّا عَلَى الْغَفَلَاتِ رَمِيًّا وَاحْتِيَالَا (٦)
- فَعَدَّ عَنِ الصَّبَا، وَعَلَيْكَ هُمَا تَوَقَّشَ فِي فُؤَادِكَ، وَاحْتِيَالَا (٧)
- فَبِتْ أَرُوضُ صَعْبَ الْهَمِّ حَتَّى أَجَلْتُ بِجَمِيعِ مِرَّتِهِ مَجَالَا (٨)

- (١) يشج : يمزج . السارية : السحابة — تأتي ليلا . صمانة : حجارة صلبة . ماء الرصف : المنحدر على الصخور يكون صافيا . يشبه ريق فيها في اللذة والإسكار بالخمر المعتق الممزوج بالماء الصافي .
- (٢) أسحم : أسود . يصف الشعر . الأساود جمع أسود : العظيم من الحيات وفيه سواد . مسبك : مسترسل . المتنان : جانبنا الظاهر وناحيته مما يجاور الصلب . الجفال : الكثير .
- (٣) الثقلان : الانس والجن . القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
- (٤) نظرا : التفاتا .
- (٥) رضخت : بذلت قليلا . ولو شرطية أو للتنين .
- (٦) الغانيات : الجميلات . فرغن منا : قتلنا . رميا واحتياالا : أى كالصائد الذى يحتال على الصيد ليدركه .

- (٧) عدَّ عن الصبا : انصرف عنه . عليك هما أى ازم هما . توقش : تحرك . الاحتيال : الاضطراب وفساد العقل . انتقل من التشيب إلى وصف همه الذى رحل به الى المدوخ .

- (٨) أروض الهم : أعالجه لأصرفه عنى . أجلت الهم مجاله ، وجهت وجهه الى المدوخ . المرة العقل والإحكام .

الى ابن العامري الى بلال

قَطَعْتُ بِنَعْفٍ مَعْقَلَةً الْعَدَالَا (١)

قَرَوْتُ بِهَا الصَّرِيمَةَ لَا شِخَاتَا

غَدَاةَ رَحِيلِهِنَّ وَلَا حِيَالَا (٢)

وَرُبَّ مَفَازَةٍ قَذِفَ جُمُوحُ

تَقُولُ مُنَحَّبَ الْقَرَبِ اغْتِيَالَا (٣)

قَطَعْتُ إِذَا تَجَوَّفَتِ الْعَوَاطِي

ضُرُوبَ السَّدْرِ عُبرِيَا وَضَالَا (٤)

عَلَى خَوْصَاءَ تَذْرِفُ مَأْقِيَاهَا

مِنَ الْعِيْدِي قَدْ أَقِيَّتْ كَلَالَا (٥)

إِذَا بَرَكْتَ طَرَحْتُ لَهَا زِمَامَا

وَلَمْ أَعْقِلْ رُكْبَتَيْهَا عِقَالَا (٦)

وَشِهْرٍ قَدْ أَرَقْتُ لَهُ غَرِيبَ

أُجْنَبُهُ الْمُسَانِدَ وَالْمَحَالَا (٧)

قِيْتُ أَقِيمُهُ وَأُقَدُّ مِنْهُ

قَوَافِي لَا أُعِدُّ لَهَا مِثَالَا (٨)

(١) بلال بن أبي بردة : المدوح . قطعت العدال : قطعت الشك في قصدي اليه . والعدال :

المعادلة بين شيئين أيهما يفعل . نعل معلقة : مكان . النعل : ما سفل من الجبل .

(٢) قروت : سقت . بها أي بالإبل . الصريمة هنا : العزيمة على الأمر . لاشخاتا : لادناقا

والشخت الرقيق . الخيال التي لم يحملن .

(٣) المفازة : الفسلة . قذف : بعيدة . جموح : تجمح براكيها فتذهب به على غير قصد .

تقول : تهلك . المنحب : الناذر . يقال قضى نحوه أي نذره . الترب : سير الليل الى الماء لبلوغه من

الغد . وخبر مفازة البيت التالي .

(٤) تجوفت السدر : دخلت في جوفه من شدة الحر . العواطي : الظباء تعطو أي تتناول الورق

لأن كلة . والسدر : نوعان عبري هو العظيم وضال وهو الصغير . والمعنى قطعت هذه المفازة في وقت الهاجرة .

(٥) خوصاء : ناقة غائرة العينين . تذرِف مَأْقِيَاهَا أي من الإعياء والكلال . العيدي : قوم من مهرة

معروفون بكرائم النوق ينسب نأفته اليهم .

(٦) العقال : حبل يشد به البعير في وسط ذراعه يقول أتركها بلا قيد لكرمها .

(٧) أرقط : مهرث . المساند الشعر فيه سناد وهو اختلاف ما يراعى في القافية من الحروف

والحركات وهو عيب في الشعر .

(٨) أقيمه : أصلحه . أقد : أنظم . لا أعد الخ أي ارتجلتها دون تقليد مثال .

غَرَائِبٌ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أَفْقٍ مِنْ الْآفَاقِ تُفْتَعَلُ افْتِعَالًا (١)
 فَلَمْ أَقْدِفْ لِمُؤْمِنَةٍ حَصَانٍ بِحَمْدِ اللَّهِ مُوجِبَةً عُضَالًا (٢)
 وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ يَشْعِرِي لَسِيًّا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالًا (٣)
 وَلَكِنَّ الْكَرَامَ لَهُمْ ثَنَائِي فَلَا أُخْزِي إِذَا مَا قِيلَ : قَالَا (٤)
 سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ : انْتَجِعِي بِلَالَا (٥)

(١٤) وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح

عبد العزيز بن مروان :

لَمْ يَصُحْ هَذَا الْفَوَادُ مِنْ طَرِيَّةٍ وَمِيلِهِ فِي الْهَوَى وَفِي لَعِيَّةٍ (٧)
 أَهْلًا وَسَهْلًا بَيْنَ أَتَاكَ مِنَ الرَّقَى قِيَّةٍ يَسْرِي إِلَيْكَ فِي سَخْبِهِ (٨)

- (١) الآفق : الناحية من نواحي الأرض والسماء . تفتعل : تخلق .
 (٢) حصان : عفيفة . موجبة : توجب النار والحل . العصال : الداهية .
 (٣) أى لم أمدح لثيما لغناه . (٤) يريد بذلك إذا قال الناس قال ذو الرمة كذا لا يقال .
 اخزاء الله وهذا بضم الألف فى أخزى وإذا فتحت فالمعنى لا أستحي ولا أنجل .
 (٥) ينتجعون بطلبون . الغيث المطر . صيدح : ناقة الشاعر . بلال هو المدوح . أى إذا
 طلب الناس الغيث لأنه سبب الخصب والحياة فإنى أطلب بلالا إذ هو عندى خير من الغيث بكرمه .
 (٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى من شعراء الغزل والسياسة نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم
 ناقضا على بنى أمية اعتزازهم باليمن متصرا لابن الزبير ، حتى إذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن إليهم
 وكان أول أمره مطاردة من الخلفاء ينتقل مخفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبيد العزيز
 ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعاني ولا سيما فى الغزل
 والزنا . وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافي والى الموضوعات التى يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام .

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربي بغداد وغيرها . السخب : جمع مخاب قلادة من
 قرنفل وغيره . والخطاب فى البيت لنفسه أو لفؤاده ملتفتا إليه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

- بَاتَتْ بِحُلُوانٍ تَبْتَغِيكَ كَمَا أَرْسَلَ أَهْلُ الْوَلِيدِ فِي طَلْبِهِ (١)
 فَدَلَّهَا الْحُبُّ فَاشْتَفَيْتَ كَمَا تَشْفِي دِمَاءُ الْمُلُوكِ مِنْ كَلْبِهِ (٢)
 سَقِيَا لِحُلُوانَ ذِي الْكُرُومِ وَمَا صُنِّفَ مِنْ تَيْنِهِ وَمِنْ عَيْنِهِ
 نَحْلُ مَوَاقِيرُ بِالْفِئَاءِ مِنْ آلِ بَرْنِي غَلَبَ يَهْرُ فِي شَرَبِهِ (٣)
 أَسْوَدُ سُكَّانِهِ الْحَمَامُ فَمَا تَنَفَّكَ غِرْبَانُهُ عَلَى رُطْبِهِ
 لَيْثْنِهِ مِصْرُ وَالْعِرَاقُ وَمَا بِالشَّامِ مِنْ بَزْهِ وَمِنْ ذَهَبِهِ (٤)
 فِيهِمْ بَهَاءٌ إِذَا أَتَيْتَهُمْ وَنَائِلٌ لَا يَغِيضُ مِنْ حَلْبِهِ (٥)
 أَثْنِ عَلَى الطَّيِّبِ ابْنَ لَيْلَى إِذَا أَثْبِتَ فِي دِينِهِ وَفِي حَسَبِهِ (٦)
 مَنْ يَصْدُقُ الْوَعْدَ وَالْقِتَالَ وَيُنْجُو شَى اللَّهُ فِي حِلْمِهِ وَفِي غَضَبِهِ (٧)
 وَمَنْ تُفِيضُ النَّدَى يَدَاهُ وَمَنْ يَتَّقِبُ الْحَمْدَ عِنْدَ مُنْتَهَاهِ (٨)
 أُمُّكَ بِيضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي آلِ بَيْتِ الذِّي يُسْتَظَلُّ فِي طَنْبِهِ (٩)

(١) حلوان مصر هي المرادة هنا . تبتيك : تعلبك . الوليد : الصبي .

(٢) الكلب : داء عضه الكلب يشفي بدماء الملوك في زعمهم .

(٣) مواقير : جمع موفر . النخلة الثقيلة الحمل . البرني : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة .

الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ربيها .

(٤) تهنه : تسره . البر : الثياب ؛ من الكنان والقطن .

(٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج

ما في الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(٦) ابن ليلى : المدوح . الحسب : الشرف .

(٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) يتقرب الحمد : يسبق إليه .

(٩) قبيلة عظيمة تنسب الى قحطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : جبل يشد به مرادق البيت

والمراد يحتمى به .

- وأنت في الجوهري المهذب من عبد مناف، يداك في سببه (١)
يخلقك البيض من بينك كما يخلف عود النصار في شعبه (٢)
ليسوا من الخروع الضعيف كما جلت صقور الصليب من حديه (٣)
نحن على بيعة الرسول وما أعطى من عجمه ومن عسبه (٤)
بها نصرتنا على العدو وتر عى الغيب في نأيه وفي قربه (٥)
نأتى إذا ما دعوت في الخلق ال ماذى أبدانه وفي جبيه (٦)
نهدى رعالا أمام أرعن لا يعرف وجه البلقاء في لجبه (٧)
فيهم كريب يقود حمير لا يعدل أهل القضاء عن خطبه (٨)
وعارض كالجبال من مضر ال حمراء يشفي ذا العر من جربه (٩)
وابنا نزار إذا هما اجتماعا لم يتركا هاربا على هربه (١٠)

- (١) الجوهري : الطبيعة والجلبة . عبد مناف أصل بنى أمة . السبب : الحبل .
(٢) النصار : الأئبل أو الطويل المستقيم النصوص . الشعب : النصوص .
(٣) الخروع : ثبت معروف بعظم قرب المياه . الصليب : جبل . حديه : أعلاه . جلت : نظرت .
أى ليسوا مستضعفين فيستذلهم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قننه الطيور .
(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .
(٥) زعى الغيب : يحفظ العهد .
(٦) الخلق : جمع حلقة وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجيب جمع جبة : وهى
من السنان ما دخل فيه الرمح .
(٧) رجال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد
بالنعام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعذك .
(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .
(٩) العارض : الجيش . مضر الجراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العرب الجرب
والمراد الزيف . (١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مُصعبَ بن الزبير ويفتخر بقريش :

أَقْفَرْتُ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كَدَاءُ فَكُدِّي فَالرَّكْنُ فَالْبَطْحَاءُ (١)

فَمَنِي ، فَالْجَمَارُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مَقْفَرَاتٌ قَبْلَ دَحْخِ خِرَاءُ (٢)

فَالْحَيَّامُ الَّتِي يُعْسِفَانِ فَالْجَحْ فَتَّةٌ مِنْهُمْ ، فَالْقَاعُ فَالْأَبْوَاءُ (٣)

مُوحِشَاتٌ إِلَى تَعَاهِنَ فَالْسَقِ يَا قِفَارُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ خَلَاءُ (٤)

قَبْدُ أَرَاهِمُ فِي الْمَوَاسِمِ إِذْ يَغ مَدُونٌ حِلْمٌ وَنَائِلٌ وَبَهَاءُ (٥)

وَحِسَانٌ مِثْلُ الدَّمِيِّ عِبْشَمِيًّا تٌ عَلَيْهِنَ بَهْجَةٌ وَحَيَاءُ (٦)

لَا يَبِينُ الْعِيَابُ فِي مَوْسَمِ النَّا سٍ إِذَا طَافَ بِالْعِيَابِ النِّسَاءُ (٧)

ظَاهِرَاتُ الْجَمَالِ وَالسَّرْوِ ، يَنْظُرُ نَتٌ كَمَا يَنْظُرُ الْأَرَاكَ الْظَبَاءُ (٨)

حَبْدَا الْعَيْشِ حِينَ قَوْمِي جَمِيعُ لَمْ تُفَرِّقْ أُمُورَهَا الْأَهْوَاءُ (٩)

- (١) عبد شمس بن عبد مناف : جد الأمويين - كدَاء : جبل بأعلى مكة ، وكدي جبل بأسفلها .
الركن : جانب الكعبة . البطحاء : مسيل واسع فيه حصي دقيق يقال قريش البطحاء نسبة إلى بطحاء مكة .
(٢) الجمار : موضع بمنى . بلدح : واد قبل مكة أو جبل بطريق جدة . حراء : جبل بمكة فيه فار .
(٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . الجحفة : قرية على ٨٢ ميلًا من مكة جهة الشام . القاع :
موضع عند المدينة . الأبواء : مكان عند ودان .
(٤) تعاهن : موضع بالحجاز . السقيا : بالمدينة .
(٥) نائل : كرم . بهاء : حسن وظرف .
(٦) الدمى جمع دمية : الصورة من العاج . عبشميات : منسوبات إلى عبد شمس أبي أمية .
(٧) العياب : جمع عيبة ما تجعل فيه الثياب . والمراد أن النساء كريمات مخدرات .
(٨) السرو : المروءة في شرف . فالنساء ينظرون كالظباء حين تتناول إلى الشجر ليتناول ورقة ،
وهذه النظرة بديعة تشع بدلال وعزرة .

- (٩) وجميع مؤتلهون . الأهواء جمع هوى : الميل عن الصواب . بأسف على تفرق قريش شيعة
تنحارب على الملك .

قبل أن تظمع القبائل في ملا - بك قريش وتشتت الأعداء
 أيها المشتبهى فناء قريش - يسد الله عمرها وفناء
 إن تودع من البلاد قريش - لا يكن بعدهم حتى بقاء (١)
 لو تقف وتترك الناس كانوا - غم الذئب غاب عنها الرعاء (٢)
 هل ترى من محاذ غير أن ال - له يبقى وتذهب الأشياء
 يأمل الناس في غد رغب الدهر - سر، ألا في غد يكون القضاء (٣)
 لم نزل آمينين بحسبنا النا - س ويجرى لنا بذاك الثراء (٤)
 فرضينا باقت بدائك غمنا - لا تميمت غيرك الأدواء
 لو بكت هذه السماء على قو - م يكرام بكت علينا السماء

* * *

إنما مصعب شهاب من الد - به تجلت عن وجهه الظلماء (٥)
 ملكه ملك قوة ليس فيه - جبروت ولا به كبرياء
 يتق الله في الأمور وقد أف - ملح من كان همه الاتقاء

* * *

عين فابكي على قريش وهل ير - جع ما فات إن بكيت البكاء

(١) تودع : تهاك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقف : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب إذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغبته .

(٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

- مَعَشَرٌ حَتَفَهُمْ سَيُوفُ بَنِي الْعَدِ (١) لَاتٍ يَنْحَشُونَ أَنْ يَضِيعَ اللَّوَاءُ (١)
- تَرَكَ الرَّأْسَ كَالثَّغَامَةِ مِنِّي (٢) نَجَاتٌ تَسِيرُ بِهَا الْأَنْبَاءُ (٢)
- مِثْلُ وَقْعِ الْقَدُومِ حَلَّ بِنَا فَالِدِ (٣) مَا سَ مَا أَصَابَنَا أَخْلَاءُ (٣)
- لَيْسَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتِ (٤) نَحْنُ حُجَابُهُ عَلَيْهِ الْمُلَاءُ (٤)
- خَصَّصَهُ اللَّهُ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا (٥) دُونَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سَوَاءُ (٥)
- حَرَقْنَا رِجَالَ نَحْمٍ وَعَسْكَ (٦) وَجُذَامٌ وَحَمِيرٌ وَصُدَاءُ (٦)
- فَبَنَيْنَاهُ بَعْدَ مَا حَرَّقُوهُ (٧) فَاسْتَوَى السَّمَكَ وَاسْتَقَلَّ الْبِنَاءُ (٧)
- كَيْفَ نَرْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا (٨) يَتَشَمَلُ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءُ (٨)
- تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي (٩) عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَذْرَاءُ (٩)

- (١) الخنف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد . يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها في سبيل الملك ، فن هلك منها فيد بنها .
- (٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أي أشيب . تسرى : تسير ليلا .
- (٣) أخلاء جمع خلو : أي خال أي ليس عليهم وزد فيا نحن فيه من شقاق .
- (٤) الحرمه : المهابة . والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملااء جمع ملاءة : الربطة والثوب يلبس على الأنفاذ .
- (٥) الناكث : المقيم في المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من في مكة وخارجها .
- (٦) نحم وجذام وصداء وحمر من اليمن وعك من نزار .
- (٧) السمك : السقف والقامة من كل شئ طويل منحني . استقل : ارتفع .
- (٨) غارة شعواء : حملة منفردة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .
- (٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفرع .

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمَيَّةَ مُزَوِّرٌ رَأَى وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ (١)
إِنْ قَتَلْتُ بِالطِّيفِ قَدْ أَوْجَعْتَنِي كَانَتْ مِنْكُمْ لَنْ قُتِلْتُمْ شِفَاءً (٢)

(١٥) قَالَ قَطَرِيُّ بْنُ الْفَجَاءَةِ فِي يَوْمِ "دُولَابِ"

بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ : (٣)

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وَفِي الْعَيْشِ ، مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ (٤)
مَنْ انْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا شِفَاءً لِدَى بَثٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ (٥)
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِيَوْمِ الْطِّمِّ وَجْهَهَا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدٌّ لَتِيمٍ (٦)
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ طِعَانٌ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ (٧)

(١) مزور : مائل و كاره .

(٢) الطيف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بنى أمية والزبيريين . وترى في الآيات حذبه على قريش عامة وكرهه بنى أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) بعد قطري بن الفجاءة المازني المالكي من زعماء الخوارج الأشداء وقادتهم الأكفاء نشأ متادبا بأداب الإسلام مخلصا لنعاليمه ورعا تقيا خرج أيام عبد الله بن الزبير يقاتل جند السلطان ، وينكل بجيوش الدولة ، ويسلم عليه اتباعه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وكان قطري خطيبا شأن الزعماء . وكان شاعرا تحس في شعره نغمة الإخلاص والفناء في العقيدة مع حماسة ورقة نفس وإباء في أسلوب قوي جميل .

(٤) لعمرك : وحياتك قسمي . أم حكيم : زوجته .

(٥) انخفرات جمع خفرة : المرأة الحية . البث : أشد الحزن .

(٦) جد لئيم : شديد اللؤم ، لئيم جدا . نائبات جمع نائبة : المصيبة .

(٧) دولاب : بلدة بالأهواز التي عندها الخوارج بزعاية نافع الأزرق مع البصريين وقتل نافع هذا

اليوم . طعان : طعن .

- غداة طفت عتاء بكر بن وائل (١) ونجنا صدور الخيل نحو تميم (١)
- وكان لعبد القيس أول جدتها (٢) وأحلافها من يَحْصِبُ وسليم (٢)
- وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى (٣) نعوم وظلنا في الجلال نعوم (٣)
- فلم أريوما كان أكثر مقعصا (٤) يمج دما من فائظ وكليم (٤)
- وضاربة خذا كريما على فتى (٥) أغر نجيب الأمهات كريم (٥)
- أصيب بدولاب ولم تك موطننا (٦) له أرض دولاب ودير حميم (٦)
- فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا (٧) تبيح من الكفار كل حريم (٧)
- رأت فتية بأعوا الإله نفوسهم (٨) يحنات عذني عنده ونعيم (٨)

(١) طفت : قتلت والقيت في الماء فنهزت عليه . عتاء أصله على الماء تحذف إحدى اللامين تخفيفا . نجنا صدور الخيل . عطفناها بالجمل . بكر بن وائل وتيمم من إعدائهم .

(٢) جدتها : جهاد الخيل . الأحلاف : جمع حلف : الصديق يحلف على عدم الغدر يحصب وسليم : حيان من حلفاء عبد القيس .

(٣) حومة الوغى : معظمتها . الجلال : المقاتلة . وفي البيت إقواء بتغيير حركة الروى من الكسرة الى الضمة وهو عيب في القافية .

(٤) مقعصا : قتلا . فائظ : ميت . كليم : جريح . لم أريوما كان أكثر من هذا اليوم قتلا وطعنا يسلان الدماء .

(٥) وضاربة : رب امرأة لاطمة . أغر : سيد شريف . نجيب الأمهات : أى من نساء بلدن أنه الأبناء . يقصد نافع بن الأزدق .

(٦) دير حميم : موضع بالأهواز . ودولاب : قرية هناك .

(٧) يقصد بالكفار هنا أعداء الخوارج من المسلمين . الحريم للرجل ما يدفع عنه وبه سميت النساء .

(٨) بأعوا الإله نفوسهم : أرخصوا نفوسهم في الجهاد طمعا في الجنات والنعيم في الآخرة .

(١٦) وقال عمران بن حطان^(١) يخاطب روح بن زنباع لما دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان، فارتحل وقد ترك له هذه الأبيات :

يا رُوحُ كم من أخى مشوى نزلتُ به	قد ظن ظنك من نلِّم وغسان ^(٢)
حتى إذا خفَّسه فآرقتُ منزلته	من بعد ما قيل : عمرانُ بن حطان ! ^(٣)
قد كنتُ جارك حولا ما تُروِّعني	فيه روائع من إنس ومن جان ^(٤)
حتى أردتُ بي العُظمى فأدركني	ما أدرك النَّاس من خوف ابن مروان ^(٥)
فأذير أخاك (ابن زنباع) فإنَّ له	في النَّائبات خطوبا ذات ألوان ^(٦)
يوما يمان إذا لاقيتُ ذا يمين	وإن لقيتُ معديا فعذنان ^(٧)
لو كنتُ مستغفرا يوما لطاغية	كنتُ المَقْدَم في سري وإعلاني ^(٨)
لكن أبت لي آياتٌ مطهرة	عند الولاية في طه وعمران ^(٩)

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسي بالبصرة حيث تعلم وتأدب ، وأصبح شاعرا مجيدا صادقا في شعره دينيا ورعا ، ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام ، وأخذ ينتقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٥٨٩ هـ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة .

(٢) المثنوى : منزل الضيافة . أخو : صاحب . ظن ظنك : رأى في رأيك من أنى رجل هين . نلِّم : وغسان من اليمين من كهلان .

(٣) أى من بعد ما عرفت حقيقتي تركته . (٤) تروِّعني : تفزعني .

(٥) العظمى : لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي . وكان حربا على الخوارج .

(٦) الخطوب : جمع خطب الأمر العظيم .

(٧) يمان : أى أنا يمان أتسب إلى اليمين . وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه

فهو عند ابن زنباع أزدى ، وعند زهر بن الحارث أوزاعى . (٨) الطاغية : الجبار .

(٩) أبت : منعتني الاستغفار لك . الولاية : السياسة . طه وعمران : سورتان في القرآن وكان

يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

وقال يخاطب زُفر بن الحارث الكلابي ، وكان قد نزل به بعد روح بن زنباع
مُخفياً نسيبه ؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلف له رُقعة فيها :

إِن الَّتِي أَصْبَحْتَ يَعيَا بِهَا زُفَرٌ أَعَيْتَ عِيَاءً عَلَى رُوحِ بْنِ زِنْبَاعِ (١)
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبَرَهُ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعِ (٢)
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي وَسَائِلُهُ كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلَّعْ بِإِهْلَاعِ (٣)
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي إِنِّي رَجُلٌ : إِمَّا صَمِيمٌ ، وَإِمَّا فَقْعَةُ الْقَاعِ (٤)
وَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَن لَوِيٍّ وَمَسْأَلَتِي مَاذَا تُرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعِ (٥)
أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا كُلُّ امْرِئٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعِ (٦)
أَكْرِمَ بِرُوحِ بْنِ زِنْبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ قَوْمٌ دَعَا أَوَّلِيهِمْ لِلْعُسْلَا دَاعِ (٧)
جَاوَزْتُهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ عِرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعِ (٨)
فَاعْمَلْ ؛ فَإِنَّكَ مَنبَعِي بِوَاحِدَةٍ حَسَبُ اللَّيْلِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِ (٩)

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ما كرم محال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشئ : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعى : إفراعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لا عروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . ويطن من همدان .

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آباؤهم ، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسره : من الأتس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : تميز . هذا فاعل . الشيب بدل .

(١٧) قال الكُميت في بني هاشم : (١)

طَرِبْتُ وما شوقاً الى البيضِ أطربُ ولا لِعَبٍّ متى وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ (٢)
ولم يُلْهِني دارٌ ولا رَسْمٌ مَتَلٍ ولم يَتَطَرَّني بَنَابُ مُحَضَّبُ (٣)
ولا أنا مِن يَزْجُر الطيرَ همُّه : أصاح غُرَاب أم تعرَّض نَعْلَبُ (٤)
ولا السانِحَاتُ البارِحَاتُ عَشِيَّةً أمرٌ سَلِيمُ القرنِ أم مرَّ أَعْضَبُ (٥)
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواءَ، والخيرِ يُطَلَّبُ (٦)
إلى النَّفَرِ البيضِ الذين يُجْهِمُ إلى الله فيما نالني أَتَقَرَّبُ (٧)
بني هاشم رهطِ النبي ؛ فأني بهم وَلَهْمُ أرضى مَراراً وأَعْضَبُ (٨)

(١) كان الكُميت بن زيد الأسدي شاعراً خطيباً نشأ في الكوفة وتأدب على علماءها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين بمدحهم وبنال جوائزهم . وقد لقي في سبيل مذهبه الشيعي والعدواني بلاء كثيراً وتوفي سنة ١٢٦ هـ . وتلمح في شعر الكُميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وحقطان وفتح للشيعية طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك في هذه القصيدة التي نشرها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربني : يمحلى على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلية .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار إلى اليمين وهذا قال حُسن عند العرب . البارحات :

عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول : ليست تعني هذه الأمور التي تشغل الناس والشعراء وإنما هي أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهي : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيلة .

خَفَضْتُ لَهُمْ مَنِيَّ جَنَاحِي مَوَدَّةً إِلَى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ^(١)
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَا يَجْنَا عَلَى أَنِّي أَذْمُ وَأُقْصِبُ^(٢)
وَأُرْمِي وَأَرْمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا وَإِنِّي لَأَوْدِي فِيهِمْ وَأُؤْنِبُ
فَمَا سَاءَ لِي قَوْلَ أَمْرِي ذِي عَدَاوَةٍ يَعْورَاءَ فِيهِمْ يَجْتَدِينِي فَأُجَذَّبُ^(٣)
فَقُلْ لِلَّذِي فِي ظِلِّ عَمِيَاءَ جَوْنَةٍ : تَرَى الْجَوْرَ عَدْلًا أَيْنَ (لَا أَيْنَ) تَذْهَبُ !^(٤)
بَايَ كِتَابٍ أَمْ بِآيَةِ سُنَّةٍ تَرَى جِبْهُهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَحْسِبُ ؟^(٥)

* * *

يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِلَى وَقُولُهُمْ أَلَا خَابَ هَذَا ، وَالْمَشِيرُونَ أَخِيْبُ
فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَّرْتَنِي بِجُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا : مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ
فَمَا سَاءَ لِي تَكْفِيرَ هَاتِيكَ مِنْهُمْ وَلَا عَيْبُ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعْيَبُ
يُعَيِّبُونَنِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَضَلَالِهِمْ عَلَى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ^(٦)
وَقَالُوا : تُرَابِي هَوَاهُ وَرَأْيُهُ ، بِذَلِكَ أَدْعَى فِيهِمْ وَأُلْقَبُ^(٧)
عَلَى ذَاكَ إِجْرِيَّايَ ، فَيَكُمُ ضَرِيَّتِي وَلَوْ جَمَعُوا طُرًّا عَلَيَّ وَأَجْلَبُوا^(٨)

(١) الكنف : الجانب والظل . عطفاه : جانيه ، أى أهل لي مرحبون بي .

(٢) المجن : الترس وما يتق به . أقصب : أشتم .

(٣) العوراء : الكلمة أو الفعل القبيحة . يجتديني : يطلب مني اتباعه .

(٤) عمياء : ضلالة . جونة : سوداء .

(٥) كتاب : قرآن . سنة : كلام الرسول ، والمراد باي حق .

(٦) الخب : الخبث .

(٧) ترابي نسبة إلى علي بن أبي طالب الملقب بأبي تراب .

(٨) إجرى : خلق . ضريتي : طيئتي . أجلسوا : جمعوا الجموع أو توعدوا بالشر .

- وأَحْمِلُ أَحْقَادَ الْأَقَارِبِ فِيكُمْ وَيُنْصَبُ لِي فِي الْأَبْعَدِينَ فَأَنْصَبُ (١)
يَخَاطِبُكُمْ غَضَبًا تَجُوزُ أُمُورَهُمْ فَلَمْ أَرْغَضْ بِهَا مِثْلَهُ يُنْصَبُ (٢)
بِحَقِّكُمْ أَمْسَتْ قُرَيْشٌ تُقُودُنَا وَبِالْقَدِّ مِنْهَا وَالرَدِيقِينَ تَرْكِبُ (٣)
إِذَا انْضَعُونَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَزْمَةَ تُجَنَّبُ (٤)
رِدَافًا عَلَيْنَا لَمْ يُسَيِّمُوا رَعِيَّةً وَهُمْهُمْ أَنْ يَمْتَرُوهَا فَيَجْلُبُوا (٥)
لَيَنْتَجِوهَا فِتْنَةً بَعْدَ فِتْنَةٍ فَيَفْتَعَلُوا أَفْلَاءَهَا ثُمَّ يَرْكَبُوا (٦)
أَقَارِبُنَا الْأَدْنَوِيَّ مِنْكُمْ لِعِلَّةٍ وَسَاسْتُنَا مِنْهُمْ ضِبَاعٌ وَأَذُوبُ (٧)
لَنَا قَائِدٌ مِنْهُمْ عَنِيْفٌ وَسَائِقٌ يَقَحَّمُنَا تِلْكَ الْجَرَائِمَ مُتَعِبٌ (٨)

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : ما يحتم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ . ينصب : يفتصب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذي استلبوه .

٦

(٣) القد : الفرد وأقل سهام الميسر . الرديقان : مثنى رديف وهو كل ما تبع شيئاً أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة في الحكم بلا حق .

(٤) انضعونا : حكونا وأصله انضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متتابعين . يسمي الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمتري الناقة : يسمح ضرعها لتدو . والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : غنى بها حتى تضع . أفلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذوب جمع ذوب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . ونقمه في الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائيم جمع جرثومة : وهي الأصل أو قرية النخل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالوا : ورثناها أبانا وأمنّا ، وما ورثتهم ذاك أم ولا أب ! (١)
يروون لهم حقاً على الناس واجبا سفاهاً ، وحق الهاشميين أوجب (٢)

(١٨) قال جميل بن معمر (٣)

ألا ليت أيام الصفاء جديداً ودَهراً تولى يا بُشَيَّ يعود
فنتنى كما كنّا نكون وأتمّ صديق وإذ ما تبدّلين زهيداً (٤)
وما أنس ملاءشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى أمصر تريد؟ (٥)
ولا قولها : لولا العيون التي ترى أيتك ، فاعذرني . قدّتك جدوداً ! (٦)
خليلي ما أخفي من الوجد ظاهراً ودَمعي بما أخفي الغداة شهيداً (٧)
ألا قد أرى والله أنّ ربّ عبّرة إذا الدار شطّت بيننا ستريداً (٨)

(١) ورثناها : أي الخلافة . (٢) سفاهاً : جهلاً وباطلاً

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر المذري مثال الغزل البدوي العفيف ، نشأ في البادية وأحب ابنة عمه
شيخة ، وصرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف ظاهر . وقد لقي في سبيل
حبه العنت والنفي حتى لجأ إلى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٢ هـ وشعره جميل حسن
الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعدهم النقاد في البادية نظير عمر بن أبي ربيعة في الحاضرة وكلاهما يجازي
خضعا لعوامل متقاربة .

(٤) ننتنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبدّلين : أي ما تنيلين من الوصل .

(٥) ملاءشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . بقول مهما أنس من شيء
خلست أنسى قولها لي وقد قربت ناقتي أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعوله بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبّرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطّت : بعدت . أي سيكثر بكائي إذا افترقنا .

ستزيد خبر عبّرة والجملة خبر أن المخففة .

إذا قلت : مآي يا بئينة قاتلي
 وإن قلت : رددي بعض عقلي أعش به
 من الحب ! قالت : ثابت ويزيد ! (١)
 مع الناس ، قالت : ذاك منك بعيد
 ولا حبها فيما يبيد يبيد (٢)
 جزتك الجوازي يا بئينة ملامه
 وإذا ما خليل بآن وهو حميد ! (٣)
 وقلت لها : بيني وبينك فاعلمي
 من الله ميثاق له وعهود
 وقد كان حبيكم طريفاً وتالداً
 وما الحب إلا طارف وتليد (٤)
 وإن عروض الوصل بيني وبينها
 وإن سهرته بالمني لصعود (٥)
 فأفني عيشي بانتظاري نوالها
 وأبئت ذاك الدهر وهو جديد



ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
 بوادي القرى إنني إذا أسعيد (٦)
 وهل أهبطن أرضاً تظل رياحها
 لها بالثنايا القاويات وثيد (٧)

(١) أي إذا قلت لها إن الحب سيقنني قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا

(٢) أي فلم أنل ما طلبت من بعض عقل ولا الحب بغيري لأستريح .

(٣) الجوازي : جمع جازية وهي المكافئة . يقول : إذا جوزى الأربة بالثناء عليهم وقت القراق
 فليس لك في نفسي إلا العتب واللوم . والبيت في الأصل جملة دعائية

(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق في عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المئال مهما
 تسهله بالوعود .

(٦) وادي القرى : بالجاز شمال المدينة . ليت شعري : أي ليتني أعرف ، جواب هذا الاستفهام
 المذکور بعد . يتمي المبيت بهذا الوادي حيث كان يقيم الأربة .

(٧) الثنايا جمع ثنية : وهي طريق في الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وثيد :
 صوت شديد . أي هل أحيا ثانية في تلك الأرض الخالية التي تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما
 بالهوى العذري .

- وهل ألقين سعدى من الدهر مرة
وقد تلتقي الأهواء من بعد يأسه
وهل أزجرن حرفاً علاة شيلة
على ظهر مرهوب كأن نشوزه
سبتنى بعيني جؤذر وسط ربرب
فمن يعط في الدنيا قرينا تكتلها
يموت الهوى منى إذا ما لقيتها
يقولون : جاهدا يا جميل بغزوة
فكل حديث ينهن بشاشة
ومن كان في حي بثينة يمتري
ألم تعلمي يا أم ذى الودع أنني
وما رث من جبل الصفاء جديد (١)
وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
بخرق تباريها سواهم سود (٢)
إذا جاز هلاك الطريق رقود (٣)
وصدري كفائور اللجين وجيد (٤)
فذلك في عيش الحياة رشيد (٥)
ويحيا إذا فارقتها فيعود
وأى جهاد غيرهن أريد
وكل قتل ينهن شهيد (٦)
فبرقاء ذى ضال على شهيد (٧)
أضحك ذكراكم وأنت صلود (٨)

(١) رث : بلى . ما مبتدا خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصبح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الخرق : الفقر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهي الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نشوز جمع نشز : المكان المرتفع . رقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كان . (٤) سبتنى : أسرتنى . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الربرب : القطيع من بقر الوحش . القائور : الطست والجفنة . اللجين : الفضة . البليد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدا خبره (لها) محذوف .

(٥) القرين : صاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : مرور وبهجة .

(٧) يمتري ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات خجارة ورمل وطين أو كل شيء فيه سواد وبياض . وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من مواقفه فيها شاهدا على حبه الشديد .

(٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية وهو صار صغيراً بيض معروف . صلود : بخرقة .

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : (١)

قال لي صاحبي ليَعْلَمَ ما بي : أَتُحِبُّ الْقَتْلَ أَخْتُ الرِّبَابِ ؟ (٢)
 قلتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَذِّ بَ إِذَا مَا يُنْعَتَ طَعْمَ الشَّرَابِ (٣)
 مَبْنُ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بَأَنِّي ضِغْتُ ذُرْعًا بِهِجْرَهَا ؟ وَالْكَتَابِ ! (٤)
 أَزْهَقْتُ أَمْ نَوَفَلٌ إِذْ دَعَّتْهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ (٥)
 حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَجِيبِي ! فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الْخَطَّابِ (٦)
 فَأَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّ عَلَى رِجَالٍ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ (٧)
 أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهْمَاءِ تَهَادِي بَيْنَ نَحْمِيسَ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ (٨)

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة في بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الجبازية الرقيقة وبوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والثناء بالجواز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا .
 يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والأفنان في الغزل ولا سيما نوعه القصصي الذي تناول به نساء الأشراف في مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .

(٢) القتل : القاتلة . الرباب : اسم امرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أي كشوقك إلى الماء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت علي : إحدى صواحبات الشاعر . ضغيت ذرعا بهجرها : لا احتمله . والكتاب :

القرآن يقسم به .

(٥) أزهرقت : أهلك . مهجتي : روحي . أم نوفل رسول عمر إلى الثريا ، والمتاب التوبة يريد

أن قاتله لا يرى قتله ذنبا يستغفر أو يتوب منه . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أي أجابت أجابة الحاج يبغي الجزاء الجليل .

(٨) المهمة : البقرة الوحشية . تهادي : تمشي متأيلة . الكواعب جمع كاعب : وهي الفتاة الناهدة

التي . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، ومن في سنك .

- وهي مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا (١) في أديم الخدين ماءُ الشباب (١)
 دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمِحْرَابِ (٢)
 ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قُلْتُ بِهِرًا ! عَدَدَ النِّجَمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ ! (٣)
 حِينَ شَبَّ الْقَتُولَ وَالْجِيدَ مِنْهَا حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُ كَالزُّرْيَابِ (٤)
 أَذْكَرْتَنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ مِنْ دُجْنِيَّةٍ وَسَحَابِ (٥)
 فَأَرْجَحْتَنِي فِي حُسْنِ خَلْقِي عَمِيمٍ تَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَالْجُبَابِ (٦)
 غَضَبْتَنِي بِمَجَاجَةِ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي (٧)
 قَلَدُوهَا مِنْ الْقَرْنَفُلِ وَالْدَرِّ رَسَخَابًا وَاهَا لَهُ مِنْ سَخَابِ (٨)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

- أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا بَبْطَرٍ حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا (٩)
 إِلَى الشَّرِيِّ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَدَّلْتُ مَعَالِمَهُ وَبَلَا وَنَكَبَاءَ زَعْرَعَا (١٠)

- (١) مَكْنُونَةٌ : مصونة مستورة : تحير : اجتمع وتردد . أديم الخدين : يياضهما أو صفحتيها . ماء الشباب : رونقه وبهجه . (٢) الدمية : الصورة من العاج أو الرخام . الراهب : المقطع للعبادة . المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قويا . (٤) شب : زاد في الحسن . يرف : يلعب . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجينة : الظلمة . (٦) أرجحت : مالت واهتزت : عميم : تام . الجباب : الحية . تهادى : تمايل . (٧) مجاجة المسك : ينشر منها أريج . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : من النبات الطيب الرائحة . واهاله : عجبا من حسنه على جيدها . (٩) الأطلال جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الديار . المتربع : مكان إقامة الربيعة . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أى زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا : حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالنه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح . زعرعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادى الذى بدلت بمعاله أمطار ورياح .

- فَيَخْلُنْ أَوْ يُخَيِّرَنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا نَكَانَ قُوَادًا كَانَ قَدَمًا مُفَجَّعًا (١)
- يَهْنِدُ وَأَتْرَابَ لَهْنَدٍ إِذِ الْهَوَى جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ تَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا (٢)
- وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مَزَاجُهُ كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّحِيقَ الْمَشْعَشَعَا (٣)
- وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا (٤)
- تَتَوَعَّتَنَ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سُقْمُهُ وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الْحَدِيثَ الْمَوْدَعَا (٥)
- فَقُلْتُ لِمَطْرِيهِنَّ بِالْحُسْنِ : إِنَّمَا ضَرَرْتُ ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا ؟ (٦)
- وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشَرَى وَإِنْ كَانَ قَدْ صَحَا قُوَادُ بَامْشَالٍ الْمَهَا كَانَ مُوزَعَا (٧)
- وَهَيَّجَتْ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا وَأَشْيَاعُهُ ، فَاشْفَعُ عَسَى أَنْ تُشَفَّعَا (٨)
- لَئِنْ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا فَمَا أَرَى كَمَثَلِ الْأَلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا (٩)
- فَقَالَ : تَعَالَ أَنْظُرْ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ بِي أَخَافُ مُقَامَا أَنْ يَشِيعَ فَيَشْتَنَعَا ؟ (١٠)

(١) نَكَأ الجرح : خشره قبل برئه . مفجعا : موجعا يهتد وأترابها .

(٢) جميع : مجتمع . يتصدع : يتفرق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرقيق : الخمر أو أفضاها . المشعشع : الممزوج . يقول : كما يمزج بين امزاج الماء بالخمر في الشدة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللاتم . الواشي : التمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تتوعتن : تووصفن . أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب : مرضه من الحب المودع : الماضى .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكا . الغرام فى تقسى . النفع هنا : صلاته بهن .

(٧) أشريت قوادى : حركته الى الهوى فتحرك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشباع : جمع شبعة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك فيصلنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت بهن .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشيع : يفتيح .

فَقَالَ : اِكْتَفِلْ ، ثُمَّ التَّمْ ، فَأَتَتْ بَاغِيَا فَسَلِمَ ، وَلَا تُكْثِرْ بَانَ تَتَوَرَّعَا (١)
 فَإِنِّي سَأُخْفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى مَخَافَةَ أَنْ يَفْشُو الْحَدِيثُ فَيُسْمَعَا
 فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي لِمَوْعِدِهِ أَزْجَى قَعُودًا مَوْقَعَا (٢)
 فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا ، وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وَجْوهُ زَهَاهَا الْحَسَنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا (٣)
 تَبَاهَنَ بِالْعِرْفَانِ لِمَا عَرَفْتَنِي وَقُلْنَ : امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا (٤)
 وَقَرَّبَتْ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتِّيمٍ يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلًّا قِسْنَ إِصْبَعَا (٥)
 فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي : أَخِيفْتُ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْذَعَا ؟ (٦)
 فَبِالْأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا إِلَيْكَ ، وَيَبْنَاهُ الشَّائِنَ أَجْمَعَا (٧)
 فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقٍ مَوْعِدٍ عَلَى مَلَأٍ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا (٨)

- (١) اِكْتَفِلْ : استتر بالكفل وهو في الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التَّمْ : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتورع : تتحشم .
- (٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يفتعده الراعي في كل حاجة . الموقع : الذي ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .
- (٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس الفناع فأسفرت معجبة بجمالها .
- (٤) تباهن : ادعين البله ، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعياء وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .
- (٥) المتيم : الذي دلهه الحب .
- (٦) تنازعنا : تبادلنا .
- (٧) الشأن أجمعا : الأمر جميعه أى رسمناه الخطة .
- (٨) الوفق : المطابقة . الملاء : الجماعة .

رَأَيْنَا خَلَاءَ مِنْ عُيُونٍ وَمَجْلَسًا ۚ دَمِثَ الرُّبَا سَهْلَ الْمَحَلَّةِ مُسْرِعًا^(١)
وَقُلْنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامٍ ۚ فَحَقُّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَعًا

(٢٠) قَالَ كَثِيرٌ عَزَّةَ :^(٢)

خَلِيلِي هَذَا رَبِيعُ عَزَّةَ فَاعْقِلَا ۚ قَلُوصِيكُمَا تَمَّ ابْيَاسًا حَيْثُ حَلَّتِ^(٣)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا الْمَوَى ۚ وَلَا مُوْجَعَاتِ الْحَزَنِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ
فَقَدْ حَلَفْتُ جَهْدًا بِمَا تَحَرْتُ لَهُ ۚ قُرَيْشُ غَدَاةَ الْمَازِمِينَ وَصَلَّتِ^(٤)
أُنَادِيكَ مَا جَجَ الْجَجِيجُ وَكَبُرْتُ ۚ بِقِيْفَا غَزَالِ رُقْقَةٍ وَأَهَلَّتِ^(٥)
وَكَانَتْ بَقِطْعِ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ۚ كَاذِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتِ^(٦)

(١) الدميث : اللين ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . ممرع : مخصب .
(٢) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة في الشرف والشعر الغزلي ما كان لجميل أو عمر أو سواهما
من الغزليين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا في الحب غير مرغوب فيه لقبع صورته وهوان شخصيته فوق ثقافته السيئة
وتردده بين الشيعة وبنى أمية ، أخذ يشهر بيزرة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ .
وما بقي من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وإن كان لا يبلغ في صدق الشعور مبلغ أضرابه
الغزليين .

ح (٣) الربيع : الدار . عقل البعير : شدّ وظيفه إلى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة .
القوائم . يدعو صاحبه المزعومين إلى المكث عند ربيع صاحبه والبكاء عنده وفاء لها .
(٤) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت في البين . تحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، ويقال
المأزمان : مضيق بين جمع وعرة وأحزبين مكة ومعنى . والمعنى أنسى بالله لتقطعني .
(٥) أناديك : أجالسك من النادى والندى وهما المجلس كما في الأمالى . الججيج : جمع ججج وهو
قاصد مكة للنسك . قيفا الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرفقة : مثلثة الراء : الأصحاب . أهلت :
رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٦) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدته ولم تقدر . حلت : خرجت من عهده لما أوفته .

- فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ اذا وُطِنْتُ يوماً لها النفسُ ذَلَّتْ (١)
ولم يَلَقَ انسانٌ من الحُبِّ مِيعَةً تَعُمُ ولا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ (٢)
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ من الصَّمِّ لو تَمَشَّى بها العُصْمُ زَلَّتْ (٣)
صَفُوحًا قَدْ تَلَقَّاكَ الْإِلا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ (٤)
أَبَاحَتْ حِمِّي لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ (٥)
فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدْتُ بِجَبَلٍ ضَعِيفٍ غُرٌّ مِنْهَا فَضَلَّتْ (٦)
وَعُودِيَرٍ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحَلَهَا وَكَانَتْ لَهَا بَاغٍ سِوَايَ فَبَلَّتْ (٧)
وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ (٨)
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلَعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ عَلَى ظَلْعِهَا بِعَسَدِ الْعَثَارِ اسْتَقَلَّتْ (٩)

- (١) وطنت : مهدت وأعدت . ذلت : سهلت ولانت .
(٢) الميعة : الشدة وأول الشيء وأصله . الغماء : الكرب . تجلت : انكشفت وزالت .
(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت . يقول : لما أعرضت عنى لا يجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .
(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .
(٥) الحى : ما يحى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته برعاه الناس بدخولهم إليه .
التلاع : جمع تلة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، ويريد أنها ملكت عليه نفسه بالحُب حين لم ينقطع ذلك سواها
(٦) عر منها : قطع .
(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وزهبت .
(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالثلف . شلت : قطعت أو يبتست
(٩) الظلع : العيب والعز في المشى . تحاملت على ظلعها : تكلفت الناقة السير على رُغمها . استقلت : استقام مشيا . يمتنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

- أُرِيدُ الثَوَاءَ عِنْدَهَا ، وَأُظَنُّهَا إِذَا مَا أَطْلُنَا عِنْدَهَا الْمَكْثَ مَلَّتْ (١)
- فَمَا أَنْصَفْتُ : أَمَا النِّسَاءَ فَبَغَّضْتُ إِلَيَّ ، وَأَمَّا بِالنَّبِوَالِ فَضَنَنْتُ (٢)
- فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَاهْلًا وَمَرْحَبًا ! وَحَقَّقْتُ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلْتُ (٣)
- وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّ وِرَاءَنَا مَنَادِحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتْ (٤)
- خَلِيلِي إِنْ الْحَاجِبِيَّةَ طَلَّحْتُ قَلُوصِيكَا وَنَاقِي قَسْدٍ أَكَلْتُ (٥)
- فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
- وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتْ
- وَأَضْحَتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ فَلَا الْقَلْبَ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ (٦)
- فَيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّئَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ (٧)
- وَأِنِّي وَتَهْيَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ (٨)
- لَكَ الْمُرْتَجَى ظِلُّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْقَيْلِ اضْمَحَلَّتْ (٩)

(١) الثَوَاءُ : الإقامَةُ . (٢) ضَنَنْتُ : بَخَلْتُ .

(٣) الْعُتْبَى : الإِغْتَابُ ، يُقَالُ عَاتَبَنِي فَلَانُ فَاعْتَبَنِي إِذَا نَزَعْتَ عَمَّا تَابَنِي عَلَيْهِ . أَيْ إِذَا عَدَلْتَ عَنِ الْقَطِيعَةِ وَالصَّدِّ سِرْرًا وَأَعْتَبْنَاهَا كَذَلِكَ . قُلْتُ : أَيْ هِيَ شَيْءٌ قَلِيلٌ مُحْتَمَلٌ .

(٤) الْأُخْرَى : يَقْصِدُ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجَرَ . الْمَنَادِحُ : الْوَاسِعَةُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْأَرْضِ . الْعَيْسُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالُطُ بَيَاضَهَا شَقْرَةً . كَلَّتْ : أَعْيَتْ مِنَ السَّيْرِ .

(٥) طَلَّحْتُ : أَكَلْتُ وَأَتَعَبْتُ . وَالْحَاجِبِيَّةُ : لَعْلَهُ لَقَبُ عِزَّةٍ .

(٦) الشَّاهِقُ : الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَبْنِيَةِ وَغَيْرِهَا .

(٧) اعْتَرَفَهُ : ضَبَرَهُ . يَرِيدُ قُوَّةَ صَبْرِهِ عَلَى أَهْوَالِ الْحُبِّ . وَخُضُوعَ نَفْسِهِ لَوِيْلَاتِهِ .

(٨) التَّهْيَامُ : كَالْجُنُونِ مِنَ الْعَشَقِ . تَخَلَّى مِنَ الشَّيْءِ : تَرَكَهُ .

(٩) الْغَمَامَةُ : السَّحَابَةُ أَوِ الْبَيْضَاءُ خَاصَّةً . تَبَوَّأَ الْمَكَانَ : نَزَلَ فِيهِ . الْمَقِيلُ : التَّوَمُ نِصْفُ النَّهَارِ . اضْمَحَلَّتْ : انْقَشَعَتْ . يَشْبَهُ تَعْلُقَهُ بِعِزَّةٍ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بِاللَّاجِئِ إِلَى ظِلِّ سَحَابَةٍ ، وَوَجْهَ الشَّيْءِ الطَّمْعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَحَّلٍ رَجَّاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ (١)
فَإِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ : فِيمَ هَجَرْتَهَا فَقُلْ : نَفْسٌ حَرَّسْتُ قَتَلْتُ !

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .
أما بعد فأني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين . فإن
توليت فإن عليك إثم الأريسيين . (٢) ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن
تولوا فقولوا أشهدوا بآنا مسلمون .

وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش : (٣)

بِسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله ، سهيل بن عمرو ؛ اصطلحا على
وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض
على أن من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع

(١) المحل : المجذب بعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة تزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصدا
مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار وبعد تراسل بينهما تصالحا على ما في هذه
الصحيفة .

محمّد لم يردّوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة^(١) ، وأنه لا إسلال ولا إغلال^(٢) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل نخرجنا عنها فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، وإن معك سلاح الرّاكب والسيف في الركب ، فلا تدخلها بغير هذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صدق الله وعده^(٣) ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلّ مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين^(٤) ،
إلا سداثة البيت وسقاية الحاج^(٥) ، ألا وقيل الخطأ العميد بالسوط والعصا فيه الدية مغلظة فيها أربعون خليفة^(٦) ، في بطونها أولادها . يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم خلق من تراب . ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

(١) العيبة : موضع السرّ أو الخريطة للاباس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ما وعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأثرة : الجليل . الدم : القتل .

(٥) سداثة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسداثة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نخوة الجاهلية : جهالتها وسفهاها .

يا معشر قريش ! ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ .

قال : اذهبوا فاتم^(١) الطلقاء .

(٢) ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم
عبادة الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير « أما بعد » أيها
الناس اسمعوا مني أيين لكم ، فإنني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موافقي
هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده
أمانة فليؤدها إلى من ائتمنته عليها . وإن ربا الجاهلية مَوْضُوعٌ^(٣) ، وإن أول ربا أبدا به
ر با عُمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ؛ وإن أول دم
أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن ماثر الجاهلية موضوعة^(٤)

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذي يؤسر ثم يخلي عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء وأغتصاب الأموال .

(٤) موضع : نقاط لا حساب عليه .

غير السّدانة والسّقاية . والعمدُ قودٌ^(١) ، وشبهُ العمدة ما قُتِلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةٌ
بغير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبدَ
في أرضكم هذه ؛ ولكنه قد رضى أن يطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق . لكم عليهن ألا يوطئنَ
فرشكم غيركم ، ولا يدخلنَ أحدًا بيوتهنَّ إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ ؛
فإن فعَلْنَ فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهنَّ وتهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ^(٢)
ضرباً غير مبرحٍ ؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف ؛ فاتقوا الله^(٣)
في النساء ، واستوصوا بهنَّ خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إنما
المؤمنون إخوة ؛ فلا يحلُّ لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسٍ منه ، ألا هل
بلغت ؟ اللهم اشهد ! فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقابَ بعض ؛ فإنى
قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !
أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم ، وأدم من تراب ، أكرمكم
عند الله اتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم
اشهد ! قالوا : نعم ! قال فليبلغ الشاهد الغائب . والسلام عليكم ورحمة الله !

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمداً .

(٢) العضل : التضيق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إِنْ مَثَلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ^(١) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ، فَذَلِكَ مَثَلٌ مِنْ فِقْهِ فِي دِينِ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعِلِمٌ وَعِلْمٌ ، وَمَثَلٌ مِنْ^(٣) لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا ،^(٤) فَأَنَا أَخَذُ بِجُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا .

أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَنْتَمُكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ^(٥) .

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ^(٦) تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْجُمَى .

(١) أجادب : قيل جمع أجذب ، جمع جذب . (٢) القيعان جمع قاع : أرض

مهلهة مطمئنة انفسرجت عنها الجبال . (٣) ذلك إشارة الى المثل الاول : الطائفة الطيبة .

(٤) إشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم في الشيء .

دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجرة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث

على قيمة التناهي عن الشر في الجماعات والشعوب . (٩) دعى بعضها بعضها لمشاركته في الألم .

أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا : قِيلَ : أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ أَنْصُرْهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ .

مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسَنَةِ الْإِقْيَاضِ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سَنَتِهِ .
مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .

نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ؛ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ .
وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ مِنْهُ الْقَوْمَ فَيَكْذِبَ وَيَلُ لَه ، وَيَلُ لَه !

لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمْعَةً : يَقُولُ : أَنَا مَعَ النَّاسِ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتُ ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتُ ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ .

(٢) لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

خَطْبَتُهُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ (١)

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنٌ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ بَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسَهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ

(١) وَيْلُ لَهُ : أَيْ شَرُّ أَوْ هَلَاكٌ يَحُلُّ بِهِ تَسْتَعْمَلُ فِي التَّهْوِيلِ وَالْإِنْذَارِ .

(٢) الْإِمْعَةُ : الْمُرْتَدُّ لَا يَثْبُتُ عَلَى رَأْيٍ كَمَا يَفْسِرُ ذَلِكَ سَائِرُ الْحَدِيثِ .

(٣) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ عَتِيقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الْقُرَشِيُّ وَلَدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ كَانَ أَسْبَقَ الرِّجَالِ إِسْلَامًا وَالزَّمَمُ لِلرَّسُولِ وَأَكْثَرُهُمْ بَلَاءً فِي خِدْمَةِ الدِّينِ ، وَلَمَّا تَوَفَّى الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَلَفَهُ عَلَى سِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ النَّاشِئَةِ فَكَانَ مِثَالِ الْحِكْمَةِ وَالتَّصْحِيحِ ؛ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ ١٣ هـ وَكَانَ لَعَلَّهُ وَنَشَأَتُهُ الْقُرَشِيَّةُ وَتَأْدِيهِ بِالْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي مَلَاعَتِهِ الَّتِي تَلَمَسُ فِي آثَارِهِ .

(٤) يَوْمُ السَّقِيفَةِ : يَوْمُ اجْتِمَاعِ الْعَرَبِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سُلَيْمَةَ عَقِبَ وَفَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّظَرِ فِيْمَنْ يَخْلُفُهُ وَتَنَافُسٍ فِي ذَلِكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ .
(٥) الْحَسِبُ : مَفَاخِرُ الْآبَاءِ .

صلى الله عليه وسلم . أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى
 ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان)) فنحن
 المهاجرون ، وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفئ^(١) وأنصارنا على العدو .
 أوتيتم ووأسيتم . بفراكم الله خيرا ! فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . لا تدين العرب
 إلا لهذا الحى من قريش ؛ فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله^(٢)
 من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إني مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله . إن الله عملا بالليل لا يقبله
 بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبله بالليل . وإنه لا تقبل نافلة^(٣) حتى تؤدي الفريضة ؛
 فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله
 عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين
 من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع
 فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا . إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم
 وتجاوز عن سيئاتهم ؛ فإذا ذكرتهم قلت : إني أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر
 أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو
 ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راها ،

(١) الفئ : الغنمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التي لا يجب أداؤها بل يستحب . والفريضة : ما يجب أداؤه من أمور الدين .

ولا يمتنى على الله غير الحق ، ولا يُلقى بيده إلى التهلكة^(١) ، فإذا حفظت وصيتي فلا
يَكُنْ غائباً أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيَّعت وصيتي فلا يكن غائباً^(٢)
أبغض إليك من الموت ولست بمُعجز الله .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف في علة التي مات فيها فقال له أراك بارئاً
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ على^(٣)
من وجعني . إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له^(٤)
الأمر من دونه . والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ، ولتألمن النوم على^(٥)
البصوف الأذري^(٦) كما يآلم أحدكم النوم على حسك السعدان . والذي نفسي بيده لأن^(٧)
يقبدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا .^(٨)
يا هادي الطريق جرت . إنما هو والله الفجر أو البجر^(٩) .^(١٠)

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب إليه كما أن تضييعها يبغضه في الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك إشارة إلى البر من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفه : أي امتلاء غيظاً ، وذكر الأنف . لتأثره بالغضب ، كما يقال شخ بأنفه للتكبر ،

أي رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما تضد في البيت من أثاث .

الديباج : الثوب : سداة ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذري : نسبة إلى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها

التي تحير الناس . (١٠) جرت : حدثت عن جادة المصواب .

(١١) يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن سلكت الظلمات

وقعت في المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداهية .

(٣) نبذة من كلام عائشة^(١)

قالت على قبر أبيها :

نَصَّرَ اللهُ يَا أَبَتِ وَجْهَكَ^(٢) وشَكَرَكَ صَاحِحَ سَعِيكَ ، فَلَقَدْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا
بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا ، وَلِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا ، وَلَئِنْ كَانَ أَكْثَرُ الْمَصَائِبِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِزْوُوكَ ، وَأَكْبَرُ الْأَحْدَاثِ بَعْدَهُ فَقَدْ كُنْتَ — فَإِنَّ كِتَابَ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ
لَيَعِدُنَا بِالصَّبْرِ عَنْكَ حُسْنَ الْعَوَظِ مِنْكَ ، وَأَنَا مُسْتَنْجِزَةٌ مِنْ اللهِ مَوْعِدَهُ مِنْكَ بِالصَّبْرِ
عَنْكَ ، وَمُسْتَعِينَةٌ كَثْرَةَ الْإِسْتِغْفَارِ لَكَ . فَسَلَامُ اللهِ عَلَيْكَ تَوْدِيعَ غَيْرِ قَالِيَةِ لِحْيَاتِكَ^(٥) ،
وَلَا زَارِيَةٍ عَلَى الْقَضَاءِ فِيكَ .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب^(٦)رسالته في القضاء الى أبي موسى الأشعري^(٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ : سَلَامٌ
عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ . فَافْهَمْ إِذَا أَدْلَى إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ

(١) هي السيدة عائشة بنت أبي بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوجها صغيرة ، فتشأت راوية
للحديث عالمة بالدين متأدبة بالأدب العالي . وقد كان لها في الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف
مشهورة . (٢) نصر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فإن كتاب الله الخ .

(٤) مستنجرة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عاتبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي ولد في البجالة وربي فيها وعرف بالشجاعة والحزم
والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولي الخلافة بعد أبي بكر
قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . ويعد عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأنقدهم
للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولي قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف

معروف في مسألة التحكيم بين علي ومعاوية . (٨) أى تقدم اليه المتقاضون بحجبتهم .

لَا يَفْعُ تَكَلُّمٌ بِحَقِّ لَا نَفَازَ لَهُ . ^(١) آسَ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى
لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، ^(٢) وَلَا يَيْئَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ . الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ،
وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ . وَالصُّلْحُ جَائِزٌ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا صَلَاحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ
حَافِلًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ الْيَوْمَ ، فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلَكَ ، وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ
أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمَرَاجِعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .
الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلْجُلُجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ . ^(٤) ثُمَّ أَعْرِفِ الْأَشْبَاهَ
وَالْأَمْثَالَ ؛ فَيُقَسَّ الْأُمُورُ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَاعْتَمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ .
وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهَى إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَحْضَرَتْ بَيِّنَتَهُ أَخَذَتْ لَهُ
بِحَقِّهِ ، وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةَ ؛ فَإِنَّهُ أَنْتَى لِلشَّكِّ وَأَجَلَى لِلْعَمَى . الْمُسَامُونَ عُدُولٌ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا بِمَجْلُودٍ فِي حَدٍّ أَوْ مُجَرَّبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ أَوْ ظَنِينًا فِي وَلَاءٍ
أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ ^(٦) . وَإِيَّاكَ وَالْقَلَقَ
وَالضُّجْرَ وَالتَّأَدَّى بِالْخُصُومِ وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ ^(٧)
يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذِّكْرَ ؛ فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ كِفَاهُ اللَّهِ مَا بَيْنَهُ

(١) آس بين الناس : سوينهم .

(٢) الحيف : الميل أى ميالك معه لشرفه .

(٣) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .

(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٧) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبين الناس . ومن تَخَلَّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك^(٢)
 بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .^(٣)

وكتب الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام عليكما
 فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد) فقد جاءني كتابكما تزعمان أنه بلغكما أني
 وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف^(٤)
 والوضيع ، وكتبتما أن انظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وإنه لا حول ولا قوة لعمر
 عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تحذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقدما كان اختلاف^(٥)
 الليل والنهار بأجال الناس يقربان كل بعيد ويؤيلان كل جديد ، ويأتیان بكل
 موعود ، حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ، ثم توفي كل نفس بما كسبت
 إن الله سريع الحساب . كتبتما تزعمان أن أمر هذه الأمة ، يرجع في آخر زمانها أن
 يكون إخوان العلانية أعداء السرية ولستم بذلك . وليس هذا ذلك الزمان ،
 ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون رغبة بعض الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر ثقافته .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بأجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورهبةُ بعض الناس إصلاح دُنياهم . وَكَتَبْتُما تُعَوِّذَانِي بِاللَّهِ أَنْ أُنْزَلَ
بِكُتَابِكُمَا مِثِّي سِوَى الْمُنْزَلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكُمَا . وَأَنَا كَتَبْتُما نَصِيحَةً لِي . وَقَدْ صَدَقْتُما .
فَتَعَهَّدَانِي مِنْكُمَا بِكُتَابٍ ؛ فَلَا غِنَى بِي عَنْكُمَا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا !

(٥) من خطب عثمان بن عفان :

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً . وَإِنْ لِكُلِّ نِعْمَةٍ عَآفَةٌ . وَإِنْ آفَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعَآفَةُ
هَذِهِ النِّعْمَةِ عَيَّابُونَ ظَنَّائُونَ ؛ يَظْهَرُونَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، وَيُسْرُونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يَقُولُونَ
لَكُمْ وَتَقُولُونَ ، طَغَامٌ مِثْلُ النَّعَامِ^(٢) ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ^(٣) .
لَقَدْ أَقْرَرْتُمُ ابْنَ الْخَطَّابِ بِأَكْثَرِ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ^(٤) ، وَلَكِنَّهُ وَقَمَكُمْ وَقَمَكُمْ وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ
النِّعَامِ الْمُخْزَمَةِ ؛ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ، وَأَقْنُنْ إِنْ قُلْتُ هَلُمَّ ! أَنْ تَجَابَ
دَعْوَتِي مِنْ عُمَرٍ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حُقُوقِكُمْ شَيْئًا ؟ فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي الْحَقِّ مَا أَشَاءُ ؟
إِذَا فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا ؟

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموي القرشي . ولد في الجاهلية وسبق إلى الإسلام ، وأبلى
في نصرته . ثم ولي الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق
بحجة إثارة أقاليمه . وحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأرجهم لفظاً
وأسلهم أسلوباً بحكم نشأته القرشية ودراسة القرآن الكريم .

(٢) الطغام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من ترحت البئر قل مأواها أو فقد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقمكم : قهركم .

كتابهُ الى عليّ يستنجد به حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السيلُ الزبيُّ^(١)، وجاوز الحزامُ الطيِّين^(٢)، وطمع فيّ من لا يدفعُ
عن نفسه، ولم يغلبك مثلُ مُغَلَّبٍ^(٣) . فأقبل إلى صديقاً كنت أو عدواً .

فإن كنتُ ما كُؤلاً فكُنْ خيراً آكلٍ وإلا فادرَكْنِي ولما أُمزِقَ

(٦) بلغ عليّ بن أبي طالب^(٤) أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار،

فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان ،

نخرج مُغضباً وخطب الناس

أما بعد، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه اللهُ لِخاصَّةِ أوليائه وهو لباسُ
التقوى ودرعُ الله الحَصِينَةُ^(٥) ووجته الوثيقَةُ^(٥)؛ فمن تركه رغبةً عنه ألبسه اللهُ ثوبَ
الذُّلِّ، وشِمْلَهُ البلاءِ، وديثُ بالصَّغارِ^(٦) والقِماءِ، وضربَ على قلبه بالأَسَدادِ، وأدبَلِ

(١) الزبي : جمع زبيسة : مصيدة الأسد وتكون في قلة أوراكية أو هضبة : والتركيب : كناية عن
بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبية .

(٢) الطييان مشى طبي واجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلقات الضرع) ومجاوزة الحزام الطييين
كناية عن الإشراف على الهلاك . (٣) المغلب : الضعيف الذي يغلب كثيرا ، فإذا قدر عليك

لا يرجع عنك . وهذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد علي بن أبي طالب قبيل الاسلام ونشأ في بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان
ثم صاحب الدولة الاسلامية في أوليتها مجاهدا وناصرها بعد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان وبايعه أهل
المجاز قام في وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما قن وحروب ومكائبات الى أن قتل على غيلة
سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه في الخطابة وتملكه زمام البلاغة التي تنطق
بها آثاره الصحيحة . (٥) الجنة : الوفاة . (٦) ديث : ذل . والقِماء : الذل والمهانة .

الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف^(٢) . ألا وإني قد دعوتكم
إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم : اغزؤهم قبل
أن يغزؤكم^(٣) ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم^(٤)
حتى شئت الغارات عليكم، ومليكت عليكم الاوطان^(٥) . وهذا أخو غامد قد
وردت خيله الأنبار^(٦) ، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن
مساحلها . ولقد بلغت أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى
المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها وريعاتها، ما تمنع عنه إلا بالاسترجاع^(٧)
والاسترحام . ثم أنصرفوا وإفرين^(٨) ، ما نال رجلاً منهم كلم^(٩) ، ولا أريق لهم دم،
فلو أن امرأةً مسلمة ماتت من بعد هذا أسفاً ما كانت به ملوماً، بل كان به عندي

(١) أي صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) تواكلتم : اتكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعث معاوية مغيراً على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات .

(٧) المساحل : جمع مسلحة وهي الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعات : جمع رعة بالفتح وتحرك : الفرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله وإنا إليه راجعون)

(١٢) أي لم ينل أحد منهم في مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جَدِيرًا ^(١) فَيَا عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيَحْيِيهِمُ الِهِمُّ : اجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ
وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، فُقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ،
وَتَغْزُونَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصِي اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ ، فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ
قَلْتُمْ : هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ ، أَمِهْلُنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْحَرُّ . وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ
قَلْتُمْ : هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرَى ، أَمِهْلُنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ . كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرَى
فَأْتَمَّ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرًا . يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ، وَلَا رِجَالَ ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ
رَبَّاتِ الْجِمَالِ . لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ^(٥) | مَعْرِفَةُ اللَّهِ بَجَرَّتْ نَدَمًا ، وَأَعْقَبَتْ
سَدَمًا ^(٦) . قَاتَلَكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمُ قَلْبِي قَيْحًا ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَعْتُمُونِي نَغَبَ
الْتِّهَامِ أَنْفَاسًا ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخَذْلَانِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ :
إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، اللَّهُ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ
مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مَرَّاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ
وَهَآنَذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيْنِ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يَطَاعُ ^(٩) .

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القَيْظِ : شدة الحر .

(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .

(٤) أى شدة البرد .

(٥) ربّات الجمال : النساء . والجمال جمع جملة : القبة ، وموضع يزين بالسور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أى لا ينفع رأى للذى لا يسمع له .

(١) وكتب الى معاوية جوابا عن كتاب منه :

أَمَّا طَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ
إِنِّي الْحَرْبَ قَدْ أَكَلْتُ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، ^(٢) أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ
فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فِي النَّارِ . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ
بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةُ
كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبُ كَعْبِدِ الْمَطْلَبِ ، وَلَا أَبُو سَفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ
كَالطَّلِيقِ ، ^(٤) وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ^(٥) ، وَلَا الْمُحَقِّ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ^(٦) ، وَلِبَنَسٍ
أَخْلَفُ يَتَّبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ . وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبِيِّ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ
وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا أَسَلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَكُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ^(٧) عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ
بِسَبْقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ ، فَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا
وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا .

(١) كتب معاوية الى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم
الحروب ويخوفه ويذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جد معاوية ، وعبد المطلب : جد علي .

(٤) الطليق : من أسرف أطلق بالمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب في ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى إليهم وهو أجنبي .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أي رغبة في خير أو خوفا من شر أي غير مخلصين .

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة (١)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإنى والله ما وليتها بحجة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ؛ ولكن جالدتكم^(٢)
بسيفي هذا مجالدة^(٣) . ولقد رصت لكم نفسي على عمل ابن أبي حشافة^(٤) ، وأردتها على
عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سنيات عثمان فأبت على .
فساكت بها طريقاً إلى ولكم فيه منفعة^(٥) ، مؤاكلة حسنة ومشاركة جميلة . فإن لم
تجدوني خيركم فإنى خير لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له .
وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبراً أذنى^(٦)
وتحت قدمي . وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه . فإن أتاكم مني
خير فاقبلوه ؛ فإن السيل إذا جاء أثرى ، وإن قل أغنى^(٧) . وإياكم والفتنة فإنها تفسد
المعيشة وتكدر النعمة .

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ولد إبان ظهور الإسلام وورث عن أهله
حصافة وحسن حيلة . كان يتطلع إلى الملك فلما مات عثمان ، وكان هو على الشام نازع علياً الخلافة . وكانت
بينهما أحداث وقتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى إذا قتل على وخلفه الحسن وشغب عليه جندده صالح الحسن
ابن علي معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة الأموية على يد معاوية وكان
معاوية بليغا وإن كان لا يبلغ شأواً على ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أى الخلافة .

(٣) جالدتكم : ضاربكم .

(٤) ذلتها ومررتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذنى : خلفها ، أى أتركه .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأغناهم جعلهم مكتنين لا يحتاجون .

(٨) خطبة زياد البراء بالبصرة حين قدم واليا عليها

من قبل معاوية

أما بعد، فإن الجهالة^(١) الجهلاء^(٢) . والضلالة^(٣) العمياء، والنفي^(٤) المؤفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماءكم^(٥)، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب العظيم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي^(٦) الذي لا يزول. أنكونون كمن طرقت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات^(٧)، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله. ما هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة^(٨) المسلوكة في النهار المبصر، والعدد غير قليل؟ ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبي سفيان . ولد في السنة الأولى للهجرة . وكان منذ صغره ذكيا هماما شديد الرأي ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكماسة . ثم استلحقه معاوية أخا له بعد مقتل علي . وبقى من رجال الدولة المحدثين حتى مات سنة ٥٣ هـ . وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة صارمة فيها للدين والسياسة ، تعد حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد في تأثيره الخطابي على الارهاب والوعيد في أسلوب جزل . وقالوا : انما سميت خطبته هذه البراء لعدم بدتها بحمد الله وقيل غير ذلك .

(٢) جهالة جهلاء : شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء : التي لا هدى معها .

(٤) السفه : سي الخلق وضده الخليم .

(٥) السرمدي : الدائم .

(٦) نكاية عن تمكن الشهوات من قهوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا .

(٧) المواخير : جمع ما خور : بيت الرية والفحش .

(١) دَلَجَ اللَّيْلَ وَغَارَةَ النَّهَارَ، قَرَّبْتُمُ الْقَرَابَةَ، وَبَاعَدْتُمُ الدِّينَ، تَعْتَذِرُونَ بِغَيْرِ الْعُذْرِ، وَتَغْضُونَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ، كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَفِيهِهِ، صَنِيعٌ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً، وَلَا يَرْجُو مَعَادًا، مَا أَنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ، وَلَقَدْ اتَّبَعْتُمُ السَّفَهَاءَ فَلَمْ يَزَلْ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ (٢) حَتَّى اتَّهَكُوا حَرَمَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ كُنُوسًا فِي مَكَانِ الرَّيْبِ (٣) . حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أُسَوِّيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ : لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ . وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا خُذْنَ الْوَلِيَّ بِالْمَوْلَى، وَالْمُقِيمَ بِالظَّالِمِ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : ائْتِجْ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ (٥) أَوْ تَسْتَقِيمَ قَنَاتِكُمْ ! إِنَّ كَذِبَةَ الْأَمِيرِ بِلِقَاءِ مَشْهُورَةٍ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَى بَكْذِبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي، فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاعْتَمِزُوهَا فِيَّ (٧)، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثَالَهَا . مَنْ نُقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْ مَالِهِ . فَإِيَايَ وَدَجَّ اللَّيْلِ، فَإِنِّي لَا أُؤْتِي بِمُدْلِجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ، وَقَدْ أَجَلَّتْكُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْدَارِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَإِيَايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (٨)؛ فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَجَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ بِ

(١) دَلَجَ اللَّيْلَ : السَّيْرَ فِيهِ . وَالْمُرَادُ التَّلَصُّصُ وَالْفَتْكَ .

(٢) قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ : دَفَاعُكُمْ عَنْهُمْ .

(٣) الْكُنُوسُ : جَمْعُ كَانَسٍ، وَهُوَ الظُّلْمُ يَدْخُلُ فِي نَحْوِهِ أَى مَاوَاهُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ عَكَفُوا عَلَى الْمَعَاصِي .

(٤) الْوَلِيَّ : السَّيِّدَ . وَالْمَوْلَى : الْعَبْدَ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَأْخُذُ الْبَيْدَ بِذَنْبِ عَيْدِهِ . وَكَذَا الْبَاقِي .

(٥) مَثَلٌ يَضْرِبُ لِتَتَابِعِ الشَّرِّ . وَأَصْلُهُ أَنَّ أَخَوَيْنِ خَرَجَا فِي طَابٍ لَيْلٍ لَهَا فَرَجَعَ سَعْدٌ وَلَمْ يَرْجِعْ سَعِيدٌ .

(٦) الْمُرَادُ حَتَّى تَسْتَقِيمُوا . وَشَبَّهَهُم بِالْقَنَازَةِ وَهِيَ عَوْدُ الرِّيحِ .

(٧) اغْتَمَزُوهَا فِي : عَدَّوْهَا مِنْ عِيْوِي .

(٨) دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ : كِتَابَةُ عَنْ التَّنَاصُرِ بِتَأْثِيرِ الْعَصْبِيَّةِ سَفَهًا وَجَهَالَةً، وَأَضْلَاهَا يَا لِفُلَانِ اسْتِغَاثَةً .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبةً، فمن غرق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه،
ومن نقب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه فيه حيًّا . فكفُّوا عني أيديكم
والسنتكم أكفّف عنكم يدي ولساني . ولا تظهر من أحدكم ريبةٌ بخلاف ما عليه
عامتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين أقوامٍ إحن^(١)، فجعلت ذلك دبراً ذني^(٢)
وتحت قدمي . فمن كان منكم محسنًا فليردد إحسانًا، ومن كان منكم مسيئًا فلينزع عن
إساءته . إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السِّل من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك
له سِتراً حتى يبيدي لي صفحته^(٣)، فإذا فعل ذلك لم أنظره . فاستأنفوا أموركم،
وأعينوا على أنفسكم، فرب مبيتئس بقدمينا سيسر ومسرور بقدمونا سيبتئس . أيها
الناس ! أنا أصبحنا لكم ساسةً، وعنكم زادة^(٤) : نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا،
ونذود عنكم يقىء الله الذي خولنا^(٥)، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا
العدل فيما أولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيانا بمناصحتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت
عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجياً عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقاً
بليل، ولا حائساً عطاءً ولا رزقاً عن إبانته^(٦)، ولا مجمراً لكم بعثاً . فادعوا الله بالصلاح
لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدّبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أي خلفها : والمراد أني طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) زادة : حمة، جمع زائد أي مدافع .

(٥) يقىء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى .

(٦) إبان الشيء : أوانه .

(٧) تجنير الجند أو البعث حبسهم في أرض العدو .

تَصْلَحُوا . وَلَا تُشْرَبُوا قُلُوبَكُمْ بَغْضَهُمْ فَيَشْتَدَ لَكُمْ غِيْظُكُمْ ، وَيَطُولَ لَكُمْ حُزْنُكُمْ ،
وَلَا تُدْرِكُوا حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ . ^(١) أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ . وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفِذْ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ . ^(٢) وَإِيْمُ اللَّهِ إِنْ
لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً ، فَلْيَحْدَرْ كُلُّ أَمْرِيَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ .

(٩) خطبة عبد الله بن الزبير بعد أن قُتِلَ أَخُوهُ مُصْعَبُ ^(٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ
يَشَاءُ . أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَذِلَّ وَاللَّهُ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا ، وَلَمْ يَعِزَّ
مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ وَالْكَثْرَةِ . إِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبَرٌ مِنَ الْعِرَاقِ
بِلَيْدِ الْغَدِيرِ وَالشَّقَاقِ ، فَسَاءَنَا وَسَرْنَا : أَتَانَا أَنَّ مُصْعَبًا قُتِلَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ ،
فَأَمَّا الَّذِي أَحْرَقْنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَعَةٌ يَجِدُهَا حَيِّمُهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ،
ثُمَّ يَرْعَوِي ^(٤) بَعْدُ ذُو الرَّأْيِ وَالِدِينَ إِلَى بَحِيلِ الصَّبْرِ ، وَأَمَّا الَّذِي سَرْنَا مِنْهُ فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا
أَنَّ قَتْلَهُ شَهَادَةٌ لَهُ وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ ذَخِيرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . إِنْ أَهْلَ

(١) أى لو دعوتهم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طرقة ووجهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا خبيب . ولد بعد الهجرة بقليل ، وكان شجاعا باسلا

خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر
واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل إليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن
الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه واليا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو

السنه الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أَسْلَمُوهُ ، وَبَاعُوهُ بِأَقْلَ ثَمَنٍ . لَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ وَأَخُوهُ وَكَانُوا خِيَارَ الصَّالِحِينَ . إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَتَّى أَنْوِفْنَا ، مَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا ، قَعَصًا بِالرِّمَاحِ وَتَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، وَلَيْسَ كَمَا يَمُوتُ بَنُو مَرْوَانَ ، وَاللَّهِ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ قَطُّ . وَإِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ ^(١) مِنَ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ ، وَلَا يَبِيدُ مُلْكُهُ ، فَإِنْ تُقْبِلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لَا أَخُذْهَا أَخَذَ الْأَيْشَرُ الْبَيْطَرُ ^(٢) ، وَإِنْ تُدْبِرْ عَنِّي لَا أَبْكُ عَلَيْهَا بِكَاءِ الْخَرْفِ الْمُهِينِ ^(٣) .

(١٠) خطبة لِقَطْرِيٍّ بْنِ الْفُجَاءَةِ ^(٤)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَحَذَّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوءَةٌ خَيْصَرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ^(٥) وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَحَلَيْتْ بِالْآمَالِ ، وَتَرَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا ^(٦) ، وَلَا تُؤْمِنُ بِفَحْشَتِهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، خَوَّانَةٌ غَدَّارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ ^(٧) .

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله في مكانه .

(٣) أى شئ ، مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والمهين : الدليل الوضع .

(٦) قطري بن الفجاءة المازني خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغاتهم . نخرج زمن بني أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وقد ترجعنا له في قسم شعراء السياسة .

(٧) راقى العين بقله مناعها ، وتحببت الى الفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَبَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ
 (١) تَعَالَى ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ (٢)
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ مع أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا
 عِبْرَةٌ (٣) وَلَمْ يَلَقْ مِنْ سِرَّائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا (٤) وَلَمْ تَطْلُ فِيهَا غِيْثَةٌ رِخَاءً
 إِلَّا هَطَّاتٍ عَلَيْهِ مَزْنَةٌ بِلَاءٍ (٥) وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُشْتَصِرَةٌ أَنْ تُمَسِيَ لَهُ خَاذِلَةٌ
 مُتَنَكِّرَةٌ (٦) وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذٌ وَأَحْلَوَى (٧) أَمْرٌ عَلَيْهِ جَانِبٌ وَأَوْبَا (٨) وَإِنْ آتَتْ
 أَمْرًا مِنْ غَضَابِهَا وَرَفَاهَتِهَا نِعْمًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا نِقْمًا (٩) وَلَمْ يُمَسْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي جَنَاحٍ
 أَمِنْ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ (١٠) غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا فَإِنْ مَا عَلَيْهَا لَا خَيْرَ
 فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى . مِنْ أَقَلِّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمَنُ ، وَمِنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا
 اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبَقُ وَيُطِيلُ حُزْنَهُ ، وَيَبْكِي عَيْنِيهِ . كَمْ وَائِقِي بِهَا قَدْ جَفَعَتْهُ ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ
 إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي احْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمْ مِنْ ذِي أُبْهَةِ بِهَا ، قَدْ صَبَّرَتْهُ حَقِيرًا
 وَذِي نُحْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا .

- (١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم فلا تتجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية .
 (٢) الهشيم : النبت اليابس المكسر .
 (٣) العبرة : الدفعة قبل أن تفيض أى أحرته .
 (٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار .
 (٥) طلت السماء الأرض : قطرت عليها الطل . والطل : المطر الضعيف . والمزنة : السحابة الممطرة .
 (٦) أى عذب . (٧) أوبا : أصله أوبا أى صار ذا وباء .
 (٨) اغضاوة : النعمة والسعة والخصب .
 (٩) القوادم : الريش الكبير فى مقدم الجناح ، ويقابلها الخوافى .
 (١٠) يوبقه : يهلكه .

(١١) خطبة للحجاج حين ولي العراق^(١)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضجع الإمامة تعرفوني^(٢)

يا أهل الكوفة ! إني لأرى رؤوسا قد أينعت^(٣) وحان قطافها ، وإني لصاحبها .
وكأني أنظر إلى الدماء بين العائِم والتمى .

ثم قال :

هذا أوان الشّد فاشتدّي زيم قد لَفَّها اللَّيْلُ سَوَاقٍ حُطَمَ^(٤)
ليس براعى إبِل ولا غنم ولا يجرّار على ظَهْرٍ وَضَمَ^(٥)

ثم قال :

قد لَفَّها الليل يعصليّ أروع خراج من الدّوى^(٦)
مهاجر ليس بأعرابي

(١) يعدّ الحجاج بن يوسف الثقفي ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا في عهدها الأول ، أولهم على بن أبي طالب ، وثانيهم زياد . وقد شبّ الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحاكما مستبدا . خدم بني أمية ولا سيما عبد الملك في توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبته على خواصه النفسية ومذهبه في السياسة والحكم ، وأسلوبه الفني الذي يعتمد على الإيهام وعلى التضمين اللفظي وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أي ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب . الثنايا جمع ثنية : وهي الطريق في الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذي لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلي : الشديد . والأروع : الذكي . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخراج من

كل غنم شديدة .

وقال :

قد شمرت عن ساقها فشدا (١)
والقوس فيها وتر عرد (٢)
لا بد مما ليس منه بد (٣)

إني والله يا أهل العراق ما يقع لي بالشنان (٤) ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين .
والقد فُيرت عن ذكاه (٥) ، وقُتشت عن تجربة . وإن أمير المؤمنين — أطال الله
بقائه — تَرَ كَنَانَهُ بين يديه (٦) ، فعجم عيْدَانَهَا ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً (٧) ،
فرماكم بي ؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة (٨) ، واضطجعتم في سراقد الضلال . والله
لأخرمنكم حزم السامة (٩) ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل (١٠) ؛ فإنكم لكأهل قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس

(١) شمرت عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أى لا بد من وقوع المحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا وقع أى ضرب تقرت الإبل منه ، يضرب ذلك مثلاً
لنفسه أى أنه لا يرهيه وعيد أو تخويف .

(٥) فزال دابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سبها . وفر عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة
اختاره حاكماً لحدة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكانة : جعبة السهام . وعجم عيْدَانَهَا : عضها لينظر أياها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه
اختبر أعوانه فوجدنى أصلح لحكمكم . (٧) أى أقواها .

(٨) أى أسرعتم في الشر .

(٩) السامة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخيظ بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهى تضرب عند الهرب أو الخوض .

الجُوع والخوف بما كانوا يصنعون . وإني والله ما أقول إلا وقيتُ ، ولا أهُمُّ إلا
 أمضيتُ ، ولا أخلقُ إلا فرَّيتُ^(٢) . وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم^(١) ،
 وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة^(٣) . وإني أقسم بالله لا أجِدُ
 رجلاً تتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى^(٤) التي أوصى فيها الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد — حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم — فإن
 الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،
 ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وإن كانوا في الحقيقة سواءً ، وصرفهم في صنوف
 الصناعات وضروب المحاولات ، إلى أسباب معاشهم ، وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم
 معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات والعلم والرزانة ، بكم تنظم
 للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمروا

(١) خلق الأديم شقه . (٢) فرَّيت : قطعت .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر
 أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صحب
 مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفياً له في محنته حتى قتل سنة ١٣٢ هـ . ويعد
 عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل في تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طبعية لا يجاريه
 في ذلك أحد وقد ذكرنا له في الجزء الأول رسالة من قصار رسائله وله رسائل طوال منها رسالته إلى الكتاب
 التي نورد هنا قسمها منها .

بَلَدَانَهُمْ . لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ؛ فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ
 أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمْ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَلْسِنَتِهِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ،
 وَأَيْدِيهِمْ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ ^(١) . فَأَمْتَعَكُمْ اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صَلَاتِكُمْ ، وَلَا تَزَعِ
 عَنْكُمْ ، مَا أَضْفَاهُ ^(٢) مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ
 إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ ، أَيْهَا
 الْكَتَّابُ : إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ
 فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ
 الْحِلْمِ ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مِقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، مُحْتَاجًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ،
 مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْفَسَدِ وَالْإِنْصَافِ ، كَثُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا
 يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَاكِنِهَا ، قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ
 فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ، وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يُكْتَفَى بِهِ ، يَعْرِفُ
 بَغْرِيزَةَ عَقْلِهِ وَحُسْنَ أَدَبِهِ وَفَضْلَ تَجْرِبَتِهِ مَا يَرِدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ وُرُودِهِ ، وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُ
 عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ؛ فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ وَعَتَادَتَهُ ، وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ .
 فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكَتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ، وَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ وَابْدِءُوا بِعِلْمِ كِتَابِ
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا ثِقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ
 حَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ وَارْوُوا الْأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا
 وَسِيرَهَا ؛ فَإِنْ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ . وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ

(١) يبطش : يفتك ويسمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فِي الْحِسَابِ ، فَإِنَّهُ قِيَامُ كُتَابِ الْحَرَاجِ . وَارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا
وَسَفْسَافِ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ، فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ مَفْسَدَةٌ لِلْكُتَابِ . وَنَزَّهُوا صِنَاعَتَكُمْ
عَنِ الدَّنَاءَةِ وَارْبُتُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنِّيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ . وَإِيَّاكُمْ
وَالْكِبَرَ وَالسُّخْفَ وَالْعَظَمَةَ ، فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْتِنَةٍ . وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عِزَّ
وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ
سَلَفِكُمْ .

(د) طَائِفَةٌ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ

فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَإِسْلَامِهَا^(١)

بَلَغَ السَّيْلُ الزَّبِيَّ^(٢) - بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشَمٍ^(٣) ، تَجُوعُ الْحُرَّةُ^(٤) وَلَا تَأْكُلُ بَشْدِيهَا^(٥) - تُخْبِرُ
عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَّاتَهُ^(٦) - تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ^(٦) - ثَارَ حَائِلُهُمْ عَلَى

(١) المثل قول مأثور يمتاز بالايجاز وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية ، وهو مثال الجملة
العربية في أسمى أشكالها ، وللمثل مورد قيل فيه أولا سواء أكان حقيقيا أم فرضيا ، ومضرب وهو ما يقال
فيه بعد فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى ليفيد الكلام قوة ووضوحا .

(٢) الزبي : جمع زبية ، وهي مصيدة الأسد تكون في قلل الجبال اذا تلفها السيل كان مجحفا
يضرب لبلوغ الأمر أشده .

(٣) يضرب في الشر العظيم ، ومنشم عطارة كانت تطيب المحاربين من طيها فيقتنون في الحرب . فكان
يقال أشام من عطر منشم .

(٤) أى لا تكون ظمرا ، وان آذاها الجوع . يضرب لمن بصون نفسه عن نخس المكاسب .

(٥) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .

(٦) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

(١) نَابِلِهِمْ — جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِغْنًا — جَرَى الْمَذْيَكَاتِ غِلَابٌ — جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتَّبَعَكَ —
 حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ — حَدَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ — حَرَّكَ لَهَا حَوَارَهَا تَحْنٌ — صَارَ الزَّجُّ قَدَامَ
 السَّنَانِ — عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى — عِنْدَ النَّطَاحِ يُغَلَبُ الْكَبْشُ الْأَجَمُ —
 عِنْدَ جَهَنَّةِ الْخَبَرِ الْيَقِينِ — فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكْمُ — قَبْلَ الرَّمَاءِ ثُمْلًا الْكَثَائِنُ — كَانَ
 كَرَامًا فَصَارَ ذِرَاعًا — كَلَامٌ كَالْعَسَلِ وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ — كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا —
 كُلُّ فِتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .

- (١) الحابل : صاحب الحبال . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب في فساد ذات
 البين وتأريث الشر في القوم .
- (٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهور الخلاب ليس وراءه تقع . والجمعجة : صوت الطحن .
- (٣) المذكية من الخيل : التى مضت سنة أو سنتان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن
 يفوز على أقرانه في الفضل . (٤) مثل يضرب في اللئام وكيف يعاملون .
- (٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .
- (٦) أى مثلاً بمثل ، يضرب في التسوية بين الشئيين .
- (٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشبجانه يهيج له . قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين
 أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قميصه . ليفزعوا إلى الحرب .
- (٨) الزج : الحديدة في أسفل الرمح ، ويقال له السنان . يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير
 أهلية لذلك . (٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السير ليلًا .
- (١٠) الأجم : الذى لا قرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .
- (١١) يضرب للرجل يعرف الشئ على حقيقته .
- (١٢) يضرب للرجل تذهب إليه حاجتك .
- (١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكثائن : جمع نخالة : خريطة السهام .
- (١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزاً قوياً . والكراع : مستدق الساق .
- (١٥) يضرب في اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .
- (١٦) الفرا : الحمار الوحش . يضرب لمن يفضل أقرانه .
- (١٧) يضرب في إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أبيات تجرى مجرى الأمثال

خَلِيلِي لَا تَسْتَعْجَلَا وَانظُرَا غَدًا عَسَى أَنْ يَكُونَ الرَّقُّ فِي الْأَمْرِ أَرْشَدًا (١)

* * *

فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَسْوِيَةِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ؟ (٢)

* * *

وَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَتَحَمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَىِّ لَأَمَّا (٣)

* * *

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ عَلَيَّ، وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ (٤)

* * *

كَكَائِطِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ (٥)

(١) لتيم بن مقبل . يريد . التريث خير من العجلة .

(٢) لعدي بن زيد في الاطمئنان الى القضاء الحتم .

(٣) للرقش الأصغر، للرجل يلقى مغبة عمله .

(٤) قائلة عروة بن الورد ، يكون في الشيء يأتي من غير مظاهره .

(٥) يستعمل لمن يحاول مالا يستطيع فيذهب بمواهبه دون جدوى .

المصر العباسي الاول

(١) الشعر

(١) ابن هرمة^(١)

قال يمدح ابراهيم بن طلحة :

أَرَقَّتْني تَلَوْنِي أُمُّ بَكْرِ بَعْدَ هَذِهِ اللَّوْمِ قَدْ يُؤْذِنِي^(٢)
جَدَّرْتَنِي الزَّمَانَ ثُمَّتَ قَالَتْ لَيْسَ هَذَا الزَّمَانُ بِالْمَأْمُونِ^(٣)
قُلْتُ لِمَا هَبَّتْ تُحَدِّرُنِي الدَّهْ رَدَعِيَ اللَّوْمَ عَنْكَ وَاسْتَبْقِينِي^(٤)
إِنَّ ذَا الْجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا هِمَّ يَعْينِيهِ كُلُّ مَا يَعْينِي^(٥)

(١) ابراهيم بن علي بن هرمة المنتسب إلى قريش ، نشأ بالمدينة وأخذ عن الرواة والمتأديين كثيرا . وقال الشعر وأجاده ومدح به الولاة والخلفاء وأصاب مالا كثيرا إلا أنه كان متلافا عاكفا على النبذ . وشعره جزل يغلب عليه المدح . وقد توفي سنة ١٥٠ هـ .

(٢) أرق الرجل يارق من باب علم : ذهب عنه النوم في الليل . وأرقه بتشديد الراء : أذهب عنه النوم . والهدء بضم الهاء وفتحها : الهزيع من الليل .

(٣) المراد بالزمان هنا أهله .

(٤) هب الرجل يفعل كذا أي طفق يفعل .

(٥) يقول لها : إنك اذا حسبت أن البر والوفاء قد ذهباً عن الناس فان هذا الممدوح يهيم من أمرى

كل ما يهمني . وليس بعد ذلك بروفاء .

قَدْ خَبَرْنَاهُ فِي الْقَدِيمِ فَأَلْفِدْ . مَنَا مَوَاعِيدَهُ كَعَيْنِ الْيَقِينِ (١)
 قُلْتُ مَا قُلْتُ لِلَّذِي هُوَ حَقٌّ . مُسْتَبِينٌ لَا لِلَّذِي يُعْطِينِي (٢)
 نَصَحْتُ أَرْضَنَا تَمَأُوكَ بَعْدَ الْ . جَذَبِ مِنْهَا وَبَعْدَ سُوءِ الظُّنُونِ (٣)
 فَرَعَيْنَا آثَارَ غَيْثٍ هَرَّاقَتْ . لَهُ يَدَا مُحْكَمِ الْقَوَى تَمِيمُونَ (٤)

وقال من قصيدة يمدح بها المنصور :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِقَاقِ سِرِّهِ . إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ (٥)
 فَأَمُّ الذِّي أَمَّتْ أَمْنُهُ الرَّدَى . وَأُمُّ الذِّي خَوَّفَتْ بِالشُّكْلِ تَاكِلٌ (٦)

- (١) خبر الشيء بخبره من باب نصر : علمه عن تجربة . وألفى مواعيده الخ وجددها جده صابغة لا يعثر بها الخلف .
- (٢) يريد أنه نعت بما نعت به لا من أجل عطايه بل لأنه إنما يقرر الحق الواضح . والمستبين هنا : الواضح .
- (٣) نصحت : أمطرت . والجذب بفتح الجيم وسكون الدال ضد الخصب بكسر الخاء . يقال أجذبت الأرض : انقطع عنها المطر فيبست . التفت الشاعر في هذا البيت الى خطاب المدروح فذكر أنه أخلاه بعد الفقر وبعد إساءة الظن بالأيام والخوف من إلحاح الحاجة . كما يحكي المطر الأرض بعد يسها .
- (٤) رعت الماشية الكلاً : مرحت فيه وأكلته . والغيث : المطر . وآثاره : ما تخرج الأرض به من الزرع . وهرق الماء وهراقه : صبه . والميمون : المبارك .
- (٥) حفاف الشيء بكسر الحاء : جابه . وكرها : أرجعها . والنائل : العطاء . يقول إن للخليفة من صدق النظر وعظم الهمة ما لا يكون لأحد ، فإن له نظرات وهو جالس على سريرته تقع على صميم الأمور ، فسرعان ما يثيب المحسن ويعاقب المسيء .
- (٦) الردى : الموت . وثكلت المرأة ولدها : فهي تاكل : أى فقدته . التفت الشاعر في هذا البيت الى المدروح فقال : ان من أمته فقد اطمانت عليه أمه ، ومن خوفته بالموت فإنه تاكل أى فهو هالك .

وقال يمدح آل البيت :

وَمَهْمَا أُلَامٌ عَلَى حُبِّهِمْ فَإِنِّي أَحِبُّ بَنِي فَاطِمَةَ (١)
بَنِي بِنْتٍ مَن جَاءَ بِالْحُكْمَا بِنِ وَالَّذِينَ وَالسُّنَنِ الْقَائِمَةِ (٢)

ومن قصيدة له يمدح فيها السري بن عبد الله :

فَقُلْ لِلْسَّرِيِّ الْوَاصِلِ الْبَرِّذِيِّ الْبَرِّذِيِّ مَدِيحًا إِذَا مَا بُتَّ صَدَقَ قَائِلُهُ (٣)
جَوَادٌ عَلَى الْعِلَالِ يَهْتَزُّ لِلْنَدِيِّ كَمَا اهْتَزَّ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صِيَاقِلُهُ (٤)
نَفَى الظُّلْمَ عَنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ عَدْلُهُ فَعَاشُوا وَرَاحَ الظُّلْمُ عَنْهُمْ وَبَاطِلُهُ
وَنَامُوا بِأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ وَشِدَّةٍ بِسِيرَةٍ عَدْلٍ مَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ (٥)
وَقَدْ عَلِمَ الْمَعْرُوفُ أَنَّكَ خِذْنُهُ وَيَعْلَمُ هَذَا الْجُوعُ أَنَّكَ قَاتِلُهُ (٦)

(١) فاطمة : هي فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) المحكمات : المقننات . ويريد بها آيات الكتاب العزيز . ومن جاء بها هو النبي عليه السلام .

(٣) الواصل البر : الدائم الخير . والندى : الجود والعطاء . وبث الخبر : أذاعه ونشره .

(٤) العلات : جمع علة . وهي هنا الحدث يشغل صاحبه . والعضب : بسكون الضاد السيف القاطع . والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يشحذ السيوف . يقول انه عظيم الكرم يجود برغم ما يشغله من أحداث الزمان . ويهتز للعطاء بما يدخل عليه من السرور وارتياح النفس للكرم ، كما يهتز في يدي البطل السيف قد جلاه شاحذوه .

(٥) يقال رجل عدل يفتح العين وسكون اللام : عظيم العدل . والغوائل : جمع غائلة ، وهي الشر والحقد الباطن . ويقال قتله غيلة بكسر الغين اذا خدعه فذهب به الى مكان فقتله . والمراد أنه ليست له غوائل حتى يخافها الناس .

(٦) المعروف : الاحسان . الخدن بكسر الخاء وفتحها مع سكون الدال قيهما : الحبيب والصاحب . يقول إنك لا يفارقك الاحسان أبدا حتى علم الاحسان أنك حبيبه وصاحبه ، وهذا على المبالغة ، فان الاحسان ليس مما يعقل . كذلك فانك لكثرة عطائك وبرك بالناس قد دفعت الجوع عنهم حتى علم الجوع أنك قاتله ، وهذا على المبالغة أيضا .

(٢) بشار بن برد^(١)

قال في الغزل :

يا لَيْلَتِي تزدادُ نُكْرًا من حُبٍّ من أَحَبَّتْ بِكْرًا^(٢)
 حوراءُ إنْ نظرتُ إليه لك سَقَمٌ بالعينينِ نَحْرًا^(٣)
 وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا قَطَعَ الرِّياضُ كُسِينَ زَهْرًا^(٤)
 وَكَأَنَّ تَحْتَ لسانِها هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا^(٥)
 وَتَحْـالُ ما جَمَعَتْ عليه يَ ثِيَابَها ذَهَبًا وَعِطْرًا^(٦)
 وَكَأَنَّها بَرْدُ الشَّرَا ب صَفَا وَصَادَفَ مِنْكَ فِطْرًا^(٧)

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد، أصل آبائه من بلاد الفرس، وقع عليهم سبي قال ملك أبي بشار لبني عقيل، وفيهم ولد بشار. ولما كبر صار يختلف إلى أعراب البصرة حتى أخذ عنهم العربية وتعلم الشعر ونبغ فيه، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدرى فصار قبيح المنظر ولكنه كان شديد الذكاء. واسع الخيال ذا ملكة في الشعر قوية يعد من أكبر شعراء عصره، وفي مقدمة المحدثين وأهل الافتنان، ومن أصحاب المعاني المخترعة في الشعر العربي. وكان كثير الهجاء للناس، ما جئنا، متهما في دينه بالزندقة لا يبالى ما يقول، ولا ما يفعل، ولا ما يرتكب من التهنك والكلام في أعراض الناس. وقد تصرف بشار في فنون الشعر ومعانيه وذاع شعره في زمانه، وصار إماما بين الشعراء. وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال يمتاز وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ.

(٢) النكر : الأمر الشديد القبح .

(٣) الحوراء : شديدة بياض العين وسوادها . يقول : انها اذا تنظر اليك يسرك بجمال عينيها .

(٤) رجع الحديث : ترديده . يشبه كلامها في جماله بالرياض المزدهرة .

(٥) هاروت : كان يعلم الناس السحر بمدينة بابل . يريد الشاعر أن كلامها يسحر الناس بروعته وجماله .

(٦) ما جمعت عليها ثيابها : هو جسمها الصافي الذكي الرائحة .

(٧) برد الشراب : الشراب البارد . صادف منك فطرا : أى شربته على عطش ولطف .

جَنِيَّةٌ أَنْسِيَّةٌ أَوْ يَنْ ذَاكَ أَجَلٌ أَمْرًا (١)
 وَكَفَاكَ أَنِي لَمْ أَحِطْ بِشَكَاةٍ مِنْ أَحَبَّتْ خُبْرًا (٢)
 إِلَّا مَقَالَةً زَائِرٍ قَثَرْتُ لِي الْأَحْزَانَ نَثْرًا (٣)
 مُتَخَشِّعًا تَحْتَ الْهَوَى عَشْرًا وَتَحْتَ الْمَوْتِ عَشْرًا (٤)

وقال يرثي ولد له :

أَجَارَتَنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطْلَ نَصِيبي (٥)
 بَنِي عَلَى رَغْمِي وَسُخْطِي رُزْئُهُ وَبَدَّلَ أَجْمَارًا وَجَالَ قَلِيبِ (٦)
 وَكَانَ كَرِيحَانِ الْغُصُونِ تَحَالُهُ ذَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ يَسْرُوطِي (٧)
 أَصِيبَ بَنِي حِينَ أَوْرَقَ غُصْنُهُ وَأَلْقَى عَلَى الْهَمِّ كُلُّ قَرِيبِ
 عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّتُهُ بَعِجِي (٨)

ومن قوله يمدح عُمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق :

وَجَيْشٌ بِكُنْجِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَى وَبِالشُّوْكِ وَالْخَطَى حَمْرُ ثَعَالِبُهُ (٩)

(١) جنية : نسبة إلى الجن . أنسية : نسبة إلى الانس . أي جمعت بين محاسن هذين الجنسيتين وفاقتهما .

(٢) الشكاة : الشكوى وهي هنا الشكوى من ألم العلة . لم أحط خبرا : لم أخبر شكاتها ولم أعرف حقيقتها .

(٣) الزائر : الرسول الذي أرسلته يعتذر بالمرض .

(٤) المتخشع : المتكلف الخضوع وهو الخضوع . والمتضرع أيضا فهو مقسم بين أهوال الحب والهلاك .

(٥) أنبي : أرجعي إلى هداك . المولى : المؤذى . يقول لجارته لتكن في مصيبتى أسوة لك وعزاء .

(٦) رزئته : فقدته . الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .

(٧) ذوى الغصن : يس . الإشراف هنا : النضارة .

(٨) مليته : نعمت ببقائه .

(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة إلى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب : جمع

ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان . وهي حمر من دماء الأعداء .

- غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خَدْرِ أُمِّهَا تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجِرْ ذَائِبُهُ (١)
- بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ ذَاقِ طَعْمِهِ وَتُدْرِكُ مَنْ تَجَى الْفِرَارُ مَثَالِبُهُ (٢)
- كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٣)
- بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْقُجَّاءَةِ، إِنَّا بَنُو الْمَوْتِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ (٤)
- فَرَّاحُوا فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَازِدٌ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ (٥)
- إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ نَعَاتِيهِ (٦)
- إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ (٧)
- فِعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجَبَائِبُهُ (٨)
- إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ (٩)

- (١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر السر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .
- (٢) بضرب متعلق بغدونا في البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهي فاعل تدرك . ونجى : نجاء بحذف العائد يقول : ان غدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .
- (٣) النقع : الغبار تشيره الحروب . تهاوى : تنساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تنساقط نجومه وهو تشبيه جيد .
- (٤) القجاءة : البغلة . السبائب : جمع سبيبة وهي الشقة الرقيقة من الكنان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .
- (٥) الإِسَار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .
- (٦) صعر خده : أماله عن النظر إلى الناس كبرا عليهم وزراية بهم . نعاتيه بالسيوف : نقاتله .
- (٧) إذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفي في الناس صديقا اذ لا يسلم أحد من اهفوات . (٨) مقارن الذنب : مخالطه وفاعله .
- (٩) القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبين ونحوه . أى إذا لم تحمل الحياة على ما بها من نقص تعبت وليس في الدنيا انسان كامل الخلال .

وقال يمدح عقبة بن سلم :

- يَا طَلَّلَ الْحَيَّ بِذَاتِ الصَّمْدِ بالله خَبَّرَ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي (١)
أَوْحَشْتَ مِنْ دَعْدٍ وَتَرْبٍ دَعْدٍ سَقِيًّا لِأَسْمَاءَ ابْنَةِ الْأَشَدِّ (٢)
قَامَتْ تَرَامِي إِذْ رَأَيْتَنِي وَحَدِي كَالشَّمْسِ تَحْتَ الزُّبْرِجِ الْمُنْقَدِّ (٣)
صَدَّتْ بِنَجْدٍ، وَجَلَّتْ عَنْ خَدِّ ثُمَّ انْتَلَتْ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ (٤)
عَهْدِي بِهَا - سَقِيًّا لَهُ مِنْ عَهْدٍ - تُخَلِّفُ وَعْدًا وَقَفِي بِوَعْدِ (٥)
فَنَحْنُ مِنْ جَهْدِ الْهَوَى فِي جَهْدٍ وَزَاهِرٍ مِنْ سَيْطٍ وَجَعْدٍ (٦)
أَهْدَى لَهُ الدَّهْرُ وَلَمْ يَسْتَهْدِ أَفْوَافَ نَوْرِ الْخَبْرِ الْمَجْدِ (٧)
يَلْقَى الضُّحَى رِيحَانَهُ يَسْجُدُ بَدَّلْتُ مِنْ ذَاكَ بَكِّي لَا يُجِدِي (٨)
وَاقٍ حَظًّا مَنْ سَعَى يَنْجُدُ مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الْجَدِّ (٩)

(١) ذات الصمد : موضع في ديار بني يربوع .

(٢) أوحشت : أفقرت وخلوت من ساكنك ، والترب للانسان : من ولد معه ومن في سنه .

(٣) ترامى : تترامى وتتصدى . والزبرج : الزينة من وشى أو جوهر والسحاب الرقيق فيه حمرة يشبه به ثوبها . والمنقذ : المنقطع .

(٤) صدت : أعرضت . وجلت : كشفت ثم انتلت الخ ، أى رجعت بسرعة كالنفس المتردد .

(٥) عهدي بها : أعهدا وأعرفها ، والجملة (سقى الخ) دعائية اعتراضية .

(٦) جهد الهوى : آلامه . وقوله : في جهد أى في عنت . وزاهر أى ورب شعر أشيب . السبط : المرسل وضده الجعد .

(٧) الأفواف جمع فوفة : البياض في أظفار الأحداث ، وثوب مقوف رقيق ذو خطوط بيض . والنور : الزهر الأبيض . والخبر : برود اليمن المفرد حيرة . والمجد : كما جده الخائنك أى قطعه ، فهو جديد يصف بذلك مشيه .

(٨) الريحان في الأصل : كل نبات طيب الرائحة ، يشبه به الشعر .

(٩) النوك : الحق . والجذبفتح الجيم : الحظ . وبكسرها : الاجتهاد .

- الحُسْرُ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبِيدِ وليس لِلْمُلاحِفِ مثلُ الرَّدِّ (١)
وَالنُّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدَّى وصاحبُ كالدَّمَلِ المِيسِدِّ (٢)
حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ (٣)
حَتَّى مَضَى غَيْرَ قَقِيدِ الْفَقْدِ وما دَرَى ما رَغِبْتِي مِنْ زُهْدِي (٤)
اسْلَمْ وَحَيَّتْ أبا المِلْدِّ مفتاحُ بَابِ الحَدِيثِ المُنْسَدِّ (٥)
مُشْتَرَكِ النَّيْلِ وَرَى الزَّنْدِ أغرُ لَبَّاسِ ثِيَابِ الحَمْدِ (٦)
ما كانَ مِنِّي لَكَ غَيْرُ الْوَدِّ ثم ثَاءٌ مِثْلَ رِيحِ الْوَرْدِ
تَسْجُتُهُ فِي مُحْكَمَاتِ النَّدِّ قَالِبَسُ طِرَازِي غَيْرِ مُسْتَرَدِّ (٧)
لِلَّهِ أَيَّامُكَ فِي مَعَدِّ وفي بَنِي قُطَانَ غَيْرَ عَدِّ (٨)

- (١) يلحى : يلام ويصاب ، أى يكفيه اللوم فيرتدع ، وأما غيره فلا يرتدع إلا بالعنف . والمملحف : المتشدد في الطلب المبالغ فيه ، أى ليس له دواء كرده وحرمانه .
(٢) النصف : الانصاف والعدل . وصاحب : أى ورب صاحب . الممد : ذو القبح (المدة) .
(٣) حملته الخ : أى حرصت عليه متوقفا أذاه وشره . والورد : من أسماء الحمى .
(٤) مضى غير فقيد الفقد الخ : أى ذهب ولم آمر على ذهابه وقد صانعته في قربه حتى لم يعرف أكرهه أم أحبه .
(٥) الحدث : المصيبة ، والأمر المنكر أو الحادث ، ومعنى الشطر الثانى أنك مفرج الكرب .
(٦) النيل : العطاء ، يصفه بالكرم الشامل . ورى الزند : ناجح الأمر ، والزند : العود الأعلى تقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره عند القدح . والأغر : السيد الشريف . ومعنى (لباس ثياب الحمد) أنه يكسب الثناء بحميد فعالة .
(٧) تسجته أى الثناء . والند : عود يتبخربه ، والمعنى ذكرته في كلمات جيدة وأسلوب عال . والطراز : علم الثوب ويراد به هنا الثوب كله أى ثوب الثناء ، ومن معانى الطراز الموضع تتسج فيه الثياب الجيدة .
(٨) لله أيامك : أيامك مباركة . ومعد وقطان : شعبا العرب الرئيسيان ، وقوله غير عد : أى كثيرة .
والمد : بالفتح الاحصاء والحساب ، فهى لا تحصى .

- يَوْمًا بِذِي طَخْفَةِ عِنْدَ الْحَدِّ وَمِثْلَهُ أَوْدَعَتْ أَرْضَ الْهِنْدِ (١)
 بِالْمُرْهَفَاتِ وَالْحَسَدِيدِ السُّرْدِ وَالْمُقَرَّبَاتِ الْمُبْعِدَاتِ الْجُرْدِ (٢)
 إِذَا الْحَيَا أَتَكَدَى بِهَا لَا تُكْدِي تُلْجِمُ أَمْرًا وَأُمُورًا تُسْدِي (٣)
 وَابْنُ حَكِيمٍ إِنْ أَتَاكَ يَرْدِي أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الرُّعْدِ (٤)
 حَيْثُ يُخْفَةُ الْمِعْدِ فَانْهَدَّ مِثْلَ الْجَبَلِ الْمُنْهَدِّ (٥)
 كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا يُؤْدِي وَرُبُّ ذِي تَاجٍ كَرِيمٍ الْجَدِّ (٦)
 كَالِ كَسْرَى وَكَآلِ بُرْدٍ أَنْكَبَ جَافٍ عَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ (٧)
 فَصَلَّتْهُ عَنْ مَالِهِ وَالْوُلْدِ (٨)

(١) طخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة ، ويوم طخفة لبني بربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

(٢) المرهفات : السيوف الرقيقات الحدود ، والحديد السرد : الدروع ذات الحلقات المحكمة .
 والمقربات : الخيول الكريمة يقرب مربطها ومعلقها لكرمها . والمبعدات : التي تبعد براكمها في الجري .
 والجرد : قصار الشعر . المفرد : أجرد ، وهي جرداء وهذا من علامة كرم الخيل .

(٣) الحيا : المطر . وأكدى بخل ولم يطر ، ومعنى (لا تكدي) لا تبخل فأنت كريم في أوقات الشدة .
 ألحم الثوب : نسج لحمه وهي ما نسج عرضاً ، وضده السدى وهو ما نسج طويلاً ، والمعنى أنك تدبر الأمور كلها بما يلائمه .

(٤) ابن حكيم : شاعر . يردى : يعدو . ويردى على الخمسين (مثلاً) من عمره : يزيد .

(٥) المعد : المستعد أو القرن .

(٦) رهن بما يؤدى : مرتبط به ومحاسب عليه . ورب الخ : أى رب ملك عتيد .

(٧) آل كسرى : ملوك الفرس . وآل برد : أسرة يشار . أنكب : جائر يميل عن الحق ، وجاف

مبتعد . والقصد : الاعتدال والانصاف .

(٨) أى قتله فقارق أهله وماله ، وهذا خبر ما بعد رب

(٣) السيد الحميري^(١)

كتب من الحبس إلى يزيد بن مذعور مولى أبي بجير أمير الأهواز :

- قِفْ بِالْديَارِ وَحْيَهَا يَا مَرْبَعُ وَاسْأَلْ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ^(٢)
 إِنَّ الدِّيَارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بِجُودِهَا إِلَّا الضَّوْأَيْحُ وَالْحَمَامُ الْوُقْعُ^(٣)
 وَلَقَدْ تُكُونُ بِهَا أَوَانِسُ كَالْدُمَى جَمْلٌ وَعَزَّةٌ وَالرَّيَابُ وَبُوزْعُ^(٤)
 حُورٌ نَوَاعِمٌ لَا تُرَى فِي مِثْلِهَا أَمْثَلُهُنَّ مِنَ الصِّيَانَةِ أَرْبَعُ^(٥)

- فَاسْلَمْ فَإِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلِ عِنْدَ الْأَمِيرِ تَضُرُّ فِيهِ وَتَنْفَعُ^(٦)
 تُؤَوِّي هَوَاكَ إِذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ فِيهِ وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَتَشْفَعُ^(٧)

- (١) اسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري (بكسر الحاء وفتح الياء) العربي اليمني . علوى المذهب مخلص له غال فيه إلى درجة الخرف . وقد قضى حياته يمدح عليا وآله حتى توفي سنة ١٧٠ هـ .
 والسيد الحميري شعر كثير مهمل يلائم المذهب السياسي قصد فهمه وشيوعه وإن لم يحفظ منه إلا القليل .
 (٢) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، ونحيبها ، وسؤالها عن آله السابقين ، عاد فأنكر ذلك السؤال إذ لا سبيل إلى إجابة الديار التي ليس من شأنها السمع .
 (٣) ضبحت الأرانب والتعالب : صوتت . الضوايح : المصوتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوت والحمام النازل بالأرض .
 (٤) أوانس : جمع أنسة وهي الفتاة الطيبة النفس أو التي تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهي التمثال . والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .
 (٥) حور : جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ، يريد أن أربعين ليس لمن شبيه في عفتين .
 (٦) المراد بالمنزل المكاة . فاسلم : جملة دعائية ، يرجو للمدوح السلامة من الشر .
 (٧) هواك : سؤلك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ لِلْأَمِيرِ إِذَا ظَفِرَتْ بِخَلْوَةٍ مِنْهُ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هَبْ لِي الَّذِي أَحْبَبْتَهُ فِي أَحْمَدٍ وَبَنِيهِ إِنَّكَ حَاصِدٌ مَا تَزْرَعُ (١)
يَخْتَصُ آلُ مُحَمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ فِي الْقَلْبِ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الْأَضْلَعُ

جلس المهدي يوما يعطى قريشا صلوات لهم وهو ولي عهد، فبدأ بنبي هاشم
ثم بسائر قريش، فجاء السيد الحميري فرفع الى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة
للأمير فأوصلها اليه فأوصلها فإذا فيها :

قُلْ لَابْنِ عَبَّاسٍ سَمِيَ مُحَمَّدٍ لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمًا (٢)
أَحْرِمَ بَنِي تَيْمٍ بَنٍ مُرَّةً لِمَنْهُمْ شَرُّ الْبَلِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدِّمًا
إِنْ يُعْطِيهِمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً وَيُكَافُّوكَ بَأْسَ تَذَمُّ وَتُسْتَمَا
وَأَنْ ائْتَمَبَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ خَانُوكَ وَاتَّخَذُوا نَحْرَاجَكَ مَغْنَمًا (٣)
وَلَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَّوْكُمْ بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكَوْا وَكَانُوا أَظْلَمًا
مَنَعُوا ثَرَاتَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ وَبَنِيهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيَمًا (٤)
وَتَأْمُرُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هُنَالِكَ مَأْتَمًا (٥)
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إِنْْعَامَهُ أَفَبَشْكُرُونَ لَغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا

(١) هب لي فلانا : أي أطلقه .

(٢) يريد ابن عباس الخليفة المهدي .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أي ولاهم المناصب . والنحراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم فظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أي يكونوا خلفاء .

والله من عليهم بمحمد
ثم انبروا لوصيه وولييه
وهداهم وكسا الجنوب وأطعما (١)
بالمسكرات فجرعوه العلقما (٢)

(٤) مروان بن أبي حفصة^(٣)

قال يمدح المهدي ويحتج لبني العباسي :

طرقك زائرة فخيالها
بيضاء تتخط بالجمال دلالها (٤)
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها
قادت القلوب الى الصبا فأمالها (٥)
فكأنما طرقت بشفحة روضة
تحت بها ديم الربيع طلالها (٦)
باتت تسائل في المنام معرسا
باليد أشعث لا يمل سؤلها (٧)
في فيسة هجوا غرارا بعدما
سئموا مراعاة السرى ومطالها (٨)

(١) كسا الجنوب : أى كساه من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريد بوصيه ووليّه على بن أبي طالب . جرعوه العلقم : سقوه المزر .

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبي حفصة في آندولة بنى أمية ولكنه لم يشتهر إلا في دولة بني العباس يمدحه المهدي ومعن بن زائدة الشيباني وهارون الرشيد . وقد برع مروان في المدح براعة عظيمة ويحسبونه في ذلك من طبقة بشار ويعتدونه من لغول الشعراء وقد توفي سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا . (٥) استقاد : انتقاد . والصبا يكسر الصاد : الشوق .

(٦) مع الغمام المطر : صبه صبا متابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهي المطر الذي يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع محبة . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف . يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر في الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة . واليد : جمع يداء وهي القفلة . والأشعث : المخبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام نراوا أى نوما قليلا . والسرى : السير في الليل . ويقال للناقة التي تهتز في السير رعشها : رعشها . ومطالها : مطالها وتسويقها في الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول : إنهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

- فَكَأَنَّ حَشَوَنِيَابَهُمْ هِنْدِيَّةٌ نَحَلْتُ وَأَغْفَلْتُ الْقِيُونَ صِقَالَهَا (١)
 طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ بَعْدَ السَّرَى بَغْدُودَهَا آصَالَهَا (٢)
 نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ تَطَوَى الْقَلَاةَ : حُرُونَهَا وَرِمَالَهَا (٣)
 أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النَّبِيِّ حَرَامَهَا وَحَلَالَهَا (٤)
 مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ مَدَّ الْإِلَهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالَهَا (٥)
 ثَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِهِنَّ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا (٦)
 كَلْنَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا لِلْسَامِيْنَ وَلِلْبَعْدُوِّ وَيَالَهَا (٧)
 هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا يَا كُفَّكُمْ أَمْ تَحْجُبُونَ هِلَالَهَا (٨)

- (١) الهندية : السيوف المصنوعة في الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونحلت من باب علم : هزلت ورقته . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلده وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناهلين مهزولين حتى كانوا في رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التي لم تجل ولم يكشف عنها صدورها .
 (٢) طلبته : قصدت إليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول إنها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .
 (٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صدى بصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن يفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .
 (٤) يريد ما حباه حلال السنن وحرامها إبانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .
 (٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وترفع فلان القوم : علام .
 (٦) الثبت ههنا الشاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث : انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : إنه مهما تضررب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله (راكب لكل حال حالها) .
 (٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .
 (٨) التفت في هذا البيت الى خطاب العلويين لبطل دعواهم استحقاق الجلالة دون بنى العباس .

أُم تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا (١)
شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ يَتَرَاتِبُهُمْ فَأَرْدَتُمُو إِبْطَالَهَا (٢)

وقال يمدح المهدي — عند ما عقد البيعة لابنه الهادي — ويحتج للعباسيين
على الطالبين :

يَا بَنَ الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ (٣)
الْوَحْيُ بَيْنَ بَنِي الْبَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ قَطَعَ الْخِصَامَ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ (٤)
مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ قَرِيبَةٌ نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ (٥)
خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمُعْشَرِ عَادَاتِهِمْ حَطَّمُ الْمَنَاصِبِ كُلِّ يَوْمٍ زَحَامِ (٦)
ارْضَوْا بِمَا قَسَمَ إِلَهُكُمْ بِهِ وَدَعُوا وِرَاثَةَ كُلِّ أَصِيدٍ حَامِ (٧)
أَنِّي يَكُونُ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنٍ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِثَةُ الْأَعْمَامِ (٨)

(١) تجحدون، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويعني بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحي : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد علي بن أبي طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم في الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرها . ويوم زحام : يوم تنافس في مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصيد : الملك أو السيد . والحامي : من يحمي ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهي في الميراث .

أَفْنَى سِهَامِهِمُ الْكَتَابُ فَحَاوَلُوا أَنْ يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامٍ ^(١)
 ظَفِرَتْ بُنُوسَاتِي الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغَيْرَتُهُمْ بِتَوَهُمِ الْأَحْصَالِمِ ^(٢)
 عَقِدْتُ لِمُوسَى بِالرِّصَاقَةِ بَيْعَةً شَدَّ إِلَاهُهَا عُرَا الْإِسْلَامِ ^(٣)
 مُوسَى الَّذِي عَرَفَتْ قُرَيْشٌ فَضْلَهُ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ

(٥) الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ^(٤)

قال :

عَدَلْتُ مِنْ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكَهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلْتُ كُلَّ مَا صَنَعَا
 الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَنْدَبُهُ قَلْبٌ أَلَحُّ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَانْصَدَعَا ^(٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد الى خراسان وطال مقامه بها ثم خرج الى أرمينية :

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا ^(٦)

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سِهَام : بغير حق .

(٢) ساق الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك في الجاهلية .

(٣) الرصاقة : محلة بغداد ، شئت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ في بغداد في حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفّر على الغزل في محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موقفا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعاني ، فهو من شعراء الغزل العذريين وإن لم يحكمهم تماما .

(٥) ألح في السؤال : واطلب عليه . والالاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول انهم قالوا إن أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود ؟

ما أقدر الله أن يدني على شحط
سكان دجلة من سكان جيحانا (١)
يا ليت من نمتي عند خلوتنا
إذا خلا خلوة يومًا تمننا (٢)

وقال :

سلبتني من السرور ثيابا
وكستني من الهموم ثيابا
كُلِّمًا أغلقت من الوصل بابا
فتحت لي إلى المنية بابا
عذبني بكل شيء سوى الصـ
مد في ذقت كالصدود عذابا (٣)

وقال :

إن قال لم يفعل وإن سيل لم
يبدل وإن عوتب لم يعتب (٤)
صب بعصيانى ولو قال لي
لا تشرب البارد لم أشرب (٥)
إليك أشكو رب ما حل بي
من صدهذا المذنب المغضب

وقال :

قلبي إلى ما ضم بي دأع
يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوى إذا
كان عدوى بين أضلاعي (٦)

- (١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد . ودجلة : نهر تقع عليه هذه المدينة
وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .
(٢) نمتي : تمناه .
(٣) الصد والصدود : الإعراض .
(٤) سيل : مثل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعبت فلانا فأعتبني استرضيته فرضي .
(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الوله بشرب الماء البارد لشدة الحر في بلادهم .
ومثل هذا قول الشاعر :

غضبي ولا والله يا أهلها لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذى بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذى يدعو إلى ما يضره فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظلوم تميمية الظلم مالي رأيتك ناحل الجسم (١)
يا من رمى قلبي فأقصده أنت العليم بموضع السهم (٢)

(٦) أبو نؤاس (٣)

قال يصف الخمر :

دع عنك لومي فإن اللوم أغراء وداوني بالتي كانت هي الداء (٤)
صفراء لا تنزل الأحران ساحتها لو مسها حجر مسته سراء (٥)

(١) ظلوم : اسم من يتنزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده : السهم لم يخطئه .

(٣) أبو نؤاس واسمه الحسن بن هاني . نشأ نشأته الأولى في البصرة ، ولم يكن يقرض الشعروان كان يكلف به . ومن يجيدون قرضه . ثم تحول إلى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ، ثم تحول معه إلى بغداد .

وبرع أبو نؤاس في الشعر حتى بزأهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها . وكان ماجنا مشتهرا . توفر عمره على تحصيل اللذائذ ما يبالى في ذلك شيئا . وقرض الشعر في أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرج .

ولقد أجاد في كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسي ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نؤاس بعظم افتتانه ، وبقوة تصرفه في الشعر ، ومثانة أسلوبه ، وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعد من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعد من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراء بالشئ يغريه إغراء) خضه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لا تلني

فإن لومك يحضني على طلب ما تنهاني عنه ويريد (بالتى كانت هي الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحران والهموم لا تحل بشرابها ، وترقى

في هذا المعنى إلى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور !

رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُلَاثِمُهَا • لَطَافَةً، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ (١)
 فَلَوْ مَزَجْتِ بِهَا نُورًا لِمَازَجَهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ (٢)
 دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ قَسًا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا (٣)
 لَيْسَ لَكَ أَبْكَى وَلَا أَبْكَى لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ (٤)

وقال أيضا في الخمر :

وَدَارٍ نَدَامَى عَطَّلُوهَا، وَأَدْبَحُوا بِهَا أَثْرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ (٥)
 مَسَاحِبٌ مِنْ جَرِّ الزَّقَايِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ جَنَى وَيَاسُ (٦)

(١) يلاثمها : يوافقها • وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن • يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والبرقة ما لم يبلغ الماء •

(٢) تولد بجذف إحدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منهما أنوار وأضواء •

(٣) دان : ذل وأطاع • التفت الشاعر فى هذا البيت إلى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار إلى حد أن الزمان يذل لهم ، فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشئ • إلا بما يريدونه هم وما يبتغونه !

(٤) المنزلة هنا هى الدار • يريد أن شوقه إنما هو إلى الخمر ، فهو إذا بكى بكى لها ، لا للمنزل التى كانت تسكنها المعشوقات ، كما يصنع غيره من الشعراء •

(٥) الندامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب • عطلوها : أخلوها • أدبج القوم إدلاجاً : ساروا الليل كله أو فى آخره • والدارس : البالى • يذكر الشاعر فى هذا البيت داراً كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر • فهجروها ومضوا ، وتركوا فيها آثاراً لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية •

(٦) الزقاق : جمع زق ، وهو وعاء من جلد يحمل فيه الماء ونحوه • الثرى : التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من الخشيش • وجنى أى جنى لساعته • بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار إليه فى البيت السابق • فإذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر عليها وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقتته ويابس لطول العهد على قطافه •

- حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي وَجَدَدْتُ عَهْدَهُمْ ، وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَاكِسُ (١)
 تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ (٢)
 قَرَارَتَهَا كَسَرَى ، وَفِي جَنَابَتِهَا مَهَا تَدْرِيبُهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ (٣)
 فَلِخَمِيرٍ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهُمْ وَلِلْأَمْنِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ (٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

- وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُجَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ (٥)
 قَرَبْنَنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ (٦)
 رَفَعَ الْجِجَابَ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ (٧)

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على طوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبث .
 إذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة إلى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأساً مذهبة لا من ذهب .
 وجباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس : الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهي هنا : ظرف مكان . والمهى : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية يضرب
 بها المثل في حسن العيون . أدرى الصيد : ختله وأدرى غفلته بمعنى تحينها . والقسي : جمع قوس .
 والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب القرس . يريد أن الكأس محلاة من أسفلها بصورة كبرى .
 وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصور فرسان يتحنون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلائس : جمع قلنسوة ، وهي أشبه (بالبرنيطة) التي يلبسها
 الفرنيجة وكانت من لباس الفرس . يقول : إنهم كانوا يصبون الخمر في تلك الكأس حتى تتحاذى أطواق صور
 الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تتحاذى رؤوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهي الدابة التي تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم ،
 وخاصة في أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التي تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغي ألا يركبها أحد
 إكراماً لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بمحذف إحدى التاءين . يقول الشاعر إنه حين بدأ
 الأمين فاذا هو قمر لا تستطيع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبهاء طاعته .

- مَلِكٌ إِذَا عَاقَتْ يَدَاكَ بِجَبَلِهِ لَا يَعْتَرِيكَ الْبُؤْسُ وَالْإِعْدَامُ (١)
 فَالْبُؤْسُ مُشْتَمِلٌ بِسَدْرِ خَلَاةٍ لَيْسَ الشَّبَابُ بِنُورِهِ الْإِسْلَامُ (٢)
 سَبَطَ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنَجَادِهِ فَرَعَ الْجَمَاجِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ (٣)
 إِنْ الَّذِي يُرِضِي الْإِلَهَ بِهِدْيِهِ مَلِكٌ تَرَدَّى الْمَلِكُ وَهُوَ غُلَامُ (٤)
 مَلِكٌ إِذَا اغْتَسَرَ الْأُمُورُ مَضَى بِهِ رَأَى يَفُكِّلُ السَّيْفَ وَهُوَ حَسَامُ (٥)
 دَاوَى بِهِ اللَّهُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى حَتَّى أَفَقَّنَ وَمَا يَهِنُ سَقَامُ (٦)
 أَصْبَحَتْ يَا بِنَ زُبَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرٍ أَمَلًا لِعَقْدٍ حَبَالَهُ اسْتَحْكَامُ (٧)
 فَسَلَيْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ (٨)

(١) علفت : تعلقت واتصلت . والبؤس : الفقر . والإعدام كذلك . يصف كرم المدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل مزردان . ومعنى الشطر الثاني أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذي لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حائل السيف التي يعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سماط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولي الخلافة صبيًا .

(٥) اغتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفكِّل السيف : يثله . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور إذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ شديد .

(٦) عمى القلوب : زيفها وضلالتها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهي بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صربت أملا يعلق الناس حاجهم بك فلا يخيب رجائهم . وقوله (لعقد) إلى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : إن أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

- ولقد تجوب بي الفلاة إذا صام النهار وقالت العفر^(١)
شذنية رعت الحمى فأتت ملء الحبال كأنها قصير^(٢)
تثني على الحاذين ذا خصل تعماله الشمران والخطر^(٣)
أما إذا رفعت شامدة فتقول رنق فوقها نسر^(٤)
أما إذا وضعت عارضة فتقول أرخى فوقها ستر^(٥)
وتسف أحيانا فتحسبها مترسما يقتاده أثر^(٦)
فإذا قصرت لها الزمام سما فوق المقاديم ملطم حر^(٧)

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . ونجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار إذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : « قال الرجل يقيل » إذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى أنها لتجوب به الصحراء في الوقت الذي ينصف فيه النهار وتقبل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهي من بنات الصحراء .

(٢) شذنية : فاعل تجوب في البيت السابق . والناقة الشذنية : القوية . ورعت الماشية الكلاء أكلته . وحى الرجل المكان الذي لا يقرب و(ملء الحبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمتنع على غيرها ، فقويت وممنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الحاذان : واحدهما حاذ ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصل : جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشمران تحريك الذنب يمينا ويسارا ، وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرا نا رفقه مرة بعد مرة وضرب به نخذه .

(٤) شامدة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالي الأمامية . الملطم : الخلد . حر : أصيل .

وقال :

أثني على الخمر بالائها وسمها أحسن أسمائها (١)
لا تجعل الماء لها قاهرا ولا تسلطها على مائها (٢)
كرخية قد عتقت حقة حتى مضى أكثر أجزائها (٣)
فلم يكذبك نهارها منها سوى آثر حو بائها (٤)
دارت فأحييت غير مذمومة نفوس حراها وأنضائها (٥)
والخمر قد يشربها معشر ليسوا إذا عدوا بكفائها

وقال في الطرد ينعت كلب الصيد

لما تبدى الصبح من حجابه كطلعة الأشمط من جلبابه (٦)
وانعدل الليل الى مائه كالجبشي افتر عن أنياه (٧)
هنا بكلي طالم هجنا به ينتسف الميود من كلابه (٨)

(١) الآلاء : النعم والمحسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محلة ببغداد وغيرها . وعتقت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن ، ومعنى الشطر الثاني أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فبت الارمقا أدركه النمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها . والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون بعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) افتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الجبشي (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقطع ويحتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كَأَنَّ مَتْنِيَهُ لَدَى انْسِلَاحِهِ مَتَنَا شُجَاعٍ لَجَّ فِي انْسِيَابِهِ (١)
كَأَنَّما الْأَظْفُورُ فِي قِنَابِهِ مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فِي نِصَابِهِ (٢)
تَرَاهُ فِي الْحَضِيرِ إِذَا هَاهُوَ بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ (٣)

وكان لأبي نواس صديقة اتصلت بصديق له ، فأنشأ القصيدة الآتية
في مدحه العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، وجعل مطلعها معرضاً لهذه
القصيدة :

أَمَّهَا الْمَتَابُ عَنْ عُقْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمِيرِهِ (٤)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ قَدْ بَلَّوْتُ الْمَرْمِيْنَ ثَمَرِهِ (٥)
قَدْ لَيْسَتْ الدَّهْرُ لَيْسَ قَتَى أَخَذَ الْآدَابَ عَنْ غَيْرِهِ (٦)
فَاتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلاً بِقُوَى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ (٧)
خَفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدًا وَغَدُّ أَدْنَى لِمِثْطَرِهِ (٨)

- (١) انسلابه : امراة الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب في مروقه بالحية
المناسبة سرعة وتلويها . (٢) القناب : الخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض
الموسى (اليد) ؛ فالظفر في أصل الخلب ، تحديده الموسى في النصاب .
(٣) هاهو به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعة الشديدة ، يخرج من جلده
ليثب الى الغاية في أقرب فرصة .
(٤) المتتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر يضم فسكون وبضمين : طول العهد ، ولست
من ليلي الخ : لست من سمارى ليلا ، والخطاب لتلك المرأة يرا منها وان كان في الظاهر لذكر
اذ المقصود الشخص . (٥) البيت تمثيل ، يقول : لا أحبك بعد خيانتك .
(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فليست أكثر .
(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصلات ، أى اتصلى بمن يجب الاتصال
بك دونى . (٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

- خَابَ مِنْ أَسْرَى إِلَى بَلَدٍ غَيْرَ مَعْلُومٍ مَدَى سَفَرِهِ (١)
 وَسَدَّتْهُ ثِيَابِي سَاعِدِهِ سِنَّةٌ حَلَّتْ إِلَى شَفَرِهِ (٢)
 قَامِضٌ لَا تَمُنُّ عَلَى يَدَايَ، مِنْكَ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ (٣)
 رَبِّ قَتَايِنِ رَبَّائِهِمْ مَسْقَطَ الْعَيُوقِ مِنْ تَحْسِرِهِ (٤)
 فَاتَّقُوا بِي مَا يَرِيهِمْ إِنْ تَقَوَّى الشَّرَّ مِنْ حَذَرِهِ (٥)
 وَابْنِ عَمٍّ لَا يُكَاشِفُنَا قَدْ لَبَسْنَاهُ عَلَى غَمْسِرِهِ (٦)
 كَمَنَّ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا كَكُونِ النَّارِ فِي تَجْجِرِهِ (٧)
 وَرُضَابٌ يَتُّ أَرْشَفُهُ يَنْقَعُ الظَّمَانُ مِنْ خَصَرِهِ (٨)
 عَلَيْهِ خُوطٌ أَسْجِلَةٌ لَأَنْ مَتْنَاهُ لُمَهْتَصِرِهِ (٩)

(١) الأشبه أن يكون هذا البيت تمثيلاً لحاله معها إذا اتصل بها دون أن يتبصر في العواقب فخافته .
 وأسرى : سافر . والمدى : للغاية والنهاية .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والنسة : النوم الخفيف ، وهذا تكليل لما قبله ، يصف
 المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثاني أن المن يفسد الصنعة .

(٤) ربائهم : حرسهم فكانت لهم ربيبة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعوق : نجم أحمر
 مضى . يتلو التريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربائهم في الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يتحدث عن نفسه .
 (٥) يريهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنان : البغض . وكن : استتر ، فالبغض كامن في نفسه مثل كون النار في الحجر .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) عليه : سقانيه مرات ، والخوط : الفصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد اسمحل : شجر
 عظيم يتبت بأعلى نجد . والمهتصر : الذي يجذب الفصن (مثلا) ويميله .

- ذَا ، وَمُغْبَرٌ مَخَارِمُهُ تَحْسِرُ الْأَبْصَارُ عَنْ قُطْرِهِ (١)
- لَا تَرَى عَيْنُ الْبَصِيرِ بِهِ مَا خَلَا الْأَجَالَ مِنْ بَقَرِهِ (٢)
- خَاضَ فِي لُحْيِهِ ذُو جَرَزٍ مُقْفِرُ الصَّقَلَيْنِ مِنْ خُمْرِهِ (٣)
- يَكْتَسِي عُشُونُهُ زَبْدًا فَنَصِيلَاهُ إِلَى نُخْرِهِ (٤)
- ثُمَّ يَعْتَمُ الْجَجَاجُ بِهِ كَاعْتِمَامِ الْفُوفِ فِي عُسْرِهِ (٥)
- ثُمَّ تَذُرُوهُ الرِّيَّاحُ كَمَا طَارَ قُطْنُ النَّدْفِ عَنْ وَتَرِهِ (٦)
- ذُلَّتْ تِلْكَ الْفَجَاجُ لَهُ فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ (٧)
- كُلُّ حَاجَاتِي تَنَاولَهَا وَهُوَ لَمْ تُنْقَضْ قُوَى أَشْرِهِ (٨)
- ثُمَّ أَدْنَانِي إِلَى مَلِكٍ يَأْمُرُ الْجَانِي إِلَى جُجْرِهِ (٩)

- (١) ذَا ، أى فعلت هذا الذى ذكره ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحسر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .
- (٢) البصير به : من يعرفه . والآجال : جمع أجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .
- (٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالقوس قليل اللحم ضامر .
- (٤) العشون : شعيرات تحت جنى القوس . والزبد : لغام أبيض تتلخخ به مشافر القوس . ونصيلان : مثنى نصيل : حجر مستطيل يثق به يشبه به لحي القوس ، والنخر جمع نخرة : ثقب الأنف أى أن الزبد يغطى لحية ويحيط بثقب أنفه .
- (٥) اعتم : لبس العمامة . والججاج : عظم الحاجب ، والقوف هنا : الزهر . والعشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الججاج يشبه زهر العشر لونه وشكله وهو أبيض .
- (٦) تذرؤه الرياح : تذهب به وتفرقه .
- (٧) الفججاج جمع فجج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر بهدى بصيرته .
- (٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سارفتون السير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الحبل . ونقضها : فكها .
- (٩) أى ملك يحى اللاجئ إليه . والججر :

- تَأْخُذُ الْأَيْدِي مَظَالِمَهَا ثُمَّ تَسْتَذِرِي إِلَى عَصِيرِهِ (١)
 كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَقَرِهِ (٢)
 فَاسْأَلْ عَنْ نَوَى تُوْمَلُهُ حَسْبُكَ الْعِبَاسُ مِنْ مَطَرِهِ (٣)
 مَلِكٌ قَلَّ الشَّبِيهُ لَهُ لَمْ تَقْعْ عَيْنٌ عَلَى خَطَرِهِ (٤)
 لَا تَغْطِي عَنْهُ مَكْرَمَةٌ يَرْبَا وَادٍ وَلَا تَحْمِرُهُ (٥)
 سَبَقَ التَّفْرِيطَ رَائِدُهُ وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَثَرِهِ (٦)
 وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عُلْقًا وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ (٧)
 رَاحَ فِي ثِيَابِي مُفَاضًى أَسْنَدُ يَدَيَّ شَبَابُ ظُفْرِهِ (٨)

- (١) تستذري : تلتجئ . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدي مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون إليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .
 (٢) النقر : الجبابة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نقر رسول الله ، فيضاف الممدوح إلى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .
 (٣) النوى : النجم يطر الناس إبان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .
 (٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطره أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .
 (٥) لا تغطي : لا تخفى . والزبا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والنحر : ما يسترك من شجر وغيره ، أى لا يترك مكرمة إلا فعلها .
 (٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وأرسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : إن العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور . ومعنى البشطر الثاني أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج إلى آثارها التى تعينه فى المعرفة .
 (٧) مج : لفظ ورمى . والقنا . الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراعى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعن بالرمح ومضروب بالسيف . وصرع .
 (٨) الثنيان : مثنى مثنى بكسر فسكون وهو : ما كف فى طرف الثوب . والمفاضنة : الدرع الواسعة . والشبا : جمع شبة ، وهى حد السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : إنه يعود من الحرب مدرعا كالأسد وقد احمرت شبابه من دماء الأعداء .

تَتَأَبَّى الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ ثِقَّةً بِالشُّعْبِ مِنْ جَزَرِهِ ^(١)
وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً لَسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ ^(٢)
وَكَرِيمِ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ وَكَرِيمِ الْعَمِّ مِنْ مُضَرِهِ ^(٣)
فَهُمْ شَتَّى ظُنُونُهُمْ حَذَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ فَسْكَرِهِ ^(٤)

(٧) أَبَاتُ الْآلِ الْآخِ ^(٥)

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم في الخلافة دون
بنى على رضى الله عنهما :

نَسَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعْمُ يَمًا قَدْ قُلْتُ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَ ^(٦)
أَعْمُ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أُمُّ ابْنِ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ ^(٧)

- (١) تتأبى : تعتمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .
(٢) سليل : وليد ، وللفى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قره
للدوح . (٣) المدوح : خاله يبنى وعمه مضرى .
(٤) شتى : متفرقة متوعة يقول : إن السادات متفرعون الأفكار عما يضمروا هو بالنسبة لهم وما يقضى
في شئونهم مخافة منه وإجلالا له .
(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحق من الشعراء السياسيين الموالي المتصرين للفرس على العرب في مذاكرة .
وكانت عابثا محبا للال ، هجاء مغرورا ملحدا ، تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم
ويزاحم على بابهم أبا قواس ومروان بن أبي حفصة وسواهما توفي سنة ٢٠٠ هـ .
ويمتاز شعره بالسهولة وإن لم يكن ممتازا للفن والروعة ، وله شعر تعليمي ينظم فيه الحكم ومسائل الدين
وسواها كمنظمه كتاب كلىة ودمية . (٦) نسدت الله قلانا : استحلفته به .
(٧) الزلفة بضم الزاى : القرية . يستحلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله
عليه وسلم أقرب إليه في درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبي طالب .
رضى الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ (١)
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَمُ وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى سَبَبِ
فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرْتُونَهُ كَمَا الْعَمَلُ لَابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ (٢)

وبعث بهذه الأبيات الى الفضل بن يحيى :

يَا عَزِيزَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الْجَوْ هَرٍ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِالْبَطَاحِ (٣)
إِنْ ظَنَنْتُ ، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّي ، بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ
إِنْ مِنْ دُونِهَا لَمْ تُصَمِّتْ بَابِ أَنْتَ مِنْ دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِ (٤)
تَأَقَّتْ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ تَحَوَّ بِحَرِّ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَّاحِ (٥)
ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ الـ مَلَّةَ عِنْدَ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ (٦)
وَأَمْسَدَحْتُ الْإِمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ لَهُ بِشِعْرِ مُشْهِرِ الْأَوْضَاحِ (٧)

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق في الخلافة .

(٢) يقول في البيتين : إنه إذا كان العباس أحق بالإرث باعتباره العم ، وعلى مؤخر عنه في الرتبة ، لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ما ورثه العباس الى أبنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنع من الإرث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظير . والندى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولمكة بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير في دونها يعود على حاجتى في البيت السابق . يريد أن حاجته هسيرة ولكن قضاءها على الممدوح يسير .

(٥) تأقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجارى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهروائع : الأوضاح : جمع وضح اسم للقرة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا مِنْ بَغِيَّةِ الْأَمِيرِ وَكَتَرْتُ مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحٍ (١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفَ مِنْ الرِّيدِ شَيْءٌ أَوْ مَا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ (٢)
إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَيْنَ مَنِيٍّ * * * شَمْرِيًّا كَالْبَلْبَلِ الصَّيَّاحِ (٣)

(٨) مسلم بن الوليد (٤)

قال :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْدُلْ مِنَ الْوَدِّ مِثْلَ مَا بَدَّلْتُ لَهُ فَأَعْلَمَ بَأَنِّي مُفَارِقُهُ
فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ، وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تُوَافِقُهُ

وقال :

دَلَّتْ عَلَى نَفْسِهَا الدُّنْيَا، وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي (٥)
مَا كُنْتُ أَذْنُرُ الشُّكْوَى لِحَادِثَةٍ حَتَّى ابْتَلَى الدَّهْرُ أَسْرَارِي فَأَشْكَانِي (٦)

- (١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصططنه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزاييا نفسه في البيتين بعده . (٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون تحت الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح . (٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضي في الأمور . والبلبل : طائر صغير الجسم حسن الصوت يضرب به المثل في حسن الصوت . (٤) نشأ صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري في الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخرى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره ومن تكلفوا البدع في شعرهم حتى رمى بفساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بمجران سنة ٢٠٨ هـ . (٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابي الذي استرجعته متى الأيام . (٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابي شكوت . والأمرار هنا : ما يضمن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعته على الشكوى .

وقال يهجو دُعَيْل بن عليّ الخزاعي الشاعر :

أما الهجاءُ فدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ عَنْكَ كما علمتَ جَلِيلُ (١)
فأذهبْ، فأنتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عِزَّتِكَ بهِ وأنتَ ذَلِيلُ (٢)

ومن قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :

لا تَدْعُ بِي الشوقَ إِنِّي قَدِ مَعْمُودُ نهى النَّهْيَ عن هَوَى البِيضِ الرَعَادِيدِ (٣)

مَوْحِدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ * * * عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ (٤)
كَاللَّيْثِ بَلْ مِثْلُهُ اللَّيْثُ الْمَهْصُورُ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ (٥)
يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أَمْثَالِ عُدَّتِهَا كَالسَّيْلِ يَقْدِفُ جَاهُودًا بِجَاهُودِ (٦)
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدُ إِذْ عَلِقْتُ أَيْدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضُّمْرِ الْقُودِ (٧)
تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

(١) دق : صغر فلا تحتل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عريضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو وبذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه .

والواقع أنك ذليل . (٣) لا تدع بى الشوق : لا تنسنى إليه . المعمود : من هذه العشق .

النهى : جمع نهيۃ بضم النون وهى العقل . الرعايد : جمع رعيدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعيات والدقائق .

(٥) الليث المهور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب .

التغريد للطائر : رفع الصوت بالغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بيجوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجاهود : الصخر .

يشبه الممدوح بالسيل يرى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضم : جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع

أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر إعجابه بالممدوح والموت معمود بنواصي الخيل وقت القتال حتى قال له

أفديك بنفسى .

وقال :

- بِوَمَا أَبَقْتُ الْأَيَّامُ مِنِّي وَلَا الصَّبَا سَبَوِي صَكِيدَ حَرَى وَقَلْبُ مُقْتَلٍ (١)
 وَيَوْمٍ مِنَ اللَّذَاتِ خَالَسْتُ عَيْشَهُ رَقِيًّا عَلَى اللَّذَاتِ غَيْرَ مُغْفَلٍ (٢)
 فَكُنْتُ نَدِيمَ الْكَاسِ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ تَعَوَّضْتُ مِنْهَا رِيْقَ حَوْرَاءَ عَيْطَلٍ (٣)
 نَهَانِي عَنْهَا حُبًّا أَنْ أُرِيَهَا بِسُوءٍ ، فَلَمْ أَفِيكَ وَلَمْ أَتَبَّلِ (٤)
 سَقَتْنِي بِعَيْثِهَا الْهُوَى وَسَقَيْتُهَا ، قَدَبٌ دَيْبَ الرَّاحِ فِي كُلِّ مَفْصَلٍ (٥)
 فَلَمَّا اسْتَمَرَّتْ مِنْ دَجَى اللَّيْلِ دَوْلَةٌ وَكَأَذَى عَمُودِ الصُّبْحِ بِالصُّبْحِ يَنْجَلِي (٦)
 تَرَأَى الْهُوَى بِالشُّوقِ ، فَاسْتَحْدَتْ الْبُكَاءَ وَقَالَ لِلذَّاتِ اللَّقَاءِ : تَرَحُّنِي (٧)
 فَلَمْ تَرَ إِلَّا عِبْرَةً بَعْدَ عِبْرَةٍ مَرَقْرَقَةً أَوْ نَظْرَةً بِتَأْمَلٍ (٨)

وقال :

- يَا رَبِّ خُذْنِي قَدْ قَرَعْتُ جَبِينَهُ بِالطَّاسِ وَالْإِبْرِيْقِ حَتَّى مَالَا (٩)
 أَنْهَضْتُهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْكَرْتُهُ فَمَشَى كَأَنَّ بَرَجْلَهُ عُقْلًا (١٠)

- (١) الكبد الحرى : هي التي ألهمها العشق . الصبا : ملاحى الشباب . مقتل : قتله العشق .
 (٢) خالست الرقيب : تحببت غفلته . يريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .
 (٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديداً . العيطل : الطويلة العنق في حسن .
 (٤) أفنك : أتبدل . أتبتل : أمتنع منخرجا . يقول : إن حبي لها أكرم موضعها عندي فلم أسرف .
 ولم أنخرج وإنما كان هو معتدل . (٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .
 (٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .
 (٧) تراءى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .
 (٨) العبرة : الدفعة قبل أن تفيض . مرققة : تدور في باطن العين .
 (٩) الخلدن : الحبيب . الطاس : الإناء يشرب فيه . يريد ساقبته الخمر .
 (١٠) العقال : داء يأخذ الدواب في أرجلها . أى لا يستطيع المشى لشدة السكر .

* * *

فإذا نظرت رأيت قوما سادة ونجاة ومهابة وجمالا
ولديهم كرخية شمسية قد خلت في دنيا أحوالا (١)
حتى إذا بلغت، وحان خطابها ساومت صاحبها البياع فعالا (٢)
وكأنما الساقى لدى إبريقه بدر أنار ضيأؤه فتالالا (٣)
يسقيك بالعينين كأس صباية ويعيدها من كفيه جريالا (٤)
أصبحت كالثوب اللبس قد أخلقت جداته منه فعاد مذلالا (٥)
وبقيت كالرجل المدله عقله أشكو الزمان وأضرب الأمثالا (٦)
سألت عذالي فأبوا بالرضا متى، وكنت أحارب العذالا (٧)
ولقد علمت بأنه ما من فتى إلا سيبدل بعد حال حالا

وقال من وزن مولد :

يأيها المعمود قد شفق الصدود (٨)
فأنت مستهام حالفك السهود (٩)

- (١) كرخية : نحر منسوبة الى الكرخ وهي مجلة ببغداد . شمسية : أنضجتها الشمس . الدن : رطاء كبير تحتزن فيه النحر . يريد أنها نحر معتقة . الأحوال : جمع حول ، وهو العام .
(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهي دعوة المرأة للزواج . ساوم المشتري السلعة : طلب بيعها .
(٣) تالالا : تشدد في الثمن وزاد . (٤) تالالا : تالالا وأضاء .
(٥) الصباية : الشوق . الجريال : النحر . يسقيك كأسين إحداهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .
(٦) المدله : الذي أخلقته كثرة اللبس . جدّة الثوب : كونه جديدا . مذلالا : مهينا مبتذلا .
(٧) العذال : اللامعون . أبوا : رجعوا .
(٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفق : أوهنك وأنحلك . والصدود هنا : إعراض الحبيب ،
يفحّث الشاعر عن نفسه . (٩) المستهام : الذهاب القواد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَيِّتُ سَاهِرًا قَدْ وَدَعَكَ الْهُجُودُ (١)
 وَفِي الْفُؤَادِ نَارٌ لَيْسَ لَهَا نُحُودُ
 تَسْبُحُهَا نِيرَانٌ مِنْ الْهَوَى وَقُودُ (٢)
 إِذَا أَقُولُ يَوْمًا قَدْ أَطْفِئْتُ تَزِيدُ
 يَا عَاذِلِي كُفًّا فَإِنِّي مَعْمُودُ
 أَكْثَرُ مَا تَفْنِيْدِي لَوْ يَنْفَعُ التَّفْنِيْدُ (٣)
 قَدْ أَقْصَدْتُ فُؤَادِي نَحْصَانَةً نَحْرِيْدُ (٤)
 هَجْرَانَهَا قَرِيبٌ وَوَصْلُهَا بَعِيْدُ

مَنْ لَامَ فِي هَوَاهَا فَتُصَحِّحْهُ مَرْدُودُ
 يَا سِحْرُ وَاصِلِيْنِي فَإِنِّي عَمِيْدُ (٥)
 إِنِّي لِمَا أُلَاقِي مِنْ حُبِّكُمْ مَجْهُودُ
 جُودِي لِمُسْتَهَامٍ عَذْبَةً التَّسْهِيدُ
 تَسَهَّرُ مِنْ هَوَاكُمُ وَأَنْتُمْ رُقُودُ
 حَتَّى مَتَى مَنَآيَ لَا يُجْزِ الْمَوْعُودُ
 صَارَ الْهَوَى بِقَلْبِي يُبْدِي كَمَا يُعِيْدُ

(١) الهجود : النوم .

(٢) تشبا : توقدها وتزيدها . وقود : توقدها .

(٣) التفتيد : اللوم .

(٤) أقصدت فؤادي : طعته . نحصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحية .

(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

* * *

وَسَادَةٌ سَرَاةٌ	مَا فِيهِمْ مَسُودٌ (١)
كُلُّهُمْ جَلِيدٌ	مَا فِيهِمْ حَرِيدٌ (٢)
بَانَ السَّفَاهُ عَنْهُمْ	فَرَأَيْتُمْ سَدِيدٌ (٣)
يُسْقَوْنَ صَفْوَ رَاجٍ	لَذِيذُهَا مَوْجُودٌ
كَانَتْ يَعْهَدُ نُوحٌ	وَهُمْ لَهَا جُنُودٌ (٤)
حَتَّى إِذَا أُبْسِدُوا	أُورِثَهَا ثَمُودٌ (٥)
شَمْسِيَّةٌ شَمُولٌ	شَيْطَانُهَا مَرِيدٌ (٦)
مَدَامَةٌ لَهَا فِي	خُدُودِنَا تَوْرِيدٌ
كَانَ شَارِبِيهَا	فِي سُوقِهِمْ قَيْودٌ (٧)
حَتَّى انْتَنَتْ عَيْونُ	وَاحْمَرَّتْ أَلْخُدُودُ
فِي مَجَالِسٍ نَضِيرٍ	يَزِينُهُ الشُّهُودُ (٨)

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوي الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتناقلت فى الأحقاب حتى وصلت إلينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبع . شمول : نحرأز باردتها . المرید : المتمرد

الخبيث ، أى نحر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : إن شاربىها أقعدهم لسكر فكانهم مقيدون

لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطَارِفُ كَرَامٍ يَبِضُ الْوُجُوهَ صَيْدُ (١)
 مِنْ فَوْقِهِمْ أَطْيَارُ صِيَا حَهَا تَغْرِيدُ
 وَتَحْتَهُمْ جَنَانُ نَبَاتُهَا نَضِيدُ (٢)
 وَعِنْدَهُمْ دِفَافُ وَزَامِرُ وَعُودُ (٣)
 خَاضُوا يَبْحِرُ قَصِفُ تَجَرَّى لَهُ مُدُودُ (٤)
 حَتَّى أَنْتَشَوْا وَقَامُوا مَجْلِسُهُمْ مَحْمُودُ
 مَنْ نَالَ مِثْلَ هَذَا فَإِنَّهُ سَعِيدُ
 هَذَا الْخُلُودِ عِنْدِي لَوْ دَامَ لِي الْخُلُودُ

وقال :

أَدِيرِي عَلَى الرَّاحِ سَاقِيَةَ الْخَمِيرِ وَلَا تَسْأَلِيْنِي وَاسْأَلِي الْكَأْسَ عَنْ أَمْرِي (٥)
 كَأَنَّكَ بِي قَدْ أَظْهَرْتَ مُضْمَرَ الْحَشَا لَكَ الْكَأْسُ حَتَّى أَطْلَعْتُكَ عَلَى سِرِّي (٦)
 وَقَدْ كُنْتُ أَقْلِي الرَّاحَ أَنْ يَسْتَفْزِنِي فَتَنْطِقَ كَأْسٌ عَنْ لِسَانِي وَلَا أَدِيرِي (٧)

(١) غطارف : جمع غطريف وغطريف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة في الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى إذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك تريدنى وقد اطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره في نفسه . والحشا هنا : القلب

أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئاً فلا جرم أن يوح بما في نفسه .

(٧) ألقى : أبفض . يستفزنى : يستخفنى لذهاب وعي ، أى كنت أكره الخمر خوفاً لذهاب عقلى

فيظهر سرى دون أن أشعر .

- وَلَكِنِّي أُعْطِيتُ مِقْسُودِي الصَّبَا فَقَادَ بَنَاتِ اللّٰهُو مَخْلُوعَةَ الْعُذْرِ (١)
- إِذَا شِئْتُ غَادَانِي صَبُوحٌ مِّنَ الْهُوَى وَإِنْ شِئْتُ مَا سَانِي غَبُوقٌ مِّنَ الْخَمْرِ (٢)
- ذَهَبْتُ وَلَمْ أَحْدِدْ بِعَيْنِي نَظْرَةً وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْعَيْنَ هَاتِكَةً سِثْرِي (٣)
- جَعَلْنَا عَلَامَاتِ الْمَسُودَةِ سَيْنَا مَصَايِدَ لَحْظٍ، هُنَّ أَخْفَى مِّنَ السَّحْرِ (٤)
- فَاعْرِفْ مِنْهَا الْوَصَلَ فِي لَيْنِ طَرَفِهَا وَأَعْرِفْ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ (٥)
- وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِّنْ صُدُودِهَا أَيْتٌ عَلَى ذَنْبٍ، وَأَغْدُو عَلَى عُذْرٍ (٦)
- وَمُلْتَطِمِ الْأَمْوَاجِ يَرَى عِبَابَهُ بِجَرَجَةِ الْأَذْيِ لِلْعَبْرِ فَالْعَبْرِ (٧)
- مَطْعَمَةٍ حَيَاتُهُ مَا يُغْنِيهَا مَا يَكُلُ زَادٍ مِّنْ غَرِيقٍ وَمِنْ كَسِيرٍ (٨)

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك في النى . يقول : ولكنني عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعي الصبا ، فقادني مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللّٰهُو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحاً ، وضده الغبوق . وغاداني : باكرني . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شاني .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يقطن لها أحد .

(٥) النظر الشرر : يكون بجانب العين إعراضاً .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترميني بذنب لم أفعله . وأغدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التي ركبها الى مدوحه . وملتعلم الأمواج :

ورب بحراخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الأذي : صوت الموج والعبر : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغنيها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سفينة ، فحيتان النهر موفرة الطعام

من كثرة ما تصيب من الغرق والأمتعة ، يصف النهر بالهول .

إِذَا اعْتَنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ تَكَفَّاتُ جَوَارِيهِ أَوْ قَامَتْ مَعَ الرِّيحِ لَا تَجْرِي ^(١)
 كَأَنَّ مَدَبَّ الْمَوْجِ فِي جَنَابَتِهَا مَدَبُ الصَّبَا بَيْنَ الْوَعَاثِ مِنَ الْعُفْرِ ^(٢)
 كَشَفْتُ أَهَاوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهْوَالِهِ يَجَارِيَةِ مَحْسُولَةٍ حَامِلٍ بِكُرٍ ^(٣)
 لَطَمْتُ بِخَدَّيْهَا الْحَبَابَ فَاصْبَحَتْ مَوْقِفَةَ الدَّايَاتِ مَرُثُومَةَ النَّحْرِ ^(٤)
 إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بِقُنَّةٍ قَرْهَبٍ وَإِنْ أَذْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتِي نَسْرِ ^(٥)
 تَجَنَّفَى بِهَا النُّوْتَى حَتَّى كَأَنَّهَا يَسِيرُ مِنَ الْإِشْفَاقِ فِي جَبَلٍ وَغَيْرِ ^(٦)
 تَخَلَّجُ عَنْ وَجْهِ الْحَبَابِ كَمَا انْتَنَتْ مَحْبَاةٌ مِنْ كَسْرِ يَنْتَرِ إِلَى سِنْرِ ^(٧)
 أَطَلْتُ بِمِجْدَافَيْنِ يَسْتَوِرَانِيَا وَقَوْمَهَا كَبُحُ الْجَلَامِ مِنْ الدُّبْرِ ^(٨)

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجواري : السفن ، فالسفن مع تلك الريح تنكفى أو تقف لا تسير لهُول الحال .

(٢) جناباتها : جنبات السفينة . والصبا : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكتيب الأحمر ، يشبه محرك الموج بجوانب السفينة ، بخرك الريح بين الرمال فتحمل أجزائها متقلبة .

(٣) عاد إلى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله : هول النهر . محولة : يحملها الماء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بذلك السفينة .

(٤) الحباب هنا الموج ، موقفه لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكنف أو غضار بق الصدر . مرثومة : بها صبغ من حمرة أو بياض في مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث للموج في جانبي السفينة خطوطا خضرا أو حمرا . وهي مرثومة المقدم مصبوغة أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفرغت . قنة قَرْهَب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى في صدر المركب . راقت : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجدافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تنجافى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه . والاشفاق : الخوف . يقول : إن النوتى تحاشى موطن الخطر فكانه يسير في جبل وعمر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تنقل في فواحي البيت وأستاره مسترة .

(٨) يستاورانها : يستداولانها . والجلام هنا : سكان المركب يوجه به كما يقاد الفرس بالجلام . والدبر : الخلف .

- فَحَامَتْ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
أَنَافَ بِهَادِيهَا وَمَدَّ زِمَامَهَا
إِذَا مَا عَصَتْ أُرْنَحَى الْجَرِيرَ لِرَأْسِهَا
كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ
يَمْنًا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِأَرْبَعِ
فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى الطَّلَاحُ خَفِيرُهَا
وَحَبَّتْ عَلاَهَا الْمَوْجُ فِي جَنَابَاتِهَا
رَمَتْ بِالْكُرَى أَهْوَالَهَا عَنْ عُيُونِهِمْ
- عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرٍ (١)
شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَمِلُ الظَّهِيرِ (٢)
فَلَمَّا عَصِيَانَتِهَا وَهَى لَا تَدْرِي (٣)
نَسِيمَ الصَّبَا مَشَى الْعُرُوسِ إِلَى الْخَدْرِ (٤)
بِخَاءَتْ لَيْسَتْ قَدْ بَقِيْنَ مِنَ الشَّهْرِ (٥)
وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللَّحَاءِ مِنَ الْقِشْرِ (٦)
بَارِدِيَّةٍ مِنْ نَسِجِ طُحْلِبِهِ خُضِرِ (٧)
فَبَاتَتْ أَهَاوِيلُ السُّرَى بِهِمْ تُسْرِى (٨)

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديا : أشرف بعنى السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .
(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكانه حملها هلى العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا السفينة تترقى فى مشيا فتشبهه فى ذلك مشى العروس إلى خدرها ، وهو ما تستريه من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها المدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .
(٦) الطلاح : الكلال والإعياء . وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : القشر الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج .
وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : إن أهوال السفينة منعت ركبها النوم ، فباتوا يسرون فى أهوال ، والأهوايل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَوْمٌ مَحَلُّ الرَّاغِبِينَ وَحَيْثُ لَا تُدَادُ إِذَا حَلَّتْ بِهِ أَرْحُلُ السُّفَرِ^(١)
رَكَبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مُؤَخَّرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بَنًا مِنْ بَعِيدٍ بِحَرٍّ إِلَى بَحْرٍ^(٢)

(٩) أَبُو الْعَتَاهِيَّةَ^(٣)

قال :

خَافَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ^(٤)
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دَنُوٌّ وَتَزُوحُ^(٥)
هَلْ لِمَطْلُوبٍ يَذَنْبُ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ^(٦)
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ^(٧)
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ^(٨)

(١) تَوْمٌ : تقصد أى السفينة . تداد : تمنع . السفر : المسافرين ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلاً يقصده الراغبون في الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) في مؤخراته : أى في أواخر ركوبه . يقول إن السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرماً .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبياً خليعاً ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهداً . وكان بخيلاً شديداً بالبخل ، غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون ثراً .

(٤) الطرف : العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمر كثيرة . جموح : تافه لا يقنع .

(٥) تزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصي الآثم . نصوح : صادقة . والاستفهام للتمنى .

(٧) قروح : جمع قرح . وهو الجرح (الإثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوى .

كَمْ رَأَيْتَا مِنْ عَزِيزٍ طَوَيْتَ عَنْهُ الْكُشُوحُ (١)
 صَاحَ مِنْهُ بِرَجِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ (٢)
 سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ (٣)
 كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَالْهَوَى مَوْتُ يَغْدُو وَيَرْوَحُ (٤)
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسِيحُ نَكِينُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمَّ رُبَّ مَا عَمَّرَ نُوحُ (٥)

ومن قوله :

أَلَمْ تَرَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلَمَعُ (٦)
 أَيَا بَآئِي الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ تَجْمَعُ
 أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْبَرِّ يَوْمًا لَا مُحَالَةَ مَصْرَعُ
 تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ (٧)
 وَأَيُّ أَهْرَى فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلَعُ

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو ما بين السرة والظاهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلاً منبوذاً .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رجيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائماً يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلاً .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون في السحاب

استعارة مكنية . (٧) في الشطر الثاني استفهام تعجبي من طمع الإنسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرِّيعِ الْمُحِيلِ قَعُودِي إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِ (١)
وَرَايَ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمَّةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رَقُودِ
بِالْوِيَّةِ ، جَبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا وَرَايَاتٍ نَصِيرَ حَوْلِهِ وَبُنُودِ (٢)
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّهَا مَفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
وَشَدَّ عُرَا الْإِسْلَامِ مِنْهُ يَفْتِيَةٌ ثَلَاثَةِ أَمْلَاقٍ وَوَلَاةٍ عَهْدِ
هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ ، لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
تُقَلِّبُ الْحَاطِظَ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عَيُونُ خِطَبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ (٣)
خُدُودَهُمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ تَبَدَّدَتْ لِرَاءٍ فِي نَجُومِ سَعُودِ (٤)

وقال :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرٍ أَبِي وَجَدَّ وَتَسَبَّ يُعْلِيكَ سُورَ الْمُجَدِّ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ
لَا بَدَّ مِنْ وَرْدٍ لِأَهْلِ الْوَرْدِ إِمَّا إِلَى ضَحْلِ وَإِمَّا عَدَّ (٥)

(١) القعود : الجمل الفتي يقتعده الراعي في كل حاجة ورحلته ركبته . المحيل : الدارس . الزحوف : جمع زحف : الجيش الكثير يزحف إلى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول إن لهم عيوناً كعيون الظباء جمالا ، وقلوباً كقلوب الأسود جرأة ، ولعيونهم الحافظ تبعث الهيبة والروعة في النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالكة ، ويجوز أن يراد بها أوقات سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعبد : الماء الذي له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيش يكون أبلغ من عيش
صاحب البغي ليس يسلم منه
رب ذى نعمة تعرض منها
أبلغ الدهر في مواعظه بل
غبتني الأيام عقلي ومالي
ش كفاف قوت بقدر البلاغ (١)
وعلى نفسه بغي كل باغي
حائل بينه وبين المساع
زاد فيهن لي على الإبلاغ
وشبابي وصحتي وقرأني

وقال :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَنْتُمْ بِالْخَرَابِ
أَلَا يَا مَوْتَ لِمَ أَرَمَكَ بَدَأَ
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيئِي
فَكَلَّمُ يَصِيرُ إِلَى تَبَابِ (٢)
أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَمَا تُجَابِي
كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

وقال في الغزل :

قال لي أحد ولم يدري ما بي
فتفقت ثم قلت نعم حب
لو تجسسين يا عتيبة قلبي
قد لعمري مل الطيب ومل ال
ليتني ميت فاسترحت فاني
أحب الغداة عتبة حقا
ما جرى في العروق عرقا فعرقا
لوجدت الفؤاد قرحا تفقا (٣)
لاهل مني مما أفايسي وألق
أبدا ما حبيت منه ملق (٤)

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقا الجرح : افتتح وسال .

(٤) ملق : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسْبُكَ يَمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ

* * *

الْفَقْرُ فِيهَا جَاوَزَ الْكَفَافَةَ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

* * *

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمُّنِي أَوْ قَدَرُ إِنْ كُنْتُ أَخْطَاْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

* * *

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ ذُنُوحِ الْمَرْءِ حَسَنُ فِعْلِهِ

* * *

إِنْ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجُدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَىُّ مَفْسَدَةٍ

* * *

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى

* * *

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ

* * *

مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مُحْضُ يَحْبُثُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ

* * *

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّجِيحَا وَجَدْتَهُ أَتَى شَيْءٌ رِيحَا

* * *

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُودَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَا

(١٠) أبو تمام^(١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد، ويذكر فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ	فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَسَدِ وَاللَّعِبِ ^(٢)
يَبِضُّ الصَّفَائِحَ لَأَسْوَدُ الصَّحَائِفِ فِي	مُتَوْنِينَ جَلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ ^(٣)
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ	بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ ^(٤)
أَيْنَ الرُّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا	صَاغُوهُ مِنْ زُخْرِفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبٍ؟
تَخَرَّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً	لَيْسَتْ يَنْبَغُ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبَ ^(٥)

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبة إلى قبيلة طي . ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام ، ثم انتحدر إلى مصر صبيا فتروى الأدب ، وأكثر من حفظ الشعر ، قصيده وأراجيزه ، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار إلى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وفيه فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدّم سائر شعراء عصره . ويمتاز في شعره بتخير اللفظ . وتجو يد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتخري فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء : جمع نبا ، وهو الخبر يقول : إن السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا يحذروا المعتصم فتحها في هذا الأوان ، وقالوا إنا نجد في الكتب أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : إن السيوف البيضاء هي التي تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الأرماع : أي الرماح التي هي كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هي : الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : إن العلم الحق إنما هو في السيوف وليس في النجوم .

(٥) التخزص : الكذب . والنبع : شجر صلب ، ينبت في رومن الجبال . والغرب : نبات رخو ، ينبت على الأنهار ، أي أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل لها .

- عَجَائِبَ زَعَمُوا أَيَّامَ مُجْفَلَةٍ عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ (١)
وَحَوَفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيَّ ذُو الذَّنَبِ
وَصَنِيرُوا الْأَبْرَجَ الْعَلِيَّ مُرْتَبَةً مَا كَانَتْ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ (٢)
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ (٣)
لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْعِدِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ
فَتَسَحَّ الْفُتُوحُ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَنْوَابِهَا الْقُشْبِ
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمَنَى حَقْلًا مَعْسُولَةً الْخَلْبِ (٤)
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبِ (٥)
أَمْ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلُّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبِ (٦)
وَبَرَزَ الْوَجْهَ قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرَبِ (٧)

- (١) يقول : إنهم اختلفوا عجائب فزعموا أن صفرًا ورجبًا شهرًا شؤم لا يأتيان بخير .
(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام — أربعة منقلبة — وهي الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدتين ، ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فإن كان الحادث سيقع في برج ثابت فعلوه وإن كان في منقلب لم يفعلوه .
(٣) يقول : إن النجوم نفسها غافلة عما يتحدثون به ويأفكون .
(٤) المنى : ما يتمناه الإنسان . وحقل : جمع حافل ، وهي الناقة التي امتلأ ضرعها . والخلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : إن أبا نينا عادت وهي حافلة بالسرور ولنحقق ما آملت .
(٥) الصبيب : الانحدار .
(٦) يقول : إن عمورية كانت عزيزة عليهم كأمهم ، وإنها كانت ركنًا عظيمًا من أركانهم .
(٧) البرزة : الحسنة الوجه : الفاتحة في الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من ملوك التبابعة باليمن . يقول : إن عمورية جميلة فاتحة الجمال قد أعيأ فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَسِبِ
 يَكْرُفًا اقْتَرَعَتْهَا كَفَّ حَادِثَةٌ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النَّوَبِ
 حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا مَخَضَ الْبَيْخِلَةِ كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقَبِ (١)
 أَتَتْهُمْ الْكَرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةٌ مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَاجَةُ الْكَرْبِ (٢)
 جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ إِذْ غُوِدِرَتْ وَحُشَّةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ (٣)
 لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ نَحِرَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ (٤)
 كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِي الدَّوَائِبِ مِنْ آنِي دِمِ سِرْبِ (٥)
 بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْحَطَّى مِنْ دِمِهِ لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَصِبِ (٦)
 لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصُّخْرِ وَالْخَشَبِ (٧)
 غَادَرَتْ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى يَشْلُهُ وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ (٨)

(١) مخض اللبن . خلطه ماء . ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفي ما في اللبن من زبدة . يقول : إن الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة : متحيرة والضمير في منها واسمها يرجع على عمورية . يقول : إن الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها في حروبهم . (٣ ر ٤) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤماً على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قاني الدوائب : أحمر الضفائر . والآني : الحار جداً . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من يحنود بخضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما من النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : إن الليل المظلم صار نهاراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَانَتْ جَلَايِبَ الدُّجَى رَغَبَتْ
 ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
 فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَقَلَّتْ
 تَصْرَحُ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا
 لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ عَلَى
 مَا رُبِعَ مِئَةً مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
 وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أُذْمِينَ مِنْ نَجْجِلِ
 سَمَاجَةٍ غَنِيَتْ مِنَ الْعَيُونِ بِهَا
 وَحُسْنٍ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ
 لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصِرِ كَمَنْتَ
 تَدِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُتَّقِيهِمْ

عَنْ لَوْنَهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ
 وَظُلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي صُحَى شَيْبِ
 وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ (١)
 عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنْبِ (٢)
 بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَرْبِ (٣)
 غِيْلَانُ أَيُّهُ رَبِّي مِنْ رَبِّعِهَا الْخَرِبِ (٤)
 أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرِبِ (٥)
 عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنَظَرٍ عَجَبِ (٦)
 جَاءَتْ بِشَاشَتِهِ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
 لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقَضِبِ
 لِلَّهِ مَرَّتَيْنِ فِي اللَّهِ مَرَّتَيْنِ

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول : إن النار كانت قد ملأت ألقعة حتى لنظن أن الشمس طالعة وهي لم تطلع ، ونظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .
 (٢) تصرح : تكشف . يقول : انكشف الدهر كما يتكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جليا . ويعنى بطهره ما كان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب ديني ، ويعنى بجنايته ما كان فيه من سيئ وما إليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عرب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التي أكثر من التشيب بها .

(٥) الخد التراب : المعفر في التراب .

(٦) يقول : إن منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل في العيون من منظر جميل .

وَمُطْعِمِ النَّصْرِ لَمْ تَكُنْهُمْ أَسِنَّةُ
لَمْ يَغْزُقُوا وَلَمْ يَنْهَدُوا إِلَى بَلَدٍ
لَوْ لَمْ يَقْدُ بِجَحْفَلٍ يَوْمَ الْوَعَى لَفَدَا
رَمَى بِكَ اللَّهُ بَرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
مِنْ بَعِيدٍ مَا أَشْبُوها وَأَثَقِينَ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدُ
أَمَانِيَا سَلَبَتْهُمْ نَجْحَ هَاجِسِنَا
إِنَّ الْحَمَامِينَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمُرٍ
لَبِيتَ صَوْتًا زَبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
عَدَاكَ حَرَّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ غَنُ
يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ (١)
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ (٢)
مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍ
وَلَو رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ تُصِبِ
وَاللَّهُ مُفْتَبِّحٌ بَابِ الْمُعْقِلِ الْأَشْبِ (٣)
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْيُورْدُ مِنْ كَثَبٍ (٤)
فَطَبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ
دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ (٥)
كَأْسُ الْكَرَى وَرُضَابُ الْخُرْدِ الْعُرْبِ (٦)
يُرِيدُ الثُّغُورَ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ (٧)

- (١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر كما يطعمه الرزق .
وكهنت أسننه : كلت . (٢) نهده الرجل : تهض .
(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .
(٤) ذوأمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بما من اذ ليس مكان قريب تحمل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .
(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : إن السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .
(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلحة فيها نادت وامتنصاه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية . والرضاب : الريق . والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحبة لزوجها .
(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المناخلة للعدو . والثغور الثانية : أسنان الحسان .
وسلسالها : ريقها . الحصب : العذب .

- أَجَبْتَهُ مُعَلِّناً بِالسَّيْفِ مُنْصَلِّتاً
 حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشُّرْكِ مُتَقَعِباً
 لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوْفَلِسُ
 غَدَاً يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ بَحْرِيَّتَهَا
 هِيَّاتَ زُعَيْرَاتِ الْأَرْضِ الْوَقُورُ بِهِ
 لَمْ يَنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرْبَى لِكَثْرَتِهِ
 إِنَّ الْأُسُودَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا
 وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطَى مَنَاطِقَهُ
 أَحْذَى قَرَابِنَتَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى
 مُوَكَّلَا بَيْقَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ
 إِنْ يَعُدُّ مِنْ حَرْهَا عَدُوَ الظُّلُمِ فَقَدْ
- وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ يُجِبْ (١)
 وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ
 وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ (٢)
 فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْحَدَبِ (٣)
 عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مَكْتَسِبٍ
 عَلَى الْحَصَى وَيَهْ فَقَسَّرَ إِلَى الذَّهَبِ (٤)
 يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
 بِسَكْنَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَحْبِ (٥)
 يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ (٦)
 مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرِبِ (٧)
 أَوْسَعَتْ جَاحَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ (٨)

- (١) الضمير في أجبته يعود على الصوت الزبطى . وهو صوت المرأة المستغيثة .
 (٢) توفلس : ملك الروم . والحرب بالفتح : سلب الأموال .
 (٣) يقول إن توفلس أخذ برشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش تغلبه البحر ذو التيار والحذب .
 ويعنى بالبحر الجيش العظيم . وذو الحذب : ذو الموج المتلاطم .
 (٤) الضمير في ينفق : يعود على المعتصم .
 (٥) الضمير في ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرجه السيف .
 (٦) أحذى : أعطى . وقرايته : أى المقربين له . يقول : إن توفلس قدم المقربين إليه هدية لصروف
 الدهر وفر هو على أسرع مطاياهم وأنجىها .
 (٧) البيقاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .
 (٨) يقول : إن فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لأنك أضربت نارا لا عهد له بها .

تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضَجَتْ
يَأْرُبُ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتَثَ دَابِرُهُمْ
وَمُنْقَضٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لِحَج
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَهُ
بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتِ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ ! جَاوَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ
بَصُرَتِ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِيمٍ

جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضَجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ (١)
طَابَتْ وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالمِسْكِ لَمْ تَطِبْ (٢)
حَى الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيَّتَ الغَضَبِ
تَجَنُّو الكُفَاةُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ (٣)
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبِ (٤)
إِلَى الْمُخْذَرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
تَهْتَرُ مِنْ قُضْبِ تَهْتَرُ فِي كُتُبِ (٦)
أَحَقُّ بِالْبِيضِ أَبَدَانًا مِنَ الْحُجْبِ (٧)
جُرْثُومَةُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
تَسَالُ إِلَّا عَلَى جَسِيرٍ مِنَ التَّعَبِ
مَوْصُولَةٌ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِ (٨)

(١) يقول : إن جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفي هذا تهكم بقول المنجمين الذي ذكر في أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس و معنى تقوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المازق : موضع الحرب . ولحج : ضيق . والكافة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثاني ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) معنى بالمخذرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : إن قطع الرقاب كان سببا في فتح

عمورية والضمير في بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلته : مشهورة . والقضب الثانية : الفصول . أى كم أحزنت هذه

السيوف قدردا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغناد . يقول : إن هذه السيوف أحق أن تعتمد في صدور

الأعداء البيض أبدا من أن تعتمد في جراها . (٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : مقطوع

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا . وَبَيْنَ أَيَّامٍ « بَدْرٍ » أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبَقْتُ نَبِيَّ الْأَصْفَرِ الْمَرَاضِ كَأَسْمِهِمْ . صُفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوَّجَهُ الْعَرَبِ (١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب .

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا . عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ (٢)
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَيْمَّ صُدُورُهُ . وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَيْمَّ عَوَاقِبُهُ (٣)
عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهْدَمَتْ . غَيْرِ يَكْتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهُ (٤)
رَعْنَةُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حَقِيقَةً . رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ (٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمَلِكِ كُلَّمَا . هَبَطْنَا مَلَأَ صَهَّتْ عَلَيْكَ سَبَابِسُهُ (٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةُ مُلْكِهِ . وَآمِلُهُ غَايَ عَلَيْهِ فَسَالِبُهُ (٧)

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلاً . يقول : إن هؤلاء الركب ركبوا على مثل

أسنة الرماح وهي كور الجمال التي تشبه الأسنة في الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته .

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أي أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم

أثله وهو السفر ويحمل التعب ولكن ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك .

والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كنية عن الضمور .

(٥) الفيافي : قنوات لاماء بها ، والواو للحال : أي أن هذه الإبل كانت ترعى الفيافي أيام نضارتها وهي

الآن ترعاها الفيافي فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضاً . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه

بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أثنت عليه . والسبابس : جمع سببس . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وآمله : طالب العطاء منه . يقول : إنا سرنا إلى من يسلب الجبار

ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ
 سَمًا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
 فَتَوَلَّ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ
 وَأَيْنَ يُوْجِهَ الْحَزْمُ عَنْهُ وَإِنَّمَا
 أَرَى النَّاسَ مِنْهَا جِ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ
 فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَايِرِ
 إِذَا مَا أَمْرُؤُ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا
 فَأَلْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا
 الْقَوْمُ ظِلُّ اللَّهِ أَسْكَنَ دِينَهُ
 فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِيسِرْدُ مُشْرِقِ

أَقْوَاتَهَا لِتَصْرِفَ الْأَحْصَارِاسَ (٦)
 وَبَنُو الرِّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَاسِ (٧)
 فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّايِ
 وَهُمْ الْفِرْنْدُ لَهُؤْلَاءِ النَّاسِ (٨)

(١) يريد بجانب العلا الشجاعة في الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زحمت .
 وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للشكلات . ومرائى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايع واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى عليهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجيح مطلبه .

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدا ومعروف مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول ومعروف

السماء : المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم ما رجوا .

(٨) الفرند : روق الشئ .

- هَدَّاتُ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هَمَّتِي
وَالْحَمْدُ بَرْدُ جَمَالٍ اخْتَالَتْ بِهِ
أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ
إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةٍ حَاتِمِ
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ
غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِي بِاللَّيْلِ
عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ
أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
- وَأَطْلَافُ تَقْلِيدِي بِهِ وَقِيَاسِي (١)
خُرُرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بَرْدُ لِبَاسِ
فِيهِ وَأَكْرَمَ شِمَةٍ وَنُحَاسِ (٢)
فِي حِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذِكَاةٍ إِيَّاسِ (٣)
مَثَلًا شُرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
مَثَلًا مِنْ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ (٤)
أَظْهَرْتَ مِنْ بَرٍّ وَمِنْ إِيْنَاسِي
مِنْ كِبَرَةٍ لِكِنَّةٍ مِنْ يَاسِ (٥)
أَثَرُ السَّيْنَيْنِ وَوَسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

- لَمَّا وَرَدْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى
أَحْيَا الرِّجَاءِ لَنَا بَرْغَمِ نَوَائِبِ
- عَنَّا تَعَجَّرُفٌ دَوْلَةِ الْإِحْخَالِ (٦)
كَثُرَتْ يَهْرٌ مَصَارِعُ الْأَمَالِ (٧)

(١) يقول : إن همتي استقرت بعد أن أملت أحمد بن المعتصم ، وتقليدي للناس في السعي إليه وتجاري به .
حققت آمالي .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة إذا أسديتها إليه . والنحاس : الشبهة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائي المشهور بالكرم ، وإيَّاس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ،
والأحنف بن قيس سيد بني تميم .

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : إن مشيبي تحول إلى شباب ولم يكن مشيبي من كبر ولكنه من يأس ، فلما قصدتك زال
همي ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الإخمال : الجذب .

(٧) مصارع . جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

- أَغْلَى عَذَارَى الشُّعْرِ أَنْ مُهَوَّرَهَا عِنْدَ الْكَرَامِ - وَإِنْ رُخِّصَنَ - غَوَالِي (١)
تَرِدُ الظُّنُونُ بِنَا عَلَى تَصْدِيقِهَا وَيُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأَمْوَالِ (٢)
وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتَ نَفْسَكَ سَبِيهَا لِي ثُمَّ جُدْتَ، وَمَا انتَظَرْتَ سُؤَالِي (٣)
كَالْغَيْثِ لَيْسَ لَهُ - أَرِيدَ نَوَالَهُ أَوْ لَمْ يَرِدْ - بُدٌّ مِنْ التَّهْطَالِ (٤)

وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

- لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ تُصَابُ مِنَ الْأُمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَقَاصِلِ (٥)
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ (٦)
لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَبَكْنٌ وَقَعْمَاءُ بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ (٧)
قَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلٌ (٨)

- (١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التي لم تبذل .
(٢) يقول : إن ما نظمه ونحاله من الخيرات يدفعنا إليه فتجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملناه فيه .
(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتني فاقضيت نفسك إعطائي دور أن أسألك ذلك .
(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثاله .
(٥) الشبابة : سن الرج ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشبابة أشكل بالمعنى الذي أواده . الكلى جمع كلبة ، يريد أنه موفق إلى الحكمة والإصابة حتى لا يقع رأيه في تدبير الأمور إلا في الصميم .
(٦) الأرى : عسل النحل . واشتارته : استخرجته من شحمه . واللعاب : الريق . يريد أنه إذا غضب كان قوله كسم الأفاعي ، وإذا رضى كان في حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيثة باستخراجه .
(٧) الريقة : الريق . كو الطل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وإن لم يصب من المداد إلا يسيرا فإن أثره في شرق الأرض وغربها جليل عظيم .
(٨) يريك به راكبا حين تجمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه إنما يعتمد على وجليه . .

- إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت
عليه شعابُ الفِكَروهي حَوافل (١)
أطاعته أطرافُ القنأ، وتَقَوَّضَتْ
لنَجْوَاهِ تقوِيضُ الخِيَامِ الجَحَافِلُ (٢)
إذا استَغَزَرَ الذهنُ الحليُّ وأقبلتْ
أُماليه في القِرطاسِ، وهي أَسَافِلُ (٣)
وقد رَفَدَتْهُ الخِئَصِرَانِ، وسَدَّدَتْ
ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَلَاثُ الأَنَامِلُ (٤)
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانَهُ وهو مُرْهَفٌ
ضَنَى وَشَمِينًا خَطْبُهُ وهو نَاحِلُ (٥)

وقال يرثى محمد بن حميد الطوسي :

- كَذَا فليَجِلَّ الخُطْبُ، وَليفْدَحِ الأمرُ
فليس لعينٍ لم يَقْضِ ماؤُهَا عُذْرُ (٦)
تُوَفِّتِ الآمَالُ بعدَ محمدٍ
وأصْبَحَ في شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ (٧)
وما كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ
وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى، وليس لَهُ ذُخْرُ (٨)
وما كَانَ يَدْرِي يُجْتَدِي جُودَ كَفِّهِ
إذا مَا اسْتَهْلَتْ أَنَّهُ خُلِقَ العُسرُ (٩)

(١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهي هنا مناحي التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زائرة .

(٢) القنأ جمع قنأ وهي الرمح . وأطرافها أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد .

(٣) القِرطاس : ويجمع على قراطيس الوزق . ويريد بأعلى القلم أسلته (سته) .

(٤) رَفَدَهُ : أعانته وأمدّه . ويريد بالخِئَصِرَيْنِ : الخِئَصِرَ والبِئَصِرَ من باب التغليب كما يطلق العُمرَانِ على أبي بكر وعمر، والقُمرَانِ على الشمس والقمر .

(٥) المَرْهَفُ : المَرْقُ الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .

(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .

(٧) السفر : المسافرين . يقول : إنه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملون إلا فيه .

وشغلت الناس الرزية فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .

(٨) الذخروالذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .

(٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية ، والمراد به (استهلت) كفه : استدت ، والمعنى أنه كان يجزل العطايا

حتى إن سألوه ما كانوا يدرون أن العسر قد خلق .

- أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَظَّمَتْ لَهُ بِفَحَاجٍ سَبِيلَ اللَّهِ ، وَانْتَفَرَ الثَّغْرُ^(١)
 قَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عَيْنُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا ضَحِيكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^(٢)
 قَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فَيَا يَنْبُوبَهُ قَتَى بِأَيْسِهِ شَطْرٌ ، وَفِي جُودِهِ شَطْرُ^(٣)
 قَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيْتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذَا فَاتَهُ النَّصْرُ^(٤)
 وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمَرُ^(٥)
 وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرْدَهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ^(٦)
 وَنَفْسٌ تَعَاثُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ^(٧)
 فَاثْبَتَ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا : مَنْ تَحْتَ أَنْخَصِكَ الْحَشْرُ !^(٨)
 غَدَاً غُدُوَّةً ، وَالْجَمْدُ نَسِيحُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصِرَفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ^(٩)

(١) فحاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلتين . والمراد بها هنا مجزء الطريق . وانتفر : انتفر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : إنه ما من قبيلة دحرت في الحرب حتى فاض الدم من عيونها إلا ذكره الناس بالفخر . لأنه هازمها . (٣) ينبوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : إنه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وغزتها تماثل النصر حين فاته النصر .

(٥) مضرب السيف : حده . واعتلت : اعتذرت وتناقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وثبتت بالسبرة كما تثبت السيوف بالياض . يقول : إنه لم يقتل حتى تشلم حده سيفه من شدة ما ضرب به وحتى تقصفت الرماح في يديه فلم تعد تغنى في الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والغضب عند حفظ الحرمه ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد الأتفة

يقول : إنه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالحرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أتفة من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعلل للوت مستنقعا كاستنقع الماء وهو مجتمعه في بطن الوادى . وأنخص القدم ما لا يصيب الأرض من باطنها . يريد أنه قد ثبت للوت فلا تحوّل رجليه إلى أن يموت حتى كأن الحشر من تحتها .

(٩) غدا : تخرج في أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مشوبا مأجورا .

تَرْدِي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا ، فَمَا دَجَا لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرُ (١)
 كَانَتْ بَنِي نَبَاهَنَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ نَحَرَ مِنْ بَيْنِهَا الْبَسْدَرُ (٢)
 يُعْزُونَ عَنْ ثَاوٍ تُعْزَى بِهِ الْعُلَا وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشَّعْرُ (٣)
 وَأَنْتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَشْهَدَا هُوَ وَالصَّبْرُ (٤)
 فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحَ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ وَلَكِنْ كَبْرًا أَنْتَ يُقَالُ بِهِ كِبَرُ (٥)
 فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ حَمَى لَهَا وَبَزَّتُهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرُ (٦)
 وَقَدْ كَانَتْ أَلْبِيضُ الْمَأْتِيرُ فِي الْوَعْيِ بَوَاتِرًا ، فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ (٧)
 أَمِنْ بَعْدِ طَلَى الْحَادِثَاتِ مَحْمَدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى أَبَدًا نَشْرُ (٨)
 إِذَا شَجَرَاتِ الْعُرْفِ جُدَّتْ أَصُولُهَا فَفِي أَيْ فَرْعٍ يُوجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ ؟ (٩)
 لَنْ أَبْغِضَ الدَّهْرُ الْخَثُونَ لِفَقْدِهِ لَعَبْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ (١٠)

(١) تَرْدِي الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير .

(٢) بنو نبهان : قوم المرثي .

(٣) ثاو : ثوى بالمكان يتوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم في قبره ما يبرحه .

(٤) استشهد الرجل بالبناء للجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتل بالصبر عليه

وقد مات ومات معه غريزة الصبر في قومه واللائذين به .

(٥) الغضاضة هنا بمعنى الذلة . يقول : إنه كان كريم النفس لين الجانب لا من ذلة ولا استكانة بل

أقوة من أن يقال إن فيه تكبرا . (٦) بزته : يقال بزه ثوبه وابتزته : سلبه .

(٧) المأثير : جمع ماثور . والسيف الماثور : القديم المتوارث . والوعى : الحرب . وبواتر :

جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتري أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت في حياته حادة قاطعة

فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ وإذ مات

لم يبق لها قوة على النضال . (٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .

(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .

(١٠) يريد أن الدهر إذا كره لموته فإن الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظام ومفخر في الحياة .

لئن غدرت في الروع أيامه به فما زالت الأيامُ شيمتها الغدير^(١)
لئن ألبست فيه المصيبة طيًّا فما عيرت منها تميمٌ ولا بكر^(٢)
كذلك ما تنفك نفيك هالكا يُشاركنا في فقدِه البدو والحضر
سقى الغيثُ غيثًا وارت الأرضُ شخصه وإن لم يكن فيه سحابٌ ولا قطر
وكيف أحمالي للغيوثِ صنيعة بإسقاتها قبراً ، وفي الحسده البحر^(٣)
مضى طاهر الأثواب لم تبقى روضة خداة ثوى إلا اشتت أنها قبر
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر^(٤)
عليك سلامُ الله وقفاً فإني رأيت الكريم الحسر ليس له عمر^(٥)

(١١) دِغِيل^(٥)

قال :

أين الشبابُ ؟ وأية سلكا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلُّنا بل هلكا^(٦)
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكي^(٧)

(١). الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيٍّ وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) تميمًا وبكرًا .

(٣) كيف احتمل للطرجيلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بخرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا . (٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبل بن علي بن رزين يمني من نخاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء ، خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ، فعاش مكرها مرهوبا حتى توفي سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذي الأسلوب القوي لتأثره بنزعة الجريشة في وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، ويميله إلى الإرهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمدح .

(٦) أية : أي سبيل . (٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يا ليت شعري كيف يومئذ يا صاحبي إذا دمي سُفِكَ
لا تأخذا بظلامتي أحداً ، قلبي وطرفي في دمي أَشْتَرَكَا (١)

ومن قوله يرى ابن عم له من خُزاعة :

كَانَتْ خُزَاعَةٌ مِلءَ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا (٢)
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّأَوِي بِبَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا (٣)
هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ لَا هُبُوبَ بِهِ وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُبَارِيهَا (٤)
أَضْحَى قِرَى لِنَابَا إِذْ تَزَلْنَ بِهِ وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِيهَا (٥)

وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

أَلَمْ يَأْنِ لِلسَّافِرِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا إِلَى وَطَنِ قِبَلِ الْمَمَاتِ رُجُوعُ (٦)
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَايَ عِبْرَةٍ نَطَقْنَ بِمَا ضُمْتُ عَلَيْهِ ضُلُوعُ (٧)

(١) الظلامه بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشي : الجوانب . والمفرد حاشية .

(٣) الثاوي : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد

لأنه مدفون بأرض مقفرة تسقى بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها في حياته كانت

تعجز عن مسايرته حين يسرع هو إلى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهنى

يقدم إلى الموت ضحايا من قتلاه في الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأنى : يقرب ويحضر ، والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) وإلى وطن متعلق بـ رجوع ،

والاستفهام للإنكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق إلى الوطن والأهل .

تَبَيَّنَ ! فكم دار تَفَرَّقَ شملُها ! وَشَمِلَ شَتِيتَ عادَ وهو جَمِيعُ (١)
كذلك الليالي صَرُفُهنَّ كما تَرَى ، لِكُلِّ أناسٍ جَدْبَةٌ وَرَبِيعُ (٢)

وكانت مودة بين دِعبِل ومسلم بن الوليد أعقبتها جفوة ، فكتب إليه دِعبِل :

أبا عَجَلَدٍ كُما عَقِيدَى مودةِ هَوَانَا وَقَلبانَا جَمِيعًا مَعًا مَهَبَا (٣)
أَحْوَطَكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَجْزَعُ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ تَتَوَجَّعَا (٤)
فَصَيَّرَتْنِي بَعْدَ انْتِكَائِكَ مُتَمَمًا لِنَفْسِي ، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعَا (٥)
غَشَّيْتُ الْهَوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أَصُولُهُ بِنَا ، وَابْتَدَلَتِ الْوَصْلَ حَتَّى تَقَطَّعَا (٦)
وَأَنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ذَخِيرَةً وَدُّ طَالِمُنَا قَدْ تَمَنَّعَا (٧)
فَلَا تَلَحَّيْنِي ، لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَحَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرَقَعَا (٨)
فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ فَقَطَعْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَةً فَتَشَجَّعَا (٩)

(١) الشمل : ما اجتمع من الأمر أو ما تفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجَمِيع : المجتمع .

(٢) صرف الليالي : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالنا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاهد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لا نتخالف .

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائباً فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، وأخشى أن تتألم لشيء مما .

(٥) انتكائك : انصرافك عنى ، ومعنى متهم لنفسى الخ : أننى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس

جميعاً بعد ما نخنتى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتدلت الوصل : اتمته .

(٧) الجوانح : الحوائج . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما بينهما

(القلب) . وتمنع : كان قوياً لا يهين .

(٨) لحاء بلحاء ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب ، أى لا أمل فى إصلاحك .

(٩) يمينى : يدي اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأكل منه . ومعنى

الشرط الثانى : صبرت قلبى على قطيعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَعْلَمُهُ مِنْ ذِي يَمَانٍ ، وَمِنْ بَكْرٍ ، وَمِنْ مُضِرٍّ (١)
إِلَّا وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ كَمَا تَشَارَكَ الْأَيْسَارُ عَلَى جُزُرٍ (٢)
قَتْلٌ ، وَأَسْرٌ ، وَتَحْرِيقٌ ، وَمَنْهَبَةٌ فَعَلَ الْغَزَاةَ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرِ (٣)
أَرَى أُمِّيَّةً مَعْذُورِينَ إِنْ قَتَلُوا وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرِ (٤)
إِرْبَعٍ يَطُوسُ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا مَا كُنْتُ تَرْبَعٌ مِنْ دِينَ عَلَى وَطِيرٍ (٥)
قَبْرَانِ فِي طُوسَ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَقَبْرُ شَرِّهِمْ ؛ هَذَا مِنَ الْعَبْرِ
بِمَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَلَا عَلَى الزَّكِيِّ يَقْرُبُ الرَّجْسَ مِنْ ضَرَرٍ (٦)
هِيَاتَ ! كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ لَهُ يَدَاهُ ؛ نَخْذُ مَا شِئْتَ أَوْ قَدَّرَ (٧)

- (١) الأحياء : البطون والعشائر ، مفردا : حي ، والشرط الثاني : بيان للأحياء .
(٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر ، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للقامرة شيئا ، يقول اشترك الأحياء في قتل آل البيت كاشتراك المقامرين في بحر الجزر .
(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .
(٤) يقول : إن الأمويين معذورون في قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .
(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبر علي الرضا من آل علي بن أبي طالب الذي مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغيسة أي إذا كنت محتاجا إلى أداء حق ديني فخرج على ذلك القبر (قبر علي الرضا) .
(٦) الرجس : القبيح والقذر .
(٧) هيات : بعد وفاعله محذوف ، أي بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر ... فكل أمرى محاسب على ما عمل .

وقال في آل بيت الرسول :

- مدارس آيات خلت من تلاوة . ومترل ونحي مقفر العرصات (١)
 لآل رسول الله بالخيف من منى . وبالركن والتعريف والجمرات (٢)
 ديار علي والحسين وجعفر . وحسرة والسجاد ذي الثفات (٣)
 ديار عفاها ككل جون مبادر . ولم تعف للأيام والسنوات (٤)
 قفا نسأل الدار التي خف أهلها . متى عهدتها بالصوم والصلوات
 وأين الألى شطت بهم غربة النوى . أفانيت في الآفاق مفترقات (٥)
 وما الناس إلا حاسد ومكذب . ومضطغن ذو إحنة وتوات (٦)
 إذا ذكروا قتل بيدر وخير . ويوم حنين أسبلوا العبرات (٧)

(١) المقفر : الخالي من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحي الرسول عليه السلام .

(٢) أسماء مواضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) علي بن أبي طالب ، ومن بعده من قبله وشيعته الذين نالهم الحكام بالتشتيت والقتل . والثفة : الركبة ومجتمع الساق والخذ ، والسجاد ذو الثفات : مدخل بن الحسين ، لأن طوك السجود أثر في ثفاته .

(٤) عفاها : محاسنها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفردة فن . والمعنى أن النوى ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقط . والإحنة : العداوة والحقد . والتوات جمع ترة : النار .

(٧) بيدر وخير وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه إبان الدعوة إلى الإسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

* * *

لَهُمْ كُلَّ حِينَ نَوْمَةً بِمَضَاجِعِ لَهُمْ فِي تَوَاجِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفَاتٍ
 وَقَدْ كَانَتْ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا مَغَاوِيرٌ يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ (١)
 مَلَأَمَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحِبَّاءَ مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي (٢)
 تَخَيَّرْتَهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرَاتِ (٣)
 فَيَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصَبِيرَةٍ وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كُهُولٍ وَفِتْنَةٍ لَفَكَ عُنَاةٍ أَوْ لِحِمْلٍ دِيَّاتٍ (٤)
 أَحِبُّ قِصَى الرَّحِمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ وَأَهْجُرُ فِيكُمْ أَسْرَتِي وَبَنَاتِي (٥)
 وَأَكْتُمُ حُبِّيكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ عَنِيدٍ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتٍ (٦)
 لَقَدْ حَقَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَبَنِي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
 أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيْدِيهِمْ مِنْ قِيَمِهِمْ صَفِيرَاتٍ (٧)

(١) المغاوير : جمع مغوار، وهو كثير الغارات. والسروات : السادات، المفرد : سرة .

(٢) ملائك : أى دع لومك إياي ، فى أهل النبى أى فى مدحهم والتعصب لهم .

(٣) الخيرات : جمع خيرة وهى من الشئ . أو القوم الأفضل .

(٤) بنفسي أنتم : أفديكم بنفسي . والعناة : جمع عان وهو الأسير . والديات : جمع دية ، وهى ما يدفع من المال فى دم القتيل ، يريد أنهم يفكون الأسرى . ويحملون الديات عن تلمذه .

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء : القرابة كالرحم . والقصى : البعيد ، يقول : أحبكم وإن كانت

صلتى بكم بعيدة فهو يبنى وهم مضرية .

(٦) الكاشح : من يضمر السداوة . المواقى : المواقى والمناصر .

(٧) الفى : الخراج والغنيمة . وصفرات : خاليات ، يريد أن مال الخراج لا يصل إليهم مع أن لهم

فيه حقا .

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يُخَفُّ جُسُومُهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُفِّلُ الْقَصَرَاتِ (١)
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ (٢)
 إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفًا مِنَ الْأَوْتَارِ مُنْقِضَاتِ (٣)
 فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجَوُهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدَ لَقُطِّعَ قَلْبِي لِأَثَرِهِمْ حَسَرَاتِ (٤)

(١٢) علي بن الجهم^(٥)

قال في الفراق :

- يَا رَحْمَتَا الْغَرِيبِ بِالْبَلَدِ النَّاسِ زِيحٌ مَآذَا يَنْفُسِيهِ صَنَعَا (٦)
 فَارَقَ أَحِبَّاءَهُ فَمَا أَنْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَنْتَفَعَا (٧)

- (١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، مخاية عن مجتمهم .
 (٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .
 (٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار : جمع وتر (كسب) : معلق القوس ، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .
 (٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبي من الحسرة والحزن عليهم .
 (٥) هو أبو الحسن علي بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شيء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسليه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليضليه ثمارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة في ذلك . ولما اتهم في أخلاقه وكراهة آل علي وجفاه الناس ذهب الى الشام في قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .
 وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا بجيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعاني حسن التعليل .
 (٦) يا رحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد التارح . البعيد النائي .
 (٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الْهَوَى بِجَوَى هُوَ الْحَقُّ وَمَلَكَتْنِي فَلَيْهِنِكَ الرَّقُّ (١)
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مَعَذِّبَهُ رِفْقًا وَلَيْسَ لظَالِمٍ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتُكَ لَا تُكَلِّمْنِي صَافَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَالْأَفْقُ (٢)

وقال :

اعْلَمِي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ أَنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ قَاضٍ عَلَيَّ
إِنَّ قَضَى اللَّهِ لِي رُجُوعًا إِلَيْكُمْ لَا ذَكْرُ الْفِرَاقِ مَا دُمْتُ حَيًّا
إِنَّ حُرَّ الْفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْمِي وَكَوَى الْقَلْبَ مِنِّي الشَّوْقُ كَيْمَا

وقال :

لَا تُكْتَمَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حَرِّقٍ حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يُقَالَ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْتَشِقُهُ إِنَّ الشَّكَاةَ لِمَنْ تَهْوَى هِيَ الْبَاسُ (٣)
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ أَلْكَاسُ (٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَالنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ (٥)
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غِثَتْ غَائِبَةً حَتَّى إِذَا عُدْتُ لِي عَادَتْ إِلَى بَدَنِي (٦)

(١) الهوى : شدة الحرقه من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهني معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ما ما الأرض . (٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول إنه لا يبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى بجلالسه إذا شربوا الخمر على الرغم من أن الخمر تحل عقد الألسن ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف : البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والهمزة : الجسم .

وكتب من حبسه الى الخليفة المتوكل يستغيث به ويسأله العفو :

- أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى (١)
وَيَغْذُوكَ بِالنَّعِيمِ السَّائِغَا تِ وَلِيدًا وَذَا مِيعَةٍ أَمْرَدَا (٢)
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالَّذِي تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى (٣)
وَيُعَلِّيكَ حَتَّى لَوَانَتْ السَّمَاءُ تُنَالُ بِحَاوِزَتِهَا مُضْعِدَا (٤)
فَشُكْرًا لَأَنْعَمِهِ إِنَّهُ إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا (٥)
وَعَفَاكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ قَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعِدَا (٦)
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقُدَا (٧)
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُودُ بِفَضْلِكَ أَنْ أُبْعِدَا (٨)

(١) . أقاله : صفح عنه . والردى : الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسائغات : الواسعات . وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذي لم تثبت لحينه . يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد الى أن صار قتي .

(٣) المدى : الغاية . وفي هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : إن المقادير مازالت تجري بكل ما يجب حتى وصل الى الغاية وهي الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للجهول يوصل اليها . ويقال أصد في الأرض فهو مصعد ذهب من أرض الى أعلى منها . والمراد هنا مجزء الارتفاع .

(٥) الأنعم يسكون التون : جمع نعمة . والشاعر في عجز البيت يلجأ الى قول الله تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذي يوجب القلق والاضطراب .

(٧) أدرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه . وأفضى به : أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعود عيادا ومعاذا بفتح الميم : لجأ اليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أُعْتَمِدْ لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا (١)
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى (٢)
 وَمُفْسِدَ أَمْرِ تَلَافَيْتُهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا (٣)
 فَلَا عُدَّتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرْتُ تَ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَنَدَا (٤)
 وَإِلَّا نَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى (٥)

وقال يذم مغنيا :

كُنْتُ فِي مَجَالِسٍ فَقَالَ مُغْنَى الْـ قَوْمُكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشُّنَاءِ
 فَذَرَعْتُ الْبِسَاطَ مِنِّي إِلَيْهِ قُلْتُ هَذَا الْمِقْدَارُ قَبْلَ الْغِنَاءِ (٦)
 فَإِذَا مَا عَزَمْتُ أَنْ تَسْتَعْنِي آذَنَ الْحَرْ كُكُّهُ يَأْتِقُضَاءِ (٧)

(١) لم أعتد : لم أعتدده ، أى لم أقصده . واليد : المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملاحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى الحدد وهو القبر . يريد أنه سيفيم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء : بعافه : كرهه فتركه . يقول إنه بعد هذا العهد إذا خرج عن طاعة الخليفة فقد عصى الله وخان الصديق و رأى من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذره من باب فتح بفتح : فاسه بالذراع . يريد بالشنا . التعريض بالمغنى وبرودة غنائه وطبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب : أنذره بها . يقول إنه إذا غنى فقد رلى الصيف وحل الشتاء ببرودته .

(١)

(١٣) الحسين بن الضحالك.

قال :

- أَيُّ دِيَّاجَةٍ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةً حُرْنِي (٢)
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّا هِرُّ عَنْ فَتْرَةٍ جَفْنِ (٣)
 يَا بِي شَمْسُ نَهَارٍ بَرَزْتُ فِي يَوْمٍ دَجْنِ (٤)
 قَرَّبْتَنِي بِالْمُنَى حَتَّى إِذَا مَا أَخْلَقْتَنِي (٥)
 تَرَكْتَنِي بَيْنَ مَيَا دِي وَخُلْفٍ وَتَجَنَّى (٦)
 مَا أَرَى فِيَّ مِنَ الصَّبِّ مَوَّةٍ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّي (٧)
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِّ دِي لِمَا تَعْرِفُ مِنِّي (٨)
 أَسْتَعِيدُّ اللَّهَ مِنْ إِعْدِ رَا ضٍ مِنْ أَعْرَاضٍ عَنِّي (٩)

(١) نشأ بالبصرة خليعاً ماجناً ظاريفاً ثم انتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالاً قوياً ولا سيما الأمين ، ثم عاد إلى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمتنصم وخلفائه بعده حتى توفي سنة ٢٥٠ هـ وقد استلذت حياته الخاصة بإجادة النجريات والمديح في أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكاهة .

(٢) دياجاة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقه الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهي صفة تستحب في عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن القاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال يا بى أنت : أى أفديك يا بى . والدجن بفتح الداء وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهي هنا بمعنى إدخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما لم يفعله في دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع إلى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب المتاع في الشباب إلا رجاء في حبيته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء في هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ إليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى
خَلْتُ أَنِّي ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَ (١)
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ التُّرْجِسُ الْغَدَّ
ضُ بَوَهْمَتِهِ نَسِيمَ شَذَاكَ (٢)
خُدَعُ لِي نَى تَعَلَّيْ فِي
لَكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَتَفْحَةٍ ذَاكَ (٣)
لَأَدُومَنَّ بِأَحِبِّي عَلَى الْعَهْدِ
يَدِي لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ (٤)

وقال :

إِذَا خُتِمَ بِالْغَيْبِ وَدَى فَمَا لَكُمْ
تُدُلُّونَ إِدْلَالَ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ (٥)
وَلِي مِنْكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِي مَذْمُومًا
وَإِنْ خَلْتُ أَنِّي لَيْسَ لِي مِنْكَ بُدٌّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الْإِمَامِ أَشَدُّ مِنْ أَدِيهِ
وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُدْتُ مِنْ غَضَبِهِ (٧)
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ
أَتْنَى إِلَهُ عَلَيْهِ فِي كُتَيْبِهِ (٨)

(١) يقول : إن البدر يشبهك حتى إنني إذ رأيته حسبت أنني رأيتك مع أنني لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهي ما يخدع به . والمنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون وهي ما يقنى . وتعلاني : تصبرني . وذا : إشارة إلى البدر في البيت الأول . وذاك : إشارة إلى الترجس في البيت الثاني . (٤) حكاك : شاهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : إن الثابت على العهد قد يكون له الحق في أن يدل ويقيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق في ذلك .

(٦) لي منك بد : أي مخلص . والمذموم : المذموم . يقول : إنني مستطيع أن أتخلص من حبك فاجتنبني مذموما وإن حسبت أنني لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والإمام : الخليفة . يقول : إن غضب الخليفة أشد عليه ألبا من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفي أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشيء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة إلا إليه ولا يعوذ منه إلا به . وفي هذا ما فيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد ببناء الله على الخليفة المعتصم في كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِي لَمْ يُسْقِ لِي سَبِيًّا أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبِيهِ (١)
مَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ حَرَمَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ أَشْفَى عَلَى عَطِيهِ (٢)

(١٤) ابن الرومي (٣)

قال يهجو خالدًا القنحطبي :

أَخَالِدُ مَا أَغْرَاكَ بِي مِنْ عَدَاوَةٍ وَلَا تَرَى لَوْلَا الشَّقَاءُ الْمُقْسَدُ (٤)
حَدَاكَ إِلَى الْحَيْنِ حَتَّى اسْتَثَرْتَنِي عَلَيْكَ، وَإِنِّي فِي عَرِيْنِي لُخْدِرُ (٥)
فَدُونَكَ مَا حَاوَلْتَهُ فَبَلَّغْتَهُ وَرَدَّتْ، وَلَكِنْ لَا إِخَالُكَ تَصْدُرُ (٦)
فَقَدْ كُنْتَ نِسِيًّا لَا تُنْسَى وَلَا تُرَى زَمَانًا طَوِيلًا، فَأَصْبِرْ إِنْ تَذَكَّرُ (٧)

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل له إلى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .
(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق . وأشفى : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة إلا حقه عليه بحكم الولاية له . وكذلك الشأن في كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد وعاش فيها متأثرًا بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكانت شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف والهجاء مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٤) الترة : النار .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدر : مقبى يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أي تخرج من هذا المأزق الذي وقعت فيه .

(٧) أي اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

سَتَرَوِي رُؤَاةَ الشَّعْرِ فَيَكُ قَصَائِدَا يُغْنِي بِهَا ، مَا نُوْدِي : إِلَهَ أَكْبَرُ (١)
 سَدَاهَا مَخَازِيكَ الَّتِي قَدْ عَلِمَتْهَا وَلُحْمُهَا مِنِّي الْكَلَامُ الْحَبِيرُ (٢)
 وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْجُوكَ إِلَّا كَالْمِ يَرَى مَا يَرَاهُ النَّائِمُونَ فِيهِجْرُ (٣)
 وَقَالَ :

أَيَّامَ لَهْوِي هَلْ مَوَاضِيكَ عُوْدُ وَهَلْ لِشَبَابٍ ضَلَّ بِالْأَمْسِ مَنَشْدُ (٤)
 أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي ، وَقُوْسَتْ قَنَاتِي ، وَأَضْحَمْتُ كَدَّتِي نَمَشْدُ (٥)
 وَلَدَّتْ أَحَادِيثُ الرِّجَالِ ، وَأَعْرَضَتْ سُلَيْمِي وَرِيًّا عَنْ حَدِيثِي وَمَهْدُ (٦)
 وَبَدَّلَ إِعْجَابُ الْفَسَوَانِي تَعَجُّبًا ، فَهَنْ رَوَانٍ يَعْتَرِنَ وَصْنْدُ (٧)
 لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بَيْكَاؤُ الْبَطْفَلِ سَاعَةَ يُولَدُ (٨)
 وَإِلَّا فَمَا يُبْجِكِيهِ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا لَا فُسْحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ (٩)

- (١) ما نودي الخ : أي دائما مادام الناس .
 (٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام الحبير : المحسن .
 (٣) يقول : إني لا أكاد أشعربك في الصحو إلا كالحالم إذا لا وجود لك . يهجر : يهذي .
 (٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .
 (٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شباب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمته أضحمت تهزل .
 (٦) أي أصبحت أحاديثي تلذ الرجال بعد ما أعرض عن الغواني لشبي وكأن حديثي لذيدا لديهن .
 (٧) الإعجاب بالشئ : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والإنكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صدد : معرضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لديهن فهن ينظرن إلى متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيب .

إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه
وللنفس أحوال تظلُّ كأنها
بما سوف يلقي من أذاها يهدد^(١)
تُشهدُ فيها كلُّ غيب سيشهد^(٢)
وقال يرثي ابنه محمداً :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي
ألا قاتل الله المنايا ورميها
توحي حمام الموت أوسط صبيتي
على حين شئت الخير من لمحاته
طواه الردى عني فأضحى مناره
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها
لقد قل بين المهد واللحد لبثه
أح عليه الترف حتى أحاله
وظل على الأيدي تساقط نفسه
بجوداً فقد أودى نظيركاً عندي^(٣)
من القوم حبات القلوب على عميد
فله كيف اختار واسطة العقد^(٤)
وأنست من أفعاله آية الرشيد^(٥)
بعيداً على قرب قريباً على بعد^(٦)
وأخلفت الآمال ما كان من وعد
فلم ينس عهد المهد إذ ضم في اللحد
إلى صفرة الجادى عن حمرة الورد^(٧)
ويذوى كما يذوى القضيبي من الرند^(٨)

(١) استهل الصبي : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيداً لحسن تعليله إذ يقول إن النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجذ ابن الرومي في شعره كأنه يعرض أقبيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدي : لا ينفع . وأردى : هلك !

(٤) توحي : تحرى .

(٥) شئت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعيد بعد اللقاء .

(٧) الجادى : الزعفران . وهو أصفر . يقول : إن التزيف أحاله من حمرة الورد إلى صفرة الزعفران .

(٨) الرند : الغار . وقد يسمى به الأس وهو نوع من الریحان .

فَيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا
تَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ
وَمَا سَرَّني أَنْ يَعْثُ بِشَوَابِهِ
وَلَا يَعْثُ طَوْعًا وَلَكِنْ غَضَبَتُهُ
وَإِنِّي وَإِنْ مُتُّ بِأَبْنَى بَعْدَهُ
وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيَّهَا
لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ
تَكَلُّتُ سُورِي كُلَّهُ إِذْ تَكَلَّمْتُ
أَرِيحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا
سَأْسُقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ
أَعْيَنِي جُودًا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلتَّوْبَى
كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ
أَلَامَ لِمَا أُبْدِي عَلَيْكَ مِنَ الْأَمَى
مَحْمُودٌ بِمَا شَاءَ تَوْهَمٌ سَلَوَةٌ

تَسَاقُطَ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلا عَقْدٍ
وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنْ الْجَحْرِ الصُّلْدِ
وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدٍ (١)
لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي تَجْدٍ (٢)
فَقَدْنَاهُ كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيْنَ الْفَقْدِ (٣)
مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جُرُوعٍ وَلَا جَلْدٍ
أَمِ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا تُجْدِي (٤)
بِأَنْفَسٍ مِمَّا تُسْأَلَانِ مِنَ الرَّفْدِ (٥)
وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدٍ
وَإِنِّي لَأَخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِي
لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنْ الْوَجْدِ

- (١) معد من أعدى بمعنى نصر وأعان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .
(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المستة . (٣) الجوارح : أعضاء الإنسان .
(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت . (٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْيَاقِينَ كَلَيْهِمَا يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزُّنْدِ
 إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّةَا فَوَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
 قَمَا فِيهِمَا لِي سَلَوَةٌ بَلْ حَزَاةَا يَهِيْجَانِيَا دُونِي وَأَشَقَّى بِهَا وَحْدِي
 وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارِ وَحْشَةٍ فَأَنَّى يَدَارِ الْأُنْسُ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ تَحِيَّةَا وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرِّ وَالرَّعْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التوزي الشطرنجي ويمدحه :

يَا أَخِي أَتَيْتَ عَهْدُ ذَاكَ الْإِخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ ؟
 كَشَفْتَ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتِ غَطَيْتَ بِرَهَةٍ بِحُسْنِ اللَّقَاءِ (١)
 تَرَكَتَنِي وَلَمْ أَكُنْ سَيِّءَ الظَّنِّ أَسِيءُ الظُّنُونِ بِالْأَصْدَقَاءِ
 يَا أَخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعَا بِكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخْلَاءِ
 أَفَلَا كَانَتْ مِنْكَ رُدٌّ جَمِيلُ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ
 أَجْرَاءُ الصَّيْدِيقِ إِطَاؤُهُ الْعُشَا بَوَّةٌ حَتَّى يَظُلَّ كَالْعُشْوَاءِ (٢)
 تَارِكًا سَعِيَهُ أَتَكَالًا عَلَى سَعَا بِكَ دُونَ الصَّحَابِ وَالشُّفَعَاءِ
 كَالَّذِي غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَا خِيَا لَمْ حَتَّى هَرَّاقَ مَا فِي السَّقَاءِ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِي قَطَعْتَ مَثْنِ الرَّجَاءِ
 لَا أَجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَا يَ غُرُورًا وَقِيَتْ سُوءَ الْجَزَاءِ

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهي الشيء الصغير . يقول إن طلبتي منك أشياء صغيرة كشف لي عن حقيقتك التي كنت تغطيها بحسن لقائك إياي .

(٢) العشوة : النار . وأوطاه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَاذَا
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الْأَمِّ
بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْإِخْلَاءِ سَمَحًا
فَقَدْ كَانُ الْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْدِ
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرِ
كَ لِيُخْلِ عَلَيْكَ بِالْإِغْضَاءِ
غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ
وَيُحْمِلُ الْفَتَى ذُرَا الْعِلْيَاءِ
وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذَلَ الْعَطَاءِ
بَيْنَ وَيَّابِي الْإِثْمَارِ كُلِّ الْإِبَاءِ (١)
تَحْتَ مَجْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

* * *

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيْرٌ عَقْلِي
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنَّصِيفِ وَالرُّدِّ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاءِ مِنْكَ وَإِعْصَابَا
عَنْ تَدَايِيرِكَ اللَّطَافِ اللَّوَاتِي
بَلْ مِنْ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مُجِبِّ
فِي خَالِ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى الْقَوِ
وَأَظُنُّ أَفْتَرَا سَكَ الْقِرْنِ فَالْقِرْ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحَدِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشُّطِّ
لَكَ مَكْرٌ يَدُبُّ فِي الْقِسْمِ أَخْفَى
أَخَذَكَ اللَّاعِينَ بِالْبَأْسَاءِ (٢)
جِ وَأَذْنِي رِضَاكَ فِي الْإِرْبَاءِ
فُكَّ بِالْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسْرِ الْهَبَاءِ
أَدْبَتُهُ عُقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ
مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الْأَرْحَاءِ
نَ مَنَابَا وَشَيْكَةِ الْإِرْدَاءِ
حَمَرِ أَرْضَا عَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
رَوَّجَ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللَّعْبَاءِ
مِنْ دَيْبِ الْغِنَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرأى ولا يثمر .

(٢) انتقل الى وصف أبي القاسم في إجابة لعب الشطرنج وقد قبل إنه كان يجيد اللعب ويقلب

ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع .

- أَوْ مِسِيرِ الْقَضَاءِ فِي ظُلْمِ الْغَيْهِ مَبِ إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَاءِ (١)
- تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْدِ عَةِ طَبَا بِالْقِتْلَةِ النَّكْرَاءِ (٢)
- غَيْرَ مَا نَظِيرِ بَعَيْنِكَ فِي الدَّمْبِ مَبِ وَلَا مُقْبِلِ عَلَى الرِّسَالِ (٣)
- بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَذِيرُ الظُّهْمِ مَبِ يَقْلَبُ مَصَوِّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
- مَا رَأَيْتَا سِوَاكَ قِرْنًا بُولَى وَهُوَ يُرْدِي قَوَارِسَ الْمَبِجَاءِ
- وَالْفُؤَادُ الذِّكِيُّ لِلطُّرُقِ الْمُعْدِ بِرِضْ عَيْنٍ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
- تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُؤَدِّدِ يَهْ بِجَمِيعًا كَأَحْفَظِ الْقُرَوَاءِ
- وَتَلْقَى الصَّوَابَ فِيمَا سِوَى ذَا لَكَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ (٤)
- فَسَتَرَى أَنْ بُلْفَسَةً مَعَهَا الرَّا حَةً خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ
- وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَضْحُو بِ مِنْ الْمُتَرْفِينَ وَالْأُمَرَاءِ
- وَرَفَضْتَ التَّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرَّبْدِ يَجِ وَمَا فِي مَرَامِهَا مِنْ جَدَاءِ (٥)
- لَمْ تَبِغْ طِيبَ عَيْشَةٍ بِفُضُولِ دُونَهُ خُبْتُ عَيْشَةً كَكُذَرَاءِ
- تَعَبُ النَّفْسِ وَالْمَهَانَةُ وَالذَّلُّ تُهْ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ (٦)

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبا : علها .

(٣) الدست : رفعة الشطرنج . والرسالة : جمع رسل ، وهو الموافق لك في النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته في لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى ذلك

ما سوى اللعب .

(٥) ما في مرامها من جداء : أى ما في مزاوتها من غنى وثراء .

(٦) تعب النفس : بدل من خبت عيشة في البيت قبله .

بل اطعت النهى ففرت محظ
 راحة النفس والصيانة والعف
 طاماً بالذي أخذت وأعطيت
 جهيد العقل لا يفوتك شيء
 قائلاً للمشير بالكسح مهلاً
 قرب الحرص مربكاً لشقي
 مرحباً بالكفاف يأتي هنيئاً
 ضلة لا مريئ يشمر في الجم
 دائباً يكثر القناطير للنوا
 حبذا كثرة القناطير لو كا
 يحسب الحظ كله في يديه
 ليس في آجل النعيم له حد
 ذلك الخائب الشقي وإن كا
 حسب ذى إربة ورأى جلي
 صحة الدين والجوارح والعبر
 تلك خير لعاريف الخير مما
 قصرت عنه فطنة الأغنياء
 في والأمن في حياء رواء (١)
 مت حكيماً في الأخذ والإعطاء
 مثله فات أصير البصراء
 ما اجتهد اللبيب بعد اكتفاء
 إنما الحرص مربكاً للأشقياء
 وعلى المتعبات ذيل العفاء
 ح لعيش مشمر للفناء
 ريث والعمر دائب في انقضاء
 نت لرب الكنوز كثر بقاء
 وهو منه على مدى الجوزاء
 ط وما ذاق عاجل النعماء
 ن يرى أنه من السعداء
 نظرت عنه بلا غلواء (٢)
 ض وإحراز مسكة الحوباء (٣)
 يجمع الناس من فضول الثراء

(١) راحة النفس : بدل من حظ في البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الإربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب في البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ الْمُنْعَصُ عَيْشٌ إِنَّمَا عَيْشُ عَائِشٍ بِالْهِنَاءِ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةِ عَوْجَاءِ
 أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وَسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الْأَشْيَاءِ
 ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ وَبِمَا عَزَّ مِنْهُ بِالْغَلَاءِ
 لَا لَعْمُرُ الْإِلَهِ لَكِنْ تَعَاشِي مَتَ بَصِيرًا فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءِ (١)
 ظَالِمًا لِي بِمَسَعِ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْ خُفُوقِ الْكِرَامِ لِلْثَوَمَاءِ
 ثَقُلْتُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَأُصْحَتُ وَهِيَ عَيْبٌ مِنْ قَادِحِ الْأَعْبَاءِ
 فَتَوَانَيْتُ وَالتَّسَوَانِي وَطِئْتُ الظُّلَّ مَهْزِرٍ لِكُنْهَ زَنِيمِ الْوِطَاءِ (٢)
 كُنْتُ مِمَّنْ يَرَى التَّشْيِيعَ لَكِنْ مِلْتُ فِي حَاجَتِي إِلَى الْإِرْجَاءِ (٣)
 ظَلِمْتُ حَاجَتِي فَلَاذْتُ بِحَقْوِيَّةِ مَكَ قَاسَمَتَهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ (٤)
 وَقَضَاءُ الْإِلَهِ أَحْسَوْتُ لِلنَّاسِ مِنْ مِثْلِ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَبَاءِ
 غَيْرَ أَنِّي الْيَقِينَ أَصْحَى مَرِيضًا مَرْضًا بَاطِنًا مُشِيدًا الْخَفَاءِ
 مَا وَجَدْتُ أَمْرًا يَرَى أَنَّهُ يُؤْ قِنُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
 لَوْ يَصْحُ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّأْيُ غُبُ إِلَّا إِلَى مَلِيكَ السَّمَاءِ
 وَعَسِيرُ بُلُوغِ هَاتِيكَ جَدًّا تِلْكَ عَلَيَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ

(١) ادعت عدم الإبصار . (٢) الزنيم : الدعي والنميم . وزنيم الوطاء : لئيم الموطن .

(٣) التشيع : مذهب ديني يرى تفضيل علي على سائر الصحابة والإرجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشيء في الدنيا بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لي ثم لما طلبت منك مطالبا وقفت على الحياد وأرجأت الحكم علي مطالبي .

(٤) الحقو : الكشح . ولأذت بحقويه : التجأت إليه .

وعزیزُ علیک عَضِّیکَ بِاللُّو
 أَنْتَ أَذْوِیتَ صَدْرَ خِلِّكَ فَأَعِذْ
 قَدْ قَضَيْنَا لُبَانَهُ مِنْ عِتَابِ
 وَالَّذِي أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَعَاتَبَ
 وَأَنَا الْمَرْءُ لَا أُسْوِمُ عِتَابِي
 ذَا الْجَحَا مِنْهُمْ وَذَا الْحِلْمِ وَالْعِدْ
 إِنْ مِنْ لَامٍ جَاهِلًا لَطِيبٌ
 وَقَالَ يَصِفُ الْعَنْبَ الرَّازِقِي (١) :

وَرَاذِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ
 قَدْ ضُمْنَتْ مِسْكًَا إِلَى الشُّطُورِ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُ وَجْجُ الْحَرُورِ
 لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدُّهُورِ
 لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ
 بَاكَرْتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ
 يَفْتِيَةِ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ
 كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُورِ (٢)
 وَفِي الْأَعَالِي مَاءٌ وَرِدٍ جُورِي (٣)
 إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورِ (٤)
 قَرَطَ آذَانَ الْحِسَانِ الْحُورِ
 وَنَكَهَتْهُ الْمُسِيكُ مَعَ الْكَافُورِ
 وَعُذِرُ اللَّذَاتِ فِي الْبُكُورِ (٥)
 أَمَلًا لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ

(١) العنب الرازقي : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيلة .

(٣) الجوري : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها مائه .

(٤) الحرور : حر الشمس .

(٥) أصل غذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خِيَمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ آرْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ (١)
 ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمُحْبُورِ عَلَى حِفَافٍ جَدُولٍ مَسْجُورِ (٢)
 أبيضَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنشُورِ أَوْ مِثْلَ مِثْنِ الْمُنْصِلِ الْمَشْهُورِ (٣)
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطٍ شَجَرٍ مَسْطُورِ (٤)
 فَنِيلَتِ الْأَوَطَارُ مِنْ سُورِ تَعَلَّةً عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمَتَعَةً مِنْ مَتَعِ الْغُرُورِ

(١٥) الْبُخْتَرِيُّ (٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بِالْبِرِّ صُمْتُ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسُنَّةِ اللَّهِ الرَّضِيَّةِ تُفِطِرُ
 فَانْعَمْ بِيَوْمِ الْفِطْرِ عِيدًا إِنَّهُ يَوْمٌ أَغْرُّ مِنْ الزَّمَانِ مَشْهُورٌ
 أَظْهَرَتْ عِزَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِمُحْفِلٍ لِحَبِّ، يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ (٦)

(١) الناطور : حارس العنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة . والمنصل : السيف .

(٤) السباطان : مثنى سباط وهو الشيء المصطف . يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشئ .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل في قبائل طيء وغيرها من البدو الضاريين في شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا ، وقد عاش بعدهما حتى سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره بركة الأسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمدح .

(٦) المحفل : الجيش الكثير . بلحب : ذر بلحب أى صياح وجلبة .

خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرَ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ
 فَالْحِيلَ تَصْهَلُ ، وَالْفَوَارِسَ تَدْعِي ،
 وَالْأَرْضَ خَاشِعَةً تَمِيدُ بِثِقَلِهَا ،
 وَالشَّمْسَ مَاتِعَةً تَوْقَدُ بِالضُّحَا
 حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءٍ وَجْهَكَ فَاَنْجَلَتْ
 وَاقْتَنُ فِيكَ النَّاطِرُونَ : فَأَصْبَحَ
 يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا
 ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ ، فَهَلَّلُوا
 حَتَّى أَتَيْتَ إِلَى الْمَصَلَّى لَا بَسًا
 وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعَ مُتَوَاضِعٍ
 فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
 عُدَّ لَا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْكَثِيرُ
 وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ (١)
 وَالْجَوُّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ (٢)
 طَوْرًا ، وَيُطْفِئُهَا الْعِجَاجُ الْأَكْثَرُ (٣)
 تِلْكَ الدَّبْجَى وَانْجَابَ ذَاكَ الْعِثِيرُ (٤)
 يَوْمَى إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
 مِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
 لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصَّفُوفِ ، وَكَبَّرُوا
 نُورَ الْهَدْيِ ، يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
 لِلَّهِ لَا يُزْهَى ، وَلَا يَتَجَكَّرُ
 فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ

ومن قوله يصف الربيع :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَنْخَالُ ضَا حَكَا
 وَقَدْ نَبَّهَ النِّيرُوزُ فِي غَسَقِ الدَّبْجَى
 مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا (٥)

(١) البيض : السيوف . والأسنة : جمع سنان : فصل الرمح . تزهى : تضيء وتلمع .

(٢) تميد تتحرك وتضطرب . والجو معتكر أى من ضخامة الجيش أو من غباره .

(٣) مائة : مرتفعة . والعجاج : الغبار . والأكثر : الشديد الكثرة وهى ضد الصفاء .

(٤) الدبجى : جمع دجبة : الظلمة . ويقصد بظلمة العثير الذى هو الغبار .

(٥) النيروز عند الفرس أول أيام السنة الشمسية . غسق الدبجى : ظلمة الليل . والمعنى أن مقدم

الربيع يصحبه تفتح الورد .

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَلُتُّ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكْتَمًا (١)
 فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرِّيحُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَرَّتْ وَشْيًا مُنَمَّنًا (٢)
 أَحَلَّ فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَدَى لِلْعَيْنِ إِذَا كَانَ مُحْرَمًا (٣)
 وَرَقٌ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى حَسْبَتُهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نُعْمًا

وقال يمدح محمد بن علي بن عيسى القمي :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلًا (٤)
 قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسَعَّدًا ، أَوْ جَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ، أَوْ عَذُولًا (٥)
 إِنَّ بَيْنَ الْكَثِيبِ فَالْجَزْعِ فَالْآ رَامَ ، رَبْعًا لِآلِ هِنْدٍ مُحِيلًا (٦)
 أَبْلَتْ أَلْرِيحُ وَالرَّوَاثِحُ وَالْأَيَّةُ أَمُّ مِنْهُ مَعَالٍ وَطُلُولًا (٧)
 وَخِلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ لِلْنَّدَا كِرِيَّ عَهْدِ الْأَحْبَابِ : صَبْرًا جَمِيلًا

- (١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فاذيع .
 (٢) الوشي : نقش الثوب . منمّم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .
 (٣) أحل هنا بمعنى حل كما أن أحرم بمعنى غاب وذلك كالحمل والمحرم في الحج . والقذى : ما يقع في العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبين أو نحوه .
 (٤) وادي الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة . واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلاً .
 والصباية : الشوق والولع الشديد ، يطلب إلى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الراحلين عنها .
 (٥) مشوقاً : مولعاً يقال شاقه الحب إذا هاجه . ومسعداً : معيناً ، أى على حرارة الشوق ، ومعيناً أى على الحزن . يقول له قف معي مهما يكن شأنك إذ لا مفزلى من ذلك .
 (٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبني محارب . والجزع : موضع بنجد وأخر بارض طيء وواد باليمامة .
 والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .
 (٧) الروائح : جمع رائحة وهي السحابة التي تجيئ عشيًا أو المطرة ، والمعالم : ما يستبدل بها على الطريق أو هي المعاهد . المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلْمُزُهُ عَلَى مُوَاصِلَةِ الدَّمِّ مع، وَلَوْ لَمْ تَلْمُزْ الخليل الخليل
 عَلَّ مَاءَ الدَّمْعِ يُنْجِدُ نَارًا من جَوَى الحُبِّ أَوْ يَبْلُ غَلِيلًا (١)
 وَبُكَاءُ الدِّيَارِ مَا يَرُدُّ الـ شَوْقَ ذِكْرًا وَالْحُبَّ نِضْوًا ضَيْلًا (٢)
 لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنَعْمَا نَ، وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا
 قَدْ وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ غَايَةَ الْمَجْدِ قَائِلًا وَقَعُولًا
 وَلَقِينَا شَمَائِلًا تَنْثُرُ الْمِسْدَ لَمْ تَسْجِدْ كَمَا لَقِينَا الشُّمُولَا (٣)
 وَرَأَيْنَا سِيَامًا نَدَى وَسَمَاجَ لَمْ تُرِدْ بَعْدَهَا عَلَيْهِ دَلِيلًا
 أَشْعَرِيٍّ، كَفَاهُ عَيْسَى بْنُ مُوسَى شَرَفًا بَاتَ لِلسَّمَاءِ رَسِيلًا (٤)
 خَلَفَ الْبَهْرَ لِلْجِيَادِ، وَالْقَى فِي مَدَى الْمَجْدِ، غُرَّةً، وَحُجُولًا (٥)
 وَبُنُو الْأَشْعَرِ الذِي مَلَأَ الْأَرَّ ضَ رِجَالًا، وَتَجْدَةً، وَخِيُولًا
 شَوْكَةً مَا أَصَابَتْ الدَّهْرَ إِلَّا تَرَكْتُ فِي الْغِرَارِ مِنْهُ قُلُولًا (٦)

(١) الغليل : شدة العطش ، والمراد هنا حرقة الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضي فقط . والنضو : الكليل المنعب ، يريد أن بكاء الديار يشفي النفس من آلام الحب ويخفف لوعته . . . (٣) الشمول : انجرأ والباردة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعري : منسوب إلى الأشعر جده . والسماك : اسم لكل من كوكبين فيرين : أحدهما السماك الأعزل ، والثاني الراح . ورسيل : مراسلا ومتصلا ، أي كفاه شرف آباءه السامي .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . والجياذ : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض في جهة الفرس ، ومن كل شيء أوله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع جمل وهو البياض في رجل الفرس ، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل إلى غاية المجد بكريم أفعاله التي تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها . (٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حده . والقلول : جمع

فل وهو الثلمة في حد السيف . يقول : إن صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَّغَ الْمَكْرَمَاتِ طُولًا وَعَرَضًا وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ عَرَضًا وَطُولًا (١)
 رَادَّةُ الْحَمْدِ أَوَّلًا وَأَخِيرًا وَأَوَّلُو الْمَجْدِ وَاحِدًا وَقِيْلًا (٢)
 وَكَانَتْ الْأَصُولُ كَانَتْ فُرُوعًا وَكَانَ الْفُرُوعَ كَانَتْ أَصُولًا (٣)
 وَنُجُومٌ إِذَا تَوَقَّدَتْ فِي الْخَطِّ سَبَّ تَوَهَّمَتْ فِي النُّجُومِ أَفْئُولًا (٤)
 وَمُحِبُّونَ النَّبِيِّ وَأَهْلِيهِ بَيْتٌ حُبًّا يُرْضُونَ فِيهِ الرَّسُولَ
 سَلَبُوا الْبَيْضَ بَزَّهَا وَأَقَامُوا يَظْبَاهَا التَّأْوِيلَ وَالتَّزْيِيلَ (٥)
 تَحْسَبُ الشَّيْبَ فِي الْوَقِيعَةِ شُبًّا نَا إِذَا صَاحَقُوا الصَّفِيحَ الصَّقِيلَ
 فَإِذَا حَارِبُوا أَذْلَسُوا عَزِيرًا وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلًا (٦)
 وَإِذَا عِزٌّ مَعَشِرٍ زَالَ يَوْمًا مَنَعَ السَّيْفُ عِزَّهُمْ أَنْ يَزُولَا
 يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، لَقَدْ زَاحَ إِفْضَا لَكَ خَطْبًا عَلَى الْكَرَامِ جَلِيلًا (٧)
 رَدَّ مَعْرُوفَكَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا وَأَرَى جُودَكَ الْجَوَادَ بَنِيْلًا

(١) تناهت إليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون إليه .

(٣) يقول : إنهم متساوون في المجد لانكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكان الأبناء هم بانوه وكان البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأول : رجال كالنجوم ، واثقاذا ونباهة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون في الشدائد فيخفون من عداهم حتى كأن نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمارها أو يهاؤها ومضاؤها . والظلي : جمع ظلة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتزويل : القرآن الكريم ، والمراد أنهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أي هم في الحروب ليوث وفي السلم يحمون الدليل ويكرمونه .

(٧) يقول : إن كرمك يضر الكرام لأن كثرة عطاياك العظيمة ترى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل .

لا أَظُنُّ الْبُخَالَ يُؤْفُونَكَ الشُّكَّ مَرُّوْكَانَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
 جَعَلْتَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ دَفْعَ مِرَّةٍ لَكَ أَفَادَتْ حَمْدًا وَأَعْطَتْ بَحْرِيًّا (١)
 تَكُنْ لِجَدِّكَ مِنْ مَقَامٍ ، لَعَمْرِي كَانَ مِنْ رَيْقِ السَّحَابِ بَدِيلًا (٢)
 عِنْدَ وَجْهِ طَلْقٍ إِذَا مَا تَبَدَّى لِحُزُونِ الْخُطُوبِ عَادَتْ سُهولًا
 يَتَسَّرُ الْحَاسِدُونَ مِنْكَ وَكَانُوا أَسَفًا يَنْظُرُونَ نَحْوَكَ حَوْلًا (٣)
 وَرَأَوْا أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا تَذَ مَكَ الْمَسَاعِي بِالْفِكْرِ ذَابُوا نُحُولًا (٤)
 فَتَنُوا عَنْكَ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا لَمْ يَرُدُّوا إِلَّا حَسِيرًا كَلِيلًا (٥)
 وَكَفَانِي عَلَى الَّذِي يُوَجِّدُ الْفَضْلَ بَلْ لَدَيْهِ بِالْحَاسِدِينَ دَلِيلًا (٦)

- (١) أى أن عطايك جعلت البخال كغيرهم من كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء الى درجة البخلاء .
- (٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : أفضله وأقله ، أى ان عطايك لها أثر فى النعمة والخير كآثر السحاب الماطر .
- (٣) حولا : ذوى عيون حولا . والحول : ميل إحدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصدغ ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .
- (٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول الى محامدك حتى يجتهد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسامهم ضعفا دون الغاية .
- (٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك النامية ولا التفكير فى إدراكها ، لأن أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم متعبة .
- (٦) أى يكفيني الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وقال يمدح المتوكل :

- لي حبيبٌ قد لجَّ في الهجرِ جدًّا وأعادَ الصندودَ منه وأبدي (١)
 ذوقنوني يريك في كلِّ يومٍ خلقتُ من جفائه مستيجدا
 يتأبى منعا، وينعمُ إسعًا فأ ، ويدنو وصلا ، ويبعدُ صدا (٢)
 اغتدي راضيا وقد يت غضبا ن ، وأمسي مولى ، وأصبح عبدا (٣)
 وينفسي أفسدى على كلِّ حالٍ شادنا ، لو يمس بالحسن أعدى (٤)
 مرَّ بي خالبا فاطمع في الوصد لي وعرضتُ بالسلام فردا
 وثني خدّه إلى على خو في قبيلتُ جلتارا ووردا (٥)
 سيدي أنت ، ما تعرضتُ ظلمًا فأجازي به ، ولا تخنتُ عهدا
 ربي لي من مدامع ليس ترقًا وأرث لي من جوانح ليس تهدا
 أتراني مستبدلا بك ما عشت ست بدلا ، أو واجدا منك ندا (٦)
 حاش لله ؛ أنت أقتُّ الحما ظا ، وأحلى شكلا ، وأحسن قدا (٧)
 خلق الله جعفرًا قيم الدن يا سدادا ، وقيم الدين رشدًا (٨)

(١) لج في الهجر : تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والإسعاف : المساعدة ، أى يرفه عنى قليلا في بعض الأحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ، يذكر تيجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الظبية تشبه به الفتاة الطريفة ، ثم يقول : لو مسه أحد نالته منه عدوى الحسن .

(٥) الجلتار : زهر الرمان يشبه به الخد في الحمرة .

(٦) الدد : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسدادته وهدايته .

- أَكْرَمَ النَّاسِ شَيْئَةً وَأَتَمَّ الذِّمَّةَ بِأَكْرَمِ خُلُقًا ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ رِفْدًا (١)
 مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمُدَّةَ بِكَ ، فَأَضْحَتْ لَهُ مُغَاثًا وَرِدًّا (٢)
 أَظْهَرَ الْعَدْلَ ، فَاسْتَنَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ضُوءًا ، وَعَمَّ الْبِلَادَ غُورًا وَنَجْدًا (٣)
 وَجَتَّى الْقَطَرِ بِلَافٍ أَبْرَ عَلَى الْقَطْرِ بِرِيكَافٍ عَلَى الْبَرِّيَّةِ تَنْدَى (٤)
 هُوَ بِحَرِّ السَّمَاحِ ، وَابْجُودٍ ، فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا ، تَزَدَّدَ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا
 يَا ثِمَالِ الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَدَلًا وَجَمَالَ الدُّنْيَا ثَنَاءً وَتَجَمُّدًا (٥)
 وَشَبِيهَةَ النَّبِيِّ خُلُقًا وَخَلْقًا وَنَسِيبَ النَّبِيِّ جَدًّا بِخَدًّا
 بِكَ نَسْتَعِيبُ اللَّيَالِي وَنَسْتَعِدُّ عَلَى دَهْرِنَا الْمُسَيِّءِ فَتَعْدَى (٦)
 فَابْقِ عُمَرَ الزَّمَانِ حَتَّى تُؤَدِّي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي
 وَقَالَ يَصِفُ الذَّنْبَ حِينَ لَقِيهِ :
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، لَا وِفَاءً ، وَلَا عَهْدُ أَمَّا لَكُمْ مِنْ هَجْرٍ أَحْبَابِكُمْ بُدُّ؟
 الْأَحْبَابُ قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنَ وَعَدَّهُ وَشَيْكَا ، وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعْدُ! (٧)

(١) أكرم : أفضل . الشئمة : الخلق والطبيعة . والرغد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر واطمان من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الثمال : الملجأ والمعتمد . وثمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعيب الليالى : نطلب منها العتي (الرضا) أو نعطيها العتي (ضد) والأول هو الظاهر

هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فتعدى : فتعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد . ووعدهم : هو القرب .

أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَتِ رَبْعَكَ الْأَنْوَاءُ! مَا فَعَلَتْ هِنْدُ؟ (١)
 أَدَارَ اللَّوَى بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالْحَمَى أَمَا لِلنَّوَى إِلَّا رَسِيسَ الْهَوَى قَصْدُ؟! (٢)
 بِنَفْسِي مَنْ عَذَّبْتُ نَفْسِي بِحُبِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَصَالٌ وَلَا وَدُ
 حَبِيبٌ، عَنِ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى وَآئُ حَبِيبٍ مَا أَتَى دُونَهُ الْبُعْدُ
 إِذَا جُرْتَ صَحْرَاءَ الْغَوِيرِ مُغْرَبًا وَجَازَتْكَ بَطْحَاءُ السَّوَاوِجِرِ يَاسَعْدُ (٣)
 فَقُلْ لِبَنِي الضَّحَاكِ مَهَلًا، فَإِنِّي أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ، وَالضَّيْفُ الْوَرْدُ (٤)
 بَنِي نَاهِلٍ مَهَلًا، فَإِنْ ابْنُ أَخِيكُمْ لَهُ عَزَمَاتٌ هَزَلُ آرَائِهَا جِدُّ (٥)
 مَتَى هِجْمُوهُ لَا تَهْجُوا سِوَى الرَّدَى وَإِنْ كَانَ خَرَقًا مَا يُحِلُّ لَهُ عَقْدُ (٦)
 مَهِيْبٌ كَنَصْلِ السِّيفِ لَوْ ضُرِبَتْ بِهِ ذُرَا أَجَلٍ ظَلَّتْ وَأَعْلَامُهَا وَهْدُ (٧)
 يَوْدُ رِجَالٌ أَنِّي كُنْتُ بَعْضُ مَنْ طَبَوْتُهُ اللَّيَالِي لَا أَرْوَحُ وَلَا آغْدُو (٨)
 وَلَوْلَا أَحْتِمَالِي ثَقُلَ كُلُّ مُلَبَّسَةٍ تَسَوُّوْا الْأَعَادِي، لَمْ يَوْدُوْا الَّذِي وَدُّوْا

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع أى سقتك . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبني كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . والضيفم : الأسد .

والورد : الشجاع الجرى من الأسود .

(٥) أضعف همه قوة نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ : قسم من جبل شمر جنوبي السماوة شمالي بلاد العرب . وذراه : أعاليه . وأعلامها :

أعاليها . وهد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالي : هلك .

- تَذَرِينِي وَإِيَّاهُمْ فَخَسِي صَرَامَتِي إِذَا الْحَرْبُ لَمْ يُقْدَحْ لِمُحَمَّدِهَا زَنْدٌ^(١)
- وَلِي صَاحِبٌ عَضْبُ الْمَضَارِبِ صَارِمٌ طَوِيلُ نِجَادٍ، مَا يُقْلَلُ لَهُ حَدٌّ^(٢)
- وَبَاكِئَةٌ تَشْكُو الْفِرَاقَ بِأَدْمَعٍ يُبَادِرْنَهَا سَحَابًا كَمَا اتَّشَرَّ الْعِقْدُ
- رَشَادِكَ ، لَا يُحْزِنُكَ بَيْنُ ابْنِ هِمَّةٍ يَتَنَوَّقُ إِلَى الْعَلِيَاءِ لَيْسَ لَهُ نِدٌ^(٣)
- فَمِنْ كَانَ حُرًّا فَهُوَ لِلْعَزْمِ وَالسَّرَى وَلَيْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالكَرَى عِبْدٌ^(٤)
- وَلَيْلٍ كَانَ الصُّبْحُ فِي أُخْرِيَاتِهِ حُشَاشَةٌ نَصْلٍ ضَمَّ إِفْرِنْدَهُ غَمْدٌ^(٥)
- تَسْرِبَلَتُهُ وَالذُّبُّ وَسَنَانُ هَاجِجٍ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ، مَالَهُ بِالْكَرَى عَهْدٌ^(٦)
- أَثِيرُ الْقَطَا الْكَدْرِيُّ عَنْ جَنَائِهِ وَتَأَلَّفَنِي فِيهِ الثَّعَالِبُ وَالرُّبْدُ^(٧)
- وَأَطْلَسَ مِلءَ الْعَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ وَأَضْلَاعُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ شَبْوَى تَهْدٌ^(٨)
- لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يُجْرَهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادٌ^(٩)

- (١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء ، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد في إخمادها .
- (٢) الصاحب هو السيف ، عضب : قاطع ، والنجاد : حائل السيف ، نخاية عن طول قامته .
- (٣) رشادك : قلت لها : الزم رشادك . والد : المثل والنظير .
- (٤) عبد خبر فهو .
- (٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وإفريد السيف : جوهره وشبهه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد إلا نصلا .
- (٦) تسربلته : صاحبه وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكري : النوم الخفيف .
- (٧) الكدري : المائل إلى السواد والغبرة . وجناته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجانمه ومراقده بسرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .
- (٨) وأطلس : ورب ذنب أطلس أى أغبر إلى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد في لفظه جمع في معناه . ونهد : بارز .
- (٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومناد : معوج .

- طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ قَمَا فِيهِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ (١)
- يُقَضِّقُضُ عَصَلًا فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى كَقَضْقَضَةِ الْمَقْرُورِ أَرَعَدَهُ الْبَرْدُ (٢)
- سَمَّالِي وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ بَيْسَاءَ لَمْ تُعْرِفْ بِهَا عَيْشَةَ رَغْدُ (٣)
- كَلَانَا بِهَا ذَنْبٌ يُحْدِثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ، وَالْجَدُّ يُتَعِسُهُ الْجَدُّ
- عَوَى ثُمَّ أَقْعَى فَارْتَجَزَتْ فِيهِجَّتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرْقِ يَتَّبِعُهُ الرَّعْدُ (٤)
- فَأَوْجَرَتْهُ نَخْرَاءٌ تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوَّدُ (٥)
- فَمَا آزَدَادَ إِلَّا جُرَاةٌ وَصَرَامَةٌ وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ الْجَدُّ
- فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَاضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ، وَالرَّعْبُ، وَالْحَقْدُ (٦)
- نَخَرٌ وَقَدْ أَوْرَدَتْهُ مِنْهُلَ الرَّدَى عَلَى ظَمَأٍ لَوْ أَنَّهُ عَذَبَ الْوَرْدُ
- وَقُتُّ بِفَحْمَتِ الْحَصَى فَاشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقْدُ (٧)
- وَنَلَبْتُ خَسِيصًا مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَأَقْلَعْتُ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ (٨)

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردي : الهلاك .
والمقرور : من أصابه القراى البرد .

(٣) سمالي : خرج لي وقصدي . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقعى : جلس على مؤخره ، ارتجزت : رفعت صوتي أو قلت رجزا .

(٥) أوجرته : طعته ، والنخراء : السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول : تحسب ريشها
على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث انح... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَدْ حَكَمْتُ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَحَكَمْتُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَصْدُ (١)
 أَفِي الْعَدَلِ أَنْ يَشْقَى الْكَرِيمُ بِجَوْرِهَا وَيَأْخُذَ مِنْهَا صَفْوَهَا الْقَعْدُ الْوَعْدُ (٢)
 ذَرَيْتِي مِنْ ضَرْبِ الْقِدَاحِ عَلَى السَّرَى فَعَزَمِي لَا يَتْنِيهِ نَحْسٌ وَلَا سَعْدُ (٣)
 سَأَحْمِلُ نَفْسِي عِنْدَ كُلِّ مُلَمَّةٍ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السِّيفِ أَخْلَصَهُ الْهِنْدُ (٤)
 لِيَعْلَمَ مَنْ هَابَ السَّرَى خَشْيَةَ الرَّدَى بِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
 فَإِنْ عِشْتُ مَجْمُودًا قَمَشْتُ بِنَى الْغَنَى لِيَكْسِبَ مَا لَا أَوْ يَنْتُ لَهُ حَمْدُ (٥)
 وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَظْفِرْ، قَلْبِي عَلَى أَمْرِي غَدًا طَالِبًا إِلَّا تَقْصِيهِ وَالْجُهْدُ (٦)

وقال يمدح أبا نهشل :

هَآ هُوَ الشَّيْبُ لَا ئِمًّا فَأَفِيقِ وَاتْرِكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقِ (٧)
 فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاقَى مِنْ أَشْتِيَاقِ الْمُشَوِّقِ (٨)
 حَذَلْتَنِي فِي شِقِيهَا أُمُّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَازِلِ الْمُعْشَوِّقِ

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعد : الجبان أو اللئيم ، والوعد : الأحقق الدنى .

(٣) ضرب القداح على السرى : استخبار القداح أسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها في كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيها يعتزم ، وإن كانت النهي قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنيني هذا لقوة عزمي الذي لا يبالي سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهند : سيف أجادت الهند صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسي على الشدائد إذا

حزبت الأمور . (٥) ينت : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية في البحث ، ومعنى البيت أني إذا لم أظفر بما أبغى من الغنى أو الحمد

فلا لوم على مادمت قد سعت إلى الخير جهدي .

(٧) لا ئمّا : يلوم العاشق على التماذى في العشق مع شبيهه . والمفريق : الصاحي من سكرة العشق ،

والمراد نفسه هو . (٨) كف : منع وخفف ، وقاعله يعود على الشيب .

- ورأت لمة ألم بها الشيد بفر يعت من ظلمة في شروق (١)
ولعمري لولا الأفاحي لأبصر ت أنيق الرياض غير أنيق (٢)
وسواد العيون لو لم يحجر بياض ، ما كان بالموموق (٣)
ومزاج الصهباء بالماء أمل يصبوح مستحسن وغبوق (٤)
أي ليل يهي غير نجوم أو يحاي تندي غير بروق (٥)
وقف في العقيق أطرح ثقلا من دموعي يوقف في العقيق (٦)
ماثل بين أربع مائلات يترع الشوق من فؤاد علوق (٧)
أزجر العين عن بكاهن والعيد س إلى المبتغى بكل طريق (٨)
واستشفت محمد بن حميد ما سحيق من الغنى بسحيق (٩)

- (١) اللة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فرغت . ظلمة في شروق : سواد شعر الشباب في بياض المشيب .
(٢) الأفاحي : جمع أخوان : نبات زهره أبيض ، أي لولا الأخوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس . (٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .
(٤) الصهباء : النمر . وأمل : أمتع . والضبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب في الرأس كالماء للنمر .
(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب الباردة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .
(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة في بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفه مفعول لفعل محذوف تقديره . أتمنى أوقف .
(٧) ماثل : قائم . يعني نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفؤاد علوق : شديد التعلق بأحبته .
(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .
(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أي قصده ، ومعنى الشطر الثاني أن الغنى نهما يبعد مكانه فلا يعد . بعيدا لحب السعى إليه .

- سَابِقُ النِّفْعِ يَسْتَقِي جُهْدَ نَفْسِ (١) تُسْتَرَادُّ اسْتِرَادَّةَ الْمُسْبُوقِ (١)
- قَلْبَتُهُ الْأَيْدَى قَدِيمًا وَلِلْحَدِّ (٢) بِنَةِ تُنْضِي الْجِيَادُ بِالتَّعْرِيقِ (٢)
- كُلَّمَا أَجْرَتْ الْخَلَائِقُ أَوْفَى (٣) رَادِعًا فِي خَلَائِقِ كَالْخَلْقِ (٣)
- صَافِيَاتٍ عَلَى قُلُوبِ الْمُصَافِي (٤) بِنَ، رِقَاقٍ فِي فَهْمَيْنِ الرِّقِيقِ (٤)
- لَوْ تَصَفَّحَتْهَا لَأُنْجَرَجَتْ مِنْهَا (٥) أَلْفَ مَعْنَى مِنْ حَاتِمِ مَسْرُوقِ (٥)
- لَيْسَ يَخْلُو مِنْ فِكْرَةٍ فِي جَلِيلِ (٦) مِنْ أَقَانِينَ بِمَجْدِهِ أَوْ دَقِيقِ (٦)
- يَنْظُمُ الْمَجْدَ مِثْلَ مَا تَنْظُمُ الْعَقْدَ (٧) يَدُ الصَّانِعِ الصَّنَاعِ الرِّقِيقِ (٧)

وقال يرثي المتوكل على الله عاشر خلفاء بني العباس وكان حاضرا مقتله :

- تَحْمَلُ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرُهُ (٨) وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تُغَاوِرُهُ (٨)
- كَأَنَّ الصَّبَا تُتَوَفَّى نُذُورًا إِذَا أَنْبَرَتْ (٩) تُرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا ، وَتُبَاكِرُهُ (٩)

- (١) سابق النفع : يسبق إلى المحامد ، وإن رويت بالقاف كان المعنى سابقا إلى الحرب ، ويستق الخ أى يستخرج من جهد نفسه كلما أراد كانه مسبوق بضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه .
- (٢) قلبته الأيدي : أحكمت التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تنعب وتمرن . والتعريق : التضمير .
- (٣) أجرت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطباع . والخلق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضحا .
- (٤) المصافون : المخلصون ، وصف لأخلاقه الحميدة .
- (٥) حاتم : هو حاتم الطائي المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .
- (٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه يفكر دائما في عمل مجيد مهما تكن درجته .
- (٧) الصناعات : الماهر الحاذق .
- (٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . وأخلق : بلى . والدائر : الماسح البالي . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .
- (٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تنابذه في الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا) ، أى كان ذلك نذرا عليها لهذا القصر .

- وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثُمَّ عَهْدُهُ تَرِقُّ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُهُ (١) .
تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنَسُهُ وَقُوضَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ (٢) .
تَجَلَّى عَنْهُ مَا كُنُوهُ بِجُفَاءٍ فَعَادَتْ سَوَاءَ دُورِهِ وَمَقَابِرُهُ (٣) .
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدُّ لَنَا الْأَسَى وَفَدَّ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ (٤) .
وَلَمْ أُنْسَ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيعَ سَرْبِهِ وَإِذَا ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَازِرُهُ (٥) .
وَإِذَا صَبِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَكَتْ عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُهُ
وَوَحْشَتُهُ حَتَّى كَانَ لَمْ يَقُمْ بِهِ أَيْسَ ، وَلَمْ تَحْسُنْ لَعَيْنٌ مَنَاطِرُهُ
كَأَنَّ لَمْ تَبْتَ فِيهِ الْخِلَافَةُ طَلْقَةً بَشَاشَتُهَا ، وَالْمَلِكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ (٦) .
وَلَمْ تَجْمَعْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بَهَاءَهَا وَبَهَجَتَهَا ، وَالْعَيْشُ غَضَّ مَكَاسِرُهُ (٧) .
فَإِنَّ الْجَنَابَ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَعَتْ بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ (٨) .

(١) زمان ناعم : ناعم أهله . حواشيه : جوانبه . وترق حواشيه : تسعد أوقاته . والشجر الناضر : الحسن ، والمراد أنه عهد جليل .

(٢) الجعفرى : قصر المتوكل . وقوض : تهدم . وباديه : ظاهره . وحاضره : داخله .

(٣) سواء : متساوية في إقفارها وخطوها من الأحياء .

(٤) أجدلنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٥) وحش القصر : نسائه الشبهات بالبقرة الوحشى في جمال العيون . ريع : أفزع . والسرب :

القطيع . والأطلاء : الظباء . المفرد طلاء وطلو . والجأذر : أولاد البقرة الوحشية . المفرد جؤذر ، يشبه بها أبناء القصر لما أفزعوا وشتوا لمصرع الخليفة .

(٦) طلقة : بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الألوان ، أى ترويع مظاهره .

(٧) مكاسره جمع مكسر : جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو الخبر . يقال : فلان طنبه .

المكسر أى محمود عند الخبرة .

(٨) المقاصر جمع مقصورة : الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة .

- وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نُوْبَةٍ (١) تَتَوْبُ وَنَاهِي الدَّهْرَ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ (١)
- تَحْفَى لَهُ مَغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ (٢) وَأَوَّلَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ (٢)
- فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودَهُ (٣) وَلَا دَافَعَتْ أَمْلَاكُهُ وَذَخَائِرُهُ
- وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَرِّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى (٤) لَهُ ، وَعَزِيزُ الْقُصُومِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ (٣)
- تَعَرَّضَ نَصْلُ السَّيْفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ (٥) وَغُيِّبَ عَنْهُ فِي خُرَاسَانَ طَاهِرُهُ (٤)
- وَلَوْ عَاشَ مَيِّتٌ أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ (٦) لِدَارَتْ مِنْ الْمَكْرُوهِ ثُمَّ دَوَائِرُهُ (٥)
- وَلَوْ لُعِيدَ اللَّهُ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ (٧) لَصَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرِ مَصَائِرِهِ (٦)
- حُلُومُ أَضْلَتِهَا الْأَمَانِي ، وَمُدَّةُ (٨) تَنَاهَتْ ، وَحَتْفُ أَوْشَكْتِهِ مَقَادِيرُهُ (٧)
- وَمُقْتَصِبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخَشَّ رَهْطُهُ (٩) وَلَمْ تُحْتَشَمْ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ (٨)

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملئ على الدهر إرادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعد نفسه عزيزا بسواه فيكون معتز به ، ومعنى عز ناصره : قوى معيته .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى

خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للقتول .

(٦) أى لو يعان على قتله لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر .

وضاقت مصادره : عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المتصرفين المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تأمروا على قتل الخليفة

ورغبة من المتصرف فى الخلافة . والحنف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القليل والجماعة . وتحتشم : يستحي منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلوات بينه

وبين قاتله .

- صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حُشَاشَةً (١) يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ حُمُرٌ أَظَا فِرُهُ (١)
- أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ (٢) لَيْثْنِي الْأَعَادِي أَعَزَّلُ اللَّيْلَ حَاسِرُهُ (٢)
- وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةَ الْفَتِكِ فِي يَدِي (٣) دَرَى الْفَاتِكُ الْعَجَلَانُ كَيْفَ أَسَاوِرُهُ (٣)
- حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى (٤) دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ (٤)
- وَهَلْ أُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرٌ (٥) يَدَ الدَّهْرِ ، وَالْمَوْتُورُ بِالْدَمِ وَاتِرُهُ (٥)
- أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَهُ (٦) فَمَنْ عَجَبَ أَنْ وَلَّى الْعَهْدَ غَادِرُهُ (٦)
- فَلَا مَلَى الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى (٧) وَلَا حَمَلْتُ ذَاكَ الدَّعَاءَ مَنَابِرُهُ (٧)
- وَلَا وَالْأَلِ الْمَشْكُوكُ فِيهِ وَلَا نَجَا (٨) مِنْ السَّيْفِ نَاضِيَ السَّيْفِ غَدْرًا وَشَاهِرُهُ (٨)
- لَنِعَمَ الدَّمُ الْمُسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرُ (٩) هَرَقْتُمْ وَجُنَحُ اللَّيْلِ سُودٌ دَيَّاجِرُهُ (٩)

- (١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين إذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .
- (٢) أعزل الليل : أعزل في الليل . والأعزل : من لا سلاح معه ، يعني نفسه . وحاسره : لا درع معه في هذه الليلة .
- (٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أوائبه وأدافعه .
- (٤) أوارى : إلى أن أرى ، ومائره : جاريه ومار الدم على الأرض جرى قتردد عرضا واضطرب في جريانه .
- (٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيلا فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى النار للخليفة مع أن صاحب النار هو ابنه المنتصر الذي قتله فهو واطر وموتور معا ؟ استفهام للنفي .
- (٦) ولي العهد : المنتصر الذي خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .
- (٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا يخلفه ويدعى له على المنابر .
- (٨) وال : نجا . ناضى السيف : استله من غمده .
- (٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

- كأنكم لم تعلموا من وليه وبأغيه تحت المرهفات وثأره (١)
 وإنى لأرجو أن ترد أموركم إلى خليف من شخصه لا يغادره (٢)
 مقلب آراء تخاف أناته إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمداثر ويرثى دولة الفرس :

- صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جيس (٤)
 وتماسكت حين زعزعتي الدهر رالتماسا منه لتعسي ونكسي (٥)
 بلغ من صباية العيش عندي طفتها الأيام تطفيف بحس (٦)
 وبعد مايت وأرد رفه على شربه ، وأرد بحس (٧)
 وكان الزمان أصبح محمولا لا هواه مع الأخس الأخس (٨)

- (١) وليه : صاحبه المطالب به . وبأغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثأره : باعته .
 (٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلقه لا يخرج منه .
 (٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويخير أحكمها . والأناة : التأني . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناته . والأخرق : ضعيف الرأى ، خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

- (٤) الجدا : العطاء . والجيس : الجبان اللئيم .
 (٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعتى : حركنى بعنف أى حين نالتى خطوبه . التماسا منه : طلبا منه ومحاولة . التعس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

- (٦) بلغ : جمع بلغتة وهى ما يكفى من العيش ولا يفضل . والصباية : البقية . طفتها : تقصتها .
 والبخس : الغبن والظلم .

- (٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا . والخس بالكسر من أخطاء الإبل وهى أن ترى ثلاثة أيام وترد المساء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .
 (٨) يقول : كان الزمان ينصف الأندال ، ويجور على الأخيار .

- واشترائي العراق خُطَّةً غَبِيٍّ بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَكَيْسٍ (١)
لَا تُرْزِنِي مُزَاوِلًا لِاخْتِبَارِي عِنْدَ هَذِي الْبَلَوَى قَتْنِكَرَ مَسِيٍّ (٢)
وَقَدِيمًا عَهْدَتِي ذَا هَنَاتٍ آيَاتٍ عَلَى الدَّنِيَّاتِ شُمْسٍ (٣)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ نُبُوَّ ابْنِ عَمِّي بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ جَانِبِيهِ وَأُنْسٍ (٤)
وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي (٥)
حَضَرْتُ رَحْلِي الْهُمُومُ فَوَجَّهْ سَتُ إِلَى أَبِيضِ الْمَدَائِنِ عَنِّي (٦)
أَتَسَلَّى عَنِ الْخَطُوطِ وَآسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسٍ (٧)
ذَكَرْتَنِيهِمْ الْخُطُوبُ التَّوَالِي وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسَى (٨)

- (١) اشترائي العراق : إقامتي بها . وبيعى الشام : رحلتى عنها مع أنها موطنى الأصل .
(٢) رازة : جرّبه وقدره . قتنكر مسي : تجدى أيا عنيفا منكرا الجانب .
(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيدة لا تذلل ، وآيات هى الدنويات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .
(٤) رابنى : أرقنى فى الريب (الشك) أو أراى ما أكره . والنبو : الثور والبقوة . وابن عمه : هو الخليفة المنتصر ، فالبحرى قطانى والخليفة عدنانى . وقطان وعدنان كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعي العرب ، وهذا يدل على أن البحرى قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجاء إياه فى رثاء أبيه كما مضى .
(٥) حريا : خليقا . يقول إذا جفيت تمقلت فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواء ، وهذا تمهيد لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .
(٦) حضرت رحلى الهوموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .
(٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الإسلامى دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .
(٨) التوالى : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التى أملت بالدولة العباسية فى خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتكيل بهم .

- وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ مُشْرِفٌ يُحْسِرُ الْعِیُونَ وَيُحْسِي (١)
 مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ الْقَبْرِ قَى إِلَى دَارَتِي خَلَاطٍ وَمُكْسٍ (٢)
 حِلٌّ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالٍ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ مُلْسٍ (٣)
 وَمَسَاجٍ لَوْلَا الْحَابَةُ مِنِّي لَمْ تُطَقِّهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ (٤)
 نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ عِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ (٥)
 فَكَأَنَّ الْجُرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الْأَنْدِ سِيسَ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّةُ رَمْسٍ (٦)
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَاتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ
 وَهُوَ يُنَبِّئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لَا يُشَابُّ الْيَمَانَ فِيهِمْ بَلْبَسٍ (٧)
 فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كَيْتَةً ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرسٍ (٨)

- (١) هم : آل ساسان ، خافضون : وغيدو العيش . في ظل عال : في قصر مرتفع (القصر الأبيض)
 يحسر العيون : يضعفها إذا نظرت تبين ارتفاعه . يحس : يؤلم .
 (٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا
 جبل القبق والقبقاق . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه
 من الجوارى والخدم والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشهرت بتعدد أممها .
 (٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة طائفة من البيوت . والبسائس : القفار .
 ملس : خالية . يقول : آثاره خير مما في جزيرة العرب من الأطلال والقفار .
 (٤) مساج : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لاتقدر عليها وتساميها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس :
 قبيلة عنزة العبسى من مضر .
 (٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلاها الدهر
 بعد الجدة .
 (٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظاما بجوار القصر . والرمس : القبر .
 (٧) اليان : المنطق القصيح . واللبس : عدم الوضوح .
 (٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت في الايوان ، وارتعت : فزعت .

والمنايَا مَوَائِلُ وَأَنُوشِرُ وَأَن يُزْجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفِيسِ (١)
 فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَحَدِ فَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِغَةٍ وَرِيسِ (٢)
 وَعِرَاكُ الرِّجَالِ يَنْبِ يَدِيهِ فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرِيسِ (٣)
 مِنْ مُشِيخٍ يَهْوِي بِحَامِلِ رُحْ وَمُلِيحٍ مِنَ السَّنَانِ يَتُرِيسِ (٤)
 تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَا لَمْ يَنْهَمُ إِشَارَةُ نُحْرِيسِ (٥)
 يَغْتَلِي فِيهِمْ أَرْتِيَابِي حَتَّى تَقْرَاهُمْ يَدَايَ يَلْمِيسِ (٦)



وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْ عَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرَعْنَ جَلْسِ (٧)
 يُتَظَنَّى مِنَ الْكَاتِبَةِ أَنَّ يَدَ دُولِ عَيْنِي مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي (٨)
 مُزْعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنَسِ إِلْفِ عَزَّ، أَوْ مُرَهَّقًا بِتَطْلِيْقِ عَرِيسِ

(١) موائل : قائمات تنظير العمل وقت الحرب . وأنوشروان : أحد الأكاسرة . يزجى : يسوق . والدرفيس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجريس : الصوت .

(٤) المشيخ : الحذر . والمليح : الذي يخاف ويحذر أيضا . والترس : الحجن .

(٥) تصف العين : يخيل إليها .

(٦) يغتلي الخ : يزيد ارتيابي : شكى في حياتهم ، تقراهم : تتبعهم ، أى حتى ألمهم في الصورة يبدى لأتبعين : أهم أحياء حقا كما يخيل الى .

(٧) الجوب : الخرق . والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل . المجلس : الجبل العالى ، فكان الإيوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الإيوان وغيره من الغرف والمقاصير - نرق في جانب جبل أرعن ، وجعل الجبل أرعن لمافيه من الأجنحة والطنف والآيات الآتية توضيح هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . أن يبدو : وقت أن يبدو ومزعجا مفعول ثان ليتظنى ، أى إنه يظن وقت ظهوره للعين مزعجا بفراقه أليفها أو عروسها .

- عَكَسَتْ حَظَّهُ الْيَلَالِي وَبَاتَ الْمُسْتُ تَرَى فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبٌ نَحِيسُ (١)
 فَهُوَ يُسَيِّدِي تَجَلَّدًا وَعَلَيْهِ كَلَّ كُلُّ مَنْ كَلَّ كُلَّ الدَّهْرِ مُرْسِي (٢)
 لَمْ يَعْبه أَنْ بَزِمَ مِنْ بَسْطِ الدِّيدِ بَاجٍ وَاسْتَلَّ مِنْ سُورِ الدِّمَقِيسِ (٣)
 مُشْمَخَرٌّ تَعَالَوْ لَهُ شُرَفَاتُ رَفَعَتْ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ (٤)
 لَا لِبَسَاتٍ مِنَ الْبَيَاضِ قَمَاتُ يَصْرُ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلُ بَرَسِ (٥)
 لَيْسَ يُدْرِي أَصْنَعُ إِنْسَ وَجِنِّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جَنِّ لِإِنْسِ
 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَاتِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنَكْسِ (٦)

* * *

- عُمِرَتْ لِلشُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعَزَّى رِبَاعُهُمْ وَالتَّأْسَى
 فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعِ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ
 ذَلِكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابِ مِنْهَا، وَلَا الْجَنَسُ جَنَسِي
 غَيْرُ نَعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ زَكَائِهَا خَيْرَ غَرَسِ (٧)
 أَيْدُوا مُلْكَنَا، وَشَدُّوا قَتَوَا بِحِمَاةٍ تَحْتَ السُّنُورِ حُمِسِ (٨)

- (١) المشتري : كوكب سعد ، ولكنه تحول نحسا في هذا القصر بتأثير القصر فيه .
 (٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر . أى نازلة .
 (٣) بز : سلب . واسئل : أخرج وانتزع . والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير . والدقمس : الحرير الأبيض .
 (٤) مشمخر : عال . شرفات القصر : ما أشرف من بناءه . ورضوى : جبل . وقدمس : جبل عظيم بنجد ، يشبه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .
 (٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : بكسر الباء وضمتها : القطن أو ما يشبهه .
 (٦) النكس : الضعيف الدنى . (٧) زكائها : نعماتها .
 (٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحمس : شجعان . يشير الى بلاء الفرس فى إقامة الدولة العباسية .

وأعانوا على كتائب أريا ط بطعن على النحور ودعيس^(١)

وأراني من بعد أكلف بالأش راف طراً من كل سنخ وجنيس^(٢)

(١٦) ابن المعتز^(٣)

قال يصف الروض :

وعلى الأرض اصفرار وأخضرار وأحمرار

فكان الروض وشي بالغت فيه التجار^(٤)

نقشه أس ونسريد ن ورد وبهار^(٥)

وقال في سر من رأى بعد تهديمها :

قد أفقرت سر من را فما لشيء دوام^(٦)

فالنقض يحمل منها كأنها الآجام^(٧)

(١) أرياط : قائد حبشي فتح اليمن قديماً ، ثم أخرج الأحيات بمعوة للفرس . والدعس :

الدوس والبطن . (٢) أكلف بالأشرف : أوقع بهم . والسنخ : الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأوقع بالشعر ونبع فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعة بويغ عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع في الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف البديع فهو ثالث أبي تمام ومسلم بن الوليد في ذلك .

(٤) ألوشي : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر ومعناه هنا الحاذق .

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان . (٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا

جندوها المعتصم وأقام بها . أفقرت : تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقص : البناء المهتم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير المتلف . يريد أن الناس يحملون

أنقاضها كما يختطفون فروع الشجر من الغابات .

مَاتَتْ كَمَا مَاتَ فَيْسَلُ تُسَلُّ مِنْهُ الْعِظَامُ (١)

وقال يصف هلال شوال :

أَهْلًا بِفَطْرِ قَدْ أَنَافَ هِلَالُهُ فَلَاآنَ فَاغْدُ عَلَى الْمُدَامِ وَبَكْرٍ (٢)
وَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ (٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَّةٍ لَا تَمَلُّ الْبُكَاءَ جَرَى دَمْعُهَا فِي خُدُودِ الثَّرَى (٤)
سَرَتْ تَقْدَحُ الصُّبْحَ فِي لَيْلِهَا بِبَرْقٍ كِهْنِدِيَّةٍ تُتَنَضَّى (٥)
فَلَمَّا دَنَتْ جَلَجَلَتْ فِي السَّمَاءِ رَعْدًا أَجَشَّ بِحُرْسِ الرِّيحِ (٦)
ضَمَانٌ عَلَيْهَا ارْتِدَاعُ الْيَفَاعِ بَانَوَارِهَا وَاعْتِجَارُ الرُّبَا (٧)
فَمَا زَالَ مَدْمَعُهَا بِاصْكِيًا عَلَى التُّرْبِ حَتَّى اكْتَسَى مَا اكْتَسَى (٨)
فَاضْحَتْ سَوَاءً وَجْوهُ الْبِلَادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بِهَا وَالتَّقَى (٩)

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها . (٢) أناف : أطل وأشرف . غدا : بكر . المدام : الخمر . يدعو إلى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضي حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول إخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة إلى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنضى : تستل . يقول إن برقها يلعب في الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلنة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) الارتداع : الصبح . اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع وبوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون : الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض وصبغها بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى ردا جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنٌ فَمَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسْفِكَ دِمَاءٍ (١)
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنْدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءٍ (٢)

وقال يصف غديرا :

غَدِيرٌ تَرْجَرُجُ أَمْوَاجُهُ هَبُوبُ الرِّيحِ وَمَرُّ الصَّبَا (٣)
إِذَا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ تَوَهَّمَتُهُ جَوْشَنًا مُذْهَبًا (٤)

وقال يحذر الطالبين من طلب الخلافة ويتوعدهم :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ عِتَابٌ عَلَى الْأَقْدَارِ يَا آلَ طَالِبٍ (٥)
تَرْكَاكُمْ حِينًا فَهَلَّا أَخَذْتُمْ تَرَاثَ النَّبِيِّ بِالْقَنَاءِ وَالْقَوَاضِبِ (٦)
زَمَانَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانَ مُمَسِّكُو أَعْنِيَةِ مُلِكٍ جَائِرِ الْحُكْمِ غَاصِبِ (٧)
الْأُرْبِ يَوْمٍ قَدْ كَسَوْنَكُمْ عِمَامَةً مِنَ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ حُمُرَ الدَّوَائِبِ (٨)
فَلَمَّا أَرَادُوا بِالسُّيُوفِ دِمَاءَكُمْ أَبَيْتَنَا وَلَمْ نَمْلِكْ حَنِينَ الْأَقَارِبِ
فَحِينَ أَخَذْنَا ثَارَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ قَعَدْتُمْ لَنَا تُورُونَ نَارَ الْحُبَابِ حَبِ (٩)

- (١) الصارم : السيف القاطع . المنايا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة . (٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . درن : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء . (٣) الصبا : ريح شرقية .
(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء . كما الذهب فوق الدرع .
(٥) يريد أن الله أبي عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .
(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .
(٧) زمان : مضاف إلى الجملة الاسمية بعده . ويريد بيني حرب ومروان دولة بني أمية .
(٨) الهامات : الرؤوس . والدوائب : جمع ذؤابة وهي هنا طرف العمامة . يقول : إن بني أمية كانوا يضربون رؤوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .
(٩) الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه وما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ونحوها وأرى نار الحباحب كناية عن الفتن التي لا تفيد شيئا .

وَحَزَنَا الَّتِي أَعْيَتْكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ
عَطِيَّةُ مُلْكٍ قَدْ حَبَانَا بِفَضْلِهِ
وَلَيْسَ يُرِيدُ النَّاسُ أَنْ تَمْلِكُوهُمْ
وَأَيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ وَحَذَارٍ مِنْ
أَلَا إِنَّهَا الْحَرْبُ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمْ
فَمَا ذَنْبُنَا ؟ هَلْ قَاتَلْنَا مِثْلُ سَالِبٍ ؟
وَقَدَّرَهُ رَبُّ بَزِيلِ الْمَوَاهِبِ
فَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِمْ وَثُوبَ الْجَنَادِبِ (١)
ضَرَاغِمَةٍ فِي الْغَابِ حُمُرِ الْمُخَالِبِ (٢)
وَجَرَبْتُمْ وَالْعِلْمُ عِنْدَ التَّجَارِبِ

وقال في الطرد : (٣)

لَمَّا تَفَرَّى الْأَفْقُ بِالضِّيَاءِ
وَشَمِطَتْ ذَوَائِبُ الظُّلُمَاءِ
قُدْنَا لِعَيْنِ الْوَحْشِ وَالظُّبَاءِ
شَائِلَةً كَالْعَقَرِ السَّمَرَاءِ
كَمَدَّةٍ مِنْ قَلَمٍ سَوْدَاءِ
تَحْمِلُهَا أَجْنَحَةُ الْهَوَاءِ
مِثْلَ ابْتِسَامِ الشَّفَةِ اللَّمْبَاءِ (٤)
وَهُمْ نَجْمُ اللَّيْلِ بِالْإِغْفَاءِ (٥)
دَاهِيَةً مَحْدُورَةَ اللَّقَاءِ (٦)
مُرْهَفَةً مُطْلَقَةَ الْأَحْشَاءِ (٧)
أَوْ هُدْيَةٍ مِنْ طَرَفِ الرَّدَاءِ (٨)
تَسْتَلِبُ الْخَطْوَ بِلَا إِبْطَاءِ

- (١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .
(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب : مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين
وجنودهم . (٣) الطرد بفتحين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه
كثير من الشعراء كابي نواس وابن الرومي وابن المعتز .
(٤) تفرى : لبس القرو . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللبأ المشربة سمرة في حسن .
(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .
(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول لما أصبح الصباح
خرجنا للصيد ومعنا كلبة تتخشى الحيوانات لقاءها . (٧) شائلة : مرتفعة الذنب . ومرهفة : مديبة .
(٨) المدة : الواحدة من المداد . والهدية : الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوْتَقَّ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيَضَاءِ (١)
كَأَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجَرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِأُذُنِ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السُّوسَنِ الشَّهْلَاءِ (٢)
ذَا بُرْثِنٍ كَثَقَبِ الْحَذَاءِ وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةِ الْأَقْدَاءِ (٣)
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ يَنْسَابُ بَيْنَ أَكْمِ الصَّخْرَاءِ
مِثْلَ أَنْسِيَابِ حَيَّةِ رَقَطَاءِ آتَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ (٤)
سِرْبَ ظَبَاءٍ رُتِعَ الْأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مَنُورٍ خَلَاءِ (٥)
أَحْوَى كَبْطُنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنْقِشُ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ (٦)
كَأَنَّهَا ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْآئِنِ وَالْعَنَاءِ (٧)
* نَحْسِينِ لَا تَنْقُصُ فِي الْإِحْصَاءِ *

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : إنه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب في السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : الخلب . والحذاء : الاسكاف .

(٤ و ٥) السفح : عرض الجبل . وآتس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء في البيت بعده مفعوله : أى أن هذا الكلب أبصر سرب غزلان . رتّع أطلاؤها : أى أولادها في عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة في سواد وهو وصف للعازب قبله .

(٧) الآين : التعب . بقول : إن هذا الكلب يصيد ما لا يقل عن تحسين قبل أن يدركه التعب .

(ب) النثر

أولا - النثر الفنى

(١) تَعْرِية لابن المقفع^(١) :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا بِيَدِ اللَّهِ ، هُوَ يُدَبِّرُهُمَا وَيَقْضِي مِنْهُمَا مَا يَشَاءُ ،
لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ^(٢) ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِمُ
الْمَوْتَ بَعْدَ الْحَيَاةِ لِئَلَّا يَطْمَعَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي حُلِيِّ الدُّنْيَا ، وَوَقَّتَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِيقَاتَ
أَجَلٍ ، لَا يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ^(٣) ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ
مُسْتَيَقِنٌ بِالْمَوْتِ ، لَا يَرْجُو أَنْ يُخَلَّصَهُ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ ، نَسَأَلُ اللَّهَ خَيْرَ الْمُنْقَلَبِ .
وَبَلَّغَنِي وَفَاةُ فُلَانٍ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ مِنْ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ الَّتِي يُحْتَسَبُ ثَوَابُهَا مِنْ رَبِّهَا^(٤)
الَّذِي إِلَيْهِ مُنْقَلَبُنَا وَمَعَادُنَا ، وَعَلَيْهِ ثَوَابُنَا . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ
بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبْرِ صَلَوَاتٍ مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ^(٥) .

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ٦٠٨ هـ . ونشأ بالبصرة .
وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج بلاد فارس للعباج بن يوسف الثقفي . وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية
ثم أسلم في آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع في ذلك وكتب لكثير من الأمراء . وكان غاية في الذكاء واشتهر
ابن المقفع ببلاغته ورشاقته عبارته وأسلوبه السهل الممتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين
وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ .

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه . يريد هنا أن حكم الله لا ينقض .

(٣) المنقلب : المرجع ، يقال : كل أمرئ يصير إلى منقلبه .

(٤) احتسب المرء عند الله خيرا : قدمه .

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة . يشير إلى قوله تعالى : « وبشر الصابرين » الآية .

وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ الصَّغِيرِ :

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الْإِنْسَانِ خَفَاءُ عِيُوبِهِ عَلَيْهِ . فَإِنْ مِنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيَتْ
عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، فَلَنْ يَقْلَعَ عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ وَلَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ...

لَا يُؤْمِنَنَّ شَرَّ الْجَاهِلِ قَرَابَةً وَلَا جَوَارٌ وَلَا إِلْفٌ^(٢) ، فَإِنْ أَخَوْفَ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ
لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا^(٣) . وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ^(٤) ، وَإِنْ
نَاصَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ . وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ ، وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ .
مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعُ ضَارٍ^(٥) ، وَعِنْدَ الشَّبَعِ مَلِكٌ فَظٌ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ
إِلَى جَهَنَّمَ ، فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ^(٦) وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ^(٧)
وَالدِّينِ الْفَادِحِ^(٨) وَالِدَاءِ الْعِيَاءِ ...

(١) أفلح عن عيبه : كف عنه وتركه .

(٢) الإلف بكسر الهمزة وسكون اللام . والألفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء الصداقة .

(٣) أى يشتد خوف الإنسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذا صلة
قوية بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الأساود : مفردة أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثل . يقال نزل به أمر فادح ،
وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لا يبرأ منه المريض .

(٢) أحمد بن يوسف^(١)

كتب يهني بمسولود :

أما بعد، فليس من أمرٍ يجعلُ اللهُ لك فيه سرورا إلا كنتُ به بهجاً أعتدُ فيه^(٢)
 بالنعمة من الله الذي أوجبَ عليَّ من حَقِّكَ، وعرفني من جميلِ رأيِكَ . فزادكَ اللهُ^(٣)
 خيراً، وأدامَ إحسانَهُ إِلَيْكَ . وقد بلغني أنَّ اللهَ وهبَ لك غلاماً سرياً أجملَ صورتهُ،
 وأتمَّ خلقه، وأحسنَ فيه البلاءَ عندك فاشتدَّ سروري بذلك . وأكثرتُ حمدَ الله^(٤)
 عليه . فباركَ اللهُ فيه وجعله باراً تقياً يسدُّ عضدَكَ، ويكثرُ عددَكَ، ويقرُّ عينَكَ^(٥)
^(٦) .

وكتب أيضاً تهنة بظفر :

بلغني — فتح الله عليك — خروجُ ابنِ السريِّ إليك، فالحمدُ لله الناصرِ لدينه،
 المعزِّ لوليِّه وخليفته على عبادِهِ، المُنِذِّلُ لمن صدَّ عن حَقِّهِ ورَغِبَ عن طاعته^(٧)،

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : إن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتاباً لبني
 العباس فنشأ أحمد بن يوسف في بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر
 في زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والإخوانية . وكانت طريقته في الكتابة تميل
 إلى التوسع في المعاني والأساليب والعبارات وجزالة الألفاظ وتطويل الرسائل السلطانية . وكان يتولى
 ديوان الرسائل للمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أى أعتد ذلك نعمة على من الله . (٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) باراً : صالحاً مطيعاً .

(٦) العضد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق إلى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سروره . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسروره .

(٨) صدّه عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يذل من وقف في سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُظَاهِرَ^(١) النَّعَمَ ، وَيَفْتَحَ^(٢) بُلْدَانَ الشَّرِّكَ بِكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَالَاكَ مِنْهُ^(٣) .
 ظَعَنْتُ^(٤) لَوَجْهِكَ ، فَإِنَّا تَتَذَكَّرُ^(٥) سِيرَتَكَ فِي حَرْبِكَ وَسَائِمِكَ ، وَنَكْثُ^(٦) التَّعْجِبِ لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ^(٧) .
 مِنْ وَضْعِ الشَّدَةِ وَاللَّيَانِ^(٨) بِمَوْضِعِهِمَا ، وَلَا تَعْلَمُ^(٩) سَائِرَ جُنْدٍ وَلَا رَعِيَّةٍ عَدِلَ^(١٠) بَيْنَهُمْ عَذْلَكَ^(١١) .
 وَلَا مِنْ عَفَا^(١٢) بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَمَّنْ^(١٣) آسَفُهُ وَأَضْغَنُهُ^(١٤) عَفْوَكَ^(١٥) .

وكتب في الذم :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَا أَعْلَمُ^(١٦) لِلْمَعْرُوفِ^(١٧) طَرِيقًا^(١٨) أَحْزَنَ^(١٩) وَلَا أَوْعَرَ^(٢٠) مِنْ طَرِيقِهِ^(٢١) إِلَيْكَ ،
 وَلَا مُسْتَوْدَعًا^(٢٢) أَقْلَ زَكَاةٍ^(٢٣) ، وَلَا أَبْعَدَ ثَمَرَةٍ^(٢٤) خَيْرَ مِنْ مَكَانِهِ^(٢٥) عِنْدَكَ ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ^(٢٦) مِنْكَ^(٢٧) .
 فِي حَسَبِ^(٢٨) دَنِيِّ^(٢٩) ، وَلِسَانِ^(٣٠) بَذِي^(٣١) ، وَتَسَبِّ^(٣٢) قِصِي^(٣٣) ، وَجَهْلِي^(٣٤) قَدْ مَلَكَ^(٣٥) طِبَاعَكَ^(٣٦) ؛ فَالْمَعْرُوفُ^(٣٧) .
 لَدَيْكَ ضَائِعٌ^(٣٨) ، وَالشُّكْرُ^(٣٩) عِنْدَكَ مَهْجُورٌ^(٤٠) ، وَإِنَّمَا غَايَتُكَ^(٤١) فِي الْمَعْرُوفِ^(٤٢) أَنْ تُحْرِزَهُ^(٤٣) ،
 وَفِي وَلِيٍّ^(٤٤) أَنْ تَكْفُرَ^(٤٥) بِهِ^(٤٦) .

(١) ظاهره مظاهره : طارونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) وإلى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظعن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) اللبان : بفتح اللام المشددة مصدر لان يلين وهو ضد الشدة . والليان : بالكسر الاسم من لان .

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك في قومك .

(٧) آسفه إسافا : أغضبه وأحزنه . (٨) أضغته : حله على الضغينة . ويريد أنه لم ير

أحدًا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن قوم أساءوا إليه واخلوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والاحسان . (١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء . (١٢) الزكا : النمو والزيادة .

(١٣) الدق مخفف الهمزة هنا : الخسيس الدليل . (١٤) البذي بتحقيق الهمزة أيضا :

المحتقر السفه . . (١٥) القصي : البعيد . (١٦) الجهل : الحق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدها وتناساها وكفر بالمنعم بجحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه الى عامل ظالم :

والحق طريق واضح لمن طلبه^(١)، تهديده محبته^(٢)، ولا تخاف عثرته^(٣)، وتؤمن في السر^(٤)،
مغبته^(٥)، فلا تقل^(٦) منه، ولا تعدلن عنه^(٧)، فقد بالغت في مناصحتك^(٨)، فلا تحوجني^(٩)
الى معاودتك^(١٠)، فليس بعد التقدمة إليك إلا سطوة الإنكار عليك^(١١) .

(٣) الحسن بن سهل^(٧)

كتب الى محمد بن سماعة القاضي يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض ما يهمه^(٨) :

أما بعد، فإني احتجت لبعض أموري الى رجل جامع لحصال الخير^(٩)، ذي عفة^(١٠)
ونزاهة طعمة^(١١)، قد هدبته الآداب^(١٢)، وأحكمته التجارب^(١٣)، ليس يظنين في رأيه^(١٤)،
ولا بمطعون في حسيه . إن أوثمن على الأسرار قام بها، وإن قلده مهمما من الأمور^(١٥)
أجزأ فيه^(١٦)، له سن مع أدب ولسان^(١٧)، تقيده الرزاة ويسكنه الحلم^(١٨)، قد فر عن ذكاء^(١٩)

- (١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلّة . (٣) المغبة : عاقبة الشيء .
(٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه . (٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال
عاوده بالمسألة أي سأل مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .
(٦) . التقدمة مصدر قدم الشيء تقدمة . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه .
(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفي سنة ٢٣٦ هـ .
(٨) محمد بن سماعة القاضي : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . توفي سنة ٢٢٣ هـ .
(٩) الطعنة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يتغنى المال من طريق
الحرام ولا من خسيس السبل . (١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم ، يريد أنه لا يصدر الرأي عن
الميل والهوى . (١١) أجزأ في الأمر كان له كفؤا وقام به على خير وجوهه .
(١٢) السن هنا : التقدم في العمر . (١٣) يقال : قر الدابة يقرها (من ياب نصر) . كشف
عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين . يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .
(١٤) الجزء الثاني (١١)

وَفِطْنَةٍ، وَعَضَّ عَلَى قَارِحَةٍ مِنَ الْكَمَالِ^(١)، تَكْفِيهِ الْخَطَّةُ^(٢)، وَتُرْشِدُهُ السَّكْنَةُ^(٣)، قَدْ أَبْصَرَ
خِدْمَةَ الْمُلُوكِ وَأَحْكَمَهَا، وَقَامَ فِي أُمُورِهِمْ فَعِمْدَ فِيهَا^(٤)، لَهُ أُنَاةُ الْوُزَرَاءِ^(٥)، وَصَوْلَةُ الْأَمْرَاءِ^(٦)،
وَتَوَاضَعُ الْعُلَمَاءُ، وَفَهَّمُ الْفُقَهَاءِ، وَجَوَابُ الْحُكَمَاءِ^(٧)، لَا يَبِيعُ نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحَرَمَانٍ
غَدِهِ^(٨)، يَكَادُ يَسْتَرِيقُ قُلُوبَ الرِّجَالِ بِمَحَلَاوَةِ لِسَانِهِ^(٩)، وَحُسْنِ بَيَانِهِ^(١٠)، دَلَائِلُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ^(١١)
لَا تُحْتَجُّ^(١٢)، وَأَمَارَاتُ الْعِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ^(١٣)، مُضْطَلِعًا بِمَا اسْتَنْهَضَ^(١٤)، مُسْتَقِلًّا بِمَا حُمِّلَ^(١٥)، وَقَدْ
آثَرَتْكَ بِطَلِيهِ^(١٦)، وَحَبَوْتُكَ بِارْتِيَادِهِ^(١٧)، ثِقَّةٌ بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ^(١٨)، وَمَعْرِفَةٌ بِحُسْنِ تَأْتِيكِ^(١٩).

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمي

قال : كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّي . وَكَانَتْ لَيْبَةً مِنَ النِّسَاءِ ،
حَازِمَةً فَصِيحَةً بَرَزَةً^(١١) . يُعْجِبُنِي أَنَّ أَجْدَهَا عِنْدَ أُمِّي فَاسْتَكْثَرْتُ مِنْ حَدِيثِهَا ، فَقُلْتُ
لَهَا يَوْمًا : يَا أُمَّ جَعْفَرٍ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُفَضِّلُ جَعْفَرًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ
يُفَضِّلُ الْفَضْلَ عَلَى جَعْفَرٍ ، فَأَخْبِرْنِي . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الْفَضْلَ .

(١) فرح الفرس فهو قارح : خرج نابه ، ولا يكون له ذلك إلا إذا استكمل السن والقوة ، يريد بالجملة
أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوفاق والحلم والتمهل . (٣) الصولة : القدرة والبطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها . (٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به : نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشئ : حمله ورفعته ، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشئ : اختصه به وفضله على غيره .

(١٠) ارتاد الشئ : ارتيادا طلبه وبحث عنه .

(١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهولة الجالية تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون وهي عفيفة .

لِلْفَضْلِ . فَقُلْتُ : إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى خِلَافِ هَذَا . فَقَالَتْ : هَئِنَا أُحَدِّثُكَ
 وَأَقِضْ أَنْتَ . وَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُ مِنْهَا . فَقَالَتْ : كَانَا يَوْمًا يَلْعَبَانِ فِي دَارِي ،
 فَدَخَلَ أَبُوهُمَا قَدَعًا بِالْغَدَاءِ وَأَحْضَرَهُمَا ، فَطَعِمَا مَعَهُ ثُمَّ آتَسَهُمَا بِحَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا :
 أَتَلْعَبَانِ بِالشُّطْرَنْجِ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ ، وَكَانَ أَجْرَاهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَهَلْ لَاعِبْتَ أَخَاكَ بِهَا؟
 قَالَ جَعْفَرٌ : لَا ! قَالَ : فَالْعَبَا بِهَا رِيًّا لِي لَأَرَى لِمَنِ الْغَلَبُ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ !
 وَكَانَ الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بِهَا . فَنَجَّى بِالشُّطْرَنْجِ فَصُفِّتَ بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ
 وَأَعْرَضَ عَنْهَا الْفَضْلُ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَا لَكَ لَا تَلْعَبُ أَخَاكَ؟ فَقَالَ : لَا أُحِبُّ
 ذَلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي فَيَانْفُ مِنْ مَلَاعِبَتِي ، وَأَنَا الْأَعْبَةُ
 مُحَاطَرَةٌ . فَقَالَ الْفَضْلُ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ أَبُوهُ : لَاعِبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ :
 رَضِيتُ . وَأَبَى الْفَضْلُ وَاسْتَعْفَى أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِي : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَأَقِضْ .
 فَقُلْتُ : قَدْ قَضَيْتُ بِالْفَضْلِ لِلْفَضْلِ عَلَى أَخِيهِ . فَقَالَتْ : لَوْ عَلِمْتُ
 أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْقَضَاءَ لَمْ أَحْكُمَكَ . أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَعْفَرًا قَدْ سَقَطَ أَرْبَعَ سَقَطَاتٍ
 تَنَزَّهُ الْفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسَقَطَ حِينَ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بِالشُّطْرَنْجِ ، وَكَانَ
 أَبُوهُ صَاحِبَ جِدٍّ . وَسَقَطَ فِي التَّرَامِ مَلَاعِبَةُ أَخِيهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِغَلِيهِ ، وَالتَّعَرُّضِ
 لِنَفْسِهِ ، وَسَقَطَ فِي طَلَبِ الْمُقَامَرَةِ . وَإِظْهَارِ الْحَرِصِ عَلَى مَالِ أَخِيهِ . وَالرَّابِعَةُ
 قَاصِمَةُ الظُّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَاعِبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ أَخُوهُ لَا ، وَقَالَ هُوَ نَعَمْ ،

(١) المخاطرة المراهنة ، يقال : لاعبه على خطر بفتحين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه الا يكلفه إياه .

(٣) الجذب كسر الجيم : ضد الهزل .

(١) فَنَاصَبَ صَفَا فِيهِ أَبُوهُ وَأُخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ ! وَإِنَّكَ لَأَقْضَى مِنْ
 (٢) الشَّعْبِيِّ . ثُمَّ قُلْتَ لَهَا : عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَخْبِرِيْنِي : هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هَذَا عَلَى جَعْفَرِ
 وَقَدْ فَطَنَ لَهُ أُخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا الْعَزْمَةُ لَمَّا أَخْبَرْتُكَ ، إِنَّ أَبَاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ
 لِلْفَضْلِ خَالِيَةً بِهِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى أَبِيكَ بِمَلَاعِبَةِ أَخِيكَ ؟ فَقَالَ :
 أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَا عَيْتَهُ لَغَلَبْتُهُ فَاحْجَلْتُهُ ، وَالثَّانِي قَوْلُ أَبِي لَا عَيْبَهُ وَأَنَا مَعَكَ ،
 فَمَا يَسْرِنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِيَ عَلَى أَحْي . ثُمَّ خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ
 عَنِ اللَّعِبِ بِالشَّطْرَنْجِ فَيَصْمُتُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ جِدِّ . فَقَالَ :
 إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : نِعْمَ لَهُوَ الْبَالِ الْمَكْدُودُ (٤) . وَقَدْ عَلِمَ مَا نَلْقَاهُ مِنْ كَدِّ التَّعْلِيمِ
 وَالتَّأْدِيبِ ، وَلَمْ أَمِنْ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ أَنَا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُسَادِرَ فِينَا ، فَبَادَرْتُ
 بِالْإِفْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَلَيْهِ ، وَقُلْتُ إِنْ كَانَ تَوَيْسُخُ قَدَيْتِهِ مِنَ الْمَوَاجَهَةِ بِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِي : فَلِمَ تَقُولُ الْأَعْيَبُ مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتُسْتَكْرِ مَالَهُ .
 فَقَالَ : كَلَّا وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فَأَبَى
 قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِي فَأَخَاطَرُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَغْلِبُنِي فَتَطِيبُ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا .
 فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَاهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مُحَلَّلَةً بِالْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ ، فَرَأَاهُ يَنْظُرُ

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم . والاسم منه العزيمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء . وهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . فَقُلْتُ إِيَّاهُ . فَقَالَتْ : ثُمَّ قُلْتُ لَجَعْفَرٍ هَبْكَ اعْتَذَرْتَ بِمَا سَمِعْتُ
مَا عُدُّكَ مِنَ الرِّضَا بِمَنَاصِبِهِ أَيْكَ حِينَ قَالَ لَا عِيبَ وَأَنَا مَعَكَ ؟ فَقُلْتُ أَنْتَ : نَعَمْ ،
وَقَالَ هُوَ : لَا . فَقَالَ : عَرَفْتُ أَنَّهُ غَالِي ، وَلَوْ قَتَرْتَهُ لَتَغَالَبْتُ لَهُ ، مَعَ مَا لَهُ مِنْ
الشَّرَفِ وَالسُّرُورِ يَتَحَيَّرُ أَبِيهِ إِلَيْهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ : بَنِي بَنِي ، هَذِهِ
وَاللَّهِ السِّيَادَةُ . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ : أَلَا كَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بَنِي :
أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ ؟ أَخْبِرْكَ عَنْ صَبِيَّيْنِ يَلْعَبَانِ قَتُّوُلُ : أَلَا كَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ ،
لَقَدْ كُنَّا نَهَيَّ الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ الْعَشْرَ وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ أَنْ يَتَنَسَّمَ .

(٥) الصُّبُولِي

من رسائله في تعزية علي لسان المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى
أمير المؤمنين :

أَمَّا بَعْدُ ، تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَحَيَاطَتَكَ ، وَمَا يَرْتَضِيهِ مِنْكَ وَيَرْضَاهُ عَنْكَ !
إِنَّ أَفْضَلَ النَّعِيمِ نِعْمَةٌ تَلْقَيْتَ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ . وَأَوْفَرُ حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةٌ أَدَّى

(١) يقال : هَبْكَ صَنَعْتَ كَذَا أَيْ افْرَضْتَ أَنْكَ صَنَعْتَ . وَهِيَ كَلِمَةٌ مَلَاذِمَةٌ لِلْأَمْرِ لَا تَنْصَرَفُ لِغَيْرِهِ
مِنَ الْأَفْعَالِ . (٢) قَتَرْتَهُ مِنْ بَابِ نَصْرُوهُنَ بَابُ ضَرْبٍ : ضَعْفٌ .

(٣) بَنِي بَفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْخَاءِ : اسْمُ فِعْلٍ لِلدَّحِّ وَإِظْهَارِ السُّرُورِ بِالشَّيْءِ . وَيُكْرَرُ لِلْبَالِغَةِ فَيُقَالُ :
بَنِي بَنِي بِالْكَسْرِ وَالتَّنْوِينِ .

(٤) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُسْعِدَةَ . نَشَأَ بِبَغْدَادَ وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ
عُلَمَاءَ زَمَانِهِ وَاشْتَغَلَ بِالشُّعْرِ وَنَبَغَ فِيهِ وَمَدَحَ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَتَوَلَّى فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ دِيْوَانَ النِّفَقَاتِ . وَكَانَ
مِنَ الْأَكْبَرِ الْكُتَّابِ وَمِنْ أَفْذَاهِمُ الْمَعْرُوفِينَ فِي زَمَانِهِ حَتَّى لَقِبَ بِكَاتِبِ الْعِرَاقِ ، وَلَهُ رِسَائِلُ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا مَا كَتَبَهُ
فِي التَّعَاذِي . تَوَفَّى بِسَرٍّ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٤٢ هـ . (٥) تَلَقَّى الشَّيْءَ : بِمَعْنَى لَقِيَهِ .

حَقُّ اللَّهِ مِنْ الرِّضَا والتَّسْلِيمِ والصَّبْرِ، ومِثْلَكَ مِنْ قَدَمَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي نِعْمَةٍ فَشَكَرَهَا،
وَفِي مُصِيبَةٍ فَأَطَاعَهُ فِيهَا . وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) قِضَاءَهُ السَّابِقَ وَالْمَوْقِعَ ^(١) . وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢)
(أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ) وَتَقْدِيمَ مَا يُقَدَّمُ مِثْلَهُ أَهْلُ الْحِجَا وَالْفَهْمِ مَا اعْتَاضَهُ مُعْتَاضُ ^(٣)
وَقَدَمَهُ مَوْفُقَ . فَلْيَكُنْ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَمَا أَطَاعْتَهُ بِهِ وَقَدِمْتَ حَقَّهُ فِيهِ أَوْلَى بِكَ
فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ بِطَاعَتِهِ . يُحَسِّنُ وَلَا يَتَكَ
فِي تَوْفِيقِكَ لَشُكْرِ نِعْمِهِ عِنْدَكَ .



ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عليه، وهي من
الرسائل التي أغنت عن الجيوش :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِمَّا قَوْمٌ بِهِ مِنْ أَوْدٍ وَعَدَلٍ بِهِ ^(٤)
مِنْ زَيْغٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مُنْشِرٍ، اسْتِعْمَالَ ثَلَاثٍ يُقَدَّمُ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ : أَوَّلَاهُنَّ مَا يَتَقَدَّمُ ^(٥)
بِهِ مِنْ تَنْبِيهِ وَتَوْفِيقٍ ، ثُمَّ مَا يَسْتَظْهِرُ بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ وَتَخْوِيفٍ ، ثُمَّ الَّتِي لَا يَقَعُ بِحَسَنِ ^(٦)
الدَّاءِ غَيْرَهَا : ^(٧)

(١) الموضع : المقدر . (٢) الحجا : العقل .

(٣) اعتاض منه : أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض .

(٤) الأود هنا : الأعوجاج .

(٥) الزيف : الميل عن الحق .

(٦) وقده على الشيء : أفهمه .

(٧) استظهر به : استعاذ .

(٨) حسمه : قطعه مستأصلا إياه .

(١) أَنَاةٌ ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْتَتْ عِزَائِمُهُ

(٢) وَكَتَبَ إِبْرَاهِيمُ الصُّوْلِي إِلَى ابْنِ الزِّيَّاتِ يَسْتَعِظُهُ :

كَتَبْتُ وَقَدْ بَلَغْتَ الْمُدِيَّةَ الْمُحْزَرَةَ (٣) وَصَدَّتِ الْإِيَّامُ بِكَ عَلَى بَعْدِ عَدَوَايَ بِكَ عَلَيْهَا (٦)
وَكَانَ أَسْوَأَ الظَّنِّ وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاتِهَا (٧) ،
فَاصْرَتْ أَضْرًا عَلَى مِنْهَا ، فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنِّي خَوْفًا مِنْكَ (٨) ، وَبَادَرَ إِلَى الْعَدُوِّ (٩)
تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخُ بَنِي وَيَيْنَ اللَّهُمَّ يَا صَاحِبَ آيَاتِ غَلَبَا (١٠)

-
- (١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .
(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .
(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .
(٤) المحزبفتح الميم : موضع الحزأى القطع . يقال : قطع فأصاب المحز . والمحز بكسر الميم : آلة الحز . يريد أن الأمر وصل إلى غايته من الشدة .
(٥) عدت الأيام : اعتدت .
(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعطاه . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .
(٧) الأداة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ ..) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه في ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه إذا أصابه بأذى فإذا هو أضرم عليه منها وأشد أذى له .
(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .
(٩) يبادر إلى الشيء : أسرع .
(١٠) يصف الصديق الذي أشار إليه بأن يكون معه حينما يكون الزمان معه ويكون عليه حينما يتخونه الدهر .

صِدِّيقِي مَا اسْتَقَامَ وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ عَلَى نَبَا (١)
وَتَبَّتْ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ فَعَادَ بِهِ وَقَبْدٌ وَثَبَا (٢)
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا لَعَادَ بِهِ أَخًا حَدِثًا (٣)

ثانيا - النثر العلي

(١) أَبُو يُوسُفَ (٤)

قال في كتاب "الخراج" :

وَأَنَا أَرَى أَنْ تَبْعَثَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْعِفَافِ مِمَّنْ يُوثِقُ يَدَيْهِ وَأَمَانَتِهِ
يَسْأَلُونَ عَنْ سِيرَةِ الْعُمَّالِ وَمَا عَمِلُوا بِهِ فِي الْبِلَادِ ، وَكَيْفَ جَبَوْا الْخَرَاجَ عَلَى مَا أَمَرُوا
بِهِ ، وَعَلَى مَا وُظِّفَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ وَاسْتَقَرَّ ، فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَصَحَّ ، أَخَذُوا
بِمَا اسْتَفْضَلُوا مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَخْذِ حَتَّى يُؤَدُّوهُ بَعْدَ الْعُقُوبَةِ الْمَوْجِبَةِ وَالنَّكَالِ ،
حَتَّى لَا يَتَمَدَّدُوا مَا أَمَرُوا بِهِ ، وَمَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَا عَمِلَ بِهِ وَالِى الْخَرَاجِ
مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُسْفِ فَإِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِهِ ، وَقَدْ أَمَرَ بِغَيْرِهِ ، وَإِنْ أَهْلَتْ
بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ الْعُقُوبَةُ الْمَوْجِبَةُ أَتَهَى غَيْرُهُ وَاتَّقَى وَخَافَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا بِهِمْ تَعَسَّدُوا
عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ وَاجْتَرَأُوا عَلَى ظُلْمِهِمْ وَتَعَسَّفِهِمْ وَأَخَذِهِمْ بِمَا لَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ . وَإِذَا
صَحَّ عِنْدَكَ مِنَ الْعَامِلِ وَالْوَالِي تَعَسَّدَ بِظُلْمٍ وَعُسْفٍ وَخِيَانَةٍ لَكَ فِي رَعِيَّتِكَ وَاحْتِجَانُ

(١) نَبَا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . هذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول : هجمت على الزمان به فرجعت عن معاونتي وهجم على مع الزمان .

(٣) حذب عليه : تعطف . وأخ حذب بفتح الحال وكسر الدال : شفيق . يريد أنه إذا صادقه

الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقه له . (٤) أبو يوسف هو القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصارى

الكوفي أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة وكان ناهيا مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيد .

شيء من الفياء ، أو خُبث طُعْمَتِهِ أو سُوء سِيرَتِهِ فحرامٌ عليك استعماله والاستعانةُ
 به ، وأنَّ تَقْلِيدَهُ شَيْئًا منْ أُمُورِ رِعْيَتِكَ أو تُشْرِكُهُ في شيءٍ منْ أَمْرِكَ ، بَلْ عَاقِبُهُ عَلَى
 ذَلِكَ عَقُوبَةً تَرُدُّهُ غَيْرَهُ منْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ . وإياك ودعوة المظلوم
 فَإِنَّ دَعْوَتَهُ بِجَابَةٍ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ^(١)

كان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء وأخذ بزمام سياستهم ، فجعلهم
 ثلاث طبقات :

فكانت الأساورة^(٢) وأبناء الملوك في الطبقة الأولى ، وكان مجلس هذه الطبقة من
 الملك على عشرة أذرع من الستارة .

ثم الطبقة الثانية كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك
 وندماؤه ومحدثاؤه من أهل الشرف والعلم) .

ثم الطبقة الثالثة كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية وهم المضحكون وأهل
 الهزل والبطالة ، غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضيعه ،

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى . ولد بمدينة البصرة وتربى بها
 ودرس هناك كل ما كان ذائما من العلوم والفنون في أيامه ولازم إبراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى
 وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرا
 كل ما ترجم في زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والتديم : المتادم على الشراب . والتديم أيضا الرفيق
 والصاحب .

(٣) أساورة الفرس : هم الفرسان .

(١) ولا تاقِصُ الجَوَارِحَ، ولا فاحِشُ الطُّولِ والقِصَرِ، ولا مؤوَفٌ^(٢)، ولا مجهولُ الأَبَوَيْنِ، ولا ابنُ صناعةٍ دنيئةٍ كآبِنِ حائكٍ أو حجامٍ ولو كان يعلمُ الغيبَ مثلاً .

وكان أردشير يقول: "ما شئٌ أسرعُ في انتقالِ الدُّولِ وخرابِ المملكةِ من انتقالِ هذه الطبقاتِ عن مراتبها، حتى يرفعَ الوُضِيعُ إلى مرتبةِ الشَّريفِ، ويخطَّ الشَّريفُ إلى مرتبةِ الوُضِيعِ . وكان الذى يقابلُ الطَّبَقَةَ الأولى من الأساورةِ وأبناء الملوكِ أهلُ الحَذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغَانِي . فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خَطُّ الاستِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّانِيَةَ من نَدَمَاءِ المَلِكِ وِطَنانته الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ من أصحابِ المُوسِيقِيَّاتِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّالِثَةَ من أصحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضْحِكِينَ أصحابُ الوَبْجِ والمَعَارِيفِ والطَّنَابِيرِ، وكان لا يَزُمُّ الحَازِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحَازِقِ من المُغَنِّينَ . وإن أمره المَلِكُ بذلك راجعةٌ واحتجَّ عليه"

(٣) من كتاب الكامل للمبرد^(٥)

قال أبو العباس من أمثال العرب: "لم يذهب من مالك ما وعظك"، يقول: إذا ذهب من مالك شيءٌ فحذرَكَ أن يحلَّ بِكَ مثله فتأديبه إياكَ عوضٌ من ذهابه .

(١) الجوارح جمع جارحة وهي العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بآفة .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهي الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار: من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي . ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وكان قوى الذاكرة

سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الأدبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالهم: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا" وتأويله أن الرجل يعمل العمل فلا يحكيه للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه، ثم يستأنف، والرَّيْث: الإبطاء، وراث عليه أمره: إذا تأخر. ومن أمثال العرب: "عَشَّ وَلَا تَغْتَرَّ" وأصل ذلك أن يمر صاحب الإبل بالأرض المكلَّنة فيقول: ^(١) ادْعُ أَنْ أُعْشِيَ إِبِلِي مِنْهَا حَتَّى أُرِدَ عَلَى أُخْرَى، وَلَا يَدْرِي مَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ. وقريب منه قولهم: "أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ" وتأويله أن يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير إليه، فيقال له: أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءً أَحْزَمَ لَكَ، فَإِنْ أَصَبْتَ مَاءً آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ، فَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ نَخَفْتُ مِنَ الْمَاءِ عَطِيتَ. ومن أمثالهم: "قَدْ أَحْزَمْتُ لَوْ أَعِزُّمُ" يقول: أعرف وجه الحزم فإن عزمت فأمضيت الرأي فانا حازم، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضعت العزم لم ينفعني حزمي. ومثله قول النابغة الجعدي:

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنَّى امْرُؤُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أُرْتَبْ

وقال أعرابي يمدح سوار بن عبد الله:

وَأَوْقَفْتُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضَحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيًا ^(٤)

فالذي يحمّد إمضاء ما تبين رشده، فأما الإقدام على الغرر، وركوب الأمر على

الخطر، فليس بمحمود عند ذوى الألباب.

(١) أكلات الأرض: كثر كلالها. الكلاء: العشب رطبا وباسا.

(٢) بماء: أى مع ماء. والكياسة: الفطنة. ورجل كيس: فطن. والأكيس: اسم تفضيل منه.

(٣) عطيت: هلكت. (٤) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (يضح):

انكشف وبان. مضى على الأمر: أتمه. يقول إنه أشد تخرجاً من المضاء في الأمر إذا لم يتبين له وجه

الصواب فيه، على أن له من الفطنة والألمية ما يبعثه على المضاء راشداً في حين يمضى غيره متشككا متخطلا.

(٥) الغرر بفتح العين والراء: التعرض للهلاك.

(٤) من تاريخ الأهم والملوك للطبرى^(١) :

”خلافة الأمين“

وفي هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويعَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ هَارُونَ بِإِخْلَافَةٍ فِي عَسْكَرِ الرَّشِيدِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ الْمَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ بِمَرَوْ، وَكَانَ فِيما ذُكِرَ قَدْ كَتَبَ خَمْوِيَهُ مَوْلَى الْمَهْدِيِّ صَاحِبُ الْبَرِيدِ يَطُوسُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ سَلامَ مَوْلَاهُ وَخَلِيفَتِهِ بِبَغْدَادَ عَلَى الْبَرِيدِ وَالْأَخْبَارِ يُعَلِّمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فَعَزَّاهُ وَهَنَّاهُ بِإِخْلَافَةٍ . وَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجَاءُ الْخَادِمِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ : كَانَ صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ بِذَلِكَ ، وَقِيلَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِلنَّصِيفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَسَتَرَ خَبْرَهُ بِقِيَّةِ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ ، وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمَّا قَدِمَ كَتَّابُ صَالِحٍ عَلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ مَعَ رَجَاءِ الْخَادِمِ بِوفاةِ الرَّشِيدِ، وَكَانَ نَازِلًا فِي قَصْرِهِ بِالْخُلْدِ، تَحَوَّلَ إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْحُضُورِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَحَضَرُوا وَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَنَعَى الرَّشِيدَ إِلَى النَّاسِ وَعَزَّى نَفْسَهُ وَالنَّاسَ ، وَوَعَدَهُمْ خَيْرًا وَبَسَطَ الْأَمَالَ، وَأَمَّنَ الْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ، وَبَايَعَهُ جَلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَاصَّتُهُ وَمَوَالِيهِ وَقَوَّادَهُ، ثُمَّ دَخَلَ وَوَكَّلَ بِبَيْعَتِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَمَّ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ فَبَايَعَهُمْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ولد في طبرستان ، ورحل إلى بغداد وغيرها في طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذي اقتبسنا منه هذه النبذة . وقد توفي سنة ٢٢٠ هـ .

وأمر السُّنْدِي بِمَبَايِعَةِ جَمِيعِ النَّاسِ مِنَ الْقَوَادِ وَسَائِرِ الْجُنُودِ، وَأَمَرَ لِلجُنُودِ مِمَّنْ بِمَدِينَةِ
السَّلَامِ بِرِزْقٍ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا وَبِخَوَاصٍ مِمَّنْ كَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ لِهَذِهِ الشُّهُورِ .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسي يعدّ نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق

وَمَا يُحْكِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِي كَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ . بِخَاءٍ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ
مُتَعَلِّقُونَ بِشَابِ ذِي جَمَالٍ بَاهِرٍ، وَأَدَبٍ ظَاهِرٍ، وَغَقْلٍ وَافِرٍ، وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ
طِيبِ الرَّائِحَةِ، وَعَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ، فَقَدَّمُوهُ إِلَى خَالِدٍ فَسَأَلَهُمْ عَنْ قِصَّتِهِ، فَقَالُوا هَذَا
لِصِّ أَصْبَنَاءِ الْبَارِحَةِ فِي مَتَرْنَا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ خَالِدٌ فَاعْجَبَهُ حَسَنُ هَيْئَتِهِ وَنِظَافَتُهُ . فَقَالَ :
خَلُّوا عَنْهُ . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَقَالَ : إِنَّ الْقَوْمَ صَادِقُونَ فِيمَا قَالُوهُ
وَالْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرُوا . فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي هَيْئَةٍ جَمِيلَةٍ
وَصُورَةٍ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا . وَقَضَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ ! أَمَا كَانَ لَكَ فِي جَمَالٍ وَجْهٌ وَكَمَالٍ عَقْلٌ وَحَسَنٌ
أَدَبٌ زَاجِرٌ يَزْجُرُكَ عَنِ السَّرْقَةِ . قَالَ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! وَامْضِ إِلَى
مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَذَلِكَ بِمَا كَسَبْتُ يَدَايَ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . فَسَكَتَ خَالِدٌ .

(١) أصبناء : أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) تكلمت المرأة ابنها : فقدته ، وهى تكلمت كلمة للدعاء على الإنسان ، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل .

(٤) أى نقذه .

ساعةً يفكر في أمر الفتى ، ثم أدناه منه وقال له : إن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها . قال أيها الأمير : لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أنني دخلت دار هؤلاء فسرقْتُ ما أمكنني ، فأدركوني ، وأخذوه مني وحملوني إليك . فأمر خالد بحبسهِ ، وأمر منادياً ينادى بالبصرة : ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحلِّ الفلاني . فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفس الصعداء وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدِي إِذْ لَمْ أَجِءْ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا

فَقُلْتُ : هَيَّاتِ أَنْ أَبُوحَ بِمَا تَضْمَنَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا !

قَطَعُ يَدِي بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسَمِعَ ذَلِكَ الْمُؤَكَّلُونَ بِهِ ، فَأَتَوْا خَالِدًا وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ . فَلَمَّا جَنَّ^(٢)

الليلُ أَمَرَ بِأَحْضَارِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ اسْتَنْطَقَهُ^(٣) فَرَأَهُ عَاقِلًا أَدِيبًا فَطَنًا ظَرِيفًا^(٤) لَبِيبًا .

فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ ، فَأَكَلَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَ قِصَّةَ

غَيْرِ السَّرِقَةِ فَإِذَا كُنْتَ الصَّبَاحُ وَحَضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ الْقَاضِيُ وَسَأَلَكَ عَنِ السَّرِقَةِ

فَانْكِرْهَا ، وَإِذَا كُرَّ مَا يَدْرَأُ عَنْكَ حَدَّ الْقَطْعِ^(٥) ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : أدركه بحذق فيه فهو فطن . الظرف : الكياسة والحذق والبراعة . ورجل

(ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

« اذرعوا الحدود بالشبهات » ثم أمر به إلى السجن (وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح) .

(وفي ليلة اثنتين وأربعين وثلاثمائة) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن خالدًا بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته ، فلما أصبح الصباح حضر الناس ينظرون قطع يد الشاب ، ولم يبق أحد في البصرة . ثم استدعى بالقضاة وأمر بإحضار الفتى ، فأقبل يحجل^(١) في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه ، وارتفعت أصوات النساء بالنحيب ، فأمر القاضي بتسكير النساء . ثم قال : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم فلعلك سرقت دون النصاب^(٢) ؟ قال : بل سرقت نصابًا كاملاً . قال : لعلك شريك القوم في شيء منه ؟ قال : بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه . فغضب خالد ، وقام إليه بنفسه ، وضربه على وجهه بالسوط وقال ممتثلًا بهذا البيت :

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

ثم دعا بالجزائر ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين ، فبادرت جارية من وسط النساء عليها أطمار^(٣) وِسْخَةٌ فصرخت ورمت نفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجهه كأنه القمر ، وارتفع في الناس ضجة عظيمة ، وكاد أن يقع بسبب

(١) جمل (يحجل) : رفع رجلا ومشى مترثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالي والجمع أطمار .

ذلك فتنة طائرة الشر، ثم نادَتْ تلك الجارية بأعلى صوتها ناشدتك الله أيها الأمير!^(١)
لا تُعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة،^(٢) ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فإذا
مكتوبٌ فيها هذه الأبيات :

أخالد هذا مستهام متيم ^(٣)	رمته لحاظي عن قسي الحمالق ^(٤)
فأصمها سهم اللخط مني لأنه ^(٥)	حليف جوى من دأئه غير فائق ^(٦)
أقرب ما لم يقترفه كأنه	رأى ذاك خيراً من هتيكة عاشق ^(٧)
فمهلاً عن الصب الكئيب فإنه	كريم السجيا في الوري غير سارق

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى ، وأنفرد عن الناس وأحضر المرأة ، ثم سألها عن
القصة فأخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها ، وهي عاشقة له . وإنما أراد زيارتها
فتوجه الى دار أهلها ورمى حجراً في الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وإخوتها
صوت الحجر فصعدوا اليه . فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله ، وأراههم أنه سارق^(٨)

(١) ناشده الله : استطلقه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حمالق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحملها بكسر الحاء باطن أجفائها ، والجمع حمالق وحمالق

والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جوى أى ملازم

الجوى .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سْتَرًا عَلَى مَعْشُوقَتِهِ . فَلَمَّا رَأَوْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَخَذُوهُ . وَقَالُوا : هَذَا سَارِقٌ ، وَأَتُوا بِهِ إِلَيْكَ فَاعْتَرَفَ بِالسَّرْقَةِ وَأَصْرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَفْضَحَنِي ، وَقَدْ ارْتَكَبَ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ رَمَى نَفْسِهِ بِالسَّرْقَةِ لِفَرِطِ مُرُوءَتِهِ ، وَكَرَمِ نَفْسِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بَأَنُّ يُسَعِّفُ بِمُرَادِهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْفَتَى إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْجَارِيَةِ ، وَقَالَ لَهُ يَا شَيْخُ : إِنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إِنْقَازِ الْحُكْمِ مِنْ هَذَا الْفَتَى بِالْقَطْعِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ : وَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِبَذَلِهِ يَدَهُ حِفْظًا لِعِرْضِكَ وَاعْرِضْ بِنْتِكَ وَصِيَانَتُكُمَا مِنَ الْعَارِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِكَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ حَيْثُ أَخْبَرْتَنِي بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي تَزْوِيجِهَا مِنْهُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ ! فَحَمِدَ اللَّهُ خَالِدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وَأَذْرَكَ شَهْرَ زَادَ الصَّبَاحُ فَسَكَتَتْ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

المصرع المباسي الثاني

خراسان والعراق

(١) الشعر

(١) الشريف الرضي^(١)

قال :

يا ظيعة البان تَرعى في نحائله . ليهنك اليوم أن القلب مرعاك^(٢)
 الماء عندك مبدول لشاربه . وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
 هبت لنا من رياح الغور رائحة^(٣) . بعد الرقاد عرفناها برياك^(٣)
 ثم أنشينا إذا ما هنأنا طرب^(٤) . على الرجال تعللنا بذكراك
 سهم أصاب وراميه يذى سلم^(٥) . من بالعراق، لقد أبعدت مرماك^(٤)
 حك لحاظك ما في الريم من ملح^(٥) . يوم اللقاء، وكان الفضل للحاكي^(٥)
 كأن طرفك يوم الجزع يُخبرنا^(٦) . بما طوى عنك من أسماء قتلاك^(٦)

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي تقيب أشرف بغداد وأشعري بن جاشم توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح في الاعتسالة واللين . وانحائل :

جمع نجيعة وهي الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد ووجال الحجاز . وهي المساة تهامة على ساحل البحر الأحمر .

ورائحة : أي ريح فمسية . والريا : الرائحة الطيبة . (٤) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٥) والريم : الظبي الخالص البياض . (٦) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

أنت النعيم لقلبي والعذابُ له فما أمرك في قلبي وأحلاك
عندي رسائلُ شوقٍ لست أذكرها لولا الرقيبُ لقد بلغتُها فاك
وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدولة البويهى - وأنفذها إليه وهو
في البصرة، وقد فتحها في آخر سنة ٣٩٤ هـ :

أهلك عَنَّا رَبَّةَ الْبُرْقُعِ مَرُّ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِ (١)
أَنْتِ أَغْنَيْتِ الشَّيْبَ فِي مَفْرِقِي مَعَ اللَّيَالِي، فِصْلِي أَوْدَعِي (٢)
يَا حَاجَةَ الْقَلْبِ أَلَمْ تَرَحِمِي جِنَايَةَ الدَّمْعِ عَلَى مَدَمَعِي
لَوْلَا ضَلَالَاتُ الْهَوَى لَمْ يَكُنْ عِنَابُ قَلْبِي لَكَ بِالْأَطْوَعِ (٣)
كَيْفَ طَوَى دَارَكَ ذُو صَبُوءٍ عَمِيدِي بِهِ يَطْرِبُ لِلرَّبْعِ (٤)
كَأَنَّ يَرَى نَاطِرَهُ سُبَّةً أَنْتِ مَرٌّ بِالْدَارِ وَلَمْ يَدْمَعِ (٥)
يَا حَبِذَا مِنْكَ خَيَالُ سَرَى قَدَلَهُ الشَّوْقُ عَلَى مُضْجَعِي
بَاتَ يُعَاطِينِي جَنَى ظَلَمِهِ وَبِتُ ظِمَانًا وَلَمْ أَتَقَعِ (٦)

(١) أى من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤ سنة .

(٢) المفرق : وسط الرأس ، وهو المكان الذى يفرق عنه الشعر . أى أن حبك أهدى ففعل الشيب يسرع في رأسى فوق فعل الليالى به .

(٣) العنان بالكسر : سير الهجام .

(٤) طوى دارك : مر بها وحاذها . والمرجع : المكان الذى ينزل وقت الربيع ويراد به هنا الدار مطلقاً . ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .

(٥) السبة هنا : المسبوب من الناس والمراد بالناظر هنا : العين .

(٦) الظلم : تلاؤم أسنان النفر، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة ، ولم أتقع : أى لم أرو ظمئى .

(٢) مهبّار الديلمى^(١)

قال من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن فى النيروز :

بكر العارضُ تَحْدُوهُ النِّعَامَى	فَسَقَاكَ الرِّىُّ يَا دَارَ « أَمَامَا » ^(٢)
وَتَمَشَّتْ فِيكَ أَرْوَاحُ الصُّبَا	يَتَأَرَّجْنَ بِأَنْفَاسِ الْخُزَامَى ^(٣)
وَإِذَا مَغْنَى خَلَا مِنْ زَائِرٍ	بَعْدَ مَا فَارَقَ ، أَوْ زِيرِلَمَامَا ^(٤)
فَقَضَى حِفْظُ الْهَوَى أَنْ تُصْبِحَى	لِلْمُحِبِّينَ مَنَاحًا وَمُقَامَا
أَجْدَى الْمُزْنَ ، وَمَا ذَا أَرَبَى	أَنْ تَجُودَ الْمُزْنَ أَطْلَالًا رِمَامَا
وَقَلِيلًا فِيكَ أَنْ أَدْعُو لَهَا	مَا رَأَى اللَّهُ أَسْتَجْدَى الْغَمَامَا
أَيْنَ سَكَانُكَ ؟ لَا أَيْنَ هُمْ ؟	« أَجْجَازَا » أَقْبِلُوهَا أَمْ « شَامَا »
صُدُّوا بَعْدَ التَّائِمِ ، فَغَدَتْ	بِهِمْ أَيْدَى الْمَوَامَى تَتَرَامَى ^(٥)
وَتَبَقُّوا كُلَّ حَيْرَانَ بَلِيدٍ	يَسْأَلُ الْجَنَدَلْ عَنْهُمْ وَالرَّغَامَا
يَالُؤَاةَ الدِّينِ عَنْ مَيْسَرَةٍ	وَالضَّنِينَاتِ وَمَا كُنَّ لِنَامَا
قَدْ وَقَفْنَا قَبْلَكُمْ فِي رَيْعِكُمْ	فَنَقَضْنَاهُ أَسْتِلَامَا وَالْأَتَامَا

(١) وهو مهبّار بن مرزويه . كان مجوسيا ، وأسلم على يد الشريف الرضى ، وتخرج عليه فى الشعر ، وجاراه فى أغراضه وأسلوبه حتى كاد يرق عنه . تكسب بالكتابة فى ديوان الخلافة ومات سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) العارض : السحاب . والنعامى : ريح الجنوب .

(٣) الخزامى : نبت طيب الرائحة بالبادية .

(٤) المغنى : المنزل والدار .

(٥) الموامى : جمع مومة وهى المفازة .

سَعِدَ الرَّاحِبُ تَحْتَهُ بِهِ جَسْرَةً تَخْلُطُ وَهَذَا وَإِكَامَا (١)
 تَطَا الْعَسْفَ فُذِي خُفَّهَا جِبَهَاتُ الْأَرْضِ شَجَا وَلِطَامَا
 تَتَزَى أَنْفَا فِي خُلُقِهَا أَنْ تُطِيعَ الصَّوْتُ، أَوْ تَرْضَى الزُّمَامَا (٢)
 تُطِيعُ الْيَدَ إِذَا مَا هَجَّسَتْ — شَبَعَ الْبَيْدَاءُ — قِيَا وَسَلَامِي (٣)
 مَاؤُهَا بَسَلٌ عَلَى أَظْمَائِهَا أَوْ تَرَى بِالنَّعْفِ هَاتِيكَ انْخِيَامَا (٤)
 وَ « بِجَرَاءِ الْحَمَى » قَلْبِي فَعَجَّ « بِالْحَمَى » فَافْرَأْ عَلَى قَلْبِي السَّلَامَا
 وَتَرَجَّلَ فَتَحَدَّثَ عَجَبَا أَنْ قَلْبًا سَارَ عَنْ جِسْمٍ أَقَامَا
 قُلْ لِحَيْرَانِ الْغَضَى : آهَ عَلَى طَيِّبِ عَيْشٍ « بِالْغَضَى » لَوْ كَانَ دَامَا
 نِصْلُ الْعَامِ وَمَا تَنَسَاكُمُ وَقُصَارَى الْوَجْدِ أَنْ تَسْلُخَ عَامَا
 حَمَّاءُ رِيحِ الصَّبَا نَشْرَكُمُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ شَيْطَا وَمَامَا
 وَابْعَثُوا أَشْبَاحَكُمْ لِي فِي الْكَرَى إِنْ أَذِنْتُمْ لِحَفُونِي أَنْ تَتَامَا

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهتته بالمهرجان :

هَلْ عِنْدَ هَذَا الطَّلَلِ الْمَاحِلِ مِنْ جَلَدٍ يُجِيدِي عَلَى سَائِلِ
 أَصُمُّ ! بَلْ يَسْمَعُ ! أَيْكُنَّهُ مِنَ الْبَلَى فِي شُغْلٍ شَاغِلِ

(١) الجسرة : الناقة القوية .

(٢) تتزى : تنب .

(٣) النقي : نخ العظم والقصب ، والسلامي : العظام الصغيرة في خف البعير ، كعظام أصابع اليد في الإنسان : أي تطعم اليد حتى تشبعها من ذوب نخ عظامها أي يذيبها فيها بالسير .

(٤) البسل : الحرام الممتنع .

وقفت فيه شبحاً ماثلاً مرّتفداً من شبح مائل : (١)
ولا ترى أعجب من ناحل يشكو ضنى الجسم إلى ناحل
لهفك يادار ! ولهفى على قطينك المحتمل الزائل !
قلبي للأحزان بعد النوى ، وأنت للسافى وللناخل (٢)
مثلك فى السقم ، ولى فضلة بالعقل ، والبلوى على العاقل
ياهل نعان اسمعوا دعوة إن أسمعكم من لوى عاقل (٣)
هل زورة تمتعنا منكم وهنا يبعد الكرى الباطل ؟
أم هل لجسم قاطن أن يرى عودة قلب معكم راحل

(٣) أبو سعد الكاتب

هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتاب بنى بويه قال فى الشوق الى بغداد

توفى سنة ٤١٤ هـ :

فدنى لك يا بغداد كل مدينة من الأرض حتى خطى ودياريا
فقد سرت فى شرق البلاد وغربها وطوقت خيلى بينها وركايا
فلم أرفيها مثل بغداد متراً ولم أرفيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهلها أرق شمائل وأعذب الفاظاً وأحلى معانياً
وكم قائل : لو كان ودك صادقا لبغداد لم ترحل . فكان جوابيا :
(يُقيم الرجال الموسرون بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا)

(١) مرّتفداً : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء . والمراد به هنا إفادته بأخبار أجبته .

(٢) يريد بالسافى الناقل : الريح . (٣) نعان : مكان .

(٤) ولابن لنكك في الهجاء

وهو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهلى زمانه بالمقطعات:

وَعُصْبِيَّةٌ لَمَّا تَوَسَّطْتَهُمْ صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالْحَامَتِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْهَامِهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ أَبْلِسُ إِذَا رَأَاهُمْ لِأَنَّهُمْ عَارٌ عَلَى آدَمِ

(٥) وللتنوخى في الوصف

قال القاضي التنوخى أبو القاسم علي بن محمد أحد قضاة بني بويه ونديم الوزير

المهلبى يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ كَصُدُودِ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحِشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَدَا يَنْ ، وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَاَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهُ سُنَنٌ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ
وَكَاَنَّ السَّمَاءَ خِيْمَةً وَشَى وَكَأَنَّ الْجَنُوزَاءَ فِيهَا شِرَاعُ
كَانَ لَيْلًا فَصَيَّرْتُهُ نَهَارًا كُتِبَتْ تَكَبُّتُ الْعِيدَا وَرِقَاعُ

وقال أيضا :

وَلَيْلَةٌ مُشْتَاقٍ كَاَنَّ نُجُومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى ، وَهِيَ نُومُ
كَأَنَّ عُيُونَ السَّاهِرِينَ لَطُولَهَا إِذَا شَخَّصَتْ لِلْأَنْجَمِ الزُّهَيْرِ أَنْجَمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ ، وَالْفَجْرُ ضَاكُ يَلُوحُ وَيَخْفَى — أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

(٦) الدينوري

قال أبو القاسم الدينوري عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس
الكتاب بخراسان يشكو ولده :

رَيْتُهُ وَهُوَ فَرَّخٌ لَا نُهْوَضُ لَهُ وَلَا شَكِيرٌ وَلَا رِيْشٌ يُوَارِيهِ (١)
حَتَّى إِذَا أَرْتَأَشَ، وَاشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ آتَتْ خَوَافِيهِ
مَدَّ الْجَنَاحَيْنِ مَدًّا، ثُمَّ هَزَّهُمَا وَطَارَ عَنِّي، فَقَلْبِي فِيهِ مَا فِيهِ

وقال أيضا في شكوى الكبير :

عِشْتُ مِنَ الدَّهْرِ مَا كَفَانِي وَمَرَّ مَا مَرَّ مِنْ زَمَانِي
وَقَدْ حَنَنْتَنِي وَقَوَّسْتَنِي تَسْعُ وَتَسْعُونَ وَاثْنَانِ
وَقَدْ سَمِمْتَ الْحَيَاةَ مِمَّا أَلْقَى مِنَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ
وَمِنْ أَخٍ كُنْتُ أَرْتَجِيهِ لِحَادِثِ الدَّهْرِ قَدْ قَلَانِي
وَمِنْ غُلَامٍ إِذَا يُنَادِي تَصَاوَمَ النَّذْلُ وَهُوَ دَانِي
مَدْمِدِّمٌ لَا أَرَاهُ إِلَّا مُقَطَّبَ الْوَجْهِ مَا رَانِي

(٧) ابن المنجم

وقال أبو الحسن بن المنجم من الأدباء في الدولة البويهية في الشكوى والتوجع :

هُوَ الدَّهْرُ لَمْ تُبْدَعْ عَلَى صُرُوفِهِ وَلَمْ يَأْتِ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ أَنْخِيْلُهُ
وَمَا رَأَيْتُ الْمَكْرُوهَ إِذْ هُوَ عَادَتِي لَدَيْهِ، وَلَكِنْ رَاعَ قَلْبِي تَعَجُّلُهُ
تَعَجَّلَ حَتَّى كَادَ آخِرُ فِعْلِهِ يَحْيَى، وَلَمَّا يَنْقَطِعُ بَعْدُ أَوَّلُهُ

(١) الشكير : الريش ، أول ما ينبت أو الرغب .

(١)
وقال السري الرفاء :

بِنَفْسِي مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكًا بَخْدَدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغَرَامُ مِرَاطِي وَأَظْهَرَ لِلْعُدَالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي

(٨) الضبي في الوصف

قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي أحد وزراء بني بويه :

رُبَّ لَيْلٍ سَهْرَتُهُ مُفَكِّرًا فِي امْتِدَادِهِ
كَلَّمَا زِدْتُ رَعِيَهُ زَادَنِي مِنْ سَوَادِهِ
فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ تَائِهٌ فِي رُقَادِهِ
أَوْ تَفَانَتْ نُجُومُهُ فَبَدَأَ فِي حِدَادِهِ

(٩) أبو الفضل الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل عبيد الله الميكالي بقية آل ميكال أمراء فارس في التوجع

وشكوى الدهر :

يَا دَهْرُ مَا أَقْسَاكَ يَا دَهْرُ لَمْ يَحْظَ فَيْكَ بِطَائِلِ حُرٍّ
أَمَّا اللَّثَامُ فَأَنْتَ صَاحِبُهُمْ وَلَهُمْ عَلَيْكَ الْعَطْفُ وَالنَّصْرُ
يَبْقَى اللَّثِيمُ مَدَى الْحَيَاةِ فَلَا يَرْتَاعُ مِنْهُ لِجَادِثِ صَدْرٍ
تَصِفُو لَهُ الدُّنْيَا بِأَلَا كَدَرٍ وَيُطْبِعُهُ فِي عَيْشِهِ الْيَسْرُ

(١) هو أبو الحسن السري بن أحمد الرفاء الكندي الموصل الشاعر المشهور كان يتكسب في صباه برفو

التياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر وأجاده . توفي ببغداد حوالي سنة ٣٦٦ هـ .

فَرَامَهُ سَهْلٌ ، وَكَوَكَبُهُ سَعْدٌ ، وَغَضَنُ سُرُورِهِ نَضْرُ
وَعَلَى الْكَرِيمِ يَدٌ يُسَلِّطُهَا مِنْكَ الْجَفَاءُ الْمُرُّ وَالْقَسْرُ
أَنْ نَابَ خَطْبُ فَهُوَ عَرْضَتُهُ يَقْرِيه مِنْهُ النَّابُ وَالظُّفْرُ
أَوْ يَبِغْ مَعْرُوفًا لَدَيْكَ غَدَا يُتَحَيَّ عَلَيْهِ حَادِثُ نَكْرُ
مَرَعَاهُ جَدْبٌ ، وَالْحَظْوُ ظِلُهُ حَرْبٌ ، وَجَانِبُ عَيْشِهِ وَعَرُ
وَجَنَاهُ شَوْكٌ ، وَالْبُحُورُ لَهُ وَشَلٌّ ، وَحَشْوُ فُؤَادِهِ جَمْرُ
يَا دَهْرُ دَعْ ظَلَمَ الْكَرَامِ فَهَمُّ عِقْدٌ لِنَحْرِكَ لَوْ دَرَى النَّحْرُ
سَالِمُهُمْ ، وَاسْتَبَقِ وَدَهْمُ فَهَمُّ نَجْمٍ مُظْلِمٍ الزُّهْرُ

وقال في الوصف :

أَهْلًا بِنَرْجِسٍ رَوْضِ يَزْهَى بِمُحْسِنٍ وَطِيبِ
يُرْنُو بِعَيْنٍ غَزَالِ عَلَى قَضِيبٍ رَطِيبِ
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٌّ يَزِينُهُ فِي الْقُلُوبِ
تَصْجِيفُهُ أَنْ نَسَقَتَ آلِ حُرُوفٍ بِرُحْبِيبِ

(١٠) الأبيوردى (١)

قال :

قَالُوا : هَجَرَتِ الشَّعْرَ قُلْتُ : ضَرُورَةٌ بَابُ الْبَوَاعِثِ وَالِدَوَاعِي مُغْلَقٌ
خَلَّتِ الْبِلَادُ ؛ فَلَا كَرِيمٌ يَرْتَجِي مِنْهُ النَّوَالُ ، وَلَا مَلِيحٌ يُعَشِّقُ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى وَمَعَ الْكِسَادِ يُجَانُّ فِيهِ وَيُسْرِقُ

(١) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ،

ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام :

يَا بِي - وإن عظم الفداء - قَتَى	لِللَّهِمَّ فِي جَنَّتَيْهِ مُعْتَرِكُ
نَبْهَتُهُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ	وَنَجْمُهُ فِي الْأَفْقِ تَشْتَبِكُ
وَمَشَى عَلَى كَسَلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ	عَثَرْتُ بِكَ الْوَحَادَةَ الرَّمَكُ (١)
أَرْضَيْتَ أَمْرًا لَا يَزَالُ بِهِ	فِي الذَّلِّ عِرْضُ أَخِيكَ يُنْتَهَكُ
وَالدَّهْرُ يَرْمِي بِالْخَطُوبِ ، وَفِي	غُلَوَائِهَا الْأَيَّامُ تَنْهَسِمُكَ
مَا نَحْنُ مِنْ سُوقٍ فَتُشْبِهُهُمْ	لَمْ يَنْمُنَا إِلَّا أَبُ مَالِكُ (٢)
فَانْظُرْ إِلَى الْأَجْدَادِ كَيْفَ سَعَوْا	لِلْمَكْرَمَاتِ وَأَيَّةً سَلَكُوا
هَلَا أَخَذْتَ بِهِتْيَهُمْ ! فَهَيْمُ	تَرَكُوا الْعُلَّالِكَ . فَارَعَ مَا تَرَكُوا
وَأَطْلُبْ مَدَاهِمُ ، إِنَّهُمْ تَقَسَّرُ	عَاشُوا بِذِكْرِهِمْ ، وَقَدْ هَلَكُوا
وَإِذَا تَحَجَّزْتَ وَلَمْ تُسَلِّمْ بِهِ	فَالْعَجْزُ بَعْدَ طُلَايِهِ دَرَكُ

(١١٠) الطغرائي (٣)

وقال مؤيد الدين الطغرائي في الغدير :

نَحْنًا إِلَى الْجَزْعِ الَّذِي مَدَّ فِي	أَرْجَائِهِ الْغَيْمُ يَسَاطُ الزَّهَرُ (٤)
حَوْلَ غَدِيرِ مَأْوِهِ الْمُشْعَى	إِلَى بَنَاتِ الْمَزْنِ يَشْكُو الْخَصَرُ (٥)

- (١) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهي الفرس . والوحادة السريعة الجري .
 (٢) السوق : جمع سوقة ، وهم الرعية والدهماء .
 (٣) هو مؤيد الدين الأسناذ العميد نثر الكتاب آخر فحول المشرق في الشعرون شعره لامية النجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل في فتنه سياسية سنة ٥١٣ هـ .
 (٤) نحنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادي أو وسطه ذو الأشجار والنبات .
 (٥) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والجصر : البرودة في الماء .

لو لاذت الريحُ سَمَوماً به
تَحْصِبَاؤُهُ دُرٌّ وَرَضْرَاضُهُ
وقد كَسَتْهُ الرِّيحُ مِنْ نَسِجِهَا
وَأَلْبَسَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ صَبِغِهَا
كَأَنَّهُ الْمِرْآةُ مَجْلُوءَةٌ
عَلَى سِاطِ أَخْضَرٍ قَدْ نُشِرَ

وله في الأعداء والحساد :

جَائِلٌ عَدُوَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ ؛ فَإِنَّهُ
وَاحْذَرْ حَسُودَكَ مَا اسْتَطَعْتَ ؛ فَإِنَّهُ
إِنْ الْحَسُودَ وَإِنْ أَرَاكَ تَوَدَّدَا
وَلَرُبَّمَا رَضِيَ الْعَدُوُّ إِذَا رَأَى
وَرِضَا الْحَسُودِ زَوَالُ نِعْمَتِكَ الَّتِي
فَاصْصِرْ عَلَى غَيْظِ الْحَسُودِ فَنَارُهُ
أَوْ مَا رَأَيْتَ النَّارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا
تَضَفُّوْا عَلَى الْحَسُودِ نِعْمَةً رَبِّهِ

وقال :

خَبَرُونِي أَنِّي مَرِيضٌ ، فَقَالَتْ :
وَأَشَارُوا بِأَن تَعُودَ وَسَادِي
أَضْنَى طَارِفًا شَكَا أُمِّ تَلِيدَا ؟
فَأَبَتْ ، وَهِيَ تَشْتَهِي أَنْ تَعُودَا

(١) لاذت الريح : التجأت ومالت اليه . أى أنه لنداد وطيب جوده لو جاءته ريح صوم حارة لبردت
وأشبهت نسيم السحر . (٢) الرضاض : صغار الحصى . العسجد : الذهب ، ومخالته : برادته .

وَأَتْنِي فِي خَفِيَّةٍ ، وَهِيَ تَشْكُو رِقْبَةً الْحَيِّ وَالْمَزَارَ الْبَعِيدَا
 وَرَأَيْتَنِي كَذَا ، فَلَمْ تَمَّا لَكَ أَنْ أَمَالَتْ عَلَى عَطْفَا وَجِيدَا
 ثُمَّ قَالَتْ لِتَرْبِهَا وَهِيَ تَبْكِي وَيَحْ هَذَا الشَّبَابُ غَضًا جَدِيدَا !
 زَوْرَةٌ مَا شَفَتْ غَلِيلًا وَلَكِنْ حَامَتْ بِجَمْرَةِ الْفُؤَادِ وَقُودَا
 وَتَوَلَّتْ بِحَسْرَةِ الْبَيْنِ تُخْفِي زَفَرَاتِ أَيْبِنِ إِلَّا صُغُودَا

(١٢) المرتضى الشهرزورى أبو محمد عبد الله المتصوف

المتوفى سنة ٥١١ هـ

قال من قصيدته المشهورة التى يقال إنه لم يقل مثلها فى معانى أهل الطريق :

لمعت نارهم ، وقد عسعس الليلى مل ، ومَلَّ الحادى ، وحارَّ الدليل^(١)
 فتأملتها ، وفكرى من اليد بنى عليل ، ولحظ عيني كليل
 وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى وغرامى ذاك الغرام الدخيل
 ثم قابلتها ، وقلت لصحبي : هذه النار فار ليلى فيلوا
 فرموا نحوها لحاظًا صحيحًا يت ، فعادت خواصنا وهى حول^(٢)
 ثم مالوا إلى السلام ، وقالوا : خلَّب ما رأيت أم تخيِّل^(٣) ؟
 فتجنبتهم ، وملت إليها والهوى مرَّكبي ، وشوقى الزميل

وهى طويلة عذبة العبارة لطيفة الإشارة ذكرها ابن خلكان بأكملها فراجعها

إن شئت .

(١) عسعس الليل : أقبل ظلامه . (٢) فعادت خواصنا : أى كليات ضعيفات الإبصار .

(٣) البرق الخلب : الكاذب الذى ليس وراءه مطر .

(ب) النثر

أولا - النثر الفني

(١) لابن العميد في التهديد واللوم^(١)

كناي وأنا مُتَرَجِّحٌ بين طَمَعٍ فيكَ وِياسٍ مِنْكَ، وإِقْبَالٍ عَلَيْكَ، وإِعْرَاضٍ عَنْكَ،
 فَإِنَّكَ تُدِلُّ بِسَاقٍ حُرْمَةٍ . وَتُمِثُّ بِسَالِفِ خِدْمَةٍ . أَيْسُرُهُمَا يُوجِبُ رِعَايَةً، وَيَقْتَضِي^(٢)
 مَحَافِظَةً وَعِنَايَةً . ثُمَّ تَشْفَعُهُمَا بِحَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ^(٣)، وَتُنْتِجُهُمَا بَأَنفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ .
 وَأَدْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ، وَيَسَحِّقُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ، لِأَجْرَمِ أَنِّي وَقَفْتُ بَيْنَ مِيلٍ^(٤)
 إِلَيْكَ وَمِيلٍ عَلَيْكَ، أَقْدَمُ رِجْلًا لِمَصَدِّكَ، وَأَوْثَرُ أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ، وَأَبْسَطُ يَدًا
 لِإِصْطِلَامِكَ وَاجْتِيَا حَكَ، وَأَثْنِي ثَانِيَةً لِاسْتِيقَابِكَ وَاسْتِصْلَاحِكَ، وَأَتَوَقَّفُ عَنْ امْتِثَالِ^(٥)
 بَعْضِ الْمَأْمُورِ فِيكَ . ضَنَا بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ، وَمُنَافَسَةً فِي الصَّنِيعَةِ لَدَيْكَ، وَتَأْمِيلًا لِفَيْئَتِكَ^(٦)
 وَانْصِرَافًا، وَرَجَاءً لِمُرَاجَعَتِكَ وَانْعِطَافًا، فَقَدْ يَغْرِبُ الْعَقْلُ ثُمَّ يَوُوبُ . وَيَعْزِبُ^(٧)

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى
 وصاحب طريقة الشعر المشهور توفى سنة ٥٣٦ هـ .

(٢) الادلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) وتمت : تتوسل وتتصل .

(٤) الغلول : الخيانة .

(٥) ويحبط : يبطل .

(٦) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٧) لفيتتك : لرجوعك أى إلى الطاعة .

(٨) يغرب : يذهب ويعزب : يغيب ويذول ويذهب .

اللَّبُّ ثُمَّ يَثُوبُ . وَيَذْهَبُ الْحَزْمُ ثُمَّ يَعُودُ . وَيَفْسُدُ الْعَزْمُ ثُمَّ يَصْلُحُ . وَيُبْضَاعُ الرَّأْيُ
ثُمَّ يُسْتَدْرَكُ ، وَيَسْكُرُ الْمَرْءُ ثُمَّ يَصْحُو ، وَيَكْدُرُ الْمَاءُ ثُمَّ يَصْفُو ، وَكُلُّ ضَيْقَةٍ إِلَى رَخَاءٍ .
وَكُلُّ غَمْرَةٍ ^(١) إِلَى أَنْجَلَاءٍ . وَكَمَا أَنَّكَ أَتَيْتَ مِنْ إِسَاءَتِكَ بِمَا لَمْ تَحْتَسِبْهُ أَوْلِيَاؤُكَ ، فَلَا يَدْعُ
أَنْ تَأْتِيَ مِنْ إِحْسَانِكَ بِمَا لَا تَرْتَقِبُهُ أَعْدَاؤُكَ . وَكَمَا اسْتَمَرَّتْ بِكَ الْغَفْلَةُ حَتَّى رَكِبْتَ
مَا رَكِبْتَ ، وَاخْتَرْتَ مَا اخْتَرْتَ ، فَلَا عَجَبَ أَنْ تَنْتَبِهَ انْتِبَاهَةً تُبَصِّرُ فِيهَا قُبْحَ مَا صَنَعْتَ ،
وَسُوءَ مَا آثَرْتَ . وَسَأَقِيمُ عَلَى رَسَمِي فِي الْإِبْقَاءِ وَالْمُطَاوَلَةِ مَا صَلَّحُ ، وَعَلَى الْإِسْتِيفَاءِ ^(٢)
وَالْمُطَاوَلَةِ مَا أَمَكُنْ ، طَمَعًا فِي إِثَابَتِكَ ، وَتَحَكِيمًا لِحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . فَلَسْتُ أَعْدَمُ فِيهَا
أُظَاهِرُهُ مِنْ إِعْذَارٍ ^(٣) ، وَأُرَادِفُهُ مِنْ إِنْذَارٍ ، احْتِجَاجًا عَلَيْكَ ، وَاسْتَدْرَاجًا لَكَ ، فَإِنْ
يَسَّرَ اللَّهُ يَرْشِدْكَ ، وَيَأْخُذْ بِكَ إِلَى حَقِّكَ وَيُسَدِّدْكَ ، فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :
كُتَابِي وَأَنَا بِحَالٍ لَوْ لَمْ يُنْغِصْ مِنْهَا الشَّوْقُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ يُرْتَقِ ^(٤) صَفْوَاهَا ^(٥) التَّزَاغُ نَحْوِكَ ،
لَعَدَدْتُهَا مِنْ الْأَحْوَالِ الْجَمِيلَةِ ، وَأَعَدَدْتُ حَظِّي مِنْهَا فِي النَّعْمِ الْجَلِيلَةِ ، فَقَدْ جَمَعْتُ فِيهَا
بَيْنَ سَلَامَةٍ عَاقِمَةٍ ، وَنِعْمَةٍ تَامَةٍ ، وَحَظِيَّتٍ مِنْهَا فِي جَسَمِي بِصَلَاحٍ ، وَفِي سَعْيِي بِنَجَاحٍ ،
لَكِنْ ، مَا بَقِيَ أَنْ يَصْفُو لِي عَيْشٌ مَعَ بُعْدِي عَنْكَ ، وَيَخْلُو ذَرْعِي ^(٦) مَعَ خُلُوِّ مَنْكَ ،

(١) الغمرة : التغطية بالماء كوجه البحر تغمر الساج ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث
الشدائد والمحن والمصائب . (٢) الاستيفاء : التمهّل والإنتظار . (٣) من عمل ينفي عذرك
في المعصية ويكفل الرضا عنك . (٤) يرتق : يكدر . (٥) التزاع نحوك : الميل والشوق
إليك . (٦) أصل الذرع : مصدر ذرع بمعنى قاس بالذراع . ويراد به هنا على التشبيه الطلاقة
وسعة النفس .

ويسوغ لي مطعم ومشرب مع آنفرادي دونك . وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء
من نفسي ، وناظم لشمل أنسي . وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك .
وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام . وقد قرأت
كتابك — جعلني الله تعالى فداءك — فامتلات سرورا بملاحظة خطك ، وتأمل
تصرفك في لفظك ، وما أقرظهما ، فكل خصالك مقرظ عندي . وما أمدحهما ،
فكل امرئك مدوح في ضميري وعقلي^(١) . وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة
لتقديري فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألتقى على بصري .

(٢) وللصاحب^(٢) ابن عباد رقعة الى القاضي أبي بشر

الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده

باب الرى وافدا عليه

تحدثت الركاب يسير أروى إلى بلد سخطت به خيامي^(٣)

فكدت أطيّر من شوق إليها بقادمة كقادمة الحمام

الحق ما قيل أمر القادم ، أم ظن كأمانى الحالم ؟ لا والله ! بل هو درك

العيان ، وإنه ونيل المنى سيان ، فرحبا أيها القاضي براحتك ورحلك ! بل أهلا بك

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل صاحب ابن عباد وزير آل بويه وكانهم واحد أعلام

البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد في كتابة الشعر المشهور توفي سنة ٨٢٨٥ .

(٣) أروى : اسم امرأة .

وبكافة أهلك ، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من رباك .
فحث المطي تزل علي بسقياك ، وتزح علي بلقياك ، ونص على يوم الوصول لنجعله
عيدا مشرقا ، وتتخذة موسما ومعرفا . ورد الغلام ، أسرع من رجع الكلام ، فقد
أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا في عقال وأسر :^(١)

سقى الله دارات مررت بأرضها فادتك نحوي يا زياد بن عامر
أصائل قرب أرتجي أن أناها بلقياك قد زحزن حرا الهواجر

وله فصل من كتاب الى ابن العميد جوابا عن كتابه اليه في وصف
البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه ، وكثيرا ما كان يقرؤه ، ويعجب السامعون
من فصاحته .



وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادرا عن شط البحر بوصف ما شاهد من
عجائبه ، وعائين من مراكيه ، ورأه من طاعة آلائها للرياح كيف أرادتها ، واستجابة
أدواتها لها متى نادتها ، وركوب الناس أشباحها والخوف بمراى ومسمع ، والمنون
بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلك ، إذا فكروا
في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غمر المطالب الكثيرة
حبب اليهم الغرر . وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي

(١) المعروف بصفة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .

(٢) أى يسبق في سرعته ريج الصبا حتى كأنها في جانبه مأسورة . أخذه من قول امرئ القيس

(فبد الأرابد هيكلا) .

على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل ، وتلاطم فيه أمواج
الأدب والعلم ، لم يعتب على الدهر فيما يفيته من منظر البحر . ولا فضيلة له عندى
أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شئ أبلغ في مفاخره ،
وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له ؛ فإني قرأت منه الماء السلسال^(١)
لا الزلال ، والسحر الحرام لا الحلال^(٢) . وقد علم أنه كتب وما أخطر بفكره ، سعة^(٣)
صدره ، فلو فعل ذلك لراى البحر وشلا لا يفضل عن التبرؤ^(٤) ، ثمدا لا يكثر عن^(٥)
الترشف^(٦) .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبحر شاهد أنك البحر

(٣) الخوارزمي^(٨)

كتب الى قاضى سجستان حين نكبه أميرها :

إذا ما الدهر جر على أناس كلا كله أناخ بآخرينا^(٩)
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلق الشامتون كما لقينا

- (١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيقى البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .
- (٢) أى الحرام على غيرك ؛ فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله (لا السجرا الحلال) يريد به الانشاء الذى فى امكان كثير من البلاء فمن لا يلتفتون شأوا بن العميد .
- (٣) أى جعل سعة صدره تخطريباله وفكره .
- (٤) الوشل : الماء القليل .
- (٥) التبرؤ : التبلغ بالماء القليل للضرورة .
- (٦) التمد : الماء القليل .
- (٧) الترشف : الشرب قليلا قليلا والامتصاص .
- (٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .
- (٩) الكلا كل : جمع كلكل . وهو الصدر ، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ وبرك أيضا بعد زمن بآخرين .

أما بعد — أيد الله تعالى القاضى — فإنه لم يُحسِّنْ إلى غيره من أساء إلى نفسه ،
 ولم ينصُرْ أصدقاءه ، من خَذَلَ حَوْبَاءَهُ ؛ وإنما يُحِبُّ المرءُ أخاه بما فَضَّلَ عن محبته
 لِرُوحِهِ التى له خيرها ، وعليه ضيرها . وكانت مِحْنَةُ القاضى مِحْنَةً شَمِلَتْ الأَنامَ ،
 وَخَصَّتْ الكَرامَ ، وَوَجِبَ عَلَى كُلِّ مَنْ اشْتَمَ رَوَاحِ الْعَقْلِ ، وَمِيزِينَ النَقْصَانِ
 وَالْفَضْلِ ، أَنْ يَنْفَطِرَ لَهَا الْمَأْمُورُ ، وَأَنْ يَبْكِيَ عِنْدَهَا دَمًّا . وَخَلَصَ إِلَى مِنْ ذَلِكَ
 مَا أَضْحَكَ مَنَى الْأَعْدَاءِ ، وَأَبْكَى لَى الْأَصْدِقَاءِ ، حَتَّى رَجَمَنِي مَنْ كَانَ يُحْسِنُنِي ، وَحَتَّى
 عَجِبَ مِنْ جَزَعِي مَنْ كَانَ يُصَبِّرُنِي ، وَحَتَّى غَضَضْتُ طَرْفًا طَالَمَا رَفَعْتُهُ ، وَقَبَضْتُ
 بِنَانًا طَالَمَا بَسَطْتُهُ ، وَحَتَّى عَزَّيْتُ كَمَا يُعَزَّى الثَّكْلَانِ ، وَسَلَّيْتُ كَمَا يُسَلَّى اللَّهْفَانِ .
 وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَسْتَصْغِرُ فَعَلَ نَفْسِي وَهِيَ بَجَزَعَةٍ هَالِعَةٍ ، وَأَسْتَقِلُّ سَعَى عَيْنِي وَهِيَ سَخِينَةٌ
 دَمِعةٌ . وَكَانَ يُحِبُّ عَلَى مُقْتَضَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ ، وَأَسَاسِ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ، أَنْ أَجْضُرَ مَجْلِسَ
 الْقَاضِي فَأَصَابِرَهُ نَهَارًا ، وَأَسَاهِرَهُ لَيْلًا ، وَتَكُونَ الْمِحْنَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحْمَلُهَا عَنْهُ ، وَيَحْمِلُهَا
 عَنِّي ؛ وَلَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ وَالْيَنَا هَذَا رَجُلٌ يَنْظُرُ إِلَى الذَّنْبِ الْخَفِيِّ ، وَيَتَغَابَى عَنِ الْعَذْرِ
 الْجَلِيِّ . وَلَهُ أُذُنَانِ : وَاحِدَةٌ يَسْمَعُ بِهَا الْبَلَاغَاتِ وَهِيَ كَاذِبَةٌ ، وَأُخْرَى يَصْمُ بِهَا عَنِ
 الْمَعَاذِيرِ وَهِيَ صَادِقَةٌ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَفْوِ نَسَبٌ ، وَلَا لَهُ إِلَى التَّثَبُّتِ طَرِيقٌ

(١) المحنة : الشدة والمصيبة .

(٢) الثكلان : الفاقد ولده .

(٣) جزعة هالعة : شديدة الحزن .

(٤) سخيئة دمة : ساخنة من الوجد ، سريعة الدمة .

ولا مذهب . ولو تعرضت لِسَخَطِهِ ، بعد ما عرفتُه من شَطَطِهِ ^(١) ، لتحملتُ دونه
الوزر في ظلمي ، ولكنتُ مُقَدِّمَتَهُ إلى ذمِّي . ومن قعد تحت الريّة ركبته ، ومن
تعرّض للظنة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمُّوه بالحق وبالباطل

وأقلّ ما كان ينبعث من حضوري أن يثب هذا الجبار وثبة يصون القاضي
عنها ، ويبتدئني بها ، فأكون قد ضررت نفسي ، ولم أنفع غيري ؛ فإذا بالجنة
قد تضاعفت على القاضي ضعفين ، وتكررت عليه كرتين ؛ يرى بولي من أوليائه داءً
لا يقدر على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصل إلى إطفائه ، ويتبين في حالة متصلة بحاله ^(٢)
ثلمة لا يمكن سدّها ، ومحنة لا يستوي له ردّها . فلما مثلت بين تخلفي آمنا ،
وحضوري خائفاً ، عدّأت بين طرفي الرزية ، ووزنت بين مقدارى المحنة ، فرأيتُ
أن أميل مع السلامة وأقنع من العمل بالنية ، وأغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة ،
فغبت وكُلّي غير جسمي شاهد ، وتخيّرتُ ^(٤) وما أنا إلا مُشاهد ، وبعدتُ وقلبي قريب ،
وباينتُ وقلبي سقيم ، وأغضيتُ على عين كلّها قذى ^(٥) ، وانطويتُ على صدر كلّ شجاء ^(٦) ،
وانصرفتُ بقلب ساخط راض ، وأغمضتُ بحفن ضاحك باك ، وقلت :

(١) شططه : جوره وتعديه الحذر .

(٢) أى في حالى المتصلة المرتبطة بحاله .

(٣) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .

(٤) تخيّر : انحرفت وملت ، وتخيّرت من جهة إلى جهة .

(٥) القذى : ما يدخل في العين من جسم غريب عنها .

(٦) الشجاء : ما ينشب ويعلق في الحلق من شوكة ونحوها .

فَان تَسْجُنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ (١)

ولقد نسجت في ذم الظالم حلالاً لا يبيها الماء، ولا يحققها الهواء، ولا تغطي عليها الظلمات . والمغبون من احتقب الإثم (٢)، والغارم من غيرم العرض، والرايح من محته فانية، ومثوبته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى، ولو أنصف المظلوم لكان يهني . جعل الله - تعالى - هذه الحادثة براءة عقاء ليس لها مدد (٣)، ولا ليومها قد، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر، وخاتمة لقائه لريب الدهر، ولا حرمة فيما نزل به مثوبة الصابرين، ولا أخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين يرحمته .

(٤) وللبديع يعتذر (٤)

يعز على أطلال الله بقاء الرئيس . أن ينوب في خدمته قلمى ، عن قدمى ، ويسعد برؤيته رسولى ، دون وصولى . ويرد مشرع الأئس به ككلى ، قبل ركابى ؛ ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة !

وعلى أن أسعى وليد مس على إدراك النجاح

(١) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول في خالد بن عبد الله القسرى والى العراق للخليفة هشام ؛ غضب عليه فسجنه ، ثم أمر بقتله .

(٢) احتقب الشيء : جعله في حقيقته .

(٣) أى لا يعقها غيرها .

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة نشأ بهمنان ونبغ في الأدب وتكسب به لدى الملوك والأمراء مات سنة ٣٩٣ هـ .

(٥) المشرع : مكان ورود الشارحة من المباء .

وقد حضرت داره . وقبّلت جداره ، وما بي حبُّ الجُدران ، ولكن شغفاً
بالقُطان . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً الى السكان . وحين عدت العوادي
عنه أمليتُ ضميرَ الشوق على لسان القلم معتذراً الى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصير
وقع ، أو فتور في الخدمة عرض ، ولكني أقول :

إن يكن تركي لقصدك ذنباً فكفي ألا أراك عقيباً

وكتب الى أبي بكر الخوارزمي عند قدومه عليه بنيسابور وكان قطاع الطريق
من الأعراب سلبوه ماله وثيابه :

أنا لقرب الأستاذ أطل الله بقاءه ” كما طرب اللشوانُ مالت به النمر “ ومن
الارتياح للقائه ، ” كما انتفض العصفور بلّله القطر “ ومن الامتراج بولائه^(١)
” كما التقت الصهباء والبارد العذب “ ومن الابتهاج بمراه ” كما اهترت تحت البارح^(٢)
الغصنُ الرطب “ فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق
وخراسان ، بل ما بين عتبتي نيسابور وخرجان ، وكيف اهتزازُه لضييف في بُردة
جَمال ، وجِلدة حَمال .

رَبُّ الشَّامِلِ مِنْهَجِ^(٣) الْأَثْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُغِيرَةُ الْأَعْرَابِ

وهو أيداه الله وليّ إنعامه ، بانفاذ غلامه ، الى مستقرى ، لأفضى إليه بسرى
إن شاء الله تعالى .

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف .

(٢) القصبة هنا : حاضرة الإقليم ومقر الحاكم .

(٣) منهج الأثواب : بالها .

المقامة الأولى القريضية للهمداني

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرختني النوى مطارحها ، حتى اذا وُطئت جرجات الأقصى ، فاستظهرت
على الأيام بضياع أجلت فيها يد العماره ، وأموال وقفتها على التجارة ، وحانوت جعلته
متابة ، ورققة اتخذتها صحابة ، وجعلت للدار حاشيتي النهار ، وللحانوت ما بينهما .
بخلسنا يوماً نتذاكر القريض وأهله ، وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، ينصت
وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى اذا مال الكلام بنا مبله ، وجر الجدال
فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عذيقه ، ووافقتم جذيله^(١) ، ولو شئت للفظت وأفضت ،
ولو قلت لأصدرت وأوردت ، وبحلوت الحق في معرض بيان يُسمع الصم ،
ويُترل العصم^(٢) . فقلت : يا فاضل أدن فقد منيت ، وهات فقد أنيت ، فدنا وقال :
سلوني أجيبكم ، وأسمعوا أعجبكم ، فقلنا : ما تقول في أمرى القيس ؟ قال : هو أول
من وقب بالديار وعَرَصاتها ، واغتدى والطير في وكئاتها ، ووصف الخيل بصفاتها .
ولم يقل الشعر كاسياً ، ولم يُجيد القول راغياً ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع
للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب اذا عشق ، ويسلب اذا حنق ،
ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، ولا يرمى إلا صائباً ، قلنا : فما تقول في زهير ؟

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو بكاسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ،
وكذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل :
« أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار قومه ؛ لأنهم يرجون عذق
النخلة الكريمة ، أى ير بطونه بسعفها لئلا ينقص ، وكانوا يتركون الجذل لتحك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون في الجبال .

قال : يُذِيبُ الشعرَ والشعرَ يُذِيبُهُ ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجِيبُهُ . قلنا : فما تقول
 في طَرْفَةٍ ؟ قال : هو ماء الأشعار وطيبَتُها ، وكثرُ القوافي ومَدِينَتُها ، مات ولم تظهر أسرارُ
 دَفَائِنِهِ ، ولم تُفَتِّحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ . قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟
 قال : جريرُ أرقُّ شعرا ، وأغزرُ غَزْرًا ^(١) ، والفرزدقُ أَمْتَنُ صَخْرًا ، وأكثرُ فخرًا ،
 وجريرُ أوجعُ هَجْوًا وأشرفُ يومًا ، والفرزدقُ أكثرُ رِويًا وأكرمُ قوما ، وجريرُ إذا
 نَسَبَ أشجى ^(٢) ، وإذا ثَلَبَ أَرْدَى ، وإذا مدحَ أَسْنَى ^(٣) . والفرزدقُ إذا افتخرَ أَجْزَأُ ^(٤) ،
 وإذا احتقرَ أَرْزَى ، وإذا وصفَ أَوْفَى . قلنا : فما تقول في المُحَدِّثِينَ من الشعراء
 والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ لفظًا ، وأكثرُ من المعاني حظًا ،
 والمتأخرون ألطفُ صُنْعًا ، وأرقُّ نَسْجًا . قلنا : فلو أَرَيْتَ من أشعارِكَ ، ورويتَ
 لنا من أخبارِكَ ! قال : خذهما في معرضِ واحد . وقال :

إِذَا تَرَوْنِي أَنْعَشِي طِمْسًا ^(٥) مُمْتَطِيًا فِي الضَّرِّ أَمْرًا إِمْرًا ^(٦)
 مُضْطَبِّيًا عَلَى اللَّيَالِي غَمْرًا مَلَاقِيَا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرًا ^(٧)

(١) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلَق به الباب (الكلون)

(٢) غزرا : مصدر غزر .

(٣) أي أنه متروَع القوافي .

(٤) لغة في شجاء : بمعنى أحزن .

(٥) أسنى : رفع ، أي رفع المدوح .

(٦) مسهل أجزا بالهمزة : بمعنى كفى وأغنى .

(٧) الطمر : الثوب البالي .

(٨) أمرا إمرا : منكرا عجبا .

(٩) الحمر : جمع حمراء ، يريد صرُوفًا شديدة الوقع .

أقصى أمانى طلوع الشعرى فقد غطينا بالأمانى دهر^(١)
 وكان هذا الحرُّ أعلى قدرًا وماء هذا الوجه أغلى سعرًا^(٢)
 ضربتُ للسرِّ قبابًا خضرًا في دار دارا وإوان كسرى^(٣)
 فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهرًا وعاد عرف العيش عندي نكرًا
 لم يبق من وقرى إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلمَّ جرًا
 لولا عجوزٌ لي بسرٍّ من را وأفرخٌ دون جبال بصرى^(٤)
 قد جلب الدهرُ عليهم شرًّا قتلتُ ياساداتُ نفسى صبرًا

قال عيسى بن هشام . فأنثته ما تاح^(٥) ، وأعرض عنا فراح . فجعلتُ أنفيسه
 وأثبته ، وأنكره وكأني أغرفه ، ثم دلّني عليه ثنياه ، فقلت : الإسكندريُّ والله ! فقد
 كان فارقنا خشفًا^(٦) ووافانا جلقًا^(٧) . ونهضتُ على أثره ، ثم قبضتُ على خصيره ، وقلت :

(١) الشعرى : نجم يطلع في الصيف ، ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار .

(٢) يزيد بالحرقة .

(٣) السراء : الرخاء . ودارا ، وكسرى : من ملوك الفرس . وإوان كسرى بهو عظيم ، كان
 في قصره الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوانٌ بحذف يائه لضرورة الشعر .

(٤) سرّ من را : اسم لمدينة (سرمن رأى) التي بناها المعتصم المباسي . شمالى بغداد ، وبصرى :
 بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هي التي يريد ، والثانية من بلاد حوران بالشام . يعني أن له أما
 وأزوجة عجوزا بسر من رأى ، وأولادا صغارا بقرب جبال بصرى ، ولولا هؤلاء لقتل نفسه صبرا .

(٥) ما تاح : ما تها وأمكن .

(٦) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيرا .

(٧) الجلف : الرجل الجافي .

أَلَسْتَ أبا الفتح ؟ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سَتِينَ ؟ فَأَيُّ عَجَوزٍ لَكَ
بُسْرَمَنْ رَأَى ؟ فَضِيحِكَ إِلَى وَقَالَ :

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورٌ فَلَا يَغُرُّكَ الْغُرُورُ
لَا تَلْتَرِمُ حَالَةً وَلَكِنْ دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

(٥) المقامة التاسعة الاسكندرية للحري

قال الحارثُ بْنُ هَمَّامٍ^(٢) : طَحَا بِي مَرَحُ الشَّبَابِ، وَهَوَى الْاِكْتِسَابِ، إِلَى أَنْ
جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرَاغَةٍ^(٣)، وَغَانَةٍ، أَخْوَضَ الْغِيَارَ، لِأَجْنَى الثَّمَارِ، وَأَقْتَحَمَ الْأَخْطَارَ،
لِكِي أَدْرِكَ الْأَوْتَارَ. وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ، وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ،
أَنَّهُ يَلْزِمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ، أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ، وَيَسْتَخْلَصَ
مَرَاضِيَهُ^(٥)، لِيَسْتَدَّ ظَهْرَهُ عِنْدَ الْحِصَامِ، وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ، فَاتَّخَذْتُ
هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا، وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا، فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً، وَلَا وَلَحْتُ عَرِيْنَةً^(٦)،
إِلَّا وَامْتَرَجْتُ بِحَاكِمِهَا امْتِرَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ، وَتَقَوَّيْتُ بِعَنَائِتِهِ تَقَوَّى الْأَجْسَادُ
بِالْأَرْوَاحِ. فِينَا أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، فِي عَشِيَّةٍ عَرِيْنَةٍ^(٧)، وَقَدْ أَحْضَرَ مَالٌ

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي الحري البصري إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء. توفي سنة ٥٢٢هـ.

(٢) طحاي : ذهب بي . والمرح : هو النشاط وشدة الفرح .

(٣) فراغة : بلد بأقصى بلاد المشرق . وغانة : بلاد بالسودان الغربي . الغار بالكسر : جمع غمرة

وهي الكثير من الماء والمراد هنا الأمور الصعبة . (٤) وثقت : أدركت .

(٥) مراضيه : أي رضاه . (٦) العرينة : مأوى الأسد .

(٧) عرينة : أي شديدة البرد أو ذات ريح باردة .

الصَّدَقَاتِ ، لِيُفَضَّهُ عَلَى ذَوِي الْفَاقَاتِ ، إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ عِفْرِيَّةً ^(١) ، تَعْتَلُهُ ^(٢) أَمْرَأَةٌ مُصْبِيَّةٌ ^(٣) .
 فَقَالَتْ : أَيْدِ اللَّهِ الْقَاضِي ، وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِي ، إِنِّي أَمْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ جُرْثُومَةٍ ، وَأَطْهَرِ ^(٤)
 أَرْوَمَةٍ ، وَأَشْرَفِ خُوَلَةٍ ^(٥) وَعُمُومَةٍ ، مَيْسَمِي الصَّوْنِ ^(٦) ، وَشَيْتِي الْهَوْنِ ^(٧) ، وَخُلُقِي نِعَمِ
 الْعَوْنِ ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ ^(٨) . وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي بِنَاءَ الْمَجْدِ ، وَأَرَبَابُ الْجَلْدِ ،
 سَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ ^(٩) ، وَعَافَ وَصَلَّتَهُمْ وَصِلَّتَهُمْ ، وَآحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُخْلَفَةٍ ، أَنْ
 لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ . فَقَبِضَ الْقَدْرُ ^(١٠) لِنَصَبِي ^(١١) وَوَصَّي ، أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَعَةَ ^(١٢)
 نَادَى أَبِي ، فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ ^(١٣) ، أَنَّهُ وَفَّقَ شَرْطَهُ ، وَادَّعَى أَنَّهُ طَالِمَا نَظَمَ دُرَّةً إِلَى
 دُرَّةٍ ، فَبَاعَهُمَا بِدُرَّةٍ . فَاعْتَرَى أَبِي بِزُخْرَفَةِ مَحَالِهِ ، وَزَوْجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ . فَلَمَّا
 اسْتَخْرَجَنِي مِنْ كُتَابِي ^(١٤) ، وَرَحَّلَنِي عَنْ أَنَابِي ^(١٥) ، وَتَقَلَّنِي إِلَى كِسْرِهِ ، وَحَصَّلَنِي تَحْتَ
 أُسْرِهِ ، وَجَدْتُهُ قُعْدَةً جُثْمَةً ^(١٦) ، وَأَلْفَيْتُهُ ضَبْعَةً نُومَةً ^(١٧) . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بَرِيَّاشٍ وَزِيٍّ ^(١٨) ،

- (١) عِفْرِيَّة : أَيْ خَبِيثٌ شَدِيدُ الدَّهَاءِ . (٢) تَعْتَلُهُ : تَجَرَّهُ بِعَنْفٍ وَجَفَاءٍ . (٣) مُصْبِيَّة :
 أَيْ ذَاتُ صِيَانٍ . (٤) جُرْثُومَةٍ : أَيْ أَصْلٌ وَكَذَلِكَ أَرْوَمَةٍ . (٥) خُوَلَةٌ : جَمْعُ خَالٍ .
 وَعُمُومَةٍ : جَمْعُ عَمٍ . (٦) مَيْسَمِي : شَيْتِي وَمَا يَعْلَمُ غَنِي . وَأَصْلُ الْمَيْسَمِ الْآلَةُ الَّتِي يَكْوِي بِهَا وَيَعْلَمُ .
 (٧) الْهَوْنُ : الرِّفْقُ . (٨) بَوْنٌ : أَيْ فَرْقٌ وَتَفَاوُتٌ فِي الْفَضْلِ . (٩) وَبَكَّتَهُمْ : قَرَعَهُمْ .
 (١٠) فَقَبِضَ الْقَدْرُ : يَعْنِي قَدْرَ اللَّهِ تَعَالَى . (١١) لِنَصَبِي : أَيْ نَعْيِي . وَوَصَّي : مَرْضِي .
 (١٢) الْخُدَعَةُ : أَيْ كَثِيرُ الْخُدَاعِ . (١٣) رَهْطُهُ : أَيْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ . (١٤) الْبَدْرَةُ :
 عَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ . (١٥) مِنْ كُتَابِي : أَيْ مِنْزَلِي ، وَأَصْلُهُ بَيْتُ الظُّلِيِّ أَوْ يَفْسَرُ الْوَحْشَ .
 (١٦) كِسْرُهُ بَفَتْحِ الْكَافِ وَكِسْرِهِمَا : أَيْ جَانِبُ بَيْتِهِ . (١٧) قُعْدَةٌ : كَثِيرُ الْقُعُودِ . وَجُثْمَةٌ :
 كَثِيرُ الْجُثُومِ ، أَيْ يَلَازِمُ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَقْعُدُ فِيهِ . وَضَبْعَةٌ : أَيْ كَثِيرُ الْاضْطِجَاعِ وَالْكَسَلِ . وَنُومَةٌ :
 كَثِيرُ النُّومِ . (١٨) بَرِيَّاشٌ : أَيْ بِمَالٍ وَلِبَاسٍ قَاضِرٍ .

وأثاث وِرنى^(١)؛ فما بَرِحَ يَبِيعُهُ في سُوْقِ الهَضْمِ^(٢)، وَيُتَلَفُ ثَمَنُهُ في الخَضْمِ^(٣) والقَضْمِ،
إلى أن مَرَّقَ مَالِي بِأَسْرِهِ^(٤)، وَأَنْفَقَ مَالِي في عُسْرِهِ. فَلَمَّا أَتَّسَانِي طَعْمَ الرَّاحَةِ^(٥)، وَغَادَرَ
يَلْتِي أَنْتَقَى مِنَ الرَّاحَةِ^(٥)، قُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا! إِنَّهُ لَا مَحَبَّةَ بَعْدَ بُوسٍ^(٦)، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ
عُرُوسٍ^(٧)؛ فَانْهَضْ لِلْاِكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ، وَأَجْنِثِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ. فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ
قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ، لَمَّا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ. وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ^(٨)، كَأَنَّهُ
خِلَالَةٌ^(٩)، وَكَلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةٌ^(٩)، وَلَا تَرْقَأُ لَهُ مِنَ الطَّوِيِّ دَمْعَةٌ^(١٠). وَقَدْ قُدُّتُهُ إِلَيْكَ^(١١)،
وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ^(١٢)، لِتَعْجُمَ عُوْدَ دَعْوَاهُ، وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ. فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ،
وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَعَيْتُ قِصَصَ عِرْسِكَ^(١٣)، فَبَرِّهْنِي الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ^(١٤)، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ
لَبْسِكَ^(١٥)، وَأَمَرْتُ بِمَحْبَسِكَ! فَاطْرُقَ إِطْرَاقَ الْأَفْعَوَانِ^(١٤)، ثُمَّ شَمَّرَ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ^(١٥)، وَقَالَ:

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ يُضْحَكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيَتَحَبَّبُ
أَنَا أَمْرٌ لَيْسَ فِي خِصَائِصِهِ عَيْبٌ، وَلَا فِي نَفَارِهِ رَيْبٌ
سَرُوجُ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانٌ حِينَ أَنْتَسِبُ

- (١) والأثاث: هو متاع البيت. والرئ: حسن المنظر. (٢) الهضم هنا: التصب والغث والظلم. والمراد ببيعته بأقل من القيمة. (٣) الخضم: أكل الرطب. والقضم: أكل اليابس، يريد أنه يصرف ثمنه في أنواع الأكل واللذات. (٤) مرق مالى: أى فرق الذى لى. (٥) الراحة: يطن الكف لنقائه من الشعر. (٦) بعد بوس: أى فتمر. (٧) ولا عطر بعد عروس: هذا مثل قالته امرأة من عذرة مات عنها زوجها، واسمها عروس، فترجىها رجل أبخر، وأمرها أن تعطر فقالته. (٨) سلالة: يعنى ولدا. خلافة: ما يتخلل به. (٩) شبة بالضم: قدر ما يشبع به مرة. (١٠) ولا ترقا: أى تسكن. (١١) الطوى: الجوع. (١٢) لتعجم: لتختبر. (١٣) عن لبسك: إشكالك وتعمية أمرك. (١٤) الأفعوان: ذكر الأفاعى. (١٥) العوان: الحرب التى قبلها حرب، وهى تكون أشد من الأولى.

- وشُغِلَ الدرسُ ، والتبحُّرُ في العِدِّ هم طِلابي ، وحبَّذا الطَلَبُ
ورأسُ مالي سحرُ الكلام الذي مِنْهُ يُصاغُ القَرِيضُ والخطَبُ (١)
أغوصُ في جُحَّةِ البَيانِ فأخُ سارُ اللَّآلِي مِنْهَا وَأَتَّخِبُ
وأُجتنِي البانِعَ الحَنِيَّ مِنْ آلِ قَوْلٍ وَغَسِيرَى للُعودِ يَحْتَطِبُ
وأخُذُ اللَّفْظَ فِضَّةً ، فإذا ما صُغِّتُهُ قِيلَ : إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أُمْتَرِي نَسَبًا بِالْأَدَبِ الْمُقْتَنَى وَأُحْتَلَبُ (٢)
وَيَمْتَطِي أَنْحَصِي لِحُرْمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ (٣)
وطالما زُفَّتِ الصَّلَاتُ إِلَى رَبْعِي ، فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ (٤)
فَالْيَوْمَ مَنْ يَعلَقُ الرَّجَاءُ بِهِ أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سُوْقِهِ الْأَدَبُ (٥)
لَا عِرْضُ أبنائِهِ يُصَابُ ، وَلَا يُرَقَّبُ فِيهِمْ إِنْ لَا نَسَبُ (٦)
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفٌ يَبْعَدُ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَّبُ (٧)
فَخَارَ لِي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنَ اللَّيَالِي ، وَصَرَفُهَا عَجَبُ (٨)

- (١) القريض : الشعر . (٢) أمتري : اكتسب . النسب : أى المال . واحتلب :
بالحاء المهملة معطوف على أمتري وهما بمعنى الحلب مستعاران للاكتساب .
(٣) الأنحص : ما ارتفع من باطن القدم عن الأرض .
(٤) أى طالما حلت إلى الجوائز والهدايا ، يقال زفت العروس إذا حلت إلى بعلها ، ومنه المزفة وهي
المحفلة . وربعى : منزلى . فلم أرض كل من يهب : أى لا أرضى أن أكون تحت مئة كل أحد بل لا أقبل
إلا من العظام . (٥) من يعلق : أى أن من يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب .
والمعارف حتى صار ذلك كالسلة الكاسدة عنده . (٦) لا عرض أبنائه : أى أبناء الأدب .
والعرض : موضع المدح والذم من الإنسان . يرقب : يحفظ . والإل بكسر الهمزة وتشديد اللام : العهد .
والقراية والجوار . (٧) عراصهم : ساحات دورهم . (٨) منيت : بليت .

وضاق ذُرْعِي لضيق ذات يَدِي وساوَرْتَنِي الهمومُ والكُربُ (١)
 وقادَنِي دَهْرِي المَلِيمُ إلى سُلُوكِ ما يَسْتَشِينُهُ الحَسْبُ (٢)
 فَبَعْتُ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ وَلَا بَتَاتٌ إِلَيْهِ أَثْقَلُ (٣)
 وَأَدْنَتْ ؛ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي بِحِمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطْبُ (٤)
 ثُمَّ طَوَيْتُ الحَشَا عَلَى سَغَبٍ نَحْمَسَا ، فَلَمَّا أَمَضْنِي السَّغَبُ (٥)
 لَمْ أَرَ إِلَّا جَهَازَهَا عَرَضًا أَجْوَلُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرُّ
 بَخُلْتُ فِيهِ ، وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَالْعَيْنُ عَبْرَى ، وَالْقَلْبُ مَكْتَنِبُ
 وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَثْتُ بِهِ حَدُّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ الغَضَبُ
 فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوْهَمُهَا أَنَّ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
 أَوْ أَنِّي إِذَا عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَحَرْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ الأَرَبُ
 فَوَالَّذِي سَارَتِ الرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَعِجُّهَا النُّجُبُ
 مَا الْمَكْرُ بِالمُحَصَّنَاتِ مِنْ خُلُقٍ وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
 وَلَا يَدِي مُدُّ نَشَأْتُ نَيْطَ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاعِ وَالْكُتُبُ
 بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ القَلَادَةَ لَا كَفْتِي ، وَشِعْرِي الْمَنْظُومُ لَا السُّخْبُ (٦)

(١) ساورتني : غلبتني . (٢) المليم : أي الذي يأتي بما يلام عليه .
 (٣) سبد : وفي نسخة لبد : مأخوذ من قولهم ماله سبد ولا لبد أي شعر ولا صوف ، والمراد ذوات
 الشعر والصوف من المواشي ، وأراد به هنا أنه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة . والبتات :
 الزاد ومتاع البيت . (٤) وأذان : افعل من الدين بالفتح أي تداينت . والسالفة : صفحة الفسق .
 (٥) السغب : الجوع . ونحسا : أي نحس ليال . وأمضني : أحرقتني . (٦) السخب :
 جمع سخاب وهو القلادة من القرقل ونحوه ليس فيها من الجواهر شيء . تجعل في أعناق الأطفال .

فهذه الحرفة المشار إلى ما كنتُ أحوى بها وأجتلبُ
 فأذن لشرحي كما أذنت لها ولا تُراقب ، وأحكم بما يجب (١)
 قال : فلما أحكم ما شأده ، وأكمل إنشأده ، عطف القاضي إلى الفتاة ، بعد أن
 شغف بالأبيات ، وقال : أما إنه قد ثبت عند جميع الحكماء ، وولاية الأحكام ،
 انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام إلى اللئام . وإني لخال بعلك صدوقا
 في الكلام ، بريئا من الملام . وها هو قد اعترف لك بالقرض ، وصرح عن المحض ،
 وبين مصداق النظم ، وتبين أنه معروق العظم ، وإعانت المعذر ملامة ، وحبس
 المعسر مألمة ، وكتان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ، فارجعي إلى خدرك ،
 واعذري أبا عذرك ، ونهني من غريك ، وسلمي لقضاء ربك . ثم إنه قرض
 لهما في الصدقات حصّة ، وناولهما من دراهمها قبضة . وقال لهما : تعلّيا بهذه العلالة ،
 وتنديا بهذه البلالة ، واصبرا على كيد الزمان وكده ، فعسى أن يأتي الله بالفتح أو أمر

-
- (١) فأذن لشرحي : أي فاستمع لقولي . ولا تراقب أي لا تنظر إلى واحد منا ، والمراد لا تعدل عن الحق .
 (٢) أحكم ما شأده : أي اتقن ما قاله وأنشأه من شاد البناء ، أو إذا أحكمه ودفعه .
 (٣) معروق العظم : كناية عن الهزال ، يقال عظم معروق إذا أخذ ما عليه من اللحم .
 (٤) الإعانت : الحمل على المشقة الكبيرة ، والمعذر المبالغ في العذر ، أو هو الذي يأتي بما يعتذره .
 (٥) ملامة : لوم . والمعسر : هو من عجز عن قضاء الدين .
 (٦) مألمة : من الألم وفي نسخة مألمة من الإثم .
 (٧) خدرك : بيتك وسرك . ومنه جارية مخدرة إذا لزمت الخدر .
 (٨) أبا عذرك : أبو عذر المرأة زوجها الأول .
 (٩) ونهني من غريك : أي كفي وازجرى نفسك عن الحدة .
 (١٠) العلالة : ما يتعلل بها . وأصله بقية اللبن . والبلالة : قدر ما ييل الشيء .

من عنده! فنهضا، وللشيخ فرحة المطلق من الإسار، وهزّة المؤسر بعد الإعمار.
 (قال الراوى) وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسُه، وتزغت عرسُه،
 وكنت أفصح عن افتنانه، وأثمار أفنانه، ثم أشفقت من عثور القاضى على بهتانه،
 وتزويق لسانه، فلا يرى عند عرفانه، أن يرشحه لإحسانه، فأجملت عن القول
 إحجام المرتاب، وطويت ذكره كطى السجل للكتاب، إلا أنى قلت بعد ما فصل،
 ووصل إلى ما وصل: لو أن لنا من ينطلق في أثره، لأتانا بنص خبره، وبما ينشر
 من خبره. فأتبعه القاضى أحد أمنائه، وأمره بالتجسس عن أنبائه، فما لبث
 أن رجع متدهدا، وقهقر مقهقها. فقال له القاضى: مهم؟ يا أبا مريم، فقال:
 لقد عاينت عجبا، وسمعت ما أنشأ لي طربا. فقال له: ماذا رأيت؟ وما الذى
 وعيت؟ قال: لم يزل الشيخ مذخرج يصفق بيديه، ويخالف بين رجله، ويفرد
 يملء شذقيه، ويقول:

- (١) التزغ: الذكر بالقبيح والإفساد بين الناس، ومعناه خاصمته عرسه.
 (٢) عن افتنانه: يقال افتن الرجل فى حديثه إذا جاء بالأفان وهى الأساليب. والمراد هنا تصرفه
 فى الفنون والمعارف.
 (٣) الأثمار بفتح الهزة: جمع ثمرة وبكسرهما المصدر وهو حصول الثمر. والأفنان: جمع فتن
 بالتحريك وهو طرف الفصن. (٤) أشفقت: خفت. (٥) بهتانه: كذبه.
 (٦) السجل: الكتاب، أى كما يطوى الكتاب الصغيرة. (٧) فصل: ذهب.
 (٨) الحسب جمع حبرة: أردية يمانية موشاة. وأراد ما يذكر من الكلام المسجع الشبيه بالخبر
 فى الحسن. (٩) التدهده: الإسراع بن دهدت الجرا إذا دحرجته.
 (١٠) القهقرة: مشى الى وراء. والقهقهة: الضحك بصوت.
 (١١) مهم: أى ما الخبر. وهى كلمة لأهل اليمن معناها ما خورك وما شاك.

كَدْتُ أَصْلَى يَلِيَّةً مِنْ وَقَاجٍ شَمْرِيَّةٍ ^(١)
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الإسْكَندَرِيَّةِ

فَضِيحَكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِيَّتُهُ ^(٢) ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ ^(٣) . فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ ^(٤) ،
وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ ^(٥) بِالْاسْتِغْفَارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى
الْمُتَأَدِّينَ ! ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ : صَلِّ بِهِ ! فَاَنْطَلَقَ مُجِدًّا فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَأَيِّهِ ^(٦) ،
مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ جُضِرَ ، لَكُنْفِي الْخَذِرَ ، ثُمَّ لَأَوَّلِيَّتُهُ مَا هُوَ بِهِ ^(٧) .
أَوَّلَى ، وَلَأُرِيَّتُهُ أَنْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى . (قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ) فَلَمَّا رَأَيْتُ ^(٨)
صَغُوَ الْقَاضِي إِلَيْهِ ، وَفَوَتْ ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ، غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ الْفَرَزْدَقِ حِينَ أَبَانَ النَّوَّارَ ^(٩) ،
وَالْكَسْبِي لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ ^(١٠) .

- (١) الوقاج : قليلة الحياء . والشمرى : الماضى فى الأمور الجاد فيها يحاول .
(٢) دنيته بتشديد النون والياء جميعا : قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كأنها منسوبة إلى الدن .
(٣) ذوت : ذبلت وفقرت . (٤) فاء : رجع .
(٥) والاستغراب : شدة الضحك والمبالغة فيه حتى تدمع العين .
(٦) لأيه : أى بطئه . (٧) بنأيه : أى يبعده .
(٨) لأريته : لأفهمته وأعلمته أن العطية الآخرة خير من العطية الأولى .
(٩) صغو القاضى : بفتح الصاد أى ميله .
(١٠) الفرزدق : هو همام بن غالب التميمي الشاعر ، والنوار على وزن سحاب اسم زوجته وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك .

(١١) والكسبى الخ : هو عامر بن الحرث نسبة إلى كسع بضم الكاف وفتح السين من بنى تملبة كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ، ثم رمى عنها ليلا فتفذت فى الرمية ووقع السهم فى حجر ففقد منه الشرار ، فظن أن السهم أخطأ الرمية ، فرمى ثانيا وثالثا إلى آخر الأسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأه ، فعمد إلى قوسه فكسرها . ثم بات فلما أصبح تبين أن أهمه كلها أصابت فتدم ندمًا شديدًا . فضربت العرب المثل به فى الندامة .

ثانياً - النثر العلمى التأليفى

(١) ولابن جنى^(١) فى كتابه الخصائص

باب القول على اللغة وما هى ؟

أما حدُّها فإنها أصواتٌ يُعبَّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم . هذا حدُّها . وأما اختلافها فلها سندٌ كره فى باب القول عليها : أمَّا واضعةٌ هى ، أم إلهام . وأما نصريفها ومعرفة حُرُوفها فإنها فُعْلَةٌ من لَعَوْتُ أى تكلَّمتُ . وأصلها لُفَّة كَكْرَةٍ وقُلَّة وثَبَّة كلُّها لاماتها واوَاتٌ ، لقولهم كَرَوْتُ بالكرة ، وَقَلَوْتُ بالقُلَّة ، ولِإِنَّ ثَبَّة كأنها من مقلوب ثاب يَثوب . وقد دَلَّلتُ على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى فى "سر الصناعة" . وقالوا : لها لُغَاتٌ وَلُغُونٌ ، كَكُرَاتٍ وَكُرُونٌ ، وقيل منها : لَغَى يَلْغَى : اذا هَدَى قال :

وَرُبَّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كَظِيمٍ
عَنِ اللِّغَا وَرَقِثِ التَّكْلِيمِ

وكذلك اللُّغُو ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُو مَرَّوَا كَرَامًا ﴾

أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صَدَقَ لُغَا » أى تكلم . وفى هذا كاف .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه

اللغة وخصائصها (كان أبوه مملوكاً رومياً) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) فصل للجرجاني^(١) من كتاب دلائل الإعجاز

وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكّد؛ فلا يكون فيها العطف آلبته؛ لشبه العطف فيها — لو عطفت — يعطيف الشيء على نفسه، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى؛ مثل أن يكون كلاً الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه؛ فيكون حقها العطف، وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء؛ فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً؛ وحق هذا ترك العطف آلبته . فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية؛ والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين، فاعرفه .

(٣) وللجرجاني^(٢) في كتابه درة الغواص في أوهام الخواص

يقولون: زيد أفضل إخوته؛ فيخطئون فيه: لأن أفعّل الذي للتفضيل لا يضاف إلا إلى ما هو داخل فيه ومتنزل منزلة الجزء منه، وزيد غير داخل في جملة إخوته؛

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له

على النظام الذي تعرفه، ولم يزد عليه السكاكي إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينهما . وتوفي سنة ٥٧١ هـ .

(٢) تقدّمت ترجمته عند المقامة الاسكندرية .

ألا ترى أنه لو قال لك قائل : مَنْ إخوة زيد؟ لعددتهم دونه ، فلما خرج عن أن يكون داخلا فيهم امتنع أن يُقال : زيد أفضل إخوته ، كما لا يُقال زيد أفضل النساء لتمييزه من جنسهن ، وخروجه عن أن يُعدّ في جملةهن . وتصحيح هذا الكلام أن يُقال : زيد أفضل الإخوة أو أفضل بني أبيه ؛ لأنه حينئذ يدخل في الجملة التي أضيف إليها بدلالة أنه لو قيل لك : من الإخوة ؛ أو من بنو أبيه ؟ لعددتهم فيهم ، وأدخلته معهم .

ويقولون : هذا بعد اللّيا والتي ؛ فيضمّون اللّام الثانية من اللّيا ، وهو لحنٌ فاحشٌ ، وغلطٌ شائنٌ ، إذ الصواب فيها اللّيا (بفتح اللام) لأن العرب خصّت الذي والتي عند تصغيرهما وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفا في آخرها عوضا عن ضمّ أولها ؛ فقالوا في تصغير الذي والتي : اللّذا واللّتيا ، وفي تصغير ذاك وذلك ذياك وذياك أنشد ثعلب :

بِذِيَالِكَ السَّوَادِي أَهِيْمُ ، وَلَمْ أَقُلْ بِذِيَالِكَ الْوَادِي وَذِيَالِكَ مِنْ زُهْدٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا حُبَّ شَيْءٍ تَوَلَّعْتُ بِهِ أَحْرَفُ التَّصْغِيرِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة ؛ كما يقال : يا بُنَيَّ ، ويا أُخْتَيَّ . وقوله : إِذَا مَا حُبَّ شَيْءٍ يَعْنِي بِهِ أَحَبُّ لِأَنَّهُ يُقَالُ حُبَّ الشَّيْءِ وَأَحَبُّهُ بِمَعْنَى ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ : مَنْ حَبَّ طَبَّ ، إِلَّا أَنَّهُمْ آخَتَرُوا أَنْ يَبْنَوْا الْفَاعِلَ مِنْ لَفْظَةِ أَحَبَّ ، وَبَنَوْا الْمَفْعُولَ مِنْ لَفْظَةِ حَبَّ ؛ فَقَالُوا لِلْفَاعِلِ : مُحَبٌّ ، وَلِلْمَفْعُولِ

مُحِبُّوبٌ : ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق منهما والتفريع عليهما ؛ على أنه قد
سُمِعَ في المفعول مُحَبٌّ وعليه قول عنترة :

ولقد تَزَلَّتِ فلا تَظُنِّي غيرَه مِنِّي بِمَترلةِ المُحَبِّ المُحْكَمِ

ويقولون : اذا أصبحوا سَهَرْنَا البارحة ، وسَرَيْنَا البارحة . والاختيار في كلام
العرب - على ما حكاه ثعلب - أن يقال - مُدُّ لَدُنِ الصُّبْحِ الى أن تزول الشمس -
سَرَيْنَا الليلة ، وفيما بعد الزوال الى آخر النهار سَهَرْنَا البارحة ؛ ويتفرعُ على هذا أنهم
يقولون من انتصاف الليل الى وقت الزوال : صُبَّحَتْ بخير ! وكيف أصبحت !

الادب في مصر والشام

(١) الشعر

(١) المتنبي^(١)

قال في صباه من قصيدة :

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ	وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَفَرَّقُ
جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى :	عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ ، وَقَلْبٌ يَنْخَفِقُ
مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ	إِلَّا أَنْثَنِيْتُ ، وَلِي فَوَادُ شَيْقٍ
جَزَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي	نَارُ الْغَضَى ، وَتِكَلُّ عَمَّا يُحْرِقُ ^(٢)
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ	فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ
وَعَذَرْتُهُمْ ، وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي	عَبْرَتُهُمْ ، فَلَقِيتُ مِنْهُ مَا لَقُوا
أَنِّي أَيْنَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ	أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ ^(٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمختصرة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوة ؛ فسجنه وإلى حصن . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمرء من أهل الشام وبخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافورا الأخشيدي . ثم هجاء ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال الوفيرة ، فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ . (٢) أي ما تنطفئ نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أي نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكفى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نُبِكِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا مِنْ مَعْشِرٍ جَمَعْتُهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
 أَيْنَ الْأَكَاْسَةُ الْجَبَّارَةُ الْأَلَى كَثُرُوا الْكَنُوزَ ، فَمَا بَقِيْنَ وَلَا بَقُوا
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْقَضَاءُ بِحَيْشِهِ حَتَّى تَوَى ، فَخَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقٌ (١)
 تُحَرِّسُ إِذَا تُودُّوا ، كَأَنَّ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
 فَالْمَوْتُ آتٍ ، وَالنَّفُوسُ نَفَاسٌ وَالْمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
 وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ ، وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ، وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ ، وَالشَّيْبَةُ أَنْزَقُ
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَيْتِي مُسَوَّدَةٌ ، وَلِيَاءِ وَجْهِ رَوْنَقُ
 حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمٍ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ (٢)

وقال من قصيدة :

أَتَوَكَّ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا سَرَوْا بِحِيَادِ مَا لَهْنُ قِسْوَاتِهِمْ (٣)
 إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعِمَامُ (٤)
 تَحْمِسُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَمَازِمُ (٥)

(١) حتى توى : أى توى فى قبره .

(٢) قال هذه القصيدة وهو شاب ؛ ولكنه يبكى الشباب حذرا من زواله .

(٣) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٤) أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلول تميز السيوف البيض منهم ؛ لأن ثيابهم من الحديد الأبيض أيضا ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضا ؛ يريد بالثياب الدروع ، وبالعمائم الخوذ والبيضات .

(٥) الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم . أى أتوك بجيش عظيم غلّا المشرق والمغرب وتصل أصواته الى السماء .

- تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُتَمَّةٍ فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ (١)
- فَلِلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ الْغِشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْسُقْ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ (٢)
- تَقَطَّعَ مَا لَا يَقَطُّعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ (٣)
- وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ (٤)
- تَمْرُوكُ الْأَبْطَالِ كَلَّمَى هَزِيمَتُهُ وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُوكَ بِاسْمِهِ (٥)
- تَجَاوَزْتَ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ (٦)
- ضَمَمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقِسَادِمُ
- يُضْرَبُ أَيْ الْهَامَاتِ ، وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ ، وَالنَّصْرُ قَادِمٌ (٧)
- بَحَقَرْتَ الرَّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَتْ السَّيْفُ لِلرَّيْحِ شَاتِمٌ (٨)

(١) اللسان : اللغة . أى أنه مؤلف من أمم مختلفة الألسن ، كالروم ، والصقلية ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة فقلت وتكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ؛ فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحي انطباق الجفن على العين ؛ مما لا يجعل للره مجالاً للشك فى أن الموت واقع لا محالة ؛ فكان ينبغى لمن هذه حالة أن يفكر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ؛ فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحاً وتغرك باسماء تقابل الموت مستبشراً أنك بنفسك وشجاعاً فى جبلتك .

(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبسة ؛ فقبل الضرب كان النصر غائباً ، وبعده جاء النصر .

(٨) لأن الشجعان تقاتل بالسيوف كأنهم لا يبالون بمقاربة الأعداء .

ومن طلب الفتح آبليل فإنما مفاتيحه البيض الحفاف الصوارم
ثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما ثرت فوق العروس الدراهم^(١)

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

فلينالك من ربع ، وإن زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا
وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبّا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا
نذم السحاب الغر في فعلها به ونعرض عنها كلما طلعت عبا^(٢)
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالأصائل والضعا اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا^(٣)
ذكرت به وصلا كأن لم أفز به وعيشا كأنى كنت أقطعه وثبا
وفتانة العينين قتالة الهوى اذا نفحت شيئا روائها شبا
لها بشر الدّر الذي قلدت به ولم أر بدرا قبلها قلده الشهبا
فياشوق ما أبقي ! ويالي من النوى ! ويادمع ما أجرى ! وياقلب ما أصبى !
لقد لعب البين المشت بها وبى وزودنى فى السير ما زود الضبا^(٤)
ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا

(١) الأحيدب : جبل ببلاد الروم بجهة بلدة الحدث .

(٢) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .

(٣) أى الذى هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب .

(٤) ما زود الضب : أى زودنى العدم ؛ لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء . وزودنى الحيرة ، لأنه اذا خرج ضل .

ولستُ أبالي بعد إدراكي العلا	أكانت تُرأى ما تناولت أم كسبا
قرب غلام علم المجد نفسه	كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا
إذا الدولة استكفت به في مائة	كفاها ؛ فكان السيف والكف والقلبا
تهابُ سيوف الهند ، وهي حدائد	فكيف إذا كانت يزاريةً عرباً؟ (١)
ويُهبُّ نابُ الليث ، والليث وحده	فكيف إذا كان الليث له صحباً؟
ويُخشي عباب البحر ، والبحر ساكن	فكيف بمن يغشى البلاد إذا عباً؟ (٢)
عليهم بأسرار الديانات واللغى	له خطرات تفضح الناس والكتبا (٣)
فيوركت من غيث كان جلودنا	به تبيت الديساج والوشى والعصبا (٤)
ومن واهب جزلاً ، ومن زاجر : هلاً ،	ومن هاتك دزماً ، ومن ناثرقصبا (٥)
هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم	وأنتك حزب الله صرت لهم حزباً (٦)
وأنتك رعت الدهر فيها ورية	فإن شكك فليحدث بساحتها خطبا (٧)

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية زارية كسيوف سيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ؛ لأنهم لم يبلغوا مقداره في العلم .

(٤) أى لأنك تخلمها علينا فتلبسها .

(٥) هلاً : لفظ تزجربه الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فيوركت من رجل يعطى الخيل ، ويزجر

الخيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فيثراً أمعاءها .

(٦) هنيئاً حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام — والكلام تحة الدهر .

فيوماً بنحيل تطردُ الرومَ عنهمُ
 سراياك تترى والدمستقُ هارب
 أتى مرعشاً يستقربُ البعدَ مقيلاً
 كذا يتركُ الأعداءَ من يكرهُ القنا
 وهل ردَّ عنه باللقانِ وقوفه
 مضى بعدَ ما آتف الرماحانِ ساعة
 ولكنه ولي وللطعنِ سورة
 وغلّ العذارى والبطاريقَ والقرى
 أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه
 تحبُّ الجبانُ النفسَ أوردَه ألقا
 ويختلفُ الرزقانِ، والفعلُ واحدٌ،
 فأضحتُ كأنَّ السورَ من فوقِ بدئه
 تصدُّ الرياحُ الهوجُ عنها مخافةً
 وتردى الجيادُ الحردُ فوقَ جبالها

ويوماً يجودُ تطردُ الفقرَ والجحدا
 وأصحابه قتلُ وأمواله نهى^(١)
 وأدبرَ إذ أقبلتَ يستبعدُ القربا
 ويقفلُ من كانت غنيمته رعباً^(٢)
 صدورَ العوالي والمطهمة القبا^(٣)
 كما يتلقى الهدبُ في الرقدة الهدبا
 إذا ذكرتها نفسه لمس اجنبا
 وشعتَ النصارى والقرايين والصلبا^(٤)
 حريصا عليها مستهماً بها صبا
 وحبُّ الشجاع النفسَ أوردَه الحربا
 الى أن ترى إحسانَ هذا لذا ذنباً
 الى الأرض قد شقَّ الكواكبَ والتربا^(٥)
 وتفزع فيها الطيرُ أن تلقطَ الحباً^(٦)
 وقد ندَف الصَّيبرُ في طرُقها العطباً^(٧)

(١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهى : منوبة .

(٢) يقفل : يرجع .

(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .

(٤) البطاريق : قوادا لروم . وأراد بالشعت : الرهبان .

(٥) أى من أعلاه إلى أدناه قد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .

(٦) تصد : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقاها .

(٧) تردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصيبر : السحاب البارد . والعطب : القطن .

كَفَى عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرَعَشًا ؛ تَبًّا لَأَرَائِهِمْ تَبًّا ! (١)
وما الفَرْقُ ما يَبْتَزُّ الْأَنَامَ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ الْمُحْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا
لَأَمْرٍ أَعْدَتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعَدَا وَسَمَّته دُونَ الْعَالِمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا
وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ تَتْرُكِ الشَّامَ الْأَعَادَى لَهُ حُبًّا
وَلَكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا
وَجَيْشٌ يُنْتَنَى كُلُّ طُودٍ كَأَنَّهُ نَحْرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجْهَتْ غُصْنًا رَطْبًا (٢)
كَانَتْ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ نُجُجًا
فَمَنْ كَانَ يُرِضِي اللَّؤْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ فَهَذَا الَّذِي يُرِضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّا

وقال يذكرو قيام شبيب العقيلي : وكان خارجا على كافور فمات فجأة وهو يحاصر
دمشق . وقيل : دَسَّ عليه كافور من سَمِّهِ . وقيل : إنه أُلْقِيَ عليه رَحَى من السور .
وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُسْلَاكِ ؛ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِيْدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
أَتَلْتَمَسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ
رَأَيْتُ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُبْتَلَى يَنْدِرُ حَيَاةٍ أَوْ يَنْدِرُ زَمَانِ
بَرَّغَمِ شَيْبٍ فَارَقَ السِّيفَ كُفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَّاتِ بِصُطْحَبَانِ

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعش كأنهم لم يعرفوا قدرته ، ومرعش مدينة بالشام
قرب أنطاكية .

(٢) الخريق : الريح الشديدة .

- كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لَسَيْفِهِ: زَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي! (١)
- فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ
- وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانٍ
- فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشَهِّي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانٍ (٢)
- فَقَى وَقَعَ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ بِرُفْغِيهِ وَلَمْ يَحْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالْدَّبْرَانِ (٣)
- وَلَمْ يَدْرَ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِيهِ مُعَارُ جَنَاحٍ مُحْسِنٍ الطَّيْرَانِ (٤)
- وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَابَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانٍ
- أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقِ خَفِيَةٍ عَلَى كُلِّ شَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانٍ
- وَلَوْ سَلَكْتَ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَتْسَاعِ جَنَانٍ
- تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صَحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ
- وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ



- قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي
- فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقَيْسِي وَإِنَّمَا عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانِ؟
- وَمَا لَكَ تُغْنَى بِالْأُسْنَةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَانٌ بَغِيرِ سِنَانِ؟

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية في الشام .

(٢) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكنة بلا سابق ألم ومرض .

(٣) أي أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران ، وهو كوكب نحس كما زعموا .

(٤) شواته : رأسه .

وَلَمْ تَحْمِلِ السِّيفَ الطَّوِيلَ بِجَادِهِ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ؟
أَرِدْتُ لِي جَمِيلًا جُدْتُ أَوْ لَمْ تَجِدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَنَاثَى
لَوْ أَنَّكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعِيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارَانِ

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فاترا من كافور الى الكوفة يهجوهم

وقومه :

عَيْدٌ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ (١)
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْيَدَاءُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ يَيْدًا دُونَهَا يَيْدُ (٢)
لَوْلَا الْعَلَامُ لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءُ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ (٣)
وَكَانَ أَطِيبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةٌ أَشْبَاهُ رَوَقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ (٤)
لَمْ يَتْرِكِ الْدَهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي شَيْئًا تَتِيمَةً عَيْنٌ وَلَا جِيْدُ
يَا سَاقِيَّ أَنْحَرُ فِي كُتُوبِكُمْ أَمْ فِي كُتُوبِكُمْ هُمْ وَتَسْهِيْدُ
أَصْخَرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ؟
إِذَا أَرَدْتُ كُتِبَتِ اللَّوْنُ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا، وَحَيْبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ (٥)
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا؟ وَأَعْجَبُهَا أَنِّي بِمَا أَنَا بِأَكْ مِنْهُ مُحْسُودُ

(١) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٢) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة .

(٣) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العصل ، والحرف من النوق : المضمرة .

والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلامة تقطع بي القلاة ناقة ولا فرس .

(٤) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمة ويروى معانقة بدل مضاجعة .

(٥) يريد بكتب اللون : الخمرة .

- أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ : خَازِنًا وَيَدًا
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَائِبِنَ ضَبِيفُهُمْ
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي ، وَجُودُهُمْ
مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمْ
أَكَلْنَا آغْتَالَ عَبْدُ السَّوِّءِ سَيِّدَهُ
صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْأَبْقِيَيْنِ بِهَا
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ تَعَالِيهَا
الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ
لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا
وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدِ الْمُثْقُوبَ مِشْفَرُهُ
- أَنَا الْغَنِيُّ ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ (١)
عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ (٢)
مِنَ اللِّسَانِ ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا آلُجُودِ !
إِلَّا وَفَى يَدِهِ مِنْ تَنْتَهَا عُودُ (٣)
أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ
فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ ، وَالْعَبْدُ مُعْبُودُ
فَقَدْ بَشَيْنَ ، وَمَا تَفَنَّى الْعِنَايِدُ (٤)
لَوْ أَنَّهُ فِي رِيَابِ الْخُبْرِ مَوْلُودُ
إِنَّ الْعَبْدَ لَا تُجَاسُّ مَنَاجِيدُ
يُسَىءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ
وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ (٥)
تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ (٦)

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويذا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ؛ ولكن يدي وخازني في راحة ؛ اذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .

(٢) محدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فيه عودا ينشل به أرواحهم من أيديهم لتنتها تقزوا من مس أيديهم بيده .

(٤) النواطير : حافقو الكروم بالطاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالنعالب الأراذل . وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبي البيضاء ، وهى كنية العبد مخزية منه . (٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللثيم الذى يخدم بطعام بطلته . والرعايد : جمع رعيده وهو الجبان .

جَوَاعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي، وَيُمْسِكُنِي
 لَكِنِّي يُقَالُ : عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ
 إِنْ أَمَرَأَ أُمَّةً حُبْلَى تُدَبِّرُهُ
 لِمُسْتَضَامٍ سَخِينِ الْعَيْنِ مَفْئُودِ (١)
 وَيَلُ أُمَّهَا خُطَّةً! وَيَلُ أُمَّ قَابِلِهَا!
 لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودِ (٢)
 وَعِنْدَهَا لَذَّةُ طَعْمِ الْمَوْتِ شَارِبُهُ
 إِنْ الْمَنِيَّةُ عِنْدَ الذِّلِّ قَنِيدِ (٣)
 مَنِ عِلْمَ الْأَسْوَدِ الْمَخْصِيِّ مَكْرَمَةً؟
 أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ؟
 أَمْ أَذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَائِمِيَّةٌ
 أَوَّلَى اللَّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ
 وَذَلِكَ أَنْ الْفَحْوَلَ الْبَيْضَ عَاجِرَةٌ
 فِي كُلِّ لَوِيْمٍ، وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدِ (٤)
 عَنْ الْجَمِيلِ، فَكَيْفَ الْخَصِيَّةُ السُّودُ؟

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر الى مصر :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَمِيمٌ
 وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقِيمٌ (٥)
 مَالِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي
 وَتَدَعَى حُبِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمِيمِ
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِقَرَّتِهِ
 فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ تَقْتَسِمُ (٦)

- (١) أى أن من يدبره ويسومه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلَى لسخين العين فاقد العقل . (٢) ويل أمها : أى ويل لأُمها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة ، ولأم ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة إم المحذوفة اليها على لغة من يكسر همزة أم وهى سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لِمِثْلِهَا الخ أى لِمِثْلِ الْخِلَاصِ منها . والمهرية : النوق المنسوبة الى بلاد مهرة . وهى كريمة سريعة السير . والقود : جمع قوداء ، وهى الطويلة . (٣) القنيد : صلب قصب السكر . (٤) كويفير : تصغير كافور . (٥) الهاء فى قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف ، أو هو مذهب كوفى . أى ما أحر قلبى من حب من قلبه بارد من حبي . (٦) أى لبتة يرعى كلا منا بقدر حبنا إياه .

قد زرتُهُ ، وسيوفُ الهند مُفمَّدةٌ	وقد نظرتُ إليه ، والسيوفُ دَمٌ (١)
فكان أحسنَ خالقٍ اللهَ كلَّهم	وكان أحسنَ ما في الأحسنِ الشَّيمُ
فَوْتُ العَدُوِّ الذي يَمُمُّهُ ظَفَرٌ	في طَيْبِهِ أَسْفٌ في طَيْبِهِ نِعَمٌ (٢)
قد نابَ عنكَ شديدُ الخوفِ وأصطنعتُ	لك المَهابةُ ما لا تَضَعُ البَهم (٣)
أَلَزِمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزُمُهَا	أَلَا تُوَارِيهِمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ (٤)
أَكَلَمَّا رُمْتَ جَيْشًا ، فأنثنى هَرَبًا	تَصَرَّفَتْ بِكَ في آثارِهِ الهِمَمُ ؟
عليك هَزْمُهُمْ في كُلِّ مَعْتَرِك	وما عليك بِهِمْ عَارٌ إِذَا آنهزموا
أما ترى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ	تصاحفتُ فِيهِ بِيضُ الهندِ واللَّمَم
يا أعدلَ الناسِ إلا في مُعَامَلَتِي	فِيكَ الخِصَامُ ، وَأَنْتَ الخِصَمُ والحَكَم !
أَعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ	أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَم
وما أَنتَفَاعُ أُنحَى الدُّنْيَا بناظِرِهِ	إِذَا آسَتِ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ والظُّلَم
أنا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أدبِي	وَأَسَمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ (٥)

(١) أى أنى خدمته في حالتي السلم والحرب .

(٢) أى أن فوت العدو وفراره منك ظفرك في ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٣) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٤) أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يخفون فيه ، وهذا غير لازم بل يكفيك فرارهم .
والآيات الآتية توضح المعنى .

(٥) يريد بكلماته أشعاره .

أَنَامَ مِلاً جُفَوْنِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ بَجَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ (١)
 وَجَاهِلٍ مَدَّةً فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَقَمِ
 إِذَا رَأَيْتَ تُنِيبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنِّي أَنَّ اللَّيْلَ يَبْتَسِمُ
 وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادِ ظَهْرِهِ حَرَمُ (٢)
 رِجْلَاهُ فِي الرِّكْضِ رَجُلٌ ، وَالْيَدَانِ يَدُ وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفِّ وَالْقَدَمِ (٣)
 وَمُرْهِفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْمُخَفَّلِينَ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
 فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرطَاسُ وَالْقَلَمُ
 سَحَبْتُ فِي الْفُلُواتِ الْوَحْشَ مُتَفَرِّدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ (٤)
 يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ !
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمُّ
 إِنْ كَانَ سَرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لَجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ
 وَبَيْثُنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

(١) وشوارد الأشعار : سوارثها وذامعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرزون لأجلها بحثاً ونقداً واجتلاباً وحفظاً ورواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتي أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على قوس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معاً ويضعهما كذلك . وكذلك يده . وفعله في الجرى يعنى عن الكف التي تحمل السوط وعن القدم التي يستحث بها .

(٤) القور : جمع قارة . وهي الأكمة في الأرض الحرة (البركانية) .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي؛
 ليت الغمام الذي عندي صواعقه
 أرى النوى يقتضيني كل مرحلة
 لأن تركن ضميراً عن ميامينا
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
 شر البلاد مكان لا صديق به
 وشر ما قنصته راحتي قنص
 بأي لفظ تقول الشعر زعنفه
 هذا عتابك إلا أنه مقه
 أنا الثريا، وذان الشيب والهزم
 يزيلهن إلى من عنده الدائم
 لا تستقل بها الوخادة الرسم
 ليحدثن لمن ودعته ندم^(١)
 ألا تفارقهم فالراجلون هم
 وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
 شهب البزاة سواء فيه والرخم
 تجوز عندك لا عرب ولا عجم
 قد ضمن الدر إلا أنه كلم

(٢) أبو فراس الحمداني^(٢)

كتب وهو في أسر الروم إلى ابن عمه سيف الدولة بهذه القصيدة يعتب ويشكو:
 أبي غريب هذا الدمع إلا تسرعاً
 ومكنون هذا الحب إلا تضرعاً^(٣)
 وكنت أرى أني مع الصبر واجد
 إذا شئت لي ممضي وإن شئت مرجعاً^(٤)

(١) ضمير: جبل يكون على يمين الذهاب إلى مصر من حلب .

(٢) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة وأحد قواده وولائه . أسره الروم في بعض الوقائع جريحاً ومكث في أسره حتى تيسر فداؤه . وكتب في السجن إلى سيف الدولة قصائد كثيرة يعتب عليه فيها تقصيره في فكاكه . قتل في ثورة أهلية سنة ٥٣٥٧ هـ عن ٣٧ سنة .

(٣) الغريب هنا : مسيل الدمع وانهلاله . والتضرع هنا : الانتشار والذويوع .

(٤) أي كنت أظن أني بالصبر والتجمل في حي لا أضطر إلى ركوب خطئة واحدة ، بل أني — إذا

شئت — مضيت في سبيل وإذا شئت رجعت .

فلما استمرَّ الحبُّ في غُلُوِّائه رَعَيْتُ معِ المِضْيَاعَةِ الغِرَّ مَا رَعَى (١)
فُحِزَّنِي حُزْنُ الهَائِمِينَ مُبْرَحًا ومَرَّي سرَّ العاشقين مُضِيْعًا
خِلِيءٌ لَمْ لَا تَبْكِيَانِي صَبَابَةً أَبْدَلْتُمَا بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدَ أَجْرًا (٢)
عَلَى لَيْلٍ ضُنْتُ عَلَى جُفُوفِهِ غَوَارِبُ دَمْعٍ يَسْمَلُ الْحَى أَجْمَعًا (٣)
وَهَبْتُ شَبَابِي، وَالشَّبَابُ مِضْنَةٌ لأَبْلَجٍ مِنْ أَبْنَاءِ عَمَى أَرْوَعًا (٤)
أَيُّتُ مَعْنَى مِنْ تَحَافَةٍ عَتَبِهِ وَأَصْبَحُ مُحْزُونًا، وَأُمْسِي مُرَوِّعًا
فَلَمَّا مَضَى عَصْرُ الشَّيْبَةِ كُلُّهُ وفَارَقْنِي شَرُّ الشَّبَابِ فَوْدًا
تَطَلَّبْتُ بَيْنَ الْعَتَبِ وَالْهَجْرِ فُرْجَةً فَحَاوَلْتُ أَمْرًا لَا يُرَامُ مُنْتَعًا
وَصِرْتُ إِذَا مَا زُمْتُ فِي الْخَيْرِ لَذَّةً تَتَبَعْتُهَا بَيْنَ الْهُمُومِ تَتَبَعًا (٥)
وَهَا أَنَا قَدْ جَلَّى الزَّمَانُ مَفَارِقِي وَتَوَجَّجَنِي بِالشَّيْبِ تَاجًا مُرَصَّمًا
فَلَوْ أَنِّي مُكِّنْتُ فَيَا أُرِيدُهُ مِنْ الْعَيْشِ يَوْمًا لَمْ أَجِدْ فِي مُوَضِّعًا (٦)
أَمَا لَيْلَةٌ تَمِضُ وَلَا بَعْضُ لَيْلَةٍ أَسْرُبُهَا هَذَا الْفَوَادَ الْمُوجَّعًا
أَمَا صَاحِبُ فَرْدٍ يَدُومُ وَفَاؤُهُ فَيُصْفِي لَيْلِي أَصْفَى، وَيَرْعَى لَيْلِي رَعَى
أَفِي كُلِّ دَارٍ لِي صَدِيقٌ أَوْدِيهِ إِذَا مَا تَفَرَّقْنَا حَفِظْتُ وَضِيْعًا

(١) الغلواء : الغلو . والمضياعة : الكثير الإضاعة . والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب

ضعفت عزيمتى ووعيت مع الحبيب الفقل ما يرعى واتبعته فيا يشاء .

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرج الفرد مكانا غيره . يريد هل نسييتان واتخذتم بدلى حيبا آخر .

(٣) أى انى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغيره .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع للنجدة . (٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من

بين الهموم . (٦) أى أنه لم يبق فيه بفيه صحة للتمتع .

اذا خِفتُ من أخوالي الروم خُطَّةً تخوِّفتُ من أعمامِي العُربِ أربعا
 وإن أوجعتني من أعادي شِيَّةً لقيتُ من الأحباب أدى وأوجعا
 ولو قد رجوت الله لا ربَّ غيره رجعتُ الى أعلَى ، وأملتُ أوسعا (١)
 لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القُشوعَ تقنعا (٢)
 وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله ولكن يربِّي الناسُ أمرا موقعا (٣)
 تكَرَّ سيفُ الدين لما عتبتُه وعرضَ بي تحت الكلام وقسما
 فقلوا له : يا صادق الود إنني جعلتُك بما رأيَني منك مفسزا
 ولو أنني أكننتُه في جسواني لأورق ما بين الضلوع وقسما
 فلا تغترَّ بالناس ؛ ما كلُّ من ترى أخوك : اذا أوضعت في الأمر أوضعا (٤)
 ولا تتقلدْ ما يروقُ بجماله تقلدْ إذا جرَّبت ما كان أقطعا (٥)
 ولا تقبلنَّ القولَ من كلِّ قائلٍ سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا
 فله إحسانٌ على ونعمة والله صُنِعَ قد كفاني التَّصنعا
 أراني طرَّقَ المكُرمات كما رأى على وأسماني على كل من سعى (٦)
 فان يك بطءُ مرة فلطالما تعجَّلَ بي نحو الجيَلِ فأسرعا

(١) أي أني خبت في رجائي الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت الى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢ و ٣) أي أن أهلي نسوني وقنعوا بغيري ممن لا يغني غنائي مع أن من مضى لا يأتي خلف له يساويه .
 وإنما يعتبر الناس الأمر فيكتفون بغيري عن غيبي .

(٤) أوضع في الأمر : أسرع فيه أو أجرى دابته إجرأ سريعا .

(٥) ولا تتقلد ما يروق الخ : أي لا تتقلد سيفا جميلا المنظر غير قاطع .

(٦) يريد بعلي سيف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجُفُّ في بعض الأمـور فإني لأشكره النعمى التي كانت أودعها
وإن يستجد الناس بعدى فلم يزل . بذلك البديل المستجد ممتعا (١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسرى عاتبه على تباطئه في فكاهه :

وأبطأ عني والمنايا سريعة
وللوقت ظفـر قد أطل وناب
فإن لم يكن ود قريب نعدّه
ولا نسب بين الرجال قـراب (٢)
فأحوط للإسلام ألا يضيعني
ولى عنه فيه حوطة ومناب (٣)
ولكنني راض على كل حالة
ليعلم أى الحالتين صواب
وما زلت أرضى بالقليل محبة
لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلب إبقاء على الود أرضه
وذكرى منى في غيرها وطلاب (٤)
كذلك الوداد المحض : لا يرتجى له
وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع
فكيف وفيما بيننا ملك قبصر
ثواب ، ولا يخشى عليه عقاب
أمر بعد بذل النفس فيما تريده
وفي كل يوم لقية وخطاب
فليتك تحلو ، والحياة مريرة
أثاب بمـر العتب حين أثاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
والبصر حولي زهرة وعباب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وإذا صبح منك الود فالكل حين
والبصر حولي زهرة وعباب
وكل الذى فوق التراب تراب

(١) أى وإن يستجد سيف الدولة قائدا ونصيرا آخر بعدى فإني أدعوه ألا يزال ممتعا به .

(٢) القرباب : المقارب . (٣) أى إذا لم ينقضى للود والنسب فلا أقل من أن يستغنى

للاسلام فإني أحوطه وأنرب عنه في الذود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاء على وده وإلا فإن مجزء ذكرى في أرض غيرها هو منة أهلها وطلبهم .

(٣) أبو العلاء المعري^(١)

قال في الفخر :

أرى العنقاء تكبر أن تضادا فعائد من تطيق له عنادا
وما نهنت عن طلب، ولكن هي الأيام لا تعطى قيادا^(٢)
فلا تلم السوابق والمطايا إذا غرض من الأغراض حادا^(٣)
لعلك أن تشن بها مغارا فتسجح أو تبجشمها طرادا
مقارعة أججتها العوالي مجنبة نواظرها الرقادا^(٤)
قلوم على تبلدها قلوبا تكابد من معيشتها جهادا
إذا ما النار لم تطعم ضراما فأوشك أن تمر بها رمادا
فظن بسائر الإخوان شرا ولا تأمن على سر قوادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري لما طلعت مخافة أن تكادا
تجنبت الأنام، فلا أوتى وزدت عن العدو، فلا أعادى
ولما أن تجهمني مرادى جريت مع الزمان كما أرادا

(١) أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التونخي المعري الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمرعة ودرس على أبيه وأهله صبيا . ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علما في الاشتهار . ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساها . ومكث فيها فلم يطلب له فيها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن كل ذي روح وما يخرج منه . وتشبت بأراء في الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيرا من الشبه في عقيدته . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعرا كثيرا ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة . (٢) نهنت : كفت . (٣) المعنى لا تلم الخليل والإبل أن لم تدرك غرضك فلهلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة . (٤) الأجمة : جمع حجاج وهو العظم الذي فوق العين وعليه الحاجب . أي تكون الراح مقارعة لما فوق أعينها .

وَهَوْنَتْ الْخَطُوبَ عَلَى حَتَّى كَأَنِّي صَرْتُ أَمْنُحُهَا الْوِدَادَا
 أَأُنْكِرُهَا وَمَنْبِتُهَا فِئَادِي وَكَيْفَ تُتَكَّرُ الْأَرْضُ الْقَتَادَا؟ (١)
 فَأَيُّ النَّاسِ أَجْعَلُهُ صَدِيقَا وَأَيُّ الْأَرْضِ أَسْلِكُهُ أَرْتِيَادَا؟
 وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَدَيَّ مَالٌ نَقَّتْ كَفَايَ أَكْثَرُهَا أُنْتَقَادَا
 كَأَنِّي فِي لِسَانِ الدَّهْرِ لَفِظْتُ تَضَمَّنَ مِنْهُ أَغْرَاضًا بِعَادَا
 يُكْرِّرُنِي لِفَهْمَنِي رِجَالٌ كَمَا كَرَّرْتَ مَعْنَى مُسْتَعَادَا
 وَلَوْ أَنِّي حَبِيتُ الْخُلْدَ فَرْدًا لِمَا أَحْبَبْتُ بِالْخُلْدِ أَنْفِرَادَا
 فَلَا هَطَلْتُ عَلَى وَلَا بَارِضِي سَخَابٌ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا (٢)
 وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ أَمْدِي سِيَاقِي دَوِّنَ مَكَانِي السَّبْعَ الشِّدَادَا
 يُوجِّجُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ نَارَا وَيَقْدَحُ فِي تَلْهِبِهَا زِنَادَا (٣)
 وَيَطْعَنُ فِي عُلَايَ، وَإِنْ شِئْتَنِي لَيَأْتِفُ أَنَّ يَكُونَ لَهُ نِجَادَا (٤)
 وَيُظْهِرُ لِي مَوَدَّتَهُ مَقَالَا وَيُبَغِضُنِي ضَمِيرًا وَأَعْتَادَا
 فَلَا وَأَبِيكَ مَا أَخْشَى أُنْتَقَاصَا وَلَا وَأَبِيكَ مَا أَرْجُو أَرْذِيَادَا !
 لِي الشَّرْفُ الَّذِي يَطَّأُ الثَّرِيَا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَرَ الْعِبَادَا
 وَكَمْ عَيْنٍ تُوقِلُ أَنْ تَرَانِي وَتَفْقِدَ عِنْدَ رُؤْيِي السَّوَادَا
 وَلَوْ مَلَأَ السَّمَاءَ عَيْنِيهِ مِنِّي أَبْرَأُ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا (٥)

(١) القتاد : نوع من الشوك . (٢) تنتظم : تغم .

(٣) أى أن من يسابقني ويباريني في المجد لا يدركني بل يكون مثله كمثل من يوجب ناراً يكيد بها

الشمس . (٤) أى شمع نعل ورباطه أشرف من نجاد سيفه .

(٥) السها : نجوم خفية في الدب الأصغر . وليس لها أثر في الخط والتأثير عند المنجمين كما لزحل .

أفل نوائب الأيام وحيدى إذا جمعت كئيبها احتشادا
وقد أثبت رجلى فى ركاب جعلت من الزماع له يدادا (١)
إذا أوطأتها قدتى سهيل فلا سقيت خناصرة العهادا (٢)
كان ظمأهن بنات نعش يردن إذا وردن بنا النهادا (٣)
ستعجب من تغشمرها ليل تبارينا كواكبها سهادا (٤)
كان فاجها فقتت حيبا فصيرت الظلام لها حدادا
وقد كتب الضريب بها سطورا نحتت الأرض لابسة بجادا (٥)
كان الزبرقان بها أسير تجنب لا يفك ولا يفادى (٦)
وبعض الطاعنين كقرن شمس يغيب فإن أضاء الفجر عادا
ولكن الشباب إذا تولى فجهل أن تروم له ارتدادا
وأحسب أن قلبى لو عصانى فعاد ما وجدت له افتقادا

وقال : بمدينة السلام يحيب أبا على النهاوندى محمد بن حمد بن فورجة من

قصيدة بعث بها إليه :

كفى بشحوب أوجهنا دليلا على إزماعنا عنك الرحىلا
أبت صنفًا النواعي من نياق فطير أن تُقيم وأن نقيلا

(١) الزماع : الشجاعة ، والبداد : ما على جانبي السرج من اللبد والمحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .. (٢) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة بلدة بالشام : يقول إذا توجهت تلقاء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى :

(٣) أى كان ركائبي الظماء العطاش مثل بنات نعش فى تفرقها حين ترد النهاد ، وهى المياه القليلة يحفرها حفر صغيرة تحت الرمل فتنبط ماء . (٤) التغشمر : التعسف .

(٥) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض . والبجاد : الكساء

المخطط . (٦) الزبرقان : القمر أى كأن القمر أسرفى هذه الأرض فليس له من فكاك .

تأملنا الزمان فما وجدنا . إلى طيب الحياة به سبيلا
 ذر الدنيا اذا لم تحظ منها . وكن فيها كثيرا أو قليلا
 وأصبح واحد الرجلين : إقاما . مليكا في المعاشرة ، أو أَيْيلا (١)
 ولو جرت النباهة في طريق الـ . مخمول إلى لاخترت الحمولا

* * *
 كلفنا بالعراق ونحن شرح . فلم نلهم به إلا كُهلولا (٢)
 وشارفنا فراق أبي علي . فكانت أعز داهية تُزولا
 سقاه الله أبلج فارسيا . أبت أنوار سؤدده الأفولا (٣)

* * *
 وردنا ماء دجلة خير ماء . وزرنا أشرف الشجر النخيل
 وزلنا بالغليل ، وما آشتفينا . وغاية كل شيء أن يزولا (٤)
 ولو لم ألق غيرك في أغترابي . لكان لقاءك الحظ الجزولا
 ستحمل ناجيات العيس مني . صديقا عن ودايك لن يحولا (٥)
 يؤمل فيك إسعاف الليالي . وينتظر العواقب أن تُديلا (٦)

وقال يفتخر :

أفوق البذر يوضع لي مهاد . أم الجوزاء تحت يدي وِسَادُ
 قنعت نفلت أن النجم دوني . وسيان التقنع والجهاد (٧)

- (١) الأبل : الراهب والزاهد . (٢) شرح : جمع شارخ وهو الشاب كما جمع صاحب على صاحب .
 (٣) أبلج فارسيا : حال من الهاء في سقاه فهما من وصف أبي علي لأنه كان فارسيا الأصل .
 (٤) وزلنا بالغليل : أي وفارقنا ماء دجلة بما بنا من العطش لم نشف غليلنا منه . (٥) ناجيات
 العيس : مسرعات الإبل . (٦) أي ينتظر سعادة الحياة بسببك كما ينبغي أن تكون العواقب خيرا من
 الماضي فتدبل منها أي تغلبها . (٧) أي أن التقنع والجهاد مستويان في أن كلا منهما شديد على النفس .

وأطربني الشبابُ غداةً ولَّى
فليتَ سنيه صوتٌ يُستَعَادُ !
وليسَ صنبًا يُفَادُ وراءَ شيبِ
بأعوزٍ من أخى ثقةٍ يُفَادُ
كأني حيثُ ينشأ الدُّجْنُ تحتي
فها أنا لا أُطْلُ ولا أُجَادُ (١)
رؤيدك أيها العاوي ورائي
لتُخبرني متى نطق الجمادُ
سَفَاهُ ذَادَ عنك الناسَ حِلْمُ
وغى فيه منفعةٌ رَشَادُ
أَنَحُلُ والنباهةُ في لَفْظُ
وألقى الموتَ لم تَخِدِ المطايا
بجأاتي ولم تَجِفِ ألبِيادُ (٢)

وقال في الرثاء :

أَحْسَنُ بِالوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ
صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
ومن أبي في الرُّزْءِ خَيْرَ الْأَسَى
كَانَ بُكَاءُ مُنْتَهَى جُهِدِهِ
فَلْيَذْرِفِ الْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ
إِذَا كَانَ لَمْ يَفْتَحْ عَلَى نَدِّهِ (٣)
وَالشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَاخَهُ
إِلَّا إِذَا قَيْسَ إِلَى ضِدِّهِ
لَوْلَا غَضَى بَنَجْدٍ وَقَلَامُهُ
لَمْ يُشْنِ بِالطَّيِّبِ عَلَى رَنْدِهِ (٤)
لَيْسَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى وَصْلِهِ
مِثْلَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى بَصْدِهِ
وَالطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غُمُضِهِ
وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَى سُهْدِهِ
كَأَنَّ الْأَسَى قَرْضًا لَوْ أَنَّ الرَّدَى
قَالَ لَنَا : آفَدُوهُ فَلَمْ نَقْدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لِلْهُدَى
سَارَ مِنَ التُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ

- (١) أي كَأَنِّي فِي حَرَمَاتِي أَعِيشُ فَوْقَ السَّحَابِ ؛ فَلَا يَنَالُنِي مِنْهُ مَطَرٌ وَلَا طَلٌ .
(٢) لَمْ تَخِدْ : مِنْ الْوَخْدِ وَهُوَ سِرٌّ سَرِيعٌ لِلْأَيْلِ . وَتَجِفُ : مِنَ الْوَجِيفِ وَهُوَ السَّيْرُ السَّرِيعُ لِلْخَيْلِ وَالرَّكَابِ .
(٣) أَمْرٌ بِذَرْفِ الْجَفْنِ بِدُمُوعِهِ عَلَى جَعْفَرٍ مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ قَبْلَ أَنْ الْأَوَّلَى بِالْحَزَنِ الصَّبْرَ وَأَنَّ الْبُكَاءَ لَا يَفِيدُ :
لَأَنَّ مَصَابَ جَعْفَرٍ هَذَا لَيْسَ كَغَيْرِهِ مَنْ يَجْمَلُ فِي حَقِّهِ التَّصْبِيرُ لِأَنَّهُ مَفْقُودُ النَّظِيرِ . وَوَضَحَ ذَلِكَ بِالْبَيْتِ بَعْدَهُ .
(٤) الْغَضَى : شَجَرٌ يَحْتَطِبُ بِهِ قَوَى النَّارِ . وَالْقَلَامُ : مِنْ أَهْشَابِ الْبَادِيَةِ . وَالرَنْدُ : شَجَرٌ طِيبُ الرَّائِحَةِ —
يَعْنِي لَوْلَا مَقَايِصَةُ الرَنْدِ بِالْغَضَى وَالْقَلَامِ لَمْ تَحْمِدِ رَائِحَةُ الرَنْدِ .

فبَاتَ أَذْنَى مِنْ يَدِ بَيْنَنَا كَأَنَّهُ الْكَوْكَبُ فِي بُعْدِهِ
يَا دَهْرُ يَا مُتَجَزِّزَ إِيْعَادِهِ وَتُخَلِّفُ الْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ؟ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرِدْهِ؟
تَسْتَأْسِرُ الْعِقْبَانَ فِي جَوْهَا وَتُزِيلُ الْأَعْصَمَ مِنْ فِنْدِهِ (١)
أَرَى ذَوِي الْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَبِيلُكَ فِي مَدَّةِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْفَتَى نَافِعًا فَفَيْهِ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجْرِبَةُ الدُّنْيَا وَأَفْعَالُهَا حَثَّتْ أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
وَالْقَلْبُ مِنْ أَهْوَاءِهِ عَابِدٌ مَا يَبْعُدُ الْكَافِرُ مِنْ بَدِهِ
إِنِّ زَمَانِي بِرِزَايَاهُ إِلَى صَيَّرَنِي أَمْرُحُ فِي قِيدِهِ
كَأَنَّنَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ أَلْمُولُ عَلَى عِبْدِهِ
أَمْسَ الَّذِي مَرَّ عَلَى قُرْبِهِ يَعِجْزُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ
أَضْحَى الَّذِي أُجِّلَ فِي سِنِّهِ مَثَلُ الَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ
وَلَا يُبَالِي الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ بِذَنِّهِ شُيْعَ أُمِّ جَحْدِهِ
وَالوَاحِدُ الْمُفْرَدُ فِي حَتْفِهِ كَالْحَاشِدِ الْمَكْتَرِ مِنْ حَشْدِهِ
وَحَالَةُ الْبَاكِ لَا بَائِهِ كَحَالَةِ الْبَاكِ عَلَى وَلَدِهِ
مَا رَغْبَةُ الْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى الْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ

(١) الفند : القطعة من الجبل . والأعصم : الوعل وهو مما يسكن الجبال .

١ ومجسده أفعاله لا الذى من قبله كان ولا بعده
 لولا سجاياه وأخلاقه لكان كالمعدوم فى وجوده
 تشاق أيار نفوس الوردى وإنما الشوق الى ورده (١)
 تدعو بطول العمر أفواهنا لين تنهى القلب فى وده
 يسر إن مد بقاء له وكل ما يكره فى مسده
 أفضل ما فى النفس يغتاها فاستعيد الله من جنسه
 وآفة العاشق من طريفه وآفة الصارم من حده
 كم صائن عن قبلة خده سلطت الأرض على خده
 وحامل ثقل الثرى جیده وكان يشكو الضعف من عقده
 ورب ظمان إلى مورد والموت لو يعلم فى ورده
 ومرسيل الغارة مبسوثة من أدهم اللون ومن ورده
 ينحوض بحرا نفعه مأوه يحمله السابح فى لبده (٢)
 أشجع من قلب خطية على طويل الباع ممتده
 يرى وقوع الزرق فى درعه مثل وقوع الزرق فى جلده (٣)

(١) أيار : شهر رومى يظهر فيه الورد يقابل شهر مايو بالفرنجية .

(٢) أى ورب قائد يشن الغارة متفرقة على الأعداء بجيل مختلفة اللون من أدهم وورد ، وينحوض من الحرب بحرا يكون النفع أى الغبار فيه بدل (الماء) ، ويحمله الفرس السابح السريع الجرى على لبده الخ .

(٣) يعنى بصير بالحرب يحجب درعه من زرق الأسته كما يحجب جلده ؛ فلا يصل اليه طعن .

لا يَصِلُ الرُّمْحُ إِلَى طَرَفِهِ وَلَا إِلَى الْمَحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ (١)
يُلْقَى عَلَيْهِ الطَّعْنُ لِقَاءَكَ أَلْ حَسِبَ عَلَى الْمُسْرِعِ فِي عَقْدِهِ (٢)
بَلْحِظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا يَرُدُّ غَرَبَ الْجَيْشِ عَنْ قِصْدِهِ
أَمَهَلَهُ الدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ مَبِيضُهُ يُحْدِى بِمَسْوَدِهِ (٣)
فِي أَخَا الْمَفْقُودِ فِي نَحْسَةٍ كَالشَّهْبِ مَا سَأَلَكَ عَنْ فَقْدِهِ (٤)
جَاءَكَ هَذَا الْحَزَنُ مُسْتَجِدًّا أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا تُجِدِهِ (٥)
سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ ، فَكُلُّ الَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَعْدَمُ الْأَسْمَرُ فِي غَابِهِ خَفَا وَلَا الْأَبْيَضُ فِي غَمْدِهِ
إِنَّ الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تَوْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لَا أُوحِشْتُ دَارَكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَائِبُكَ مِنْ أَسَدِهِ

(١) الطرف : الفرش الكريم . والمحكم المرد : الدرع .

(٢) أى يقصد بالطعن من كل جهة ، فيتوقاه ، ويردّه عن نفسه ، ولا تشغله جهة عن جهة ثم شبه
مرعة قصده بالطعان من كل ناحية بالقاء أعداد الحساب على الحاسب الماهر الذى يحسب بعقد الأصابع
فيخرج النتيجة بسرعة .

(٣) أمهله الخ : خبر عن (ومرسل النارة) . وأودى به : أهلكه . ومبيضه : أى مبيض الدهر يريد به
النهار . ومسوده : يريد به الليل ؛ أى يسير نهاره مسوقا بليله . والمراد ذكر الأيام والليالي وتواليها .

(٤) لأنه مات عن خمسة أولاد . أى فى أولاد أخيك الخمسة مسلاة لك عنه .

(٥) أى جاءك الحزن يستجدى أجرك فى الصبر بالجزع الذى ينفى الأجر فلا تجده بالجزع .

وقال أبو العلاء في اللزوميات :

أَصَاحُ هِيَ الدُّنْيَا تُشَابِهُ مَيِّتَةً وَتَحْنُ حَوَالِيهَا الْكَلَابُ النَّوَاجِ
فَمَنْ ظَلَّ مِنْهَا آكِلًا فَهُوَ خَاسِرٌ وَمَنْ نَعَادَ عَنْهَا سَاغِبًا فَهُوَ رَاجِعٌ (١)
وَمَنْ لَمْ تَبَيَّنْهُ الْخَطُوبُ فَإِنَّهُ سَيَصْبِحُهُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ صَاحِبٌ

وقال :

دُنْيَاكَ دَارٌ إِنْ يَكُنْ شُهَادَهَا عَقْلَاءَ لَمْ يَبْكُوا عَلَى غِيَابِهَا
قَدْ أَظْهَرْتَ نَوْبًا تَزِيدُ عَلَى الْحَصَى عَدَدًا وَكَمْ فِي ضَبْنِهَا وَعِيَابِهَا (٢)
تَفْرِيمُهُمْ بِسُيُوفِهَا وَتَكْبَهُهُمْ بِرِمَاحِهَا وَتَتَلَهُمْ بِصِيَابِهَا (٣)
مَا الظَّافِرُونَ يَمِزُّهَا وَيَسَارِهَا إِلَّا قَرِيبُ الْحَالِ مِنْ خِيَابِهَا

وقال :

قَدْ فَاضَتْ الدُّنْيَا بِأَدْنَائِهَا عَلَى بَرَآيَاهَا وَأَجْنَائِهَا
وَكُلُّ حَيٍّ فَوْقَهَا ظَالِمٌ وَمَا بِهَا أَظْلَمُ مِنْ نَائِهَا

وقال :

نَهَانِي عَقْلِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَطَبَعِي إِلَيْهَا بِالْغَرِيزَةِ جَادِي
وَمَا أَدَامَ الرُّزْءَ تَكْذِيبُ صَادِقٍ عَلَى خُبْرَةٍ مِنَّا وَتَصْدِيقُ كَاذِبٍ

وقال :

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً وَحَقُّ لُبْسِكَاَنِ الْبَرِّيَّةِ أَنْ يَبْكُوا
يُحْطَمُنَا رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادِلُهُ سَبْكُ

(١) الساغب : الجائع . (٢) الضبن : ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة وهي ما يجمع فيه الثياب يريد أن في أحضانها وأسرارها نوابغ تزيد على ما أظهرت .
(٣) تفريهم : تشقههم وتقطعهم ، ويريد بالصياب السهام الصائبة .

وقال :

سَبَّحْ وَصَلِّ وَطُفْ بِمَكَّةَ زَائِرًا سَبْعِينَ لَا سَبْعًا فَلَسْتَ بِنَاسِكَ
جَهْلَ الدِّيَانَةِ مَنْ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ أَطَاعَهُ لَمْ يُلَفْ بِالْمَتَمَاسِكَ

وقال :

لَا ذَنْبَ لِلدُّنْيَا فَكَيْفَ نَلُومُهَا وَاللُّومُ يَلْحُقُنِي وَأَهْلَ نَحَاسِي (١)
عَنْبٌ وَنَحْمَرُ فِي الْإِنَاءِ وَشَارِبٌ فَمَنْ الْمَلُومُ أَعَاصِرُ أَمْ حَاسِي؟

وقال :

لَوْ يَفْهَمُ النَّاسُ لَوْ أَبْنَاؤُهُمْ جُلِبُوا وَبِيعَ بِالْفَلَسِ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَسَدُوا! (٢)
فَوَيْحُهُمْ يَنْسَ مَا رَبُّوا وَمَا حَضَّنُوا فَهِيَ الْخَدِيعَةُ وَالْأَضْغَانُ وَالْحَسَدُ
وَهَكَذَا كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ مُذْ فِطَرُوا فَلَا يَظُنُّ جُهُولٌ أَنَّهُمْ فَسَدُوا

وقال :

مُلُّ الْمَقَامِ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةٍ أَمَرْتُ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أُمَرَاؤُهَا
ظَلَمُوا الرِّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَسَدُوا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا؟

وقال :

يَحْسُنُ مَرَأَى لَيْسَ بِنِي آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَغْدُبُ
مَا فِيهِمْ بُرٌّ وَلَا نَاسِكَ إِلَّا إِلَى تَقَعٍ لَهُ يَجْدِبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ

(١) النجاس وبضم الطبيعة والخليفة والأصل ، يريد بأهل نجاسته جنسه من بني آدم .

(٢) يتنى لوعلم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيدا يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

(٤) كُشَاجِم

قال كُشَاجِم محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافي الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وكان من خدام سيف الدولة .

يشكو الحظ والزمن :

الحمد لله نال الناس حظهم	وأخطأتني مع استحقاتها الرتب
وعاقني عن طلايها أضيبة	يا بى فراقهم الإشفاق والحدب
ولي قواديم لو أنى حذف بها	لأنهضتني ، ولكن أفرحى زغب
وما التعجب لو أنى ظفرت بها	بل في تنكبها اللاواء ، يا عجب ! (١)
فإن يكن أدب من رتبة عوضا	فقد قضى ما عليه العلم والأدب

وقال يهجو عوادة :

جاءت بعبود مثلها ناير	كأنه تنقاة الضفدع
مضطرب الأوتار منقوضها	مستقبح المدفع والمقطع (٢)
يود من يسمع أصواته	لو فقد السمع ، فلم يسمع
وأقبلت تضرب غير الذي	تسمع ، والنغمة لم تتبع (٣)
كأنما قسمة تأليفها	مثلث مختلف الأضلع (٤)

(١) اللاواء : الشدة .

(٢) أى الضرب في ابتدائه وفي انتهائه .

(٣) أى تخطت نغمة بأخرى .

(٤) أى أن حركة يدها بنقر الأوتار لا تنج ما يسمعه ، وما يسمعه ليس من نغمة واحدة متسقة ؛ والأمور الثلاثة مختلفة كأنها مثلث مختلف الأضلاع .

وقال كشاجم أيضا :

جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهَوَى شَفِيعًا ، فلم تَشْفَعِ
وَنَادَيْتُ مُسْتَغِثًا ، فلم تَسْمَعْ
أَتَارِكْتِي مُذْنَفًا أَخَا جَسَدٍ مُوجَع
وَمُغْرِبَتِي وَالْدُمُوعُ عُدَّ أَحْرَقَتْ مَدْمَعِي
أَحِينَ سَلَبْتَ الْفُؤَا دَ بِالنَّظَرِ الْمُطْمِعِ
جَفَوْتُ وَأَقْصَيْتَنِي فَهَلَّا وَقَلْبِي مَعِي !

(٥) أبو الفرج البَغَاءُ^(١)

قال يصف كَتِيبَةً وقائدها :

وَمَوْشِيَّةٌ بِالْبَيْضِ وَالزُّغْفِ وَالْقَنَا
بِعِيْدَةٍ مَا بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ فِي الشَّرَى
مِنْ السَّالِبَاتِ الشَّمْسِ ثَوْبَ ضِيَاءِهَا
يُعَاتِبُ نَشْوَانُ الْقَنَا صَاحِي الظُّبَا
مُحَبَّةَ الْأَعْطَافِ بِالضُّمْرِ الْقُبِّ^(٢)
قَرِيبَةً مَا بَيْنَ الْكَيْهَيْنِ فِي الضَّرْبِ
بِثَوْبٍ تَوَلَّى نَسْجَهُ غَشِيرُ الثَّرْبِ^(٣)
إِذَا آتَقِيَا فِيهَا ، عَلَى قِلَّةِ الشَّرْبِ^(٤)

(١) هو عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالبغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو من يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح في أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٢) الزغف : جمع زغفة ، وهي الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودروع زغف أيضا . شبه الكتيبة وما في وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى مخبر الحواشي . (٣) العشير : الغبار .

(٤) أي تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء . لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتها .

أَعَادَتْ عَلَيْنَا اللَّيْلَ بِالنَّقْعِ فِي الضُّحَى وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الصُّبْحَ فِي اللَّيْلِ بِالشَّهْبِ
تَبْلُجُ عَنْ شَمْسِي نِزَارٍ وَيَعْرُبُ وَتَفْتَرُّ عَنْ طَوْدِي عِلَا تَغْلِبُ الْغُلْبُ (١)
مَوْقِرَةٌ يَقْتَادُ نِيَّ زِمَامِهَا بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ الْكَرْهَةِ فِي الْحَرْبِ
أَصْحَ اعْتَرَامًا مِنْ خَوَّوِنٍ عَلَى قَلِي وَأَنْفَذُ حُكْمًا مِنْ غَرَامٍ عَلَى صَبِّ

(٦) عبد المحسن الصوري (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣):

وَأَيْحَ مَسْبَهُ نُزُولِي بِقَرْحٍ مَثَلًا مَسْنِيٍّ مِنَ الْجُوعِ قَرْحُ
قِيلَ لِي : إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَالْفَتَى يُعْتَرِيهِ بُخْلٌ وَشَحُّ
بِتُّ ضَافًا لَهُ كَمَا حَكَّمَ الدَّهْدُ رَ ، وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحَرْقِ قُبْحُ
قَالَ لِي إِذْ نَزَلْتُ ، وَهُوَ مِنَ السَّكْدِ رَةٍ وَالْهَمُّ طَافُحٌ لَيْسَ يَصْبَحُو :
لَمْ تَعْرِبْتَ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ هُ ، وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحُ :
سَافِرُوا تَغْنَمُوا . فَقَالَ : وَقَدْ قَا لَ تَمَامَ الْحَدِيثِ : صُومُوا تَصِحُّوا

(١) أى اجتمع فيها الزاربون والقحطانيون من العرب وتغلب وهي قبيلة سيف الدولة تسمى تغلب الغلباء لشجاعتهما وتجمع الغلباء على الغلب :

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام شاعر مجيد وصاف متغزل مات

سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

(٧) تميم بن المعز الفاطمي العبيدي^(١)

قال يصف فتارة في بستان :

وقاذفة بالماء في وسط برصكة
قد التحفت ظلاماً من الأيك سجسجا^(٢)
إذا أنثقت بالماء سلته منصلاً
وعاد عليها ذلك النصل هودجا
تُحاول إدراك النجوم بقذفها
كأن لها قلباً على الجو محرجاً

وقال أيضاً في الفخر :

ألقى الكبي فلا أخاف لقاءه
وأكر في صدر الخميس معانقاً
ويزيدني كل الخطوب تعظماً
وتسلط الأيام عن مكان
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
ذرعاً بأيامى وغدير زمانى
وكما يمل الدهر من إعطائه
فكذا ملأته من الحرمان
وكما يمر لمعشر بسعادة
فكذا يكر لمعشر بهوان
فاذا رماك شدة فأصبر لها
فلسوف يأتى بعدها بليان
وسل الليالى عن نفاذ عزيمتى
وسل الحوادث عن ثبات جنانى
تُخيرك عنى أننى لم ألقها
بين العزائم وأهنت الأركان
أصبحت لا أشتاق إلا للنعدى
أيضاً ولا أهوى سوى الإحسان
واذا السيوف قطعن كل ضريبة
قطع السيوف القاطعات لسانى

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة لم يكن ولي عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق ركان في الفاطميين كاهن المعتز في بني العباس توفي سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذى لا حرقه ولا بره .

وقال في الغزل :

شُبِّهَتْهَا بِالْبَدْرِ فَاسْتَضَحَّتْ وَقَابَلَتْ قَوْلِي بِالنُّجُورِ
وَسَفَّهَتْ قَوْلِي، وَقَالَتْ : مَتَى سَمَّجْتُ ؟ حَتَّى صِرْتُ كَالْبَدْرِ !
وَالْبَدْرُ لَا يَرْنُو بَعِينَ كَمَا أَرْنُو، وَلَا يَنْسِيمُ عَنْ نَفْسِ
وَلَا يُسَيِّطُ الْمِرْطُ عَنْ نَاهِدٍ وَلَا يَنْشُدُ الْعِقْدَ فِي تَحْرِ
مَنْ قَاسَ بِالْبَدْرِ صِفَاتِي فَلَا زَالَ أَسِيرًا فِي يَدَيَّ هَجْرِي !

(٨) أَبُو الْحَسَنِ التَّهَامِيُّ^(١)

قال يرثى ابنا له صغيرا :

حُكِّمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَارِ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارُ قَسَارِ
يُنَا يُرَى الْإِنْسَانُ فِيهَا نُحْبَرًا حَتَّى يُرَى خَبْرًا مِنْ الْأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدِيرٍ، وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلَّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَدْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ^(٢)
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالُ سَارِ
وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ مُنْقَادَةٌ بِأَزْمَةِ الْقَدَارِ
فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ مَسْفُورٌ مِنَ الْأَسْفَارِ

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد التهامي . أصله من بلاد العرب من تهامة . وجاب الأقطار وطوف البلاد وودح الرؤساء في الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوسا إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وبجّوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدوي واشتهرت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهار صاحبها . (٢) الشفير : حافة الشيء وطرفه . والهار : المهار أي فانما تبني الرجاء على حافة كذيب منهار فلا يستقر بناء أي لا يتحقق رجاء .

وترا كضوا خيل الشباب، وحاذروا
فالدهر يُخدع بالمني، ويُفص إن
ليس الزمان وإن حرصت مسالما
أن تسترد فإنهين عوار^(١)
هني، ويهدم ما بنى بيوار
خلق الزمان عداوة الأحرار



يا كوكبا ما كان أقصر عمره
وكذاك عمر كواكب الأسفار^(٢)
وهلال أيام مضي لم يستدر
بدرا، ولم يمهّل لوقت سرار^(٣)
عجل الحسوف عليه قبل أوانه
فماه قبل مظنة الإبدار
وأسئل من أثابه ولداته
كالمقلة آستلت من الأشفار^(٤)
فكان قلبي قسبره، وكأنه
في طيه سر من الأسرار
إن يُحتقر صغرا قرب مفتخ
يبدو ضئيل الشخص للنظار
إت الكواكب في علو محلها
لترى صغارا وهي غير صغار
ولد المعزى بعضه، فاذا آنقضى
بعض الفتى فالكل في الآثار
أبكيه، ثم أقول معتذرا له :
وقفت حين تركت الأم دار^(٥)
جاورت أعدائي، وجاور ربه
شأن بين جواره وجواري

(١) وترا كضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فانه مارية .

(٢) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك ،

قصيرة مدة الظهور لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فتسبب ضوؤها .

(٣) استدارة البدر فى وسط الشهر وسراره : أى خفاؤه بجملة يكون فى آخر ليلة من الشهر وهى التى يظهر

بعدها الهلال الجديد .

(٤) الأتراب واللدات : من يولدون فى زمن ميلاد الرجل ويحيون فى حياته .

(٥) يريد بالدار هنا الدنيا .

أشكو بَعَادَكَ لِي، وَأَنْتَ بِمَوْضِعٍ لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتَ فِيهِ سِرَارِي
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْخَمْسَةِ الْأَشْبَارِ
هِيَهَاتَ قَدْ عَلِقَتْكَ أَشْرَاكَ الرَّدَى وَاعْتَاقَ عَمْرَكَ عَائِقُ الْأَعْمَارِ
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِفَسَايَةٍ فَلَبَغَتْهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
أُخْفِي مِنَ الْبَرْحَاءِ نَارًا مِثْلَهَا يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّيَادُ الْوَارِي (١)
وَأُخْفِضُ الزُّفْرَاتِ، وَهِيَ ضَوَاعِدُ وَأُكْفِكُ الْعَبْرَاتِ، وَهِيَ جَوَارِي
وَشِهَابُ زَنْدِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ وَارٍ، وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مُتَوَارِي
وَأُكُفُّ نِيرَانَ الْأَسَى، وَلَرُبَّمَا غَلَبَ التَّصَبُّرُ، فَارْتَمَيْتُ بِشَرَارِ
ثَوْبُ الرِّبَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا أَلْتَحَفْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِ

(٩) عُمَارَةُ الْيَمْنَى (٢)

وَقَالَ عِمَارَةُ الْيَمْنَى يَصِفُ دَارًا بَنَاهَا فَارِسُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَيْبَاتِ : (٣)

فَتَمَلَّ دَارًا شَيْدَتْهَا هِمَّةٌ يَغْدُو الْعَسِيرُ بِأَمْرِهَا مُتَيَسِّرًا
فَاقَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ كُلَّ بَنِيَّةٍ وَسَمَتْ بِسَعِيدِكَ عِزَّةً وَتَكْبَرًا

(١) البرحاء : الحزن المبرح . والواري : المتقد بالنار .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة بن علي الحكيم من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدياً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفاطمي ، فأعجبته مصر ، فأقام بها ، وأكرمه خلفاؤها وملوكها . فلما أباد صلاح الدين الأيوبي ملك الفاطميين من مصر دبر عمارة مع كثير من شيعة الفاطميين المكاييد لإعادة دولتهم . واطلع صلاح الدين على جلية أمرهم فصلبهم . وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ . وله شعر رقيق ، وقصائد في مدح الخلفاء والوزراء . وروى دولة الفاطميين بعدة قصائد . (٣) هو الملك الصالح طلائع بن رزّيك الأرميني الأصل . كان وزير الخليفة الفاطمي ، وعظم أمره في مصر ، ومدحه الشعراء . ومات سنة ٥٥٦ هـ .

أَنشَأَتْ فِيهَا لِلْعُيُونِ بِدَائِعًا دَقَّتْ فَأَذْهَلَ حَسْنُهَا مَنْ أَبْصَرَا
 فَمَنْ الرِّخَامِ : مُسِيرًا وَمُسَهَّمًا وَمُنَمَّنًا وَمُدْرَهَمًا وَمُذْنَرًا
 وَسَقَيْتَ مِنْ ذَوْبِ النُّضَارِ سُقُوفَهَا حَتَّى يَكَادَ نُضَارُهَا أَنْ يَقْطُرَا
 لَمْ يَبْقَ تَوْعٌ صَامِتٌ أَوْ نَاطِقٌ إِلَّا غَدَا فِيهَا الْجَمِيعُ مُصَوَّرَا
 فِيهَا حَدَائِقُ لَمْ تَجْذِهَا دِيمَةٌ كَلَّا وَلَا نَبَتَتْ عَلَى وَجْهِ الشَّرَى
 لَمْ يَبْدُ فِيهَا الرُّوضُ إِلَّا مُزْهِرًا وَالنَّخْلُ وَالرُّمَانُ إِلَّا مُثْمَرَا
 وَالطَّيْرُ مَذْوَغَةٌ عَلَى أَغْصَانِهَا وَثِمَارِهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْقُرَا
 وَبِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كُلِّ مُشَبَّهٍ لَيْسَ الْحَرِيرُ الْعَبْقَرِيُّ مُصَوَّرَا
 لَا تَقْدَمُ الْأَبْصَارُ بَيْنَ مُرُوجِهَا لَيْثًا وَلَا ظَبْيًا بَوْجَرَةَ أَعْفَرَا (١)
 أَلَيْسَتْ نَوَافِرُ وَحْشِهَا لِسَاعِهَا فَظَبَاؤُهَا لَا تَنْتَقِي أَسَدَ الشَّرَى (٢)
 وَكَأَنَّ صَوْلَتَكَ الْخَيْفَةَ أَمَنْتَ أَسْرَابَهَا أَلَّا تَخَافَ فَتُدْعَرَا
 وَبِهَا زَرَافَاتٌ كَأَنَّ رِقَابَهَا فِي الطُّولِ أَلْوِيَةٌ تُؤْمِ الْعَسْكَرَا
 نَوْبِيَّةُ الْمُنْشَا تُرِيكَ مِنَ الْمَهَا رَوَقًا، وَمِنْ تَزْلِ الْمَهَارِي مِشْفَرَا (٣)
 جُبِلَتْ عَلَى الْإِقْعَاءِ مِنْ أَعْجَازِهَا فَتَخَالُهَا فِي التَّيِّهِ تَمْشِي الْقَهْقَرَى

(١) وجرة اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة نسكته الوحش من الظباء والبقر وغيرها .

(٢) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٣) الروق : القرن . والمهاري : جمع مهريه وهي الناقة المنسوبة الى بلاد مهرة شرق حضرموت .

أى أنها أشبهت بقرو الوحش في القرون وأشبهت الإبل في المتناثر .

(١٠) القاضي الفاضل^(١)

قال من قصيدة نمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعاني مفتخرًا :

قَضَى نَحْبَهُ الصَّوْمُ بَعْدَ الْمَطَالِ	وَأُطْلِقَ مِنْ قَيْدِ قَيْدِ الْهَلَالِ ^(٢)
وَرَوْضَ كَاتِبَ جَنِّي الْيَمِينِ	وَأَتَعَبَ كَاتِبَ جَنِّي الشِّمَالِ ^(٣)
فَدَغَ ضَيْقَهُ مِثْلَ شَدِّ الْإِسَارِ	إِلَى فُرْجَةٍ مِثْلِ حَلِّ الْعِقَالِ
وَقُمُّ هَاتِيهَا مِثْلَ ذَوْبِ النَّضَارِ	وَمَوْجِ الْبَحَارِ وَطَعْمِ الزَّلَالِ ^(٤)
بَحَرَى اللَّهُ عَنِّي عَرُوسَ الدَّوَالِي	وَلَا أَخْطَأْتُهَا كُثُوسَ الْعَزَالِي ^(٥)
بِمَا أَطْعَمْتُ مِنْ لَذِيذِ الثَّمَارِ	وَمَا أَلْبَسْتُ مِنْ نَسِيجِ الظَّلَالِ
وَمَا سَلَسَلْتُ مِنْ مُذَابِ السُّرُورِ	وَمَا خَفَضْتُ مِنْ جَمَاحِ التَّغَالِي
فَكَمْ زُحِرَفَتْ جَنَّةٌ لِلْعَذَابِ	وَكَمْ رَفَعَتْ قَبَسًا لِلضَّلَالِ

(١) هو عبد الرحيم بن علي البيهقي النخعي . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث أُمّ بالعريضة والأدب . ثم كتب في الاسكندرية ودار بها ثم ظهر فضله فنقل الى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ورزق بعده لابنه العزيز وتوفي سنة ٥٩٦ هـ وله ديوان شعر لم يطبع .

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيدا باهلال هلال شوال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتي عن يميني ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيناتي عن يساري لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسينات شوال وما يليه ستكون في العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أي هات الخمرة في لون الذهب مزينة كوج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالي : عنب أسود غير حالك ؛ يدعو لكثرة هذا العنب . والعزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة ونحوهما . يريد بها عزالي السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظلمهم بعرائشها الخ .

أَغَالِطُ بِالكَأْسِ حُكْمَ الزَّمَانِ فَيَسُومُ عَلَيَّ وَيَسُومُ بِمَا لِي (١)
 بَغَاءَتِ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ وَمَرَّتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ (٢)
 وَأَسْأَلُو الْغَزَالَ بِهَا إِذَا أَرَى بِكَاسَاتِهَا دَمَ ذَلِكَ الْغَزَالِ

* * *

وَسُكْرَانٌ كَرَّرَ مِنْ سُكْرِهِ زَمَانٌ عَلَيَّ كُلِّ عَقْلٍ مُمَالٍ
 فَسُكْرُ الشَّبَابِ وَسُكْرُ الشَّرَابِ وَسُكْرُ الصَّدُودِ وَسُكْرُ الْوِصَالِ
 فَلَا تَذَكَّرَنَّ عُهُودَ الْوِصَالِ فَعَهْدِي بِهَا وَاللَّيَالِي لِيَالِي
 وَلَمْ أَبْكِ عَهْدًا رَجَاءَ الرُّجُوعِ وَلَكِنْ أَجْدَدُهُ بِالصَّقَالِ (٣)
 بَعَثْتُ اللَّيَالِي بِبَاسٍ جَدِيدٍ عَلَيَّ قَدِيمًا بِفَاسَتْ خِلَالِي (٤)
 فَمَا جَاءَ عَنْ مَنْطِقِي ذَمُّ جَانٍ وَلَا جَاءَ عَنْ جَوْهَرِي ذَمُّ حَالِي (٥)
 وَلَمْ أَسْتِغِثْ تَحْتَ ظِلِّ الْخُطُوبِ بِحَرْجَةِ الْبُزْلِ تَحْتَ الرِّحَالِ (٦)
 خَشِنْتُ لِحَالِ كَشُوكِ الْقَتَادِ وَلِئْتُ لِأُخْرَى كَشُوكِ السِّيَالِ

(١) أي ويوم يأتي بما هولي أي بفائدة لي .

(٢) بغامت الكأس بما في عيون النساء من التكسر والفتور . ومرة الخ . أي وذهبت بما في رؤوس الرجال من العقل .

(٣) أي ولم أبك عهدا من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنني أصقله بعد ما قدم بوصفي له وبكائي عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثت على العهود المتقدمة وإما على رأي من يلحق علامة الجمع بالفعل عن إسناده للجمع الظاهر .

(٥) أي أني لا أدم أخذا جانبا كان أو حاليا بالفصيلة .

(٦) البزل : البطل المسته . أي لا أصبح بحرجة البزل .

وَلَسْتُ لِسَانًا لِّذُلِّ السُّؤَالِ وَمَا زِلْتُ صَدْرًا لِّعِزِّ السُّؤَالِ (١)
حَدِيثٌ يُنَاجِي فُرُوعَ السَّحَابِ وَأَصْلٌ يُنَاجِي أَصُولَ الْجِبَالِ

(٢)
(١١) ابْنُ قَلَاقِسْ

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سَافِرٌ إِذَا مَا شِئْتَ قَدْرًا سَارَ الْهِلَالُ فَصَارَ بَدْرًا
وَالْمَاءُ يَكْسِبُ مَا جَرَى طَيْبًا، وَيَنْجُبُ مَا اسْتَقْرَأَ
وَبُنْقَلَةُ الدَّرَرِ النَّدَى يَتَبَدَّلُتْ بِالْبَحْرِ تَحْرَأَ
وَصَلًّا إِذَا امْتَلَأَتْ يَدَا لَكِ فَإِنْ هُمَا خَلَّتَا فَهَجْرَا (٣)
فَالْبَسْدُ أَنْفَقَ نَوْرَهُ لَمَّا بَدَأَ ثُمَّ اسْتَسْرَأَ
حَرَكَاتِ عَيْسِكَ مَا أَرَدَ تَ مِهَادَ عَيْشِكَ أَنْ تَقْرَأَ (٤)
فَالْمَهْدُ أَسْكَنُ لِلصَّبِّ مَيِّتٌ بِحَيْثُ جَاءَ بِهِ وَمَرًّا
إِنَّمَا تَرَيْنِي شَاخِبَ آلِ وَجَنَاتٍ قَدْ أُلْبِسْتُ طُمْرًا

(١) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألوننى .

(٢) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمي الاسكندري الملقب بالقاضي الأعز . كان شاعرا مجيدا رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءهما كما مدح أعيان دولة الفاطميين . ثم ذهب الى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب . وكان مرمى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم (الأحمر) الى الجازسة ٥٦٥ هـ .

(٣) وصلا اذا : أى صل وصلا .

(٤) حركات : أى اعمل حركة لعيسك اذا اردت قرارا لعيشك أى أن الغنى بالسعى وإنما يسكن

الصبي في مهده إذا اهتز وجاء به الى ناحية ومرا إلى أخرى .

فوقائعُ آلايام تُخْ رِجُ أهلها شُعْناً وَغُبرا
مدَّتْ إلى الأربعو ن يداً، وقد قهقرتُ عَشْرا
واستحدثتُ في لِيَّتِي نُقْطاً . فهَسَلًا كُنَّ حَبْراً !
ما قلتُ : أَفَّ ! فإنها شَرَّ بِأَفٍّ يعودُ جَمْراً
وكفاكَ أني ابنُ نظر تُ لها نظرتُ النجمَ ظَهْراً (١)
كان الشبابُ الغضُّ لي لَمَّا فاستنار الشيبُ بَخْراً
وَأَنْتَ تَقْلِبُ بي الزما نُ كما اشتهى بَطْناً وظَهْراً
فما قلتُ صروقه وقتلته جَلْدًا وَخَبْراً
غاض الوفاءُ ، وفاض ما ءُ الغَدْرِ أَنهارًا وَغُدْراً
فَأَنْظُرْ بعينك هل ترى عُرْفا وليس تراه نُكْراً ؟
خُلِقَ جَرَى مِنْ آدَمَ في نَسْلِهِ ، وهَلُمَّ جَرًّا
ومُرُوعِي بِالْبَحْرِ يَحْ سَبُّ أَنِّي أرتاعُ بِحْراً
أو ما دَرَى أني بِنْتُ حيلِ المصاعِبِ منه أَدْرَى

وقال مرتجلاً :

ولمَّا بَدَأَ رَكْبُ السحابِ تَسوقُهُ حُدَاةُ الرياحِ الهُوجِ وهي تُرْمِجُ
رَكْنْتُ لَبِيتُ أَسْتَجِنُ مِنَ الحَيَا به ، وإذا غِيثٌ مِنَ السَّقَفِ يَقْطُرُ
فلا فَرَّقَ ما بين السحابِ وبينه سوى أن ذا صافٍ ، وذاك مُكْدَرُ

(١) أي إن نظرت إلى الشعرات البيضاء في لتي أسودت الدنيا في عيني وكأنني أنظر النجوم في الظهر

ما خوذ من المثل العامي « يريه النجوم في الظهر » .

وقال :

وسمهم فؤارة اذا انبعثت عاودت الجوى يجتدى أرضه
كانها خيمة مكحلة عمودها من سبائك الفضة

وقال :

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة وأعجب لما بعدها من حمرة الشفق
غابت ، وأبدت شعاعا منه يخلفها ، كأنها احترقت بالماء في الفرق !
وللهلال ، فهل وفى لينقذها في إثرها زورقا قد صيغ من ورق ؟

(١٢) ابن النبيه المصرى^(١)

قال :

الناس ليلوت بكيّل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والله لا يدعو الى داره إلا من استصلح من ذى العباد
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد
والمرء كالظل ، ولا بد أن يزول ذاك الظل بعد امتداد
لا تصلح الأرواح إلا اذا سرى الى الأجساد هذا الفساد
أرغمت يا موت أنوف القنا ودست أعناق السيوف الحداد

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة وأدعى^(٢)

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب شعر رقيق وغزل بديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمين . توفى بتصيين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٢) الظلم بريق نقر الأسنان وحسنه .

يأيها الوجهُ الجميلُ تداركِ الصبر
هل في فؤادكِ رحمةٌ لمُتيم
هل من سبيلٍ أن أبثَّ صبايتي
إني لأستحيي كما عودتني
ير الجميلُ فقد عفاً وتضعضُما
ضمتُ جوانحكِ فؤاداً مُوجعاً؟
أو أشبكتي بلوأي أو أتوجعاً؟
يسوى رضاكِ إليك أن أتشفعاً

وقال يمدح الملك الأشرف من بنى أيوب من ملوك الجزيرة :

من سحر عينيك الأمان الأمان
أسمرك كالريح له مُقْلَةٌ
يزداد إن أشكو له قسوةً
ساقٍ سبها رضوانٌ عن حفظه
بدرٌ وكأسُ الراح شمسُ الضحا
توقدت بحمرة لآلئها
بخدّه أو طرفة أو جنى
يا لائمي دغني فإني فتى
لا تسأل العاشق عن حاله
لولا دموعي والضنى لم أُنج
أعزني موسى ولولا هوى
الملك الأشرف شاهُ أرمن
قتلت ربّ السيف والطيلسان (١)
لو لم تكن كلاءً كانت سنان
ولو شكوت الحب للصخر لان
فقر من جملة حور الجنان
لله ما أسعد هذا القِران !
كأنها بهرام أو بهرمان (٢)
لما سُكِرَى لا بينت البدان
ما ترك الحب يحسى مكان
قدمه عن سرّه ترجمان
قد ينطق المرء بغير اللسان
معدّبي ما ذقت طعم الهوان
مظفر الدين كريم الزمان

(١) أي الجندي والعالم .

(٢) بهرام : اسم المربخ بالفارسية ولونه أحر . والهرمان : نوع أحر من الياقوت .

* * *

مولاي جُدْ وانعم وِصلْ واقتدرْ وافتك فما تفرحُ أمَّ الجبان
واركب جوادَ الدهرِ واسبقِ الى ما تشتهيهِ قد ملكتِ العنان
دُسمتُ نبيَّ أيوبَ في نعمةٍ تجوزُ في التخليدِ حدَّ الزمان
والله ما زِلتمْ ملوكَ الورى شرقا وغربا ، وعلى الضَّمان !

(١٣) ابن مطروح :^(١)

وما أنسَ لا أنسَ المليحةَ إذ بدتْ دجى فأضاءَ الأفقُ من كلِّ موضع
محدثتُ نفسي أنها الشمسُ أشرقتْ وأنى قد أوتيتُ آيةَ يوشع
وقال : يامن ابستُ عليه أثوابَ الضنى صفراً موشعةً يجمرِ الأدمع
أدركُ بقيةَ مهجَةٍ لو لم تدبْ أسفا عليك تفتيها عن أضلعي
وقال : ملكُ المِلاجِ ترى العيو ن عليه دائرة يطق^(٢)
ونحيم بين الضلو ع وفي الفؤادِ له سبق^(٣)

(١٤) البهاء زهير :^(٤)

ليت شعري هل زمانى بعد ذا البخلِ يجودُ؟
ما أرى الشدة إلا كلما مَرَّتْ تزيدُ

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسيروط ، ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة . وكان زميلاً للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) والبطى : كلمة تركية ، وهى جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه . والسبق خيمة الملك .

(٤) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، فنشأ بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فرأس عنده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

ينقضي يومٌ فيومٍ في حديثٍ لا يُفِيدُ
فمَنى اليومُ الذي أبى بلغ فيه ما أريدُ ؟

وقال :

مولاي كن لي وحدى فإنتى لك وحدك .
وكن بقلبك عندي فان قلبي عندك
لي فيك قصدٌ جميلٌ لا خيبَ الله قصدك
حاشاك تُؤثرُ بعدي فلستُ أؤثرُ بعدك
إن تنسَ عهدي فإني والله لم أنسَ عهدك
أضعتُ ودَّ حُبِّ ما زال يحفظُ ودَّك
مولاي إن غبتَ عني واسوءَ حالي بعدك !

وقال :

يعاهدني : لا خائني ! ثم ينكثُ وأحلفُ لا كلمته ! ثم أحنثُ
وذلك دأبي لا يزالُ ودأبه فيا معشرَ الناسِ اسمعوا وتحدثوا
أقول له : صلي ! يقول : نعم غدا ! ويكسرُ جفنًا هازئًا بي ويعبتُ !
وماضٍ بعضُ الناسِ لو كان زارني ؟ وكنا خلونا ساعةً نتحدثُ
أمولاي ، إني في هوالِكَ معذبٌ ! وحنامُ أبي في العذابِ وأمكثُ ؟
نخذمةً رُوحى تُرخني ، ولم أكن أموتُ مراراً في النهارِ ، وأبعثُ
وإني لهذا الضيمِ منك لحاملٌ ومتبظراً لطفاً من الله يتحدثُ !

أَعِيدُكَ مِنْ هَذَا الْخَفَاءِ الَّذِي بَدَا خَلَّاتُكَ الْحُسْنَى أَرْقُ وَأَدَمْتُ
تَرَدَّدَ ظَنُّ النَّاسِ فِينَا وَكَثُرُوا أَقَاوِيلَ : مِنْهَا مَا يَطِيبُ ، وَمِنْجُبْتُ
وَقَدْ كَرُمْتُ فِي الْحُبِّ مِنْ شِمَائِلِ وَيَسَالُ عَنِّي مَنْ أَرَادَ وَيَحْتِ !

وقال وتلاعب بالتورية والطباق ومراعاة النظير :

غَيْرِي عَلَى السَّلْوَانِ قَادِرٌ وَسِوَايَ فِي الْعُشَاقِ غَادِرٌ
لِي فِي الْغَرَامِ سَرِيرَةٌ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ
وَمَشْيِهِ بِالْفُضْصِ قَدْ جِي لَا يَزَالُ عَلَيْهِ طَائِرٌ
حُلُوُ الْحَدِيثِ ، وَإِنَّهَا لِحَلَاوَةٌ شَقَّتْ مَرَارِ
أَشْكُو وَاشْكُرْ فَعَلَهُ فَاعْجَبْ لَشَاكِ مِنْهُ شَاكِرُ !
لَا تُتَكْرَرُ خَفَقَاتُ قَدْ جِي ، وَالْحَيِيبُ لَدَيَّ حَاضِرُ
مَا الْقَلْبُ إِلَّا دَائِرُهُ ضَرِبَتْ لَهُ فِيهَا الْبَشَائِرُ
يَا تَارِكِي فِي حُبِّهِ مَثَلًا مِنَ الْأَمْثَالِ سَائِرُ
أَبَدًا حَدِيثِي لَيْسَ بَالُ مَمْنُوسُخٍ إِلَّا فِي الدَّفَائِرِ
يَا لَيْلُ مَا لَكَ آخِرُ يُرْجَى وَلَا لِلشُّوقِ آخِرُ
يَا لَيْلُ طُلُ ، يَا شَوْقُ دُمُ ، إِنِّي عَلَى الْحَالَيْنِ صَابِرُ
لِي فِيكَ أَجْرٌ مُجَاهِدُ إِنْ صَحَّ أَنَّ اللَّيْلَ كَافِرُ (١)
طَرَفِي وَطَرَفُ النَّجْمِ فِيهِ لَكَ كَلَاهِمَا سَاهٍ وَسَاهِرُ

(١) كافر من الكفر الحقيق الذي هو ضد الإيمان لمناسبة ذكر المجاهد .

يَهْنِيكَ بِدُرُكٍ حَاضِرٍ بِأَلَيْتَ بِدُرَى كَانَ حَاضِرٍ
حَتَّى يَبِينَ لِنَاطِرِي مِنْ مِنْهُمَا زَاهٍ وَزَاهِرٍ
بِدُرَى أَرْقُ مُحَاسِنَا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرٍ (١)

وقال :

تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْقَى أَنَا الَّذِي مِتُّ حَقًّا
حَاشَاكَ يَا نَوْرَ عَيْنِي تَلَقَى الَّذِي أَنَا أَلْقَى
قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنِّي وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى !
وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ مَوْتِي وَبَيْنَ هَجْرِكَ فَرْقًا
يَا أَنْعَمَ النَّاسَ قُلُوبِي إِلَى مَتَى فِيكَ أَشَقِي ؟
سَمِعْتُ عَنْكَ حَدِيثًا يَا رَبِّ لَا كَانَ صِدْقًا !
حَاشَاكَ تَقْضُ عَهْدِي وَعُصْرَوْتِي فِيكَ وَثَقِي
فَمَا عَهْدُكَ إِلَّا مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ خُلُقًا
يَا أَلْفَ مَوْلَايَ أَهْلًا ! يَا أَلْفَ مَوْلَايَ رِفْقًا !
لَكَ الْحَيَاةُ فَإِنِّي أَمُوتُ لَا شَكَّ عِشْقًا
لَمْ يَبْقَ مِنِّي إِلَّا بِقِيَسُهُ لَيْسَ تَبْنِي

وقال يصف ويهجو :

لَكَ يَا صَدِيقِي بَغْلَةٌ لَيْسَتْ تُسَاوِي نَحْرَدَلَه
تَمْشِي فَتَحْسِبُهَا الْعُيُوبَ نُنْ عَلَى الطَّرِيقِ مُشْكَلَه (٢)
وَنُحَالٌ مُبْدِرَةٌ إِذَا مَا أَقْبَلْتُ مُسْتَعْجَلَه
مَقْدَارُ خُطُوتِهَا الطَّوِيلَ مِلَّةٌ حَيْثُ تُسْرِعُ، أَعْمَلَه

(١) في الفرق تورية : في فرق الشعر أو فرق ما بين الأمرين . (٢) أي مقيدة بشكل .

تَهْتَرُ، وَهِيَ مَكَانُهَا، فَكَأَنَّمَا هِيَ زَلْزَلَةٌ
أَشْبَهَتْهَا، بَلْ أَشْبَهَتْكَ كَأَنَّ بَيْنَكُمَا صِلَةً
تَحْكِي صِفَاتِكَ فِي الثَّقَا لَةَ وَالْمَهَانَةَ وَالْبَلَةَ

وقال في أرض الوطن : مصر العزيرة :

سَقَى وَادِيًا بَيْنَ الْعَرِيشِ وَبَرْقَةٍ
وَحَيَا النِّسِيمُ الرُّطْبُ عَنْهُ إِذَا مَرَى
بِلَادُ مَنْ مَاجَتْهَا جَنَّتْ جَنَّةً
عَمَّ لِي الْأَشْوَاقُ أَنَّ تُرَابَهَا
فِيَا سَاكِنِي مِصْرَ تُرَاكُمُ عَلِيمٌ
وَمَا فِي فِؤَادِي مَوْضِعٌ لِسَوَاكُمُ
عَسَى اللَّهُ يَطْوِي شُقَّةَ الْبُعْدِ بَيْنَنَا
عَلَى لَذَائِكَ الْيَوْمِ صَوْمٌ نَذَرْتُهُ
مِنَ الْغَيْثِ هَطَّالُ الشَّائِبِ هَبَانُ
هَذَاكَ أَوْطَانَا إِذَا قَبِلَ أَوْطَانُ
لَعِينِكَ مِنْهَا كُلُّ مَا شِئْتَ رِضْوَانُ
وَحَصْبَاءُهَا مِسْكٌ يَفُوحُ وَعِقْبَانُ
بَانِي مَا لِي عَنْكُمْ الدَّهْرَ سُلُوانُ؟
وَمِنْ أَيْنَ فِيهِ؟ وَهَوَّ بِالشُّوقِ مَلَانُ
قَهْدًا أَحْشَاءُ وَتَرْقًا أَجْفَانُ
وَعِنْدِي عَلَى رَأْيِ التَّصَوُّفِ شُكْرَانُ

(ب) النثر

أولاً - النثر الفني

(١) أبو الفرج البَغَاءُ^(١)

كتب في التهئة بولاية عمل :

عَرَّفَ اللَّهُ سَيِّدِي بَرَكَةَ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، بِتَبْيِيلِ نَظَرِهِ الْجَمِيلِ، وَحَمِيدِ أَثَرِهِ
الْمَحْرُوسِ، وَتَنَاصُرِ سِيَاسَتِهِ، الشَّرِيفَةِ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ، وَوَفَّقَ رَعِيَّتَهُ لِشُكْرِ مَا وَلَّيَهَا مِنْ

(١) تقدمت ترجمته عند شعره .

فَائِضٌ عِندَهُ ، وَمَجْمُودٌ فِعْلُهُ ، فَلِأَعْمَالٍ مِنْهُ — أَيْدَهُ اللَّهُ — بِالْتَهْنِئَةِ أُولَى ،
وَبِالتَطَاوُلِ بِمَا شَمِلَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ تَذِيرُهُ أُخْرَى . وَاللَّهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدُّعَاءِ ،
وَيُبَلِّغُهُ أَبْلَغَ مُدَدِ الْبَقَاءِ ، فِي أَسْبَغِ نِعْمَةٍ ، وَأَرْفَعَ مَثَرَةٍ ، وَأَصْدَقِ أُمْنِيَّةٍ ، وَأَنْجَحِ طَلِبَةٍ ،
بِمَنْنِهِ .

ولأبي الفرج أيضا في التهنية بمولودة :

ولو كان الإنسان مُتَصَرِّفًا فِي أَمْرِهِ بِإِرَادَتِهِ ، قَادِرًا عَلَى إِدْرَاكِ مَشِيئَتِهِ ، لَبَطَلَتْ
دَلَائِلُ الْقُدْرَةِ ، وَاسْتَحَالَتْ حَقَائِقُ الصَّنْعَةِ ، وَدُرِسَتْ مَعَالِمُ الْآمَالِ ، وَتَسَاوَى النَّاسُ
بِإِلْوِغِ الْأَحْوَالِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ لَمَّا كَانَ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ مَصْنُوعًا ، وَعَلَى مَا عَنْهُ ظَهَرَ
فِي الْإِبْتِدَاءِ مَطْبُوعًا ، كَانَ الْخُرُجُ لَهُ إِلَى الْوُجُودِ مِنَ الْعَدَمِ ، فِيمَا ارْتِضَاهُ لَهُ غَيْرُ مُتَمَمٍّ .

ومولانا — أَيْدَهُ اللَّهُ — مَعَ كَمَالِ فَضْلِهِ ، وَتَنَاهِي عَقْلِهِ ، وَوَحْدَةِ فِطْنَتِهِ ، وَثَاقِبِ
مَعْرِفَتِهِ ، أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَجْهَلَ مَوَاقِعَ النِّعَمِ الْوَارِدَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَسَخَّطَ
مَوَاهِبَهُ الْبَهَادِرَةِ إِلَيْهِ ، فَيَرْمُقَهَا بِنَوَاطِرِ الْفِكْرِ ، وَيَسْلُكُ بِهَا غَيْرَ مَذَاهِبِ الشُّكْرِ .
وَقَدْ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ خَيْرُ الْمَوْلُودَةِ — كَرَّمَ اللَّهُ غُرَّتَهَا ، وَأَطَالَ مُدَّتَهَا ، وَعَرَّفَ مَوْلَانَا
الْبَرَكَةَ بِهَا ، وَبَلَّغَهُ أَمَلَهُ فِيهَا — وَمَا كَانَ مِنْ تَغْيِيرِهِ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْخَبَرِ ، وَإِنْكَارِ مَا آخْتَارَهُ
لَهُ سَابِقُ الْقَدَرِ ، فَعَجِبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَنْكَرَهُ ، مِنْ مَوْلَانَا وَأَنْكَرَهُ ، لِضَيْقِ الْعَذْرِ
فِي مِثْلِهِ عَلَيْهِ . وَقَدْ عَلِمَ مَوْلَانَا أَنَّهُنَّ أَقْرَبُ إِلَى الْقُلُوبِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِدَأْءِ بَيْنٍ
فِي التَّرْتِيبِ ، فَقَالَ — جَلَّ مِنْ قَائِلٍ — ”يَهَبُ لِي يَسَاءُ إِنَانًا وَيَهَبُ لِي يَسَاءُ الذِّكْرَ“
وَمَا سَمَاءُ اللَّهِ هِبَةً فَهُوَ بِالشُّكْرِ أُولَى ، وَيَحْسُنُ التَّقْبِيلُ أُخْرَى ، وَلَكَمْ تَسْبُ أَفْدَنَ ،

وَشَرَفَ اسْتَحْدَثَنَّ، مِنْ طُرُقِ الإِصْهَارِ، وَالْإِتِّصَالِ بِالْأَخْيَارِ، وَالْمُلْتَمَسِ مِنَ الذِّكْرِ
نَجَابَتُهُ، لَا صُورَتُهُ وَوِلَادَتُهُ. وَلَكَمْ ذَكَرَ الْأَنْثَى أَكْرَمَ مِنْهُ طَبْعًا، وَأَظْهَرَ مِنْهُ تَقْعًا .
فَوَلَانَا يَصُورُ الْحَالِ بِصُورَتِهَا، وَيَحْتَدُّ الشُّكْرَ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ مِنْهَا، وَيَسْتَأْنِفُ
الْاعْتِرَافَ لَهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِبَصِيرَتِهِ، وَالْأَوْلَى بِمِثْلِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) وَمِنْ الْكِتَابَةِ السُّلْطَانِيَّةِ

فصل من كتاب بشارة بالسلامة في ركوب الخليفة الفاطمي الى مصلّى العيد
من إنشاء ابن الصيرفي وهو :^(١)

وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ يَوْمَ كَذَا عِيدِ النُّحْرِ سَنَةِ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ يَوْمُ
أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ قُوَّةَ الدَّوْلَةِ وَاقْتِدَارَهَا، وَأَوْجَبَ فِيهِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً مُسَارِعَةَ النُّفُوسِ
الْمُتَخَالِفَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَابْتِدَارَهَا، وَذَلِكَ أَنْ عَسَا كَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَوَجَّهَتْ إِلَى قُصُورِهِ
الزَّاهِرَةِ عِنْدَ أَنْفِجَارِ الْفَجْرِ، وَحَافِظَتْ عَلَى مَا تُحْبِرُهُ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ وَبِخْرِيلِ
الْأَبْحَرِ، وَاسْتَنْزَلَتْ الرَّحْمَةَ بِرُؤْيَا إِمَامِ الْأُمَّةِ، وَعَدَّتِ الْإِخْلَاصَ فِي خِدْمَتِهِ مِنْ أَوْقَى
الْحُرْمَاتِ وَأَقْوَى الْأَذِمَّةِ، وَأَقَامَتْ إِلَى أَنْ بَرَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَنْوَارُ السَّاطِعَةُ
طَوَائِعُهُ، وَمِهَابَتُهُ تَمْنَعُ كُلَّ طَرَفٍ مِنْ اسْتِقْصَاءِ تَأْمَلِهِ وَتَدَايِعِهِ، وَقَصْدِ الْمُصْلَى

(١) هو أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي كان من شيوخ الكتاب
في دواوين الدولة الفاطمية، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل وطبع بمصر. ويرى عنه صاحب
صبح الأعشى كثيرا من الكتب الديوانية. مات سنة ٥٤٢ هـ.

في كتاب بلجة^(١)، ومواكب للتعظيم مستوجبة، وعيزة تبتين في الشئال والصفحات،
وقوة يشهد بطيب وصفها أرج النفعات، قد غدت عددها محكمة، وخبوها
مطهمة^(٢)، وذوابلها^(٣) اذا ظمئت كانت مقومة^(٤)، واذا رويت عادت محطمة. تتقلد
صفائح متى انتضيت انصفت من الجائر الحائف، ومتى اقتضبت عملاً كان اقتضابها
مبيضا للصحاتف. وفي ظلها معاقل لللائذين، ويحدها مصارع للنابذين. وهي
للدماء هوارق، وللهمات قوالق، ولستغلق البلاد مقامح، ولستفتحها مغالق.
ولما انتهى الى المصلى قضى الصلاة أحسن قضاء، وأذاها أفضل تأدية، وأستزل
رحمة لم تزل يصلاته متمادية، وأتته الى المنبر فرقيه، وخطب خطبة من استخلفه
الله فكان مراقبه ومتقيه، ووعظ أبلغ وعظ، وأبان عما للعامل في نصحه في الدنيا
والآخرة من فائدة وحظ، وعطف على الأضاحي المعدة له، ففحرها بحرياً في الطاعات
على فعلها المتأدي، وأضحت تتوقع التكيل بإنجاز وعييده في الأعادي، فالله يقضى
بتصديقه، ويمن بتخيله وتحقيقه. وعاد الى قصوره المكزمة مشكوراً سعيه،
مضموناً نفعه، مرضياً فعله، مشمولاً عييده منه بما هو أهله. أعلمك أمير المؤمنين
ذلك، فاعلم هذا واعمل به. وكتب في اليوم المذكور.

(١) الكتبة : الجيش . ولجة : كثرة البلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٢) المطهم : التام البارع الجمال من كل شيء .

(٣) الذوابل : الرماح الذابلة القنا، أى الجافة القصب . (٤) ظمئت هنا : جفت وصليت .

(٥) واذا رويت أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٦) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقطاع أو بمعنى الخروج من غرض الى آخر بدون

مناسبة فى الشعر أو الكتابة .

(٣) القاضي الفاضل

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي رحمه الله يصف مدينة أمد^(١) من رسالة جاء فيها :

وَأَمِدُّ ذِكْرَهَا بَيْنَ الْعَالَمِ ، مُتَعَالِمٌ^(٢) ، وَطَالَمَا صَادَمَ جَانِبَهَا مِنْ تَقَادِمٍ ، فَرَجَعَ عَنْهَا^(٣)
مَقْدُومًا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ فَخْلًا ، وَفَرَّ عَنْهَا فَرِيدًا بِهِمَّةً وَإِنْ اسْتَصْحَبَ خَيْلًا وَرَجُلًا^(٤) .
وَرَأَى حَجَرَهَا فَقَدَّرَ أَنَّهُ لَا يُفَكُّ لَهُ حَجْرٌ^(٥) ، وَسَوَادَهَا فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَنْسَخُهُ بَحْرٌ ، وَحِمِيَّةَ^(٦)
أَنْفِ أَنْفَتِهَا فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لَزَجْرٍ : مِنْ مُلُوكٍ كُلِّهِمْ قَدْ طَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغَلِيلِ^(٧)
إِلَى مَوْرِدِهَا ، وَوَقَفَ وَفَقَّةَ الْحَبِّ السَّائِلِ فَلَمْ يَقْزِ بِمَا أَمَلْ مِنْ سُؤَالٍ مَعَهْدِهَا^(٨) .

(١) بلدة قديمة مبنية على نسر من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن إقليم ديار بكر . وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : التي بنيت عليها سوداء . ولذلك يسميها الترك (قره أمد) أي أمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أي من تقادم من الفائحين .

(٤) قدح أنف الفحل : ضرب أنه ليكفه عن التوق إذا كان غير كريم خشية أن نلده منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة (القيادة) .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أي سواد هضبتها المبنية هي عليها .

(٨) الغليل : يريد التعطش إلى مواردها أي فتحها .

ثانياً - النثر العلي

قال المعري^(١) في مقدمة لزومياته

وقد جاء في أشعار المحدثين شيء من الطويل الأول مبنيًا على الألف وهو الذي يسميه الناس المقصور، فيقولون : مقصورة فلان، يعنون ما رويته ألف . قال الشاعر :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فما نحن بالأحياء فيها ولا الموتى
إذا ما أتانا زائرٌ، متفقٌّ فريحنا، وقلنا : جاء هذا من الدنيا !

وهذا الشعر لرجل في السجن كان على عهد ملوك بني العباس ، ويقال إنه لرجل من ولد صالح بن عيد القدوس ، وقد بنى أبو عبادة قصيدة على الطويل الأول^(٢) وجعل قوافيها على أروي ، وجدوى ، ونحو ذلك ، فلزم الواو إلى آخر القصيدة ، ولم يجعلها مقصورة . فهذه إن جعل رويها الألف فقد لزم فيها ما لا يلزم ، وإن جعل رويها الواو فالألف وصل ، وبنائها على الواو أحسن وأقوى في النظم .

وفي هذا الكتاب أشياء ، تجرى هذا المجرى ، وقد بينتها في مواضعها . وقد يمكن أن يلزم القائل حرفين وأكثر . ولو بنيت قافية على دأريهم ومزْدأريهم وصِدأريهم لكان القائل قد لزم فيها أربعة أحرف : الدال والألف والراء والهاء ؛ لأن الروي الميم ، والألف ليست للتأسيس ؛ لأن بينها وبين الروي حرفين ، ولو بنيت قافية على ضرائهم وحرائهم وما أشبه ذلك لكانت قد لزم فيها خمسة أحرف : الراء الأولى والألف والهمزة التي بعدها — وهي في الصورة ياء — والراء الثانية والهاء .

(١) تقدست ترجمته في الشعر . (٢) أي من الضرب الأول من بحر الطويل . (٣) هو البحرى .

وقد كنتُ قلتُ في كلام لي قديم : إني رفضتُ الشعرَ رَفَضَ السَّقْبِ غِرْسُهُ^(١) ،
والرَّأُلُ تَرِيكْتُهُ^(٢) . والغرضُ ما استُجِيزَ فيه الكذبُ واستُعِينَ على نظامه بالشُّبُهَاتِ ؛
فأما الكائنُ عِظَةً للسامع ، وإيقاظًا للتوسُّن ، وأمرًا بالتحَرُّزِ من الدنيا الخادعة وأهلها
بالذين جُبِلُوا على الغش والمكر — فهو إن شاء الله مما يَلْتَمَسُ به الثوابُ ، وأُضِيفُ
إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضَعُفَ ما ينطق به من
النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ويطلب الكلمة البرَّة ، ولذلك ضَعُفَ كثيرٌ من شعر
أُمَيَّة بن أبي الصلت الثَّقَفِي ومن أخذ بِضِرِّيَّة^(٣) من أهل الإسلام . ويروى عن
الأصمعي كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ؛ فإذا أُرِيدَ به غيرُ وجهه
ضعُف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ،
وزينوا ما نظموا بالغزل وصفة النساء وتُعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ،
وتسبَّبوا إلى الجزالة بذكر الحرب وأحتلبوا أخلاف الفكر — وهم أهل مقام وخَفَضُ
— في معنى ما يَدْعُونَ أنهم يعائنون : من حث الرُّكَّاب وقطع المفاوز ، وميراس الشقاء .
وهذا حينُ أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا لكل حرف أربعة
فصول . وهي على حسب حالات الروي من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف
وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئتُ في الفصل بالقطعة
الواحدة أو القطعتين ليكون قضاء حقِّ للتأليف . وبالله التوفيق !

(١) اسقَب : ولد الناقة الذر كعقب ولاده . والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرُّأُل : فرخ النعامة . والتريكه : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ .

(٣) أي بصريفته المختلفة المصطنعة .

الاندلس

(١) الشعر

(١) ابن هاني الأندلسي^(١)

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى
أسطول في البحر الأبيض المتوسط :

لقد ظاهرتهَا عدةٌ وعديدٌ	أما والجوارى المنشآت التي سرت
ولكن من ضمت عليه أسود ^(٢)	قِبابٌ كما تُرجى القِبابُ على المَهَا
مُسومةٌ تحدونها وجنود ^(٣)	ولله - مما لا يروَن - ككائبٌ
كما وقفت خلف الصفوف ردود ^(٤)	أطاع لها أن الملائك خلفها
وأن النجوم الطالعَات سُعود	وأن الرِّياح الذاريات ككائبٌ

(١) هو أبو القاسم محمد بن هاني الأندلسي الأزدي . ولد بأشبيلية بالأندلس ، ونشأ بها فقال الشعر
وفاق كل أدباء المغرب في عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فدحه بمدائح تغالى فيها ، حتى اتهموه
بالكفر ، وهبوا به وبالأمر ، فخرج الى عدرة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مسئولة عليه ، فاتصل
بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبني القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به
شاعرنا ، فمات في الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أى على الحسان اللان يشين المَهَا .

(٣) والله ككائب مسومة : أى من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أى أمكن لها وتها واققاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود :

جمع رد بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ ملكَ الرومِ إلا اطلاعُها تنشرُ أعلامُها وبُود
عليها غمامٌ مكفَّهرٌ صَبِيرُهُ له بارقاتٌ جمَّةٌ ورُعود^(١)
مواخرُ في طامِي العُبابِ كأنها لعزيمك بأسٌ أو لكفك جُود
أنافتُ بها أعلامُها ، وسما لها بناءٌ على غير العراءِ مشيد
وليس بأعلى شاهقٍ ، وهو كوكبٌ ، وليس من الصَّفاحِ ، وهو صلود
من الراسياتِ الشَّمُّ لولا انتقالُها فمنها قِنانٌ شُمخٌ ورُيود^(٢)
من الطيرِ إلا أنهن جوارحُ فليس لها إلا النفوسَ مَصِيدُ
من القادحاتِ النارُ تُضرمُ للصَّلَى فليس لها يومَ اللقاءِ نُجود
إذا زَفَرَتْ غَيْظًا ترامتُ بِمَارِجٍ كما شُبَّ من نارِ الجحيمِ وقود
فأفواههُنَّ الحامياتُ صواعقُ وأنفاسُهُنَّ الزافراتُ حديد
يُشَبُّ لآلِ الجائليقِ سَعِيرُها وما هي من آلِ الطريدِ بَعِيد
لها شُعَلٌ فوق الغبارِ كأنها دماءٌ تَلَقَّتْها ملاحِفُ سُود
تُعائِقُ مَوْجَ البحرِ حتى كأنه سَلِيطٌ لها فيه الذُّبَالُ عَتِيد
تَرى الماءَ فيها ، وهو قانٌ عُبَابُهُ كما باشرتْ رَدْعَ الخَلوقِ جُلود^(٣)
فليس لها إلا الرياحَ أعِنَّةُ وليس لها إلا الحَبابَ كَدِيدُ^(٤)

(١) الصبير: السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقدرفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الريدود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان : جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب في الجسد . والخلق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

- وغير المذاكي تجرها غير أنها
تري كل قوداء الليل إذا انتنت
وحية مد الباع وهي نصيحة
تكبرن عن تقع يثار، كأنها
لها من شفوف العبقري ملابس
كما اشملت فوق الأرائك خرد
ليوث تكف الموج، وهو غطامط
فمنه دروع فوقها وجواشن
ألا في سبيل الله تبذل كنه ما
فلا غرو إن أعزرت دين محمد
مُسَوِّمةٌ تحت الفوارس قوداً (١)
سوالف غيسد بالمها وقود (٢)
بغير شوى ، عذراء وهي ولود (٣)
مَوالٍ ، وجرد الصافنات عبيد
مَفَوَّةٌ فيها النضار جسيدي (٤)
أو التفتت فوق المنابر صيد (٥)
وتدراً بأس اليم ، وهو شديد (٦)
ومنه خفائين لها وبرود
تضمن به الأنواء وهي جمود
فانت له دون الملوك عقيد

(١) المذاكي : الخيل . والنجر والنجار : واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقود أو قوداء . وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركبها فرسان .

(٢) قوداء الليل : طويلة العنق : أى إذا انتنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهاً بانثناء عنقها على صدرها . وكانوا يجعلون في مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ، فهي تمتد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهي ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان ما يشبه شفوف الثياب العبقريّة المقوقة أى المخططة بالياض الذهبية .

(٥) أى أنها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد بالثياب ، وهن جالسات على الأرائك ، أو بلتقع الخطباء الصبد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من
القيروان الى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشيع وكان الزحام قد أفاته مقابلة
القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع	وقد رآني يوم من الحشر أروع
غداة كان الأفق سُدَّ بمثله	فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم أدري إذ سلمت كيف أشيع	ولم أدري إذ شيعت كيف أودع
وكيف أخوض الجيش والجيش لحه	وإني بمن قاد الجيوش لمولع
وأين؟ وما لي بين ذا الجمع مسلك،	ولا يلجأدي في البسيطة موضع
ألا إن هذا حشد من لم يدق له	غرار الكرى جفن، ولا بات يهجع
نصيحته لللك سدت مذاهبي	فما بين قيد الرمح والرمح اصبع
فقد ضرعت حتى الرواسي لما رأته	فكيف قلوب الإنس؟ والإنس أضرع
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر	تحب المطايا فيه عشرا، وتوضع ^(١)
تسير الجبال الحامدات لسيره	وتسجد من أدنى الحفيف وتركم
إذا حل في أرض بناها مدائننا	وإن سار عن أرض توت وهي بلقع ^(٢)
سموت له بعد الرحيل، وفاتني	فأقسمت أن لا بلائم مضجع
فلما تداركت السرايق في الدجى	عشوت إليه، والمشاعل ترفع

(١) الخيل والإبضاع : نومان من السير . أى أن المطايا تسير في امتداده عشر ليل ، مبالغة في طوله .

(٢) إذا حل أى جوهر ، أو تقس الجيش يحتاج في إقامته الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة
في أول بنائها معقلا للعساكر .

فَبِتُّ ، وَبَاتَ الْجَيْشُ جَمًّا سَمِيرُهُ يُورِّقُنِي ، وَالْحَرُّ فِي الْيَدِ هُجْمُ
فَتَخْرِقُ جَيْبَ الْمُرْنِ وَالْمُرْنُ دَانِحٌ وَتُوقِدُ مَوْجَ الْيَمِّ ، وَالْيَمُّ أَصْقَعُ^(١)
وَهَمَّهُمْ رَعْدُ آنَحِ اللَّيْلِ قَاصِفٌ وَلَا حَ مَعَ الْفَجْرِ الْبَوَارِقُ تَلَمَعُ
وَأَوْحَتْ إِلَيْنَا الْوَحْشُ : مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِنَا وَبِكُمْ مِنْ هَوْلٍ مَا نَتَسَمَعُ؟
وَلَمْ تَعْلِمِ الطَّيْرُ الْحَوَائِمُ فَوْقَنَا إِلَى أَيْنَ تَسْتَدْرِى وَلَا أَيْنَ تَفْزَعُ^(٢)
إِلَى أَنْ تَبْدَى سَيْفُ دَوْلَةِ هَاشِمٍ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنْ اللَّهِ يَسْطَعُ

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي :

فَتَكَتُ طَرْفُكَ ، أَمْ سَيُوفُ أَيْبِكَ وَكُثُوسُ نَحْمِرٍ ، أَمْ مَرَّاشُ فَيْبِكَ
أَجْلَادُ مُرْهَقَةٍ وَفَشْكُ مُحَاجِرٍ؟ مَا أَنْتِ رَاحِمَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ!
يَا بِنْتَ ذِي الْبُرْدِ الطَّوِيلِ نِيَّاجُهُ أَكْذَا يَجُوزُ الْحَكْمُ فِي نَادِيكَ؟^(٣)
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالُكَ طَارِقًا حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَّا دَاعِيكَ
تَعِينَاكِ أَمْ مَغْنَاكِ مَوْعِدُنَا؟ وَفِي وَادِي الْكُرَى أَلْفَاكِ أَمْ وَادِيكَ؟
مَنْعُوكِ مِنْ سِنَةِ الْكُرَى ، وَسَرُوَا ، فَلَوْ عَثَرُوا بِطَيْفِ طَارِقِ ظَنُّوكِ
وَدَعُوكِ نَشْوَى ، مَا سَقُوكِ مُدَامَةً ! لَمَّا تَمَاطَلَ عِطْفُكَ أَتْهَمُّوكِ
حَسِبُوا التَّكْثُلَ فِي جُفُونِكَ حَلِيَّةً تَاللهِ مَا بِأَكْفَهُمْ تَحْلُوكِ!

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يحترق السحاب الدانح أى المتسع العظيم ، ويمتد

إلى البحر فيجعله كأنه منقد مع أن البحر بارد أصقع أى كأنه منطى بالصقيع .

(٢) تستدري : تطلب ذرا تلجى إليه أى كفتا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوْتُ لِي إِذَا نَحْنُ غَضْنَا بَانَهُ حَتَّى إِذَا أَحْتَقَلَ الْهَوَى حَبُّوكِ !
وَلَوَى مُقْبَلَكِ اللَّشَامُ ، وَمَا دَرَوَا أَنْ قَدْ لُمْتُ بِهِ ، وَقَبْلَ فُوكِ
فَضَّيَ الْقِنَاعَ قَبْلَ خَدِّكَ حُمْتُ رَايَاتُ يَحْيَى بِالدِّمِ الْمُسْفُوكِ

وقال يرثى والده يحيى وجعفر أبى على :

صَدَقَ الْفَنَاءُ وَكُذَّبَ الْعُمُرُ وَجَلَا الْعِظَاتِ وَبَالَغَ النَّذَرُ
إِنَّا ، وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولُ ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرُ
لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لَوْ كَانَتِ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ !
يَمَّا دَهَانَا أَنْ حَاضِرَنَا أَجْفَانُنَا ، وَالْغَائِبُ الْفِكْرُ
وَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكْلَهُنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ
لَوْ كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُتَحَنُّ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ (١)
أَيُّ الْحَيَاةِ أَلَدُّ عِيشَتَهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنْتِي بَشَرُ ؟
خَرِسَتْ لَعَمْرُ اللَّهِ السُّفُنَا لَمَّا تَكَلَّمْ فَوْقَنَا الْقَدَرُ

(٢) ابن بُرْدُ الْأَصْغَرُ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ

قال يصف السحب والبرق :

وَمَا زِلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ وَنَارُ بِسَوَارِفِهَا تَلْتَهَبُ
بَحَائِي تُوضَعُ فِي سَيْرِهَا وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَيَاطِ الْذَهَبِ

(١) أى ما عُدَّ من المتحركات : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواضع فلا يتعظ ، والبصر يبصر

العبر فلا ينزجر .

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسي^(١)

قال في الوصف : يصف حماما :

ونائح في عُصون الدُّوح أرقني وما عُنيتُ بشيءٍ ظِلٌّ يَعْنِيهِ
مَطْوِقٌ بِعُقُودٍ مَا تُرَايِلُهُ حتى تُزَايِلُهُ إحدَى تَرَايِلِهِ^(٢)
قد بات يبكي بِشَجْوٍ مَا دَرَيْتُ بِهِ وبثَّ أبكى بِشَجْوٍ لَيْسَ يَذَرِيهِ

وقال في المدح :

كريمٌ على العِلاتِ بَزلٌ عطاؤه مُنِيلٌ وإن لم يُعْتَمَدْ لِإِسْوَالِ
وما الجودُ مَنْ يُعْطَى إذا ما سَأَلْتَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وذى شُطْبٍ تَقْضِي المَنَايا بِحُكْمِهِ وليس لما تَقْضِي المَنِيَّةُ دَافِعُ^(٣)
فِرِيدٌ إذا ما أَعْتَنَ للعَيْنِ رَاكِدُ وَبَرَقَ إذا ما أَهْتَرَبَ الكَفَّ لَامِعُ^(٤)
يُسَلِّلُ أرواحَ الكُماةِ آنَسَ لَهْ وَيَرْتَاغُ مِنْهُ المَوْتُ والمَوْتُ رَائِعُ
إذا ما أَلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ هُنَالِكَ ظَنُّ النِّفْسِ بِالنِّفْسِ وَاقِعُ^(٥)

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد الذي

يعد من أركان الأدب العربي توفي سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان في عتقه .

(٣) الشطب : الخروز في جانبي السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أي ما نظه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضا :

بكل مأثورٍ عليّ مثله مثل مدب النمل في القاع ^(١)
يرتد طرف العين عن حده عن كوكب الموت لماع

(٤) ابن زيدون ^(٢)

قال :

أخفى التناهي بدلا من تدانينا وناب عن طيب لقينا تجمافينا
بنتم ونبأ، فما ابتلت جوائحننا شوقا إليكم ، ولا جفت مآقينا ^(٣)
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا ^(٤)
حالت لفقدكم أيامنا فقدت سودا، وكانت بكم بيضا لآلينا ^(٥)
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأوس دانية قطوفها، بختنا منه ماشيننا ^(٦)
ليسق عهدكم عهد السرور، فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

(١) أي يلوح و يراوى لمن ينظر إليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكساره على صفحته ، وذلك بين في السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) هو ذوالوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبي وزير آل جهور بقرطبة ثم آل جاد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجدية والهزلية توفي سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) الجوانح : جمع جانحة : وهي الضلع . والمراد بالجوانح : ماتجته من القلب والحشا الملتبب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أي ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التامنى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من يرض إلى سود .

(٦) هصرنا : أملنا إلى ناحيتنا .

مَنْ مُبْلِغُ الْمُلَيْسِينَا بِاتِّزَاحِهِمْ حُرًّا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى ، وَيُبْلِينَا (١)
 إِنْ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسَا بِقُرْبِكُمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
 مَا حَقُّنَا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَاءٍ ، وَلَا أَنْ تُسْرُوا كَاشِحًا فِينَا (٢)
 غِيْظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا بِأَنْ نَقْصَ ، فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا !
 فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
 وَقَدْ نَكُونُ ، وَمَا يُنْخَشَى تَفَرُّقُنَا فَالْيَوْمَ نَحْنُ ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
 لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيَا ، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 لَا تَحْسَبُوا نَائِكُمْ عَنَا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيطِنَا
 وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ ، وَلَا أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِنَا
 وَلَا اسْتَفَدْنَا خَلِيلًا عَنْكَ يَشْغَلُنَا وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكَ يُسْلِينَا
 بِأَسَارَى الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسْقِي بِهِ مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوَدَّ يَسْقِينَا
 وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتِنَا مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
 يَا رَوْضَةً طَالَمَا أُجْنَتَ لَوَاحِظُنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضْبًا وَنَسِيرِنَا (٣)
 وَيَا حَيَاةَ تَمَلُّينَا بَزَهْرَتِهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتِ أَفَانِينَا (٤)

(١) الاتِّزَاحُ : الاقتران .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضدَّ أَمَحْنَهَا بِالْوَجْعِ ، والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضرر للعداوة . والواشي : المبعض .

(٣) التسرير نوع من الورد أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمتعنا . والمنى : جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا : جمع أفنون ، وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نعيما خطرنا من غضارته
لسنا نُسَمِّيك إجلالاً وتكرمةً
إذا انفردت وما شوركِ في صفةٍ
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها
كأننا لم نبث والوصل ثلثنا
سران في خاطر الظلماء يكتُمنا
إن كان قد عزَّ في الدنيا اللقاء ففى
لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين تهت
إنا قرأنا الأسي يوم النوى سوراً
أما هـواك فلم نعدِل بمنهله
لم يَحْفَ أَفَقُ جَمالِ أنتِ كوكبه
ولا اختياراً تجنَّبناك عن كُثبٍ
نأسى عليك إذا حُثَّتْ مُشْعِشَةٌ
لا أكوُسُ الرّاح تُبَدِي من شمائلنا
في وشى نَعَمَى سَحَبنا ذيلها حيناً (١)
وقدرك المَعْتَلِي عن ذاك يُغْنينا
فحسبنا الوصفُ إيضاحاً وتبييناً
والكوثر العذب زَقُوماً وغَسِلينا (٢)
والسعدُ قد غَضَّ من أجفانِ وإشينا
حتى يكاد لسانُ الصُّبْحِ يُفْشينا
مواقِف الحشر نلقاكم ويكفينا
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
مكتوبةً، وأخذنا الصبر تلقينا
شرباً، وإن كان يُروينا فيظميننا
سالين عنه، ولم نهجره قالينا
لكن عَدَّتْنا على كره عَوادينا (٣)
فينا الشَّمُولُ وغَنَّا مُغْنينا (٤)
سيما آرتياح، ولا الأوتار تُلهينا

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعهما عجباً وتبها . والغضارة : النعمة والسعة والخصب .
والوشى نوع من الثياب الحريرية المنتوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب البارد . والكوثر : الكثير من كل شيء . والنهر ، ونهر في الجنة . والزقوم
المذكور في القرآن الكريم ، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون في أصل الجحيم
هذا اسمها . والغسلين : ما يتغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما يتغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كُثب : عن قرب . وعدتْنا العوادي : صرفتنا الصوارف . وهى شواغل الدهر وصروفه

(٤) الشمول : من أسماء النجم والمشعشة المزوجة بالماء .

دُومِي عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَأَحْرَمَ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا
فَمَا آتَيْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا حَيِيًّا عَنْكَ يُغْنِينَا
وَلَوْ صَبَا نَحُونًا مِنْ عُلُوِّ مَطْلَعِهِ بِذُرِّ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ - حَاشَاكَ - يُصْبِينَا
أَوَّلِي وَفَاءً ، وَإِنْ لَمْ تَبْدُلِي صِلَةً فَالذِّكْرُ يَقْنَعُنَا ، وَالطِّيفُ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ اقْتِنَاعٌ لَوْ شَفَعْتِ بِهِ بِيضَ الْأَيَادِي الَّتِي مَا زِلْتِ تُولِينَا
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا يَقِيَتْ صَبَابَةٌ مِنْكَ تُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا
قال في الذكري متوجعا :

وَدَعَّ الصَّبْرَ حُبُّ وَدَعَّكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَقْبِرُ السَّنَّ عَلَى أَنَّ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شَبِعَكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَاءَ وَسْنَى حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ
إِنْ يَطْلُبُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ يَتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(٥) أبو بكر محمد بن عمار^(١)

قال :

وَهَوَيْتُهُ يَسْقِي الْمَدَامَ كَأَنَّهُ قَرُّ يَطُوفُ بِكَوْكَبٍ فِي خَنْدِسٍ
مُبَارَّجَ الْحَرَكَاتِ تَتَدَّى رِيحُهُ كَالْغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا بِتَنْفُسٍ
يَسْعَى بِكَأْسٍ فِي أَنَامِلِ سَوْسِنٍ وَيُدِيرُ أُخْرَى فِي مَحَاجِرِ تَرْجِسٍ^(٢)

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشيلية ، ثم وزير ابنه المعتضد ، ويبدى المعتضد قتل بعد خيافته له في الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرا بلينا ينسب به بالمتنبي في مقامه في الملك والسياسة .

(٢) السوسن والرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله في الاستعطاف :

سجايك إن عافيت أندى وأسمع	وعُدرك إن عافيت أجل وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية	فأنت إلى الأدنى من الله أجرح
حنانيك في أخذي برأيك لا تطع	عداتي، وأن أشوا على وأفصحوا
وماذا عسى الأعداء أن يتريدوا	سوي أن ذنبى واضح متصحح
تعم لي ذنب! غير أن لحليمكم	صفة يزل الذنب عنها فيسفع (١)
وإن رجائي أن عندك غير ما	ينحوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا؟ وقد أسلفت ودا وخدمة	يكران في ليل الخطايا فيصبح
وهبني قد أعقت أعمال مفسد	أما تفسد الأعمال ثم تصلح (٢)
أقلني بما بيني وبينك من رضا	له نحو روح الله باب مفتح!
وعف على آثار جرم جنيت	بهبة رحي منك تمحو وتصفح
ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم؛	فكل إناء بالذي فيه يرشح (٣)
سيأتيك في أمري حديث، وقد آتني	بزور بني عبد العزيز موشح (٤)
وما ذاك إلا ما علمت؛ فإنني	إذا ثبت لا أنفك أسو وأجرح (٥)

(١) أي أن حله كالصخرة الملساء يزل ويزل عنها الذنب .

(٢) تمت : هي (ثم) العاطفة لحقتها ناء التأنيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون

ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا . (٣) تلتفت مضمّن معنى فعل متعدّ ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من ، وإلى المنصور بن أبي عامر ، ورثوا أبنائه وأحفاده في شرق الأندلس ، وكانت لهم

به دريلة دامت ردحا من الزمان . (٥) إذا ثبت : إذا رجعت إلى ما كنت عليه من وزارتك .

وأسو : من أسا الجرح أي داواه وعالجه . والمراد لا أنفك أنفع وأضر؛ فينالهم مني شر .

نَحِيلُهُمْ، لَا دَرَّ لِهِنَّ دَرُّهُمْ، أَشَارُوا نِجَاهِي بِالشَّاتِ، وَصَرَّحُوا (١)
 وقالوا : سَيَجْزِيهِ فَلَانٌ بِفِعْلِهِ ! فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فَلَانٌ، وَيَصْفَحُ !
 أَلَا إِنَّ بَطْشًا لِلْوَيْدِ يُتَّقَى وَلَكِنْ حِلْمًا لِلْوَيْدِ أُرْجَحُ
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ سَتَنْفَعُ لَوْ أَنَّ الْجَمَامَ بِمَجْلَحٍ (٢)
 سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَوَى : إِلَى فَيْدَنُو، أَوْ عَلَى فَيْتَرَح (٣)
 وَيَهْنِيهِ إِنَّ مِتُّ السُّلُوءُ، فَإِنِّي أَمُوتُ، وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مَبْرَحٌ

(٦) ابن وهبون في الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسي من شعراء شرق
 الأندلس، وكان خدام المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعلامة وشعره يصف
 النيلوفر (٤) :

وَبِرْكَهٍ تَزْهَوُ بِنَيْلُوفَرٍ نَسِيمُهُ يُشْبِهُ رَوْحَ الْحَبِيبِ
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتُهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لَعَيْنِ الْمَغِيبِ
 أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى إِلْفِهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حِذَا الرَّقِيبِ

(١) نَحِيلُهُمْ : أى هذه نخيلهم . والنخيلة : الطيبة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودَرَّ هنا فعل
 ماض من در اللبن ، ودرهم فاعله على نحو جَدَّ جَدَّه وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم ، أى لا كان درهم
 لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التيممة : خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها في أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين .
 والمجلح : الأكل . والمعنى في قلبي له حجب سينتفعني ويشفع عنده إذا أراد الموت أكل .

(٣) يترح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الرابدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسي^(١)

قال في الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

يَعِيشُكَ هَلْ تَدْرِي أَهْوَجُ الْجَنَائِبِ تَحُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظُهُورُ النَّجَائِبِ؟^(٢)
 فَمَا لَحْتُ فِي أَوَّلِ الْمَشَارِقِ كَوَبًا فَأَشْرَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
 وَحِيدًا تَهَادَانِي الْفَيَافِي فَأَجْتَلِي وَجُوهَ الْمَنَايَا فِي قِنَاعِ الْغِيَاهِبِ
 وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمِّمٍ وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ^(٣)
 وَلَا أَنْسَ إِلَّا أَنَّ أَضْحَاكَ سَاعَةً تُغَوِّرُ الْأَمَانِي فِي وَجْهِهِ الْمَطَالِبِ
 وَلَيْلٌ إِذَا مَا قُلْتُ : قَدْ بَادَ فَاَنْقَضَى ، تَكْشَفُ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
 سَجَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبِ لِأَعْتَبِقَ آأَمَالَ يَبِضُّ تَرَائِبِ
 نَحَرْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصٍ أَطْلَسَ تَطَّلَعَ وَضَّاحَ الْمَضْحَاكِ قَاطِبِ^(٤)
 رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَسًا تَأَمَّلَ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ^(٥)
 وَأَرَعَنْ طَاجِ الدُّوَابَةِ بِاذِيخٍ يُطَاوِلُ أَعْنَافَ السَّمَاءِ بَغَارِبِ^(٦)

(١) هو أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرق الأندلس أشهر وصفات الطبيعة بالأندلس وكان قليل التكسب بشعره توفي سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجبية : الناقة الكريمة .

(٣) القنود : أخشاب الرجال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غيرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تراءى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث إنه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعا أغبش من الفجر لا يزال يسد فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد

لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكامله .

يُسَدُّ مَهَبَ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ • وَيَرْحَمُ لَيْلًا شَبَّهَ بِالمُنَاكِبِ
وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الفَلَاةِ كَأَنَّهُ • طُيُورًا اللَّيَالِي مُفَكِّرٌ فِي العَوَاقِبِ
يَلُوثُ عَلَيْهِ الغَيْمُ سُودَ عِمَائِمِ • لَهَا مِنْ وَمِیْضِ البرقِ حُمُرُ ذَوَائِبِ (١)
أَصْحَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَخْرَسٌ صَامِتٌ ! • خَدَّتْنِي لَيْلَ السُّرَى بِالعَجَائِبِ
وَقَالَ : إِلَى كَمْ كُنْتُ مَلَجًا قَاتِلِ • وَمَوْطِنَ أَوَاهِ تَبَتَّلَ تَائِبِ (٢)
وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبِ • وَقَالَ يَظِلُّ مِنْ مَطَىٍّ وَرَاكِبِ
وَلَا طَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيحِ مَعَاطِفِي • وَزَاخَمَ مِنْ خُضِرِ البَحَارِ غَوَارِبِي (٣)
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنَّ طَوَّهْتَهُمْ يَدُ الرَّدَى • وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَابِثِ
فَمَا خَفَقَ أَيْكِي خَيْرَ رَجْفَةٍ أَضَاعَ • وَلَا نُوحَ وَرَقِي غَيْرَ صَرْخَةٍ تَادِبِ (٤)
وَمَا غِيَضَ السُّلُوانُ دَمْعِي ، وَإِنَّمَا • تَزَقَّتْ دَمُوعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَابِ
خَتَّتِي مَتَى أَبْقَى ؟ وَيَظَعْنُ صَاحِبُ • أَوْدَعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آتِبِ
وَحَتَّى مَتَى أَرْغَى الكَوَاكِبَ سَاهِرًا ؟ • فَمِنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ
فُرْحَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعِ • يَمُدُّ إِلَى نَعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ !
فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ • يُرْجِيهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ

(١) يلوث : يلف و يغتم على رأسه من الغيم عمامة سوداء لها بروق حمر .

(٢) يريد بالأواه التائب : الراهب الذي يبتلى صومته في روس الجبال .

(٣) النكب : جمع نكباء ، وهي الرياح تهب بين مهبي ريحين ، ومعاطفي وغواربي : يريد بهما جوانبي

وأظهرى .

(٤) أي خفق غصون أيكِي . والأيك : اسم جمع لأبيكة ، وهي الأشجار المتكاثرة . والورق : جمع ورقاء

وهي : الحماة .

فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي وَسَرِّ بِمَا تَشْجَا وَكَانَ عَلَى عَهْدِ السَّرَى خَيْرَ صَاحِبِ
وَقُلْتُ : وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْهُ لَطِيفٌ : سَلَامٌ ! فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبٍ (١)
وقال :

أَجْسُ الْمُدَامَةِ وَالنَّسِيمِ عَلِيلٌ وَالظِّلُّ خَفَاقُ الرِّوَاقِ ظَلِيلٌ (٢)
وَالنُّورُ طَرْفٌ قَدْ تَنَبَّهَ دَامِعٌ وَالْمَاءُ مَبْتَسِمٌ يَرُوقُ صَقِيلٌ
وَتَطَلَّعْتُ مِنْ بَرَقِ كُلِّ غِمَامَةٍ فِي كُلِّ أَفَقٍ رَايَةٌ وَرَعِيلٌ (٣)
حَتَّى تَهَادَى كُلُّ خُوطَةٍ أَيْكَةٍ رَيًّا وَغَصَّتْ تَلْعَةً وَمَسِيلٌ (٤)
عَطَفَ الْأَرَاكَةَ فَانْتَنَتْ شُكْرًا لَهُ طَرَبًا وَرَجَعَ فِي الْفُصُونِ هَدِيلٌ (٥)
فَالرُّوضُ مُهْتَزُّ الْمَعَاطِفِ نَعْمَةٍ تَشْوَانُ يَعْطِفُهُ الصَّبَا فَيَمِيلُ
رَيًّا قَضَضَهُ النَّدَى ثُمَّ انْجَلَى عَنْهُ فَذَهَبَ صَفْحَتِيهِ أَصِيلٌ
وَارْتَدَّ يَنْظُرُ فِي نِقَابِ غِمَامَةٍ طَرْفٌ يَمْرُضُهُ النَّعَاسُ كَلِيلٌ (٦)
سَاحِجٌ كَمَا يَرْتَوِ إِلَى عَوَادِهِ شَاكٍ وَيَلْتَمِصُ الْعَزِيزَ ذَلِيلٌ

- (١) نكبت عنه : ملت عنه وانصرفت . والطفية : الحاجة والقصد ووجهة المسافر . ومن في (من مقيم) زائدة أو بيانية . أى : فإننا من بين مقيم ، ودوإنت ، وذاهب ، وهو نحن .
- (٢) الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل بيت مضروب يخفق دواء رواقه .
- (٣) الرعيل : الجماعة من الخيل ، شبه السحب بجاعات الخيل وكثافتها في الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحرف فوق رؤوسهم .
- (٤) كل خوطة : أى كل غصن . والأىكة : الشجر الملتف . والتلعة : مجرى الماء من الجبل إلى الوادى .
- (٥) عطف : أى عطف النسيم العليل الأراك . والهديل : ذكر الحمام .
- (٦) طرف : أى طرف كل شارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضاوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر إلى أزهار الروض ارتد ينظر في غمامة كأنها النقاب ؛ وهذا الطرف كاليل من السكر ، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرتو إلى عواده ، أو طرف الدليل يلوح العزيز .

وقال :

رُبَّمَا اسْتَضْحَكَ الْحَبَابَ حَيْبٌ تَقَضَّتْ ثَوْبَهَا عَلَيْهِ الْمُسْدَامُ
كَلَّمَا مَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْغَمَامُ
سَلَّمَ الْغُصْنُ وَالْكُثِيبُ عَلَيْنَا فَعَلَى الْغُصْنِ وَالْكُثِيبِ السَّلَامُ

وقال في طول الليل :

يَا لَيْلَ وَجِدِ بَنَجِدِ أَمَا لَطِيفُكَ مَسْرَى
وَمَا لِدَمْعِي طَلِيقًا وَأَنْجُمُ الْجَوِّ أَسْرَى
وَقَدْ طَمَى بِحُرِّ لَيْلٍ لَمْ يُعْقِبِ الْمَدَّ جَزْرًا
لَا يَعْبُرُ الطَّرْفُ فِيهِ غَيْرَ الْمَجْبُورَةِ جَسْرًا

(٨) ابن سهل الأندلسي^(١)

قال :

سَلِّ فِي الظَّلَامِ أَخَاكَ الْبَذْرَ عَنْ سَهْرِي تَذَرِي النُّجُومَ كَمَا يَذَرِي الْوَرَى خَبْرِي
أَبَيْتُ أَهْتِفُ بِالشُّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْشَقُ رَيًّا ذَكَرَكَ الْعَطِيرُ
حَتَّى أُخَيِّلَ أَتَى شَارِبٌ ثَمَلٌ يَنْبُ الرِّيَاضِ وَيَيْنُ الْكَأْسِ وَالْوَتَرُ
مَنْ لِي بِهِ ؟ آخَتَلَفْتُ فِيهِ الْمَلَاةُ إِذْ أَوَمْتُ إِلَى غَيْرِهِ إِيمَاءً مُحْتَضِرُ^(٢)

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح إبراهيم بن مهمل الأشبيلي الأندلسي وكان يلقب قبيل إسلامه بالإسراييلي.

كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٥٦٤٩هـ.

(٢) أي تفاوتت فيه الملاحة عن نفسها عند الناس فهي فيه كاملة وفي غيره بمنزلة إشارة ضعيفة كإشارة

المحتضر عند الموت .

مَعْطَلٌ فَالْحَلَى مِنْهُ مُحَلَّةٌ تَغْنَى الدَّرَارَى عَنِ التَّقْلِيدِ بِالْدَّرَرِ (١)
يُخَذُّهُ لَفْؤَادَى نِسْبَةٍ عَجَبٌ كِلَاهُمَا أَبَدًا يَدْمَى مِنْ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل في توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَاهُ عَنْ مَكْنَسِ
فَهَوَى حَرَّ وَخَفَنِي مِثْلَهَا لَعَبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

* * *

يَا بَدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَّوَى غُرَّرًا تَسْلُكُ بِي نَهْجَ الْغَرَرِ (٣)
مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِثْكَمُ الْحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرُ
أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْثُومَ الْجَوَى وَأَلْتَذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٤)

* * *

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَدِي بِسَمَا كَالرَّبَا بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ (٥)
إِذْ يُقِيمُ الْقَطَرُ فِيهَا مَاتِمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ (٦)

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أد فؤادى يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير، فوخذ كانه يدمى من حمرة الخجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التغير والخطر .

(٤) أى وإنما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتناسم الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم فى الربا مآتما ومناحة ييكأته على حين أن الربا فى أعراس من بهجتها .

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهَبِ الْمَذْنِبُ
أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَا مِنْ وَجْهِهِ بِشَرْقَا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ (١)
ذَهَبَ الدَّمْعُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِأَحْظَى مُذْهَبُ (٢)

يَنْبُتُ السَّوْدُ بَغْرِسِي كُلَّمَا لَا حَظَّئُهُ مُقَلَّتِي فِي الْخُلْسِ
لَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ السَّوْدُ عَلَى الْمُغْتَرِسِ

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَرَقِي غَادَرْتَنِي مَقْلَاهُ دَنَفَا
تَرَكْتُ الْحَاظِلَةَ مِنْ رَمَقِي أَثَرًا تَمْلِيلٍ عَلَى صَمِّ الصَّفَا (٣)
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ أَلْهَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا

فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَأَنَّهُ رَسْ
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَ مَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلُّ النَّفْسِ

مِنْهُ النَّارُ بِأَحْشَائِي ضَرَامٌ تَتَلَطَّى كُلُّ حَيْبٍ مَا تَسَا
هِيَ فِي خَدْيِهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ حَرْوُ حَرِيقٍ فِي الْحَشَا
أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَرَدًا وَأَهْوَاهُ رَشَا

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من
وجنتيه الحمراءين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مركز جره إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت
و(مذهب) فى آخره . (٣) أى أثرا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مشيه فى الصخرة الملساء .

قلت لما أن تبدى معلما وهو من الحاظه في حرس
أيها الآخذ قلبي مغنا إجعل الوصل مكان الخمس (١)

(٩) وقد عارضه في هذا التوشيح الوزير

أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جاذك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

إذ يقود الدهر أشات المني تنقل الخطو على ما يرسم
زمررا بين فرادى وثني مثلما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سني فتغور الزهر منه تبسم

وروى النعمان عن ماء السماء كيف يروى مالك عن أنس (٢٣)

(١) أي أن الجيش الفاح لا يأخذ كل الغنمة بل يكون تخمنا للدولة تنفقه في مصالح الناس وصدقاتهم .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبي الجحاج يوسف من عطاء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة في السياسة وبالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ١١٩٠ هـ . وكان شاعرا كاتبا مؤرخا مؤلفا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكثيرة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) في النعمان وماء السماء تورية ؛ إذ النعمان إما شقائق النعمان لزهر أحر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، وإما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخمين والثاني جد الأول وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول في كلا الجانبين ابن للثاني ونأشئ عنه .

فكساه الحسنُ ثوباً معلماً يزدهي منه بأبهى ملابس

* * *

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى بالدجى لولا شمسُ الغرر
مالَ نجمُ الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر
وطر ما فيه من عيب سوى أنه مرَّ ككلمج البصر

* * *

حينَ لذَّ الأتس شيئاً أو كما هجم الصبحُ هجومَ الحرين
فارت الشهبُ بنا أوربما أثرت فينا عيونُ النرجس

(ب) النثر الفني

(١) نبذة من الرسالة الجدية لابن زيدون^(١) وهي التي كتبها

لأبي الحزم بن جهور أمير قرطبة وهو في سجنه يستعطفه

”يا مولاي وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتداده به ، ومن
أبقاه الله تعالى ماضى حدَّ العزم ، وأرى زند الأمل ، ثابت عهد النعمة ، إن سلبتنى
(أعزك الله) لباس إنعامك ، وعطلتني من حلي إيناسك ، وأظمأتني إلى برود إسعافك ،
وتفقت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظرت الأعمى
إلى تأميلي لك ، وسمعت الأصم ثنائى عليك ، وأحس الجماد باستنادى اليك —

(١) مرت ترجمته عند شعره .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى إسعافك الذى هو كالماء البارد فى إروائه للقليل .

(١) فلا غَرَوَ قد يَغْصُ بالماء شاربُهُ ، ويقتُلُ الدواءُ المستشفيَ به ، ويُؤْتِي الحذرُ من
 مَأْمِنِهِ ، وتكونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَتِّي في أُمْنِيَّتِهِ ، والحينُ ^(٢) قد يسبقُ جهد الحريص :
 كل المصائب قد تُمَرُّ على الفتي وتهونُ غيرَ شماتةِ الحساد

وإني لَا تَجَلَّدُ ، وأرى الشامتَيْنِ أني لِرَيْبِ الدهرِ لَا أَتَضَعُّضُ ، فأقولُ :
 هل أنا إِلَّا يدُ أَدَمَها سوارُها ، وجَبِينُ عَصٍ به إكليلُهُ ، ^(٣) ومَشْرِفُ الصِّقَةِ بالأَرْضِ
 صَاقِلُهُ ، ^(٤) وسَمْهَرِي عَرَضُهُ على النارِ مَثْقَفُهُ ، وعَبْدُ ذَهَبٍ به سَيِّدُهُ مَذْهَبُ الذي يقولُ :
 فَقَسًا لِيَزْدَجِرُوا ، وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فليقسُ أحيانًا على مَنْ يَرْحَمُ

هذا العتبُ محمودُ عواقبِهِ ، وهذه النبوةُ غَمْرَةٌ ^(٥) ثم تَجَلَّى ، وهذه النكبةُ سَحَابَةٌ
 صَيِّفٌ ^(٦) عن قليل تَقْشَعُ . وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَيِّئُهُ ، أَوْ تَأَخَّرَ غِنَاؤُهُ ،
 فَبَطَأَ الدَّلَاءُ فِيضًا أَمْلأُها ، وَأَثْقَلَ الْمَحَابِ مَشَا أَحْفَلُها ، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ
 جَدْبًا ، وَأَلْدُ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَيْلًا ، ومع اليومِ غَدٌ ، ولكلِّ أَجَلٍ يَخَابُ . له
 الْحَمْدُ على أَهْتِبَالِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ في إِغْفَالِهِ . ^(٨)

(١) يغص : يشرق .

(٢) الحين : الهلاك .

(٣) المشرقي : السيف ينسب الى مشارف الشام : فراها الشرقية .

(٤) السمهرى : الرخ ينسب الى سمهر وهو صانع للرماح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح
 واليهما تنسب الرماح .

(٥) النبوة : الجفوة .

(٦) تقشع : تنكشف وتزول .

(٧) السيب : العطاء .

(٨) الأهتبال : الاغتمام . أى اغتمام معروفة .

فإن يكن الفعل الذي ساءَ واحداً فافعله اللأئي سررت ألوفاً
وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوكم ؟ والجهل الذي لم يأت
من ورائه حلمك ، والتطاؤل الذي لم يستغرقه تطوُّلك^(١) ، والتحامل الذي لم يف به
آحتمالك . ولا أخلو من أن أكون بريئاً ، فأين العدل ؟ أو مسيئاً ، فأين الفضل ؟
إلا يكن ذنبٌ فعدلك واسعٌ أو كان لي ذنبٌ ففضلك أوسع

ومنها :

وهل ليس الصباح إلا برداً طرّزته بفضائلك^(٢) . وتقلدت الجوزاء إلا عقداً
فصلته بما ترك . وأستملى الربيع إلا ثناءً ملأته بحاسنك ، وبث المسك إلا حديثاً
أذعته في محامدك . ما يوم حليلة يسر^(٣) ! وإن كنت لم أكسك سلبياً . ولا حللتك
عظلاً . ولا وسمتكم غفلاً ؛ بل وجدت أجراً وجصاً قبّنت . ومكان القول ذا سعة
فقلت .

(٢) الفتح بن خاقان

قال في كتابه قلائد العقيان في ترجمة أبي الفضل بن حسداى^(٤) :
ولما أعرس المستعين بالله ببنت الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز احتفل
أبوه المؤمن بالله في ذلك احتفالاً شهراً ، وأبدع فيه إبداعاً راقياً من حضره وبهره ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ في أن يباض الصبح مستعار من مشهور ثناءه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هي بنت الحارث بن أبي شمر الغساني وجه
أبوها جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعاً فقبل : ما يوم ... الخ .

(٤) ابن حسداى : كان وزيراً للمؤمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهودياً وأسلم وله كتابة
بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألباب ، وقطع
دوت معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من داني وقاص ،
ومطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبوه متبرعين ، وكان مديرك تلك الإراغة ومدبرها ،
ومنشئ مخاطباتها ومجبرها الوزير الكاتب أبو الفضل ، وصدرت عنه في ذلك الوقت
كتب ظهر إعجازها ، وبهر اقتضاها وإيجازها . فمن ذلك : ما خاطب به صاحب
المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر :

”مَحَلُّكَ أَعَزُّكَ اللَّهُ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ تَزَحَّيْتَ الدَّارَ ، وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ
الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَخَّطَ الْمَزَارَ ، فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمْثِيلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحِظِّ ، وَالْعَيْنُ
نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَتَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ اللَّحْظِ ، فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغُ بُرْدًا ، وَلَا مَوْهِبَةَ أَسْوَعُ
يُرْدَا ، مِنْ تَفَضُّلِكَ بِاللُّحُوقِ إِلَى مَائِسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ التَّأَمُّهُ ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ
اِتِّتَظَامُهُ . وَلَكَ فَضْلُ الْإِبْجَالِ ، بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْآمَالِ . وَأَنَا (أَعَزُّكَ
اللَّهُ) عَلَى شَرَفِ سُودْدِكَ حَاكِمٌ ، وَعَلَى مَشْرِعِ سِنَائِكَ حَائِمٌ . وَحَسْبِي مَا تَتَحَقَّقُهُ
مِنْ زِنَاعِي وَتَشَوُّقِي ، وَتَتَبَقُّنُهُ مِنْ تَطْلُعِي وَتَتَوَّقِي . وَقَدْ تَمَكَّنَ الْآرْتِيَا حُ بِاسْتِخْكَامِ
النُّقَّةِ ، وَأَعْتَرَضَ الْاِقْتِرَاحُ ، بِارْتِقَابِ الصَّلَاةِ . وَأَنْتَ وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ بِسَاحَةِ
شَيْبِكَ ، وَبَارِعَ كَرَمِكَ ، تَنْشِئُ لِلْوَائِسَةِ عَهْدًا ، وَتُورِي بِالْمُكَارِمَةِ زَنْدًا ، وَتَقْتَضِي
بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا . لَا زَلَّ مَهْنًا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ ، مُسَوِّغًا اجْتِلَاءَ غُرُورِ
الْأُمَانِيِّ الْمُتَهَلِّلَةِ بِمَنَّةِ .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي^(١)

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد حط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعةً بالعدل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومنتعًا يسقطها
إذا شاء ترفيها وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيهها وإلهاما ، ويجعلها صلاحاً وخيراً ،
وعلى آخرين فساداً وضيراً : (وهو الذي يُنزل الغيث من بعد ما قنظوا وينشر رحمته
وهو الولي الحميد) . وإنه بعد ما كان من امتسالك الحيا ، وتوقيف السقيا الذي^(٣)
ريح به الآمن ، واستطير له الساكن ، ورجفت ألا بكاد فرغاً ، وذَهَلَتِ الألبابُ
جزماً ، وأذكت ذكاً حرها ، ومنتعت السماء درها ، وأكتست الأرض غيرةً بعد^(٤)
خضرة ، وليست شحوبا بعد نضرة ، وكادت برود الأرض تطوى ، ومدود نعيم الله^(٥)
تزوى - نشر الله تعالى رحمته ، وبسط نعمته ، وأتاح منته ، وأزاح محنته ، فبعث^(٦)
الرياح لوائح ، وأرسل الغمام سواخ ، بماء دقق ، وزواء غدق ، من سماء طبق ،^(٧)
^(٨)
^(٩)
^(١٠)

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكفاية في عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم المقتدر

ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر . (٣) ريع : خوف .

(٤) ذكا : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيا وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذي يروي . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

استهل جفنها فدمع، وسبح دمعها فجمع، وصاب وبلىها فتقع، فاستوفت الأرض ريًا،
 واستكلت من تباتها أناثا ورثيا، فزينة الأرض مشهورة، وحلة الروض منشورة،
 ومينة الرب موفورة، والقلوب ناعمة بعد بوسها، والوجوه ضاحكة بعد عبومها،
 وآثار الجزع محووة، وسور الحمد مثلوة، ونحن نستريد الواهب نعمة التوفيق،
 ونستهديه في قضاء الحقوق إلى سواء الطريق، ونستعيد به من المنة أن نصير فتنة،
 ومن المنحة أن تعود محنة. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٤) ابن خفاجة^(٢)

فصل من رسالة في وصف رياض غب مطر:

ولما اكب الغمام إكبابا، لم أجد منه إغابا،^(٣) واتصل المطر اتصالا، لم ألف
 منه اتفصالا، أذن الله تعالى للصبح أن يطالع صفحته، وينشر صحيفته، فقشبت
 الريح السحاب، كما طوى السجل الكتاب، وطفقت السماء تلحج جلبابها، والشمس
 تميظ نقابها، وطلعت الدنيا تبتسج كأنها عروس تجلت، وقد تجلت، فذهبت في لمة
 من الإخوان تستيق إلى الراحة ركضا، ونطوى للتفرج أرضا، فلا أندقع إلا إلى
 غدير تيمر، قد آسدارت منه في كل قرارة ماء، سحابة غماء، وأنساب، في تلعبته
 حباب. فتردنا بتلك الأباطح تهادى تهادى أغصانها، وتتضاحك تضاحك أخوانها،

(١) الرى: الثوب جمال المنظر. (٢) مرت ترجمته عند شعره.

(٣) الاغاب: أن يجىء. المرء القوم يوما ويغيب يوما. والمعنى أن الغمام لم يغيب يوما بل بقى هاطلا.

(٤) الغماء: السحابة لا فرجة فيها أى أشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت صحب

وللنسيم ، أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل^(١) مشى ، على بساط وشى ؛ فاذا مرّ بغدير
نسجه^(٢) درعا ، وأخكه صنعا ، وإن عثر يجدول شطب^(٣) منه نصلا ، وأخلصه صقلا ؛
فلا ترى إلا يطاحا ، مملوءة سلاحا ؛ كأنما أنهزمت هنالك كائب ، فألقت بما ليست^(٤)
من درع مصقول ، وسيف مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبي عامر بن عقال^(٤)

كتب به عن الأمير إبراهيم يصف إجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة
وخمسة ، وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى
جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذلّ بعد استصعابه ، وسهل بعد أن رأى الشايخ
من هضابه ، وصار حيه ميّتا ، وهذره صمّتا ، وجباله لا ترى فيها عوجا ولا أمّتا ،
وضعف تعاطيه ، وعقد السلم بين موجه وشاطيه ، فعبّر آمنا من سطواته ، ممّلكا
لصهواته ، على جواد يقطع الجروف لمّحا ، ويكاد يسبق الريح سبّحا ، لم ينجل يلحما
ولا سرجا ، ولا عهد غير اللجة الخضراء مرّجا ، عيانه في رجله^(٥) ، وهذب العين يميكي
بعض شكله ، فله دره من جواد ، له جسم وليس له فؤاد ، يخرق الهواء ولا يرهبه ،
ويركب الماء ولا يشربه .

(١) الترس : المشى على مهل وهوادة . (٢) أى أن النسيم يجعد صفحة الماء فيجعلها

كنسج خلق الدرع المجلوة . (٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه خروزا غائرة على طوله .
وفيه تشبيه الجدول في صفائه وانحنائه بالسيف العربي .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لما ملك المرابطون الأندلس
وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ؛ فكان كاتب إنشائه .
(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ج) النثر العباسي

باب ما يهمز فيكون له معنى، فاذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب المخصص^(١)

يقال : قد رَوَّأت في الأمر، وقد رَوَّيتُ رأسي بالدهن، وقد تَمَلَّأت من الطعام والشراب، وقد تَمَلَّيتُ العيش : إذا عشتُ ملياً أي طويلاً . وتقول : قد تَخَطَّأتُ له في هذه المسألة، وقد تَخَطَّيتُ القدمَ، لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرآنَ وما قرأتِ الناقةُ سَلاً قط ، أي لم تُلق ولداً أراد أنها لم تحمل ، وقد قَرَّيتُ الضيف . وقد سَوَّأت عليه ما صنع : إذا قلتُ له : أسأتَ، وقد سَوَّيتُ الشيءَ . والعرب تقول : إن أصبتُ فصوَّبني ، وإن أخطأتُ نَخَطَّيتي ، وإن أسأتُ فسوَّيتُ عليّ . وقد خَبَأَ الشيءَ يَخْبِئُهُ خَبْئاً — وقد خَبَتِ النارُ خُبْواً — إذا ذهبَ لهبها، وقد برأتُ مِنَ المرضِ أبرأُ بُرْءاً، وقد برَّيتُ القلمَ . وقد بارأتُ شريكي — إذا فارقتَه — وقد بارأ الرجلُ امرأته، وباريتُ فلانا إذا كنتَ تفعلُ ما يفعلُ، وفلان يُباري الريحَ سَخاءً .

(١) صاحبه أبو الحسن علي بن اسماعيل النعماني اللغوي الضرير المعروف بأبن سيده المتوفى سنة ٥٨٥ هـ .

عن ٦٠ سنة .

المغرب وممالك البربر

(١) الشعر

(١) علي بن محمد الإيادي

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمي قال :

وَلِحُبْسِيهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَغْرِبُ	اعْجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
يَبْدُو لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُسْتَعْجِبِ	لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ
إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ (١)	مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
تَسْبِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابٍ تَرْهَبُ (٢)	دَهْمَاءُ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ
مِنْهَا ، وَاسْتَحَمَّ فِي الْخَلِيجِ مُغَيَّبِ (٣)	مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشِرٍ
فِي الْجَانِبِينَ دُورِينَ صُلْبٍ صُلْبِ (٤)	مُخَفَّوْفَةٍ بِمَجَادِفٍ مَصْصُوفَةٍ
مِنْ كَاسِيَاتٍ رِيَاشِهِ الْمُتَهَدَّبِ (٥)	كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُزْفَرِفِ عُرِّيَتْ
بِمَصْعَدٍ مِنْهَا بُعِيدَ مَصْصُوبِ	وَيَحْتَمُّهَا أَيْدَى الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هي النقوش المصطنعة ، وثياب الترهيب هي طلاء القار الأسود التي عليها من أسفل لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والمئن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المصوفة بقوادم النسز .

نَحْرَاءُ تَذْهَبُ إِنَّ يَدًا لَمْ تَهْدِهَا
 جَوْفَاءُ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا
 وَلَهَا جَنَاحٌ يَسْتَعَارُ لَطِيرُهَا
 يعلوبها حَذَبُ الْعُبابِ مُطَارَةٌ
 تَسْمُو بِأَجْرَدٍ فِي الْمَسْوَءِ مُتَوِّجٌ
 يَتْرَكُ الْمَلَّاحُ مِنْهُ ذُبَابَةٌ
 فَكَأَنَّمَا رَأَى أَسْتِرَاقَةً مَقْعِدٌ
 وَكَأَنَّمَا جَرُّ ابْنِ دَاوُدَ هُمٌ
 سَجَرُوا جَوَانِبَ نَارِهَا ، فَتَقَاذَفُوا
 مِنْ كُلِّ مَسْجُونِ الْحَرِيقِ إِذَا أَنْبَرَى
 عُرْيَانٌ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ
 وَلَوَاحِقُ مِثْلِ الْأَهْلَةِ جُنَحٌ
 يَذْهَبُ فِيهَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةٌ
 كَنْزَانِيضِ الْحَيَاتِ رُحْنٌ لَوَاعِبًا
 شَرَجُوا جَوَانِبَهَا بِمَجَادِفٍ أَتَعَبَتْ
 تَنْصَاعُ مِنْ كَشَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا

فِي كُلِّ أُوْبٍ لِلسَّرِيَّاحِ وَمَذْهَبُ
 يَوْمَ الرِّهَانِ ، وَتَسْتَقِلُّ بِمَوْكَبِ
 طَوَّعَ الرِّيحِ وَرَاحَةِ الْمُتَطَرِّبِ
 فِي كُلِّ لُجٍّ زَانِحٍ مُغْشَوْلِبِ
 عُرْيَانٌ مَنَسُوجِ الدُّوَابَةِ شَوْذِبِ (١)
 لَوْرَامٍ يَرْكَبُهَا الْقَطَا لَمْ يَرْكَبِ
 لِلسَّمْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْهَبِ
 رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأَعْنَفِ مَرْكَبِ
 مِنْهَا بِالسَّيْنِ مَارِجٌ مُتَلَهَّبِ
 مِنْ سِجْنِهِ أَنْصَلَتْ أَنْصَلَاتِ الْكَوْكَبِ (٢)
 صَبِيحٌ يَكُرُّ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ
 لَحَقَ الْمُطَالِبِ فَائِسَاتِ الْمَهْرَبِ
 وَيَحْنُ فَعَلَ الطَّائِرُ الْمُتَغَلَّبِ
 حَتَّى يَقْعُرَ بِبِرْكِ مَاءِ الْمِيزَبِ
 شَاوَ الرِّيحَ لَهَا ، وَلَمَّا تَتَّعَبِ
 طَوْرًا ، وَتَجْتَمِعُ اجْتِمَاعَ الرَّبِّبِ

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصاري والدقل في أعلاه برج صغير يجلس فيه

ملاح يقب البحر من أعلى المركب . (٢) كانوا يرمون بقدر وقتاني من الزجاج والفخار بها صائل

من نقط ومواد ملتهبة يقدفون بها مراكب العدو وهي النار الإغريقية التي جهل الآن تركيبها .

وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يَقْرُبُ عَقْرَبًا مِنْ عَقْرَبٍ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أَسْوَدٌ خِلَافِيَّةٌ تَخْتَالُ فِي عُدَدِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ
فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بَزِيَّتَهُمْ تَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَذْهَبِ

(١)

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني

قال يتشوق الى مصر ومعاذه بها . وكان رحل اليها بهدية من باديس بن زيري
الى الحاكم بأمر الله الفاطمي :

هَلِ الرِّيحُ إِنْ سَارَتْ مُشْرِقَةً تَسِيرِي تُؤَدِّي تَحِيَّاتِي إِلَى سَاكِنِي مِصْرَ
فَمَا خَطَرْتُ إِلَّا بِكَيْتُ صَبَابَةٍ وَحَمَاتُهَا مَا ضَاقَ عَنْ حَمَلِهِ صَدْرِي
تَرَانِي إِذَا هَبَّتْ قُبُولًا بَنَشِيرِهِمْ شَمِمْتُ نَسِيمَ الْمِسْكِ فِي ذَلِكَ النَّشْرِ
وَإِنْ أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى الْعَهْدِ دُونَهُ ، فَلَيْسَ بِخَالٍ مِنْ ضَمِيرِي وَمِنْ فِكْرِي
لَيْلًا أَنْسَنَاهَا عَلَى غِرَّةِ الصَّبَا فَطَابَتْ لَنَا إِذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدَّهْرِ
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ قِصَارًا أَعْدَهَا فَلَسْتُ بِمَعْتَدٍّ سِوَاهَا مِنَ الْعُمَرِ
أَخَادِعُ دَهْرِي أَنْ يَعُودَ بِفُرْصَةٍ فَيُنْقِذَ رُوحَ الْوَصْلِ مِنْ رَاحَةِ الْهَجْرِ
وَتَرْجِعُ أَيَّامٌ خَلَّتْ بِمَعَاهِدِ مِنَ الْأَهْوِ لَا تَنْفَكُ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ
فَكَمْ لِي بِالْأَهْرَامِ أَوْ دِيرٍ نَهْبَةٍ مَصَائِدُ غَزْلَانِ الْمَكَايِدِ وَالْقَفْرِ (٢)

(١) هو إبراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان ينسكب بالكفاة
في دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ إفريقية أثني عليه يافوت وتوفي سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهبة كان على مقربة من بولاق التكرور ، وليس بها در الآن . ويريد بغزلان المكاييد الجوارى
الحسان ، وغزلان القفر ما يصاد في بادية الهرم .

الى الجزيرة الدنيا وما قد تَضَمَّنَتْ بجزيرتها ذات النواعير والجسر
وبالمقيس والبستان للعين منظر أنيق الى شاطئ الخليج الى القصر (١)
وفي سردوس مستراد وملعب الى دير مرحنا الى ساحل البحر (٢)
وكم ينب بستان الأمير وقصره الى الزكاة الزهراء من زهير نصير
تراها كهواة بدت في رفايف من السندس الموشى ينشر للتجر

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى (٣)

قال يتغزل :

أما ومحل حبك من فؤادي وقدر مكانه فيه المكين
لو أنبسطت لي الآمال حتى تصير من عنانك في يميني
لصنيتك في مكان سواد عيني وخطت عليك من حذر جفوني
فأبلغ منك غايات الأمانى وآمن فيك آفات الظنون
فلي نفس تجرع كل حين عليك بهن كاسات المنون (٤)
إذا أمنت قلوب الناس خافت عليك خفي الحاظ العيون

(١) المقس موضعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير . وموضعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وبيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى إمام العربية والآدب بالقيروان وصاحب

المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبته على حروف المعجم ، وكان أديبا كاتباً شاعراً رفيق الشعر .

مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين . . (٤) بهن أى يآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِي وَدًّا وَلَا تُظْهِرُوهُ
يَهْدِيهِ مِنْكُمْ إِلَى الضَّمِيرِ
مَا أَبَالِي إِذَا بَلَغَتْ رِضَاكُمْ
فِي هَوَاكُمْ لَا أَيْ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن علي الحصري القيرواني^(١)

قال :

يَا هَلْ بَكَتُ كَمَا بَكَتُ
وَرُقُ الْحَمَائِمِ فِي الْغُصُونِ
هَتَفْتُ سُخَّيْرًا وَالرِّيَا
لِلْقَطْرِ رَافِعَةً الْجُفُونِ
فَكَأَنَّمَا صَاغَتْ عَلَيَّ
شَجْوَى شَجَا تِلْكَ الثُّنُونِ

وقال :

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى عَيْلَ صَبْرِي
وَأَدْنَشَنِي مَكَاثِمِي لِرَمْسِي
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِخْفَاءِ حَالِ
يُحَوِّلُ بِهَا الْأَسَى دُونَ النَّأْسِي
وَحُبُّكَ مَالِكٌ لِحِطِّي وَلَفْظِي
وَإِظْهَارِي وَإِضْمَارِي وَحِسِّي
فَإِنْ أَنْطِقَ قَفِيكَ بِجَمِيعِ نَطْقِي
وَأَنْ أَسْكُتَ قَفِيكَ حَدِيثُ نَفْسِي

(٥) ابن رشيق القيرواني^(٢)

قال :

أُحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ
وَقَلَّ عَلَيَّ مَسَامِيحُهُ كَلَامِي
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبٌ رَاضٍ
كَأَنَّ قَطْبَتَ فِي وَجْهِهِ الْمُدَامِ

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه يملوكا روميا صائغا ، فتعلم آية الأدب ، والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذي لم يؤلف المتقدمون مثله في نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجي خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه ويناغسه في كل صناعته ابن شرف .
توفي ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٦ هـ . بمدينة مازرا آخر مدن المسلمين بها .

وَرُبَّ تَجَهُّمٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَضِغْنٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامٍ
وله أيضا :

مَنْ جَفَانِي فَإِنِّي غَيْرُ جَافٍ صِلَةٌ أَوْ قَطِيعَةٌ فِي عَفَافٍ
رُبَّمَا هَاجَرَ الْفَتَى مِنْ يُصَافِيهِ بِهِ وَلَا قِيَّ بِالْبِشْرِ مَنْ لَا يُصَافِيهِ
وقال :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ مِنْ الْعُمُرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا
خَلَوْنَا بِهَا نَتْنَى الْقَذَى عَنْ عُيُونِنَا يَلْوُلُوَّةٌ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا سَكْبًا^(١)
وله أيضا :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مَسَّ بِأَضْرَارٍ
كَالْعُودِ لَا تَطْمَعُ فِي طَيِّبِهِ إِنِّ أَنْتَ لَمْ تَمْسَسْهُ بِالنَّارِ
وقال :

وَلَوْ غَرَّكَ الْمَوْسُومُ عِنْدِي بِرِيَّةٍ لَأَعْطَيْتُ فِيهِ مُدَّعَى الْقَوْمِ مَا أَدَّعَى
فَلَا تَخَالِجَكَ الظُّنُونُ فَإِنَّهَا مَا تَمُّ وَاتْرُكْ لِلصَّنَائِعِ مَوْضِعًا
فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللَّوْمِ فِيكُمْ لِسَانًا وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعًا
وَلَا مِلْتُ عَنْكُمْ بِالْوِدَادِ وَلَا أَنْطَوْتُ حِبَالِي وَلَا وَلَّى شَأْنِي مُودَعًا
بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَهْنُ وَأَجَلَّتْهَا عَنْ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا
فَبَايَنْتُ لَا أَنَّ الْعَدَاوَةَ بَايَنْتُ وَقَاطَعْتُ لَا أَنَّ الْوَفَاءَ تَقَطَّعَا

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة نحرًا .

(٦) ابن شرف القيرواني^(١)

من قوله :

إِنْ تَدْعُكَ الْغُرْبَةُ فِي مَعَشَرَ قَدْ جِيلَ الطَّبِيعُ عَلَى بَعْضِهِمْ
فِدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

وقوله :

إِحْذَرُ مُحَاسِنَ أَوْجِهٍ فَقَدَتْ مَحَا سِنَّ أَنْفُسٍ ، وَلَوْ أَنَّهَا أَفْهَارُ
سُجَّ تَلَوُّحٍ إِذَا نَظَرْتَ فَإِنَّهَا نُورٌ يُضِيءُ وَإِنْ مَسَبَسْتَ فَنَارُ

وقوله في العود :

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَ عودَكَ الَّذِي زَكَّتْ مِنْهُ أَغْصَانُ ، وَطَابَتْ مَغَارِسُ
تَغْنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ ، وَالْعُودُ أَخْضَرُ وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْعِيدُ ، وَالْعُودُ يَابِسُ

وقوله :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَبَرِ هُمَا يَبْنِئَانِكَ الْأَخْبَارَ تَطْفِيلًا
وَلَا تُعَاتِبْ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنَّ بَدْرَ السَّمَاءِ لَمْ يُعْطَ تَكْمِيلًا
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ أَمْرِ تَصْغَعِبُهُ فَاللَّهُ قَدْ يُعْقِبُ التَّصْعِيبَ تَسْمِيلًا
يَعُ مِنْ جِفَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بِسَلْعَتِهِ وَأَطْلُبْ بِهِ بَدْلًا إِنْ رَامَ تَبْدِيلًا
وَصَيِّرِ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا حَتَّى تُرَى مُقْبِلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شرف الجندامي القيرواني . كان قرين ابن رشيق في خدمة المعز بن باديس ومناذمه . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفي سنة ٦٠٤ هـ بالمرية . ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موبع ومدح بليغ ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

وقوله :

يا ثاويًا في معشر قد أصطلى بنارهم
إن تبك من شرارهم على يدي شرارهم
أو ترم من أحجارهم وأنت في أحجارهم
فما بقيت جارهم فني هواهم جارهم
وأرضهم في أرضهم ودارهم في دارهم

(٧) عبد الجبار بن حمديس^(١)

قال يصف بركة يجري إليها الماء :

من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر منها ما يقذف الماء
صعداء، ومنها ما يحدره إلى أسفل، ومنها ما يقطع كرات وينادي :

والماء منه سبائك من فضة ذابت على دُولاب شاذروان^(٢)
فكانما سيف هناك مشط^(٣) ألقته يوم الرّوع كفّ جبان^(٤)
كَمْ شاخص فيه يُطيل تعجبًا من دوحة نبتت من العقيان^(٥)
عجبًا لها تسقي هناك يناءً ينعت من الثمرات والأغصان^(٥)

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أحد وصافي الطبيعة والمصانع البديعة .
نشأ بمدينة سرقوسة من صقلية في أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندي هاجر منها إلى الأندلس
وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٨٥٢٧ . (٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج
قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها
كالزرف وهو المراد هنا . (٣) شبه الماء النازل من الثوب منحنيًا بالسيف .
(٤) العقيان : الذهب . ويظهر أن التماثيل كانت من شبه أو صفر .
(٥) الينائع : جمع ينعة .

خُصِّتْ بِطَائِرٍ عَلَى قَتَنِ لَهَا حُسْنَتْ فَأَفْرَدَ حُسْنُهَا مِنْ ثَانِي
 قُسَّ الطُّيُورِ السَّاجِعَاتِ بِلَاغَةٍ وَفَصَاحَةٍ مِنْ مَنَاطِقٍ وَبَيَانٍ (١)
 فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ بِخَسِيرٍ مَاءٍ دَائِمِ الْهَمَلَانِ
 وَكَأَنَّ صَانِعَهَا آسَبَدُ بِصُنْعَةٍ نَحَرَ الْجَمَادُ بِهَا عَلَى الْحَيَوَانِ
 أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْهَا إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ رَوَانِ
 وَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ
 وَزَرَافَةٍ فِي الْجَوِّ مِنْ أُنبُوبِهَا مَاءٌ يُرِيكَ الْجَرَى فِي الطَّيْرَانِ
 مَرَكُوزَةٍ كَالْمُخِّ حَيْثُ تَرَى لَهُ مِنْ طَعْنِهِ الْحَلَقَ انْعِطَافِ سِنَانِ (٢)
 وَكَأَنَّمَا تَرْمِي السَّمَاءَ بِنَسْدُقٍ مُسْتَبْطٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَجُمَانِ
 لَوْ عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ نَفْطًا أَحْرَقَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهُ قَمِصَ كُلِّ عَنَانِ
 فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا أَسَدٌ تَذِلُ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ (٣)
 تَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ النُّفُوسِ نُفُوسُهَا فَلِذَلِكَ انْتَرَعَتْ الْأَبْدَانِ
 وَكَأَنَّمَا الْحَيَاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي عُذْرَانِ
 وَكَأَنَّمَا الْحَيَاتَانِ إِذْ لَمْ تَخْشَا أَخَذَتْ مِنَ الْمَنْصُورِ عَهْدَ أَمَانِ (٤)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

وَيَا حَبِذَا دَارَ قَضَى اللَّهُ أَنَّهَا يُجَدِّدُ فِيهَا كُلَّ عَرٍّ وَلَا يَيْتَلِي
 وَمَا هِيَ إِلَّا خِطَّةُ الْمَلِكِ الَّتِي يُحِطُّ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحَلَا

(١) كان الماء إذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الحلق : الدروع . (٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحَتْ أبوابُها خِلَتْ أنها تقول بِتَرْحِيبٍ لداخلها : أهلاً !
وقد تَقَلَّتْ صُنَاعُهَا من صفاته إليها أفانيناً ، فأحسنت التَّغَالا
فمن صَدْرِهِ رُحْبًا ، ومن نوره سُنًى ومن صيته فرعًا ، ومن حلمه أصلاً
فأَعَلَّتْ به في رُتَبَةِ المُلْكِ نادياً وقَلَّ له فوق السَّماكين أن يُعَلَى
نَسِيتُ به إيوانَ كسرى لأننى أراه له مَوَلًى من الحسن لا مِثْلاً
ترى الشمس فيه لَيْقَةً تستمدّها أكفُّ أقامت من تصاويرها شكلاً ^(١)
لها حركاتٌ أودعت في سُكونِها فما تَبِعْتُ من تَقْلَهْنَ يَدُ رجلاً
ولما عَشِينَا من توقد نُورها تَحِذُنَا سَنَاه في نواظِرنا نُحْلاً

(ب) النثر الفنى

(١) التلهسنى ^(٢)

قال في الفسراق :

الدهرُ ذو غيرٍ ، ومن ذا يحكُّمُ على القَدَرِ؟ وما ضَرُّه لو غَفَلَ قليلاً ، وَشَفَى بِلِقَاءِ
الْأَحِبَّةِ غَلِيلاً ، وَتَمَحَّحَ لَنَا بِسَاعَةِ أَجْتِمَاعٍ ، وَوَصَلَ ذَلِكَ الْأَمَلُ الْقَصِيرَ بِبَاعٍ ، وَزَوَى ^(٣)
مَسَافَةَ أَيَّامٍ ، كَمَا طَوَى مَرَّاحِلَ أَعْوَامٍ . يَأْمُؤُوسِي ^(٤) ، أَفَلَا أَشْفَقْتَ مِنْ عَذَابِي ،
وَسَمَحْتَ وَلَوْ بِسَلَامٍ أَحِبَّابِي ، أَسَلَمْتَنِي إِلَى ذَرْعِ الْبَيْدِ ، وَمُحَالَفَةِ الذَّمِيلِ وَالْوَخِيدِ ، ^(٥)
^(٦)

(١) الليقة : القطة ونحوها توضع في الدواة .

(٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبته .
دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفي سنة ٦٩٠ هـ بسبته عن سن عالية .

(٣) زوى : طوى . (٤) يحاطب الدهر . (٥) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٦) ضريان : من سير الإبل وغيرها .

والتَّغْلِيلُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَالتَّمْطَى فِي الصَّهَوَاتِ وَالْغَوَارِبِ . يَأْسَأُ الْبَيْنُ دَعَ^(١)
تَحْمِلَهُ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَسْمِ لَنْ يَحْمِلَهُ ، وَيَابَنَاتِ جَدِيلٍ ، مَا لَكُنَّ وَلِلذَّمِيلِ ؟ ثُمَّ مَا لِلزَّاجِرِ^(٢)
الْكَاذِبِ ، وَلِلْغَرَابِ النَّاعِبِ ؟ يَجْعَلُهُ نَذِيرَ الْجَلَا ، وَرَائِدَ الْخَلَا ، مَا أَبْعَدَ ابْنَ زَاجِرٍ ،^(٣)
عَنْ دَارِ الزَّاجِرِ ، إِنَّمَا فَعَلَ مَا تَرَى ، ذَاتُ الْغَارِبِ وَالْقَرَا ، الْمُخْتَالَةُ فِي الْأَزْمَةِ وَالْبُرَى ،^(٤)
وَالْمُتَرَدِّدَةُ بَيْنَ التَّأْوِيبِ وَالسُّرَى ، طَالَمَا بَاكَرَتِ النَّوَى ، وَصَدَعَتِ صَدْعَ الْهَوَى ،^(٥)
وَتَرَكْتَ أَلْهَامَ بَيْنِ رَجْعِ مُحِيلٍ ، وَرَسِيمِ مُسْتَحِيلٍ ، يَقْفُو الْإِثْرَ بِجَدِّهِ ، وَيَسْأَلُ الْطَلَلَ عَنْ^(٦)
عَهْدِهِ . وَإِنْ أَنْصَفْتَ فَمَا لِعَيْرٍ مَقُودَةٍ ، وَإِلَّابِلٍ مَطْرُودَةٍ ، غَلَّتْ عَنْ الْحَسْوِصِ^(٧)
وَالشُّوْطِ ، وَأُسْلِمَتْ إِلَى الْحَبْلِ وَالْعَصَا وَالسُّوْطِ . وَلَوْ خَيْرَ الْبَارِزِ لِأَقَامَ ، وَلَوْ تَرِكَ^(٨)
الْبَقَطَا لَيَلًا لَنَامَ ، لَكِنَّ الدَّهْرَ أَبُو بَرَأَقِشٍ ، وَسَهْمٌ بَيْنَهُ بَيْنَ غَيْرِ طَائِشٍ ، فَهُوَ الَّذِي^(٩)
شَتَّتَ الشَّمْلَ وَصَدَعَهُ ، وَمَا رُفِعَ سَقْفٌ بِعِمَادِهِ إِلَّا وَضَعَهُ ، وَلَا يَلَّ غَلِيلًا أَحْرَقَهُ^(١٠)
بِنَارِ وَجْدِهِ وَلَا نَقَعَهُ .^(١١)

- (١) : الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .
(٢) : بنات جدل : النوق الكريمة تنسب إلى أبيها جدل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر .
(٣) : يريد ابن زاجر : الغراب .
(٤) : القرأ : الظهر . يريد الناقة .
(٥) : البرى : جمع برة ، وهي حلقة صغيرة تكون في أنف البعير لربط الخطام أحياناً .
(٦) : التأويب : المير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .
(٧) : النوى : الفراق . (٨) : مضى عليه حول . (٩) : متغير .
(١٠) : إبل الميرة . (١١) : شربت ولم ترو . (١٢) : مجرى الماء بين جبليين .
(١٣) : أبو براقيش : طائر ذو ألوان .

(ج) النثر العلى

لابن شرف القيروانى^(١) فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله محمد بن شرف القيروانى :

هذه أحاديثٌ صُغتْها مُختلفةُ الأنواع ، مؤلفةٌ فى الأسجاع ، عربياتُ المواشم ،
عربياتُ التراجم ، واختلقت فيها أخباراً فصيحاً الكلام ، بديعاً النظام ، لها
مقاصدٌ ظراف ، وأسانيدٌ طراف ، يروقُ الصغيرُ معناها ، والكبيرُ مغزاها ، وعزَّوئُها
إلى أبي ديان الصِّلَتِ بن السَّكَنِ من سلامان ، وكان شيخاً^(٢) هماً فى اللسان ، وبَدِراً تماً^(٣)
فى البيان . قد بَقِيَ أحقاباً . ولَقِيَ أعقاباً ، ثم أَلْقَتْهُ إلينا مِن باديته الأزمات ، وأوردته
علينا العزمات . فامْتَتَجْنَا^(٤) مِنْ عِلْمِهِ بحراً جارياً ، وقدَحْنَا مِنْ فِهْمِهِ زَنْداً وارياً ، وأدْرْنَا مِنْ
بِرِّهِ طُرْفاً ، واجتَنِينَا مِنْ ثَمَرِهِ طُرْفاً . ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِلٌ ، وغفلةُ الزمانِ تُهْتَبِلُ :
واحتذيتُ فيما ذهبتُ إليه ، ووقعَ تعريضى عليه ، مِنْ بَثِّ هذه الأحاديث ما رَأَيْتُ
الأوائلَ قد وضعته فى كتاب كليله ودمته ، فأضافوا قولَ الحِكْمَةِ إلى الطير الحوائم ، ونَطَقُوا
به على ألسنة الوحش والبهائم لِتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ الأحداث ، وتُسْتَعَذَّبَ بِسَمَرِهِ

(١) تقدمت : ترجمته عند شعره .

(٢) سلامان : بطن من طي وهم سلامان بن نعل بن الغوث بن طي .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيراً فى فصاحة اللسان .

(٤) امتح الماء : نزع من برونحوه .

(٥) تهتبل : تهتم .

ألفاظ الحداث . وقد نحا هذا النحو سهل بن هارون الكاتب في تأليفه كتاب
التمر والتعلب ، وهو مشهور الحكايات بديع المراسلات ، مليح المكاتبات . وزود
أيضا بديع الزمان ، الحافظ الهمداني . وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين ،
مقامات كان ينشئها بديها في آواخر مجالسه ، وينسبها الى راوية رواها له يُسميه عيسى
ابن هشام . وزعم أنه حدّثه بها عن بليغ يُسميه أبا الفتح الاسكندري . وعددّها
فيما يزعم رواها أربعائة مقامة ؛ إلا أنها لم تصل هذه العدة إلينا . وهي متضمنة
معاني مختلفة ، ومبينة على مباني شتى غير مؤلفة ، لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين
من صرفها من هنزل الى جد . ومن يد الى يحد . فاقمت من هذا النحو عشرين
حديثا ، أرجو أن تبين فضلها ، ولا تقصر عما قبلها . ولعمري ما أشكر من نفسي
ولا أثني على شيء من حسي ، إلا ظفري بالأقل مما حاولته ، على ما أضرمته نيران
الغربة من قلبي ، وثأمته صسقات الفينة من لبي ، وقطعت أهوال البر والبحر من
خواطري ، وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبضائري ، لكن نية القاصد
وسعة المقصود ، أعانا ذا الودة على إتحاف المودود . والله أسأل توفيقا ، ينهج لنا الى
الرشد طريقا .

عصر المحاليك والعثمانيين

(١) الشِّعر

(١) شمس الدين محمود الكوفي

قال في رثاء بغداد :

إِنَّ لَمْ تُقَرَّحْ أَدْمُعِي أَجْفَانِي	من بَعْدِ بَعْدِكُمْ - فما أَجْفَانِي
إِنْسَانٌ عَيْنِي مَذْتَنَاءَتْ دَارُكُمْ	ما رَاقَهُ نَظْرٌ إِلَى إِنْسَانٍ
يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ	وَلِسَاعَةِ التَّوْدِيْعِ لَا أَحْيَانِي!
مَالِي وَلَا يَامِ شَتَّتَ خَطْبُهَا	شَمْلِي؟ وَخَلَّانِي بِلا خُلَانٍ
نَمَا لِلنَّازِلِ أَصْبَحْتُ لَا أَهْلَهَا	أَهْلِي، وَلَا جِيرَانُهَا جِيرَانِي
وَحَيَاتِكُمْ مَا حَلَّهَا مِنْ بَعْدِكُمْ	غَيْرَ الْبَيْلَى وَالْهَدْمِ وَالنِّيرَانِ
وَلَقَدْ قَصِدْتُ الدَّارَ بَعْدَ رَحِيلِكُمْ	وَوَقِفْتُ فِيهَا وَقْفَةً الْحِيرَانِ
وَسَأَلْتُهَا لَكِنْ بَغِيرِ تَكْلَمِ	فَتَكَلَّمَتْ لَكِنْ بَغِيرِ لِسَانِ
نَادَيْتُهَا يَا دَارُ، مَا صَنَعَ الْآلَى	كَانُوا هُمْ الْأَوْطَارُ فِي الْأَوْطَانِ؟
أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ وَلَعَزَّهُمْ	ذَلًّا تَحْسِرُ مَعَاقِدُ التَّيْجَانِ؟
كَانُوا نَجُومَ مَنْ آقَتَدَى فَعَلِيهِمْ	يَبْكِي الْهَدَى وَشَعَائِرُ الْإِيمَانِ
قَالَتْ : غَدَاوَا لِمَا تَبَدَّدَ شَمْلُهُمْ	وَتَبَدَّلُوا مِنْ عِزِّهِمْ بِهَوَانِ!
كَدَّمَ الْفِصَادَ يَرَأَى أَرْدَلْ مَوْضِعِ	أَبَدًا وَيَخْرُجُ مِنْ أَعْرَ مَكَانِ

أفنتهم غير الحوادث مثلاً أفنت قديماً صاحب الإيوان
لما رأيت الدار بعد قراقيم أضحت معطلة من السكان
مازلت أبكيهم وألثم وحشة لجمالهم متهدم الأركان
حتى رثي لي كل من : ما وجدته وجدى ، ولا أشجائه أشجاني
أترى تمود الدار تجمعنا كما كنا بكل مسرة وتهاني ؟
إذ نحن نفتم الزمان ونجني بيد الأمان قطوف كل أمان

(٢) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي^(١)

قال : عرج على الزهر يا نديمي وميل إلى ظله الظليل
فألروض يلقاك بابتسام والريح تلقاك بالقبول

وقال :

وتنبهت ذات الجناح بسحرة بالواديين فنبهت أشواق^(٢)
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والأحان عن إسحاق^(٣)
قامت تطارحن الغرام بجهالة من دون صهي بالحمى ورفاق
أني تباريني جوى وصباية وكآبة وأسى وفيض مآق
وأنا الذي أمل الجوى من خاطري وهي آلتى ثمي من الأوراق^(٤)

(١) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبه يستخدم المحسنات البديعية مات

سنة ٦٨٠ هـ . (٢) ذات الجناح : الحمامة والسحرة : قبيل القجر .

(٣) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة في القرآن الكريم عليهما السلام ،

ولإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ولإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وهو المراد .

(٤) الأوراق : أوراق الأشجار التي تملؤها الحمامة وفي الكلمة تورية واضحة .

(٣) الشاب الظريف^(١)

قال :

لا تُخيف ما فعلت بك الأشواقُ وأشرح هواك فكلنا عُشاقُ
 فعسى يُعينك من شكوت له الهوى في حمله ؛ فالعاشقون رفاقُ
 لا تجزعن ؛ فلست أول مغرمٍ فتكت به الوجنات والأحداقُ
 وأصبر على هجر الحبيب فربما عاد الوصال وللهوى أخلاقُ
 كم ليلة أسهرت أحداقها وجبداً وللافكار بي إحداقُ
 يارب قد بعد الذين أحبهم عني وقد ألف الفراق فيراقُ
 وآسود حظي عندهم لنا سرى فيه بنار صباقتي إحراقُ
 عرب رأيت أصح ميثاق لهم ألا يصحّ لديهم ميثاقُ

وقال :

صدودك هل له أمد قريب ووصلك هل يكون ولا رقيب^(٢)
 قضاة الحسن ، ما صنعى يطرف تمنى مثله الرشا الربيب^(٣) ؟
 رمى فأصاب قلبي باجتهاد صدقتم ! كل مجتهد مصيب^(٤)

(١) هو محمد بن سليمان بن عفيف الدين التلمساني المولود بمصر سنة ٥٦٦١ هـ والمتوفى سنة ٥٦٩٥ هـ . وله شعر رقيق جميل الصياغة .

(٢) الأمد : الغاية والمنتى . والرقيب : المراقب .

(٣) الطرف : العين . والرشا : الظبي اذا قوى ومضى مع أمه . والربيب : المرابي من رب الصبي رباه حتى أدرك .

(٤) الضمير في رمى : يعود على الطرف ، وفي قوله صدقتم الخ : إشارة الى قول الفقهاء : ان كل مجتهد في الدين مصيب ، وان اختلفت الآراء في المسألة الواحدة .

- بأي حُشاشة وبأي طَرْفٍ أحاولُ في الهوى عيشًا يَطِيبُ ؟ (١)
- وهذى فيك ليس لها نصيرُ وهذا منك ليس له نصيبُ (٢)
- وفي تلك الهودج ظاعناتُ سرَّين وكل ذى وجه حبيبُ (٣)
- إذا أسفرتِ فأنكسرتِ عيونُ هنَّ فتكنَّ فأنكسرت قلوبُ (٤)
- فيا تلك الذوائب هل صباحُ فلي في ليكن أمي مذيبة (٥)
- ويا تلك اللهاظ أرى عجيبًا ينهما كلاً كسرت تُصيب (٦)
- ويا تلك المعاطف خبرينا متى يتعطف الغصن الرطيب ؟ (٧)
- وقال من قصيدة كتب بها الى أبيه :
- يا قطر عم ديشق وأخصص متلاً في قاسيون وحله ينات (٨)
- وترنمي يا ورق فيه ، ويا صبا مرى عليه بأطيب النفحات (٩)
- فيه الرضا ، فيه الهوى ، فيه الهدى ، فيه أصول سعادتي وحياتي
- فيه الذي كشف العمى عن ناظري وجلا شموست الحق في مرآتي
- فيه الأب البر الشفيق قدتيه من سائر الأسواء والآفات

- (١) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .
- (٢) هذى : إشارة للحشاشة ، وهذا إشارة للطرف .
- (٣) الهودج : مركب النساء . وظاعنات : مسافرات ، وكل ذى وجه أى منهن .
- (٤) إنكسار العيون : فتورها ، وهو من صفات الحسن في النساء .
- (٥) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الشعر المسترسل . وفي قوله هل صباح : إشارة الى تشبيه الذوائب بالليل في السواد والطول .
- (٦) كسر السهام : تحطمها . وكسر اللهاظ : فتورها .
- (٧) المعاطف : جمع معطف كجلس مكان العطف والميل ، وهو هنا : الخصر .
- (٨) القطر : المطر . (٩) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة فى لونها بياض الى سواد .
- والصبا : ريح تهب من الشرق فى بلاد العرب . . .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

- ومعشير لم تزل للحرب يبيضهم^(١) حمر الخدود وما من شأنها المجمل^(٢)
إذا انتصوها برؤفا صيرت سحبا^(٣) يسيل من جانبها عارض هطل^(٤)
يثني حديث الوغى أعطافهم طربا^(٥) كأن ذكر المنايا بينهم غزل^(٦)
كم نار حرب بهم شبت ، وهم سحبت^(٧) وأرض قوم بهم فاضت ، وهم شعل^(٨)
ضاعت بحسرتهم تلك الخيام كما ضاعت بوجه ابن عبد الظاهر الدول^(٩)
أغر ما أبدت السحب الحيا لسوى تقصيرها عن مداه حين ينهمل^(١٠)
توحي إلى كل قرطاس بلاغته سمر ترؤفك رأى العين عارية^(١١)
من كل معتدل كالليل إن رمدت عين المبالى ففيها نفسه كحل^(١٢)
فالعداء لديه كل ما حذروا ، وللعفاة عليه كل ما سألوا^(١٣)
أضحت يداه لعقد الجود واسطة ؛ فليس يدري بلجود بعدها عطل^(١٤)

وقال :

يتننى قوامك المشوق وبأنوار وجهك المعشوق
وبمعنى للحب مبتكر في لك وقلب كقلبي المحروق

- (١) البيض : السيوف ، وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .
(٢) انتضى السيف : استله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به هنا الدماء .
(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .
(٤) وهم سحبت أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .
(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ؛ ففى البيت تورية وحسن تعليل .
(٦) الميل : حديدة أو رمحها يكتحل بها . والنفس : المداد . والكحل : مصدر كحل .
(٧) الوسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

جُدْ بِوَصْلٍ، أَوْ زُورَةً، أَوْ بِوَعْدٍ، أَوْ كَلَامٍ، أَوْ وَقْفَةٍ فِي الطَّرِيقِ !
 أَوْ بِإِرْسَالِكَ السَّلَامِ مَعَ الرَّيِّ بَحْ، وَإِلَّا فَبِالْخَيْسَالِ الطَّرُوقِ
 وَقَالَ وَسَلِّكَ فِيهَا مَسِيلَكَ الرِّسَالِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْإِفْتِتَاحِ بِدَعَاءٍ خَاصٍّ كَهَذَا :
 أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَ الْعُيُوفِ وَخَلَّدَ مُلْكَ هَاتِيكَ الْجُفُوفِ
 وَضَاعَفَ بِالْفُتُورِ لَهَا أَقْبَدَارًا، وَإِنْ تَكُ أَضْعَفْتُ عَقْلِي وَدِينِي
 وَأَبْقَى دَوْلَةَ الْأَعْطَافِ فِينَا، وَإِنْ جَارَتْ عَلَى قَلْبِي الطَّعِينِ
 وَأَسْبَغَ ظِلَّ ذَاكَ الشَّعْرِ مِنْهُ عَلَى قَسَدٍ بِهِ هَيْفُ الْغُصُونِ •
 وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الثَّنَائَا، وَإِنْ ثَنَيْتِ الْفَوَادَ إِلَى الشُّجُونِ
 تَحَلَّتْ تَسْهِيْدِي وَالشَّيْبَ، هَذَا عَلَى رَأْسِي وَذَاكَ عَلَى عِيُونِي

(٤) سراج الدين الوراق المصري الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال :

إِلْهِى لَقَبْدٌ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَشَكَرًا لِنِعْمِكَ آتَى لَيْسَ تُكْفَرُ !
 وَعَمَرْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَازِدْتُ بِهِجَةً وَنُورًا لِيَذَا قَالُوا : السِّرَاجُ الْمُعَمَّرُ (١)
 وَعَمَّ نُورُ الشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي وَمَا سَاءَنِي أَنَّ السِّرَاجَ مُنَوَّرَ
 وَقَالَ :

كَمْ قَطَعَ الْجُودُ مِنْ لِسَانٍ قَلَدَ فِي نَظْمِهِ النَّحُورُ (٢)
 فَهَذَا شَاعِرُ سِرَاجٍ فَاقَطَعَ لِسَانِي أَزْدَكَ نُورًا

(١) الهجة : الحسن .

(٢) قطع اللسان بالجوْد : إسكاته ، لسان السراج : ذبالبه وفتيلته . وقطعه : قطعه .

وقال :

إذا بُحْتُ بالشكوى عَنَيْتُ مَعَاشِرًا بلا راحةٍ في مدحهم أتعبوا ذهني
يريدونني رطب اللسان؛ ومن رأى سراجًا غدا رطب اللسان بلا دهن

وقال :

يا نَجَّاتِي وصحائفي سود غدت وصحائف الأبرار في إشراق
وموج لي في القيامة قال لي : أكذا تكون صحائف الوراق ؟ (١)

وقال :

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب (٢)
ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم حبيب (٣)

وقال :

وقفت بأطلال الأحيبة سائلا ودعني يسقي ثم عهدا ومعهدا (٤)
ومن عجيب أني أروى ديارهم وحظي منها حين أسأها الصدى (٥)

(٥) نصير الدين الحمصي المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رأيت شخصا أكلا كرشة وهو أخوذ ذوق، وفيه فطن
وقال : ما زلت محبها، قلت : من الإيمان حب الوطن !

(١) الوراق : مرق الكتب . (٢) الأديم : الجلد .

(٣) حبيب : اسم أبي تمام الشاعر المشهور . والحبيب : المحبوب فني الكلمة تورية .

(٤) العهد والمعهد : المنزل الذي لا يزال القوم إذا اتأوا عنه رجعوا إليه .

(٥) الصدى : الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها . والصدى أيضا : العطش .

وقال في داره :

ودارٍ خَرَّابٍ بها قد نزلتُ ولكن نزلتُ الى السابِعة
طريقٌ من الطريقِ مُسلوكةٌ محجَّتها للورى شاسعة (١)
فلا فرق ما بين أنى أَكُونُ بها ، أو أَكُونُ على القارعة (٢)
تَسَاوَرُها هَفَواتُ النسيم فتُصَنِّى بلا أَذِنٍ سامعه (٣)
وأُخْشى بها أَنَّ أَقيم الصلاةَ فتَسْجُدَ حيطانُها الرَّاكعة
إِذا ما قرأتُ إِذا زُلزَلتُ خَشِيتُ بأنَّ تَقْرَأَ الواقعة

وقال :

جُودُوا لَنَسْجَعِ بالمديد ح على حُلاكم سرمدًا (٤)
فالطير أحسن ما يُغرُّ رِدُّ عند ما يقع الندى (٥)

وقال :

أَنْتَ طَوْقَتْنِي صَنِيعًا ، وَأَسْمَعُ نَكَّ شَكْرِي ، كَلَاهِمَا ما يَضِيعُ
فإِذا ما شَجَاكَ سَجِى فإِنى أَنَا ذاك المَطْوُوقُ المَسْمُوعُ

وقال :

أَبْيَاتٌ شِعْرُكَ كَالْقَصُورِ ر ولا قُصُورَ بها يعوق (٦)
وَمِنْ العَجَائِبِ لَفْظُهَا حُرٌّ ومعناها رقيق (٧)

(١) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .

(٢) قارعة الطريق : أعلاه . قارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .

(٣) تَسَاوَرُها : توارثها . (٤) سرمدًا : دائماً .

(٥) الندى : الجود . والندى أيضاً : البلى والمطر .

(٦) كَالْقَصُورِ : جمع قصر ، وهو الصرح . ولا قُصُورَ بها : ولا عيب بها .

(٧) رقيق لها معنيان : أحدهما الملوكة ضد الحر ، والآخر من الرقة وهي اللطف والحسن

وكذا كلمة حر لها معنيان : ضد العبد ، والجيد المختار من اللفظ .

(٦) عُمر بن وردى^(١)

قال في مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أَقْتُلْ بَيْنَ جِدِّكَ وَالْمِزَاجِ	يَنْبُلُ جُفُونَكَ الْمَرْضَى الصَّحَاحِ ^(٢)
يَكْدُرُنِي نَوَاكٍ وَأَنْتَ صَافٍ	وَيُسْكِرُنِي هَوَاكَ وَأَنْتَ صَاحِي
وَأَبْكِي لِلْغَرَامِ ، وَأَنْتَ لَاهٍ	وَأَعْذُرُنِي الْأَوَامِ ، وَأَنْتَ لَاحِي ^(٣)
فَمَا لِسِرَاجِ دَمْعِي مِنْ إِسَارٍ	وَمَا لِإِسَارٍ وَجْدِي مِنْ سَرَاحٍ ^(٤)
وَمَا لَصَبَاحِ وَجْهِكَ مِنْ مَسَاءٍ	وَمَا لِمَسَاءِ شَعْرِكَ مِنْ صَبَاحٍ
رِضَاكَ إِلَى رُضَايَكَ لِي دَلِيلٌ	أَلَيْسَ كِلَاهُمَا رُوحِي وَرَاحِي؟ ^(٥)
وَلِي لِحْظٌ يَطِيرُ إِلَيْكَ شَوْقًا	فَهَا قَدْ طَارَ مَبْلُولُ الْجَنَاحِ!
وَوَجْهَكَ فَوْقَ قَدِّكَ عَرَفَانِي	بِإِثْمَارِ الْبُذُورِ مِنَ الرِّمَاحِ ^(٦)
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سِرِّي وَدَمْعِي	لَقِيَ بَيْنَ آسْتَارٍ وَأَفْتَضَاحٍ ^(٧)
يَجِيقُ لِمَنْ لَحَانِي فِيكَ ذَمِي	وَحَقٌّ لِكَاتِبِ السَّرَّامْتِدَاحِي
وَلَسْتُ سِوَى ابْنِ فَضْلِ اللَّهِ أَعْنِي	شَهَابُ الدِّينِ ذِي الْغُرِّ الْمَلَاحِ

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ ، وكان شاعرا نحويًا فقيها مؤرخا فاضيا .

(٢) المرضي : القوافر الناعسات والصحاح الجيلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق .

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أي فما لدمعي ما يوقف سيله ؛ وليس ما يخلصني من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح : الخمر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقي : الشيء المطروح .

له قلم بفضل الله يحيا لنا يحيى به بعد أنراح
فما أدري أنقشاً فوق طرس يطرز أم مساءً في صباح؟
أشد من القضاء مضاءً أمي وأجری في الخطوب من أرياح

نخذها بنت ليلتها عروماً * * * ترف اليك كالخود الرذاح (١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علوى ولست أرى التكسب بامتداح
فلى من أنعم الرحمن مالٌ يصون عن احتياج واحتياج
ولم أقصد بمدحك غير ردٍّ أروض به الزمان عن الجماح

وكتب الى القاضي جمال الدين يوسف معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أرذت تهجرني علاماً وتوقظ بالنوى إبلاً نياماً؟
لعلك يا جليد القلب تبغى رحيلاً يورث الدمع انسجاماً
فهل لاقيت في حلب هوماً قترمع عن نواحيها آهتاما؟
فلا تأخذ دمشق لها بديلاً أغبطاً ذاك منك أم انتقاماً؟
وإن تك بالتفريق لا تبالي فهذا يمنع العين المناما
وإن ترحل لنيل غنى فسهل غناك هنا إذا أمسكت عاماً
وإن ترحل تريد تمام جاءه فقه ، إني أحذرك التما
وإن ترحل رجاء لأشتهار فكم من شهرة توهي العظاما
أقيم في الأهل في رغد وطيب بأمرى ، وأغنم ذاك آغناما

(١) الرذاح : البدينة . والخود : الفتاة النضة .

وقال بعد أن ترك منصب القضاء زهداً فيه :

تركتُ لكم عن القضاء وجهه
سستعلمُ نفسي أيَّ جميلٍ تحملتُ
لقد نلتُ من كثرِ القناعةِ بُغيتي ،
وعفْتُ بنى الدنيا ، وغادرتُ برهم
فيا لائماً قد لام في تركِ منصبٍ
كذا سُنَّةُ الدنيا إذا تركَ ألقى آلُ
أرجعُ بعد العتيق في الرقِّ ثانيا
وما جهلتُ نفسي المعالي وطبيها ؛
أصوبن الذي علمته عن مَذَلَّةٍ
ورُحْتُ خفيف الظهر عن جملِ مِنَّةٍ
يقال له قاضى القضاة تعدياً
تلبس أثواب الرِّياء تصنعاً

وأبعدتُ عنه خائفاً أترقبُ
ليوم أنسى من هؤلاء الطفلُ أشيبُ
وجانبتُ حُرصى ، والحريصُ معذبُ
لغيري ؛ فلا أشكو ، ولا أعتبُ
خُطبتُ له ، تركى لذلك منصبُ
بمناصبَ جاءتْهُ المناصبُ تخطبُ
فلا أم لى إن كان ذاك ولا أب !
ولكن رأيتُ أن السلامة أطيبُ
فلأعزُّ في الدارين قد كنتُ أتعبُ
لمفتضح بالمكر ، وهو محجبُ
وظلماً ، وهذا القولُ لله أوجبُ
ليغسلَ عنه الذمُّ ، والطبعُ أغلبُ

(٧) صفي الدين الحلِّي^(١)

من ملحه :

إنما الحيزبون والدرديسُ
لُغيةٌ تنفِرُ المسامعُ منها
والطخا والنقاخ والعلطيسُ^(٢)
حين تُروى وتشمِئُ النفوسُ

(١) هو عبد العزيز بن علي شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية ، وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون ، وتوفي ببغداد سنة ٥٧٥ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التي لا خير فيها . الدرديس : العجوز القانية والداهية . الطخا : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافي . العلطيس : الأملس البراق .

وقبيحٌ أن يُذكرَ النافرُ الوحى
أينَ قولِي : هذا كُثيبٌ قديمٌ
خَلَّ لِلأَصمعيَّ جَوْبَ الفَيَافى
إنما هذه القلوبُ حديدٌ
شئٌ منها ويُبتركُ المائوسُ (١)
ومقالى : عَقَقَلُ قُدُموسُ (٢)
فِي نِشَافٍ تَخَفُ فِيهِ الرُّوسُ (٣)
ولَذيذُ الألفاظِ مَغْناطيسُ

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَعَ الرِّبيعُ على عُصُونِ أَلْبَانٍ
وَمَتَّ فَبَرُوعُ الدَّوْحِ حَتَّى ضَاغَتْ
وَتَوَجَّهَتْ هَامُ العُصُونِ ، وَضَرَجَتْ
وَتَنَوَّعَتْ بِسُطِّ الرِّياضِ ؛ فَزَهَّرَها
مِنَ أبيضٍ يَبْقَى ، وَأَصْفَرَ فاقِعَ ،
وَالظَّلُّ يَسْرِقُ فِي الخِمَائِلِ خَطْوَه
وَكأَنما الأَغصَانُ سَوَقٌ رَوَاقِصُ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِن خِلالِ فُرُوعِها
حُللاً فَواضِلُها على الكُثبانِ (٤)
كَفَلَ الكُثيبُ ذَوائِبُ الأَغصَانِ (٥)
خَدَّ الرِّياضِ شَقائِقُ النُّعْمَانِ
مَتَبَايِنُ الأَشْكالِ والأَلْوَانِ :
أَوْ أَزْرَقِ صَافٍ ، وَأَحْمَرَ قَانِي
وَالغُصْنُ يَخْطِرُ خِطْرَةَ النُّشْوَانِ (٦)
قَدْ قِيدَتْ بِسَلَسِلِ الرِّيحَانِ (٧)
نَحْوَ الحَدائقِ نِظْرَةَ الغَيْرَانِ (٨)

(١) الوحى : من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٢) العَقَقَلُ : الكُثيبُ المتراكم . قُدُموسُ : قديم .

(٣) الفَيَافى : مفردُها فَيفاءُ ، وهى المفازة لأماء فيها . جَوْبُ الفَيَافى : قلعها . رِشَافُ : جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٤) الكُثبانُ : جمع كُثيبٍ ، وهو التل من الرمل . (٥) الكفل بفتحين : العجز .

(٦) الخِمَائِلُ : جمع نَحِيلَةٍ ، وهى رملة تنبت الشجر . يَخْطُرُ : يتمايل . النُّشْوَانُ : السكران .

(٧) سَوَقٌ رَوَاقِصُ مفرد السَوَقِ : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .

(٨) الغيران : شديد الغيرة .

وَالطَّلَعُ فِي خَلَلِ الْكَامِ كَنَانِهِ
وَالْأَرْضُ تَعْجَبُ كَيْفَ تَضْحَكُ، وَالْحَيَا
فَأَصْرَفَ هَمِّكَ بِالرَّبِيعِ وَفَضْلِهِ،
أَنْتَى؟ وَقَدْ صَفَّتِ الْمَيَاهُ وَزُحْرِفَتْ
وَأَخْضَرُ وَادِيهَا، وَحَدَّقَ زَهْرُهُ
وَبِهِ الْجَسَارَى الْمُنْشَأَتُ، كَأَنَّهَا
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي التَّدْفُقِ كُلَّمَا
حَتَّى إِذَا كُسِرَ الْخَلِيجُ وَقُسِّمَتْ
سَاوَى الْبِلَادِ كَمَا تُسَاوَى فِي النَّدَى
مَلِكٍ إِذَا أَكْتَظَلَ الْمُلُوكُ بَنُورَهُ
قَدْ عَزَّ دِينُ مُحَمَّدٍ بِسَمِيهِ
شَاهِدُهُ فَشَهِدَتْ لِقَامِ الْجَمَا
وَرَأَيْتُ مِنْهُ سَمَاحَةً وَفَصَاحَةً

وَحَلَّ تَفَتَّقَ عَنْ نُحُورِ غَوَانِي (١)
يَبْكِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ الْهَمَلَانِ (٢)
إِنَّ الرَّبِيعَ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي
جَنَاتُ مِصْرَ، وَأَشْرَقَ الْهَرَمَانِ،
وَالنَّيْلُ فِيهِ كَكُوْثَرِ بَحْنَانِ
عِنْدَ الْمَسِيرِ تَهْمٌ بِالطَّيْرَانِ
عَجَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ النَّسِيمِ الْوَانِي (٣)
أَمْسَوَاهُ بِحُتَيْهِ عَلَى الْخُلْجَانِ
بَيْنَ الْأَنَامِ مَوَاهِبُ السُّلْطَانِ
خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ (٤)
وَسَمَا بِنُصْرَتِهِ عَلَى الْأُدْيَانِ
وَنَظَرْتُ كَسْرَى الْعَدْلِ فِي الْإِيْوَانِ (٥)
أَعْدَى بَفَيْضِهِمَا يَسْدِي وَلِسَانِي

(١) الطلع : طلع النخلة ، والخلال بفتح الخاء : الفرجة بين الشئين والجمع خلال ، والكام : وعاء

الطلع ، الغواني : جمع غانية ، وهي التي غنيت بحسنها عن الحل

(٢) الهملان : الجريان .

(٣) الواني : الضعيف .

(٤) الأذقان : مفردة ذقن ، وهي في الإنسان مجمع لحية .

(٥) الجمجا : العقل يريد لقمان الحكيم .

وقال يرثي خاله صفى الدين بن محاسن ، وقد قتل غدرا :

انْظُرْ إِلَى الْمَجِيدِ كَيْفَ يَنْهَدِمُ وَعُرْوَةُ الْمَلِكِ كَيْفَ تَنْقَصُ
وَأَعْجَبْ لَشَهَبِ الْبَزَاةِ كَيْفَ غَدَتْ تَسْطُو عَلَيْهَا الْحُدَّانُ وَالرَّخَمُ (١)
لَا تُعْرِفُ الْعِزُّ فِي مَنَازِلِنَا وَأَنْكَرَتْهَا الصَّعْوَارِمُ الْخُدْمُ (٢)
إِنْ لَمْ تَقْذُهَا شُعْتًا مُضْمَرَةً تَذُوبُ مِنْ نَارِ حِقْدِهَا الْجَمُّ (٣)
فِي فِتْيَةٍ أَرْخَضُوا نَفْسَهُمْ كَأَنَّهُمْ لِلْحَيَاةِ قَدْ سَمُّوا
إِنْ زَارُوا فِي الْهِجَاكِ تَحْسَبُهُمْ أَسَدًا عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَّا أَجْمُ (٤)
صَغِيرُهُمْ لَا يَعْيبُهُ صِغَرُهُ وَشَبِيحُهُمْ لَا يَشِينُهُ هَرَمُهُ
مَا عُدْرُنَا وَالسِّيُوفُ قَاطِعَةٌ وَأَمْرُنَا فِي الْعِرَاقِ مُنْتَظِمُ
وَحَوْلُنَا مِنْ بَنَى عُثْمَيْنَا كِتَابُ كَالْغَمِّ تَزْدَحِمُ (٥)
يَا صَاحِبَ الرَّتَبَةِ الَّتِي نَكَصَتْ عَنْ دُونِ إِذْرَاكِ شَأْوِهَا الْأُمُّ
قَدْ كُنْتَ لِي ذَابِلًا أَصُولُ بِهِ مَا خِلْتُهِ فِي الْهِجَاكِ يَنْحَطِمُ (٦)

وقال يهني المؤيد بالقدوم من الصيد :

مَرْحَبًا بِالْحَيَا لِكُلِّ جَدِيبٍ لَا عِدْمُنَا نَوَالَهُ وَظِلَالَهُ (٧)
مَلِكِ الْجُودِ وَالْتِنَا وَالْمَعَالِي وَالسَّجِيَّاتِ كُلِّهَا وَالْأَصَالَهُ

- (١) البزاة الشهب : الصقور التي لونها أشهب ، وهي التي يغلب بياضها سوادها .
- (٢) الخدم : مفردة خذوم ، والصوارم الخدم : السيوف القواطع .
- (٣) الشعث : جمع أشعث وشعثاء ، وهي الملبدة الشعر لا تساخه وعدم تعده بالدهن .
- (٤) القنا : الرماح . والأجم : واحدة أجمة وهي الشجر الملتف .
- (٥) كتاب : مفردة كتبة ، وهي : طاقة من الجيش مجمعة .
- (٦) ذابلا : رمحا .
- (٧) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

رُقِمَتْ حُلَّةُ الرِّياضِ نَحْلِنَا أَنْ رَوْضًا قَدْ اسْتَعَارَ خِلَالَهْ
وَأَبْتَنَى الْأَفَقَّ لِلْعِلا فَحِيبِنَا أَنَّهُ يُنْعِلُ الْجَوَادَ هِلَالَهْ (١)
جاء من صَيْدِ السَّعِيدِ كَبْدَر مَا رَأَى الطَّرْفُ فِي السَّنَاءِ مِثَالَهْ (٢)
كَمْ غَزَا لِي رَمِي ؛ فَلَوْ أَقْنِ الشَّمْسُ سَ مِنْ الْخَوْفِ مَا تَسَمَّتْ غَزَا لَهْ
وَلَعَمْرِي لَوْ اسْتَجَارَ بِهِ الْوَحْدُ شُ ثَنَى - بَعْدَ مَا اسْتَقَلَّتْ - نِبَالَهْ (٣)
أَيْدِ اللَّهِ مَا كَعَهُ وَوَقَاه وَحَى سَرِبَهُ وَصَانِ بَجَالَهْ (٤)

وسأله نقيب الأشراف بالعراق أن يرد على قصيدة عبدالله بن المعتز التي يفضل

فيها آل العباس على آل علي ومنها :

وَنَحْنُ وَرِثْنَا ثِيَابَ النَّبِيِّ فَكَمْ تَجِدُونَ بِأَهْدَابِهَا
لَكُمْ رَحِمٌ ، يَا بَنِي بَنْتِهِ ، وَلَكِنْ بَنُو الْعَمِ أَوْلَى بِهَا

فقال صفي الدين :

أَلَا قُلْ لَشَرِّ عِبِيدِ الْإِلَهِ وَطَاغِي قَرِيشٍ وَكَذَابِهَا
وَبَاغِي الْعِبَادِ وَبَاغِي الْعِنَادِ وَهَاجِي الْكِرَامِ وَمُغْتَابِهَا
أَنْتِ تُفَاخِرِ آلَ النَّبِيِّ وَتَجْعَلُهَا فَضْلَ أَحْسَابِهَا ؟
أَعَنْكُمْ نَفِي الرَّجْسِ أَمْ عَنْهُمْ بَطْهَرِ النَّفُوسِ وَالْبَابِهَا ؟
أَمْ الرَّجْسُ وَالْخَمْرُ مِنْ دَابِكُمْ وَفَرَطُ الْعِبَادَةِ مِنْ دَابِهَا !

(١) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .

(٢) السناء : الرفعة .

(٣) ثنى : أرجع .

(٤) حى الله سر به : حفظ نفسه .

وقلت : ورثنا ثيابَ النبي ؛ فكم تجذبون بأهدابها
 وعينك لا يورثُ الأنبياءُ فكيف حظيتُ بأثوابها ؟
 أجذك يرضى بما قلته وما كان يوما بمُرثابها
 وكان يصفين في حُرْبهم لحرب الطُّغاة وأحزابها
 وقد شمرَّ المسوتُ عن ساقه وكشَّرتِ الحربُ عن ناهها
 فأقبل يدعو إلى حيدر بارغابها وبارهاها
 وصلى مع الناس طولَ الحياة وحيدرُ في صدرِ محرابها
 فهبلاً تقمصها جدكُم إذا كان إذ ذاك أحرى بها ؟
 وقولك : أتمُّ بنو بنته ولكن بنو العم أولى بها
 بنو البنتِ أيضاً بنو عمه وذلك أدنى لأنسابها
 وقلت : بأنكم القاتلون أسودَ أمية في غابها
 كذبت ! وأسرفت فيما ادعيت ! ولم تنه نفسك عن عابها !
 ولولا سُيوفُ أبي مسلم لعزت على جهيد طلائها
 وذلك عبد لهم لا لكم رعى فيكم قرب أسياها
 وكنتم أسارى بيطن الحبوس وقد شفقكم لثم أعتابها
 فأخرجكم وحباكم بها وقصصكم فضل جلابها
 فجازيتموه بشر الجزاء لطغوى النفوس وإعجابها
 فدع ذكركم رَضُوا بالكفاف وجاءوا الخلافة من بابها
 هم الزاهدون ، هم العابدون ، هم الساجدون بمحرابها

(٨) جمال الدين بن نباتة^(١)

قال :

مَسْأَلَةُ الدَّوْرِ غَدَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أُحِبُّ^(٢)
لَوْلَا مَشِيبِي مَا جَفَّتْ لَوْلَا جَفَاها لَمْ أَشِبْ!

وقال يمدح المؤيد :

لَوْلَا مَعَانِي السَّحَرِ مِنْ لَحَظَاتِهَا مَا طَالَ تَرْدَادِي عَلَى أَبْنَانِهَا
وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى الدِّيَارِ مُنَادِيًا قَلْبِي الْمَتِيمَ مِنْ وَرَا حُجُرَاتِهَا^(٣)
دَارُ عَرَفْتُ الْوَجْدَ مِنْذُ أَتَيْتُهَا زَمَنَ الْوِصَالِ ؛ فَلَيْتَنِي لَمْ آتِهَا!
حَيْثُ الظُّبَا وَكَوَاعِبُ وَحْدَائِقُ أَنِّي التَّفَتُّ رَتَعَتْ فِي جَنَانِهَا^(٤)
وَالرَّاحُ هَادِيَةٌ السَّرُورِ إِلَى الْحَشَا مِثْلَ الْكَوَاكِبِ فِي أَكْغَفِ سُقَانِهَا^(٥)
فَلَنْ بَنَيْتُ فَإِنْ هَذَا الدَّمْعُ مِنْ ذَاكَ الْحَبَابِ يَفِيضُ مِنْ جَنَابِهَا^(٦)
مَالِي وَمَا لِلَّهِ وَبَعْدَ مَفَارِقِ قَدْ نُفِّرَتْ غُرْبَانُهَا بِزُنَاتِهَا؟^(٧)

- (١) هو جمال الدين محمد الشاعر الكاتب . ولد بالقاهرة ، وبها تأدب ونبع في الشعر ، وله عدة مصنفات . مات سنة ٥٧٦٨ هـ . ويمتاز شعره بالركة وحسن التورية .
(٢) الدور في علم المنطق : توقف كل من الشيعين على الآخر .
(٣) يشير إلى الآية الكريمة «إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» .
(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الجارية الناهد .
(٥) الراح : الخمر ، سقاة : جمع ساق .
(٦) حباب الماء بالفتح : ثقافته التي تعلوه .
(٧) مفارق : مفرده مفرق كجلس ، وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر . البزاة : مفرده بأزى وهو نوع من الصقور . يقصد بالغربان سواد الشعر . وبالبزاة : بياضه .

والشَّيْبُ فِي فَوْدِي يَحُطُّ أَهْلَةً
مَعْنَى الْمُنُونِ يَلُوحُ مِنْ نُونَاتِهَا (١)
سَقِيَّالِرَوْضَاتِ الشَّبَابِ وَإِنْ جَنَّتْ
هَذِي الشَّجُونُ عَلَى قُلُوبِ جُنَاتِهَا (٢)
وَلِدَوْلَةُ الْمَلِكِ الْمَوْيْدُ إِنَّهَا
جَمَعَتْ فُنُونِ الْمَدْحِ بَعْدَ شَتَاتِهَا

وقال في الزهد :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ! لَا مَالِي وَلَا وَلَدِي
أَسْتَعْفِفُ الْإِقَامَةَ فِي الدُّنْيَا لَوْ أَنَّنِي شَرَحْتُ
وَقَدْ صِدِّقْتُ ، وَلِي تَحْتَ التُّرَابِ جِلَا
لَا عَارَ فِي أَدَبِي أَنْ لَمْ يَنْبَلْ رُبُّنَا
هَذَا كَلَامِي وَذَا حَظِّي ! فَيَا عَجَبًا
وَمَا عَجِبْتُ لِدَهْرِ دُبْتُ مِنْهُ أَسَى ،
تَدُورُ هَامَتُهُ غَيْظًا عَلَيَّ ، وَلَا
حَيَاةَ كُلِّ أَمْرٍ سَجَنٌ لِمُهْجَتِهِ
وَإِنَّمَا الْعَارُ فِي دَهْرِي وَفِي بَلَدِي
يَمْنِي لَثَرَوَةٍ لَفِظٍ وَافْتِقَارٍ
لَكِنْ عَجِبْتُ لِضِدِّ ذَابٍ مِنْ حَسَنِ
وَاللَّهُ مَا دَارَ فِي فِكْرِي وَلَا خَلَدِي (٦)
فَيَا عَجَبًا لَطَالِبِ طَوَّلِ السَّجْنِ وَالْكَدِ (٧)

(١) الفود : معظم شعر الله مما يلي الأذنين .

(٢) جنى عليه : أذنب ذنبا يؤاخذ به . الشجون : الهموم والأحزان . الجناة : مفردة جان وجاني

الثرة مجتنبها .

(٣) آسى : أحزن .

(٤) عفت الإقامة : كرهتها .

(٥) جلا : مفعول جلا . وهو كشف الصدا . الصدى : الشيء الذي أصابه الصدا ، يقال : صدئ

الحديد يصدأ فهو صدئ .

(٦) هامته : رأسه . الخلد : البال .

(٧) المهجة من معناها الروح وهو المراد هنا .

أَمَّا الهمومُ فبحرٌ خُضْتُ زانِجَه
وَعِشْتُ بَيْنَ بَنِي الْأَيَّامِ مَنْفَرِدًا
يَا جَامِعَ الْمَالِ إِنَّ الْعُمَرَ مُنْصِرِمٌ
وَيَا عَزِيزًا يَخِيطُ الْعُجْبُ نَاطِرَه
أَمَّا تَرَى فَوْقَ رَأْسِي قَائِضَ الزَّيْدِ
وَرُبَّ مُنْفَعَةٍ فِي عَيْشٍ مُتَفَرِّدٍ
فَانْجُلْ بِمَالِكَ مَهْمَا شِئْتَ ، أَوْ بَقْدِ
إِذْ كُرَّ هَوَانُكَ تَحْتَ التُّرْبِ وَاتَّئِدْ
إِلَى الْمَرَامِ فَنَادَاهُ الْجِمَامُ : قَدِ (١)

وكتب إليه صفي الدين الحلبي قصيدة يعاتبه فيها أولها :

مَنْ لِيَصِبَّ أَدْنَى الْإِعَادِ وَفَاتَهُ
مَذَّ عَدَاهُ وَضَلَّ الْحَيْبُ وَفَاتَهُ
فَأَجَابَهُ ابْنُ نَبَاتَةَ :

مَا لَظِي الْجَمَى إِلَيْهِ الْتِفَاتُهُ
لَهَجٌ بِالْهَوَى ، وَإِنْ تَفَرَّتْ أَيْدِ
كُلَّمَا قِيلَ : قَدْ سَلَ عَنْ فَتَاةٍ
مَا عَلَى مَنْ عَصَى النَّهْيَ فِيهِ رَأْيُ
يَأْبَى فَاتِرُ الْلِخَاطِ غَرِيرٌ
بِهَائِلِ الْحَسَنِ ، إِنْ رَأَى وَتَنَّى
لَعِيونَ الْوَرَى بِخَدْيِهِ وَرَدُّ
بَعْدَ مَا كَدَّرَ الْمَشِيبُ حَيَاتَهُ
سَدَى آلِيَالِي غَزَالَهُ وَمَهَاتَهُ (٢)
عَادَهُ الْحَبُّ ، فَاسْتَجَدَّ فَتَاتَهُ
لَوْ عَصَى فِي الْهَوَى عَلَى نُهَاتِهِ (٣)
رَامَ تَشْبِيهِهِ الْغَزَالَ فَفَاتَهُ (٤)
سَلَّ أَسْيَاقَهُ وَهَزَّ قَنَاتَهُ
طَالَمَا عَاقَبَ السِّهَادُ جُنَاتَهُ

(١) الراحة : بطن الكف . الحمام : الموت . قد : معناها حسب .

(٢) المهابة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في حسنها وجمال عينيها .

(٣) يقول : أى ضرر على من عصى رأيي العقول في حبه لو أنه عصى من يثرونه عن حبي .

(٤) تشبيهه : أى محاكاته وتمثيله .

ساقِي آلاَح بادكارُ لُقاه لَا عَدِمْنَا ذَاكَ اللَّقَى وَسُقَاتَه
 هَاتِ كَأْسِي، وَإِنْ لَحَبْتُ مِنَ السُّكَّرِ مِرْ فَلَا تَلَحِّنِي إِذَا قُلْتُ : هَاتَه
 أَنَا فَرْعٌ مِنَ النَّبَاتِ إِذَا مَا هَجَرْتَهُ السَّقَاةُ خَافَ مِمَّاتَه
 أَنْبَتَتْهُ نُعْمَى الصَّفَى، وَأُحِيتِ ذِكْرَ أَسْلَافِهِ، فَهَزَّتْ نَبَاتَه
 نَازِمٌ يَشْتَكِي الْوَلِيدَ قُصُورًا حِينَ تَتْلُو رِوَاثَهُ أَبْيَاتَه (١)
 مِنْ أَنَاسٍ كَانُوا إِذَا عَزِمَ الدَّهْدُ مِرْ وَحَامَى، حُمَاتَه وَكُفَاتَه
 يَا مَفِيدُ الْوَرَى لَأَلَى بِحَرِّ يَعْرِفُ الذُّوقُ عَذْبَهُ وَفُرَاتَه
 وَصَلَ الْعَبْدَ مِنْ قَرِيضِكَ يَرْثُ سِرَّ أَحْبَابِهِ، وَسَاءَ عُدَاتَه
 رَائِقُ الْكَأْسِ غَيْرَ أَنَّ عَتَابًا طَالَمَا لِلْحَبِّ كَانَ قَذَاتَه (٢)
 أَيْ ذَنْبٍ لَسَاتِرٍ تَظْمَنُهُ عِنْدَ كَ وَمَنْ ذَا يُهْدِي لَطُودَ حَصَاتَه
 خَلَّ هَذَا وَأَنَعَمَ بِيَابِ مَلِكٍ عَمَّ بِالْعَدْلِ وَالنَّوَالِ عُفَاتَه (٣)
 زَوْجَتُنَا حِمَاةُ نُعْمَى يَدِيهِ فَعَدَا كُلُّنَا يُحِبُّ حِمَاتَه (٤)

وقال من أرجوزة مزدوجة طويلة في الطرد سماها مصايد الشوارد :

لِمَا دَنَا زَمَانُ رَمَى الْبُنْدُقِ سَرْنَا عَلَى وَجْهِ السَّرُورِ الْمَشْرِقِ (٥)
 فِي عَصْبَةٍ عَادِلَةٍ فِي الْحُكْمِ وَغَلْمَةٍ مِثْلِ بُدُورِ التَّمِّمِ

(١) الوليد : هو أبو عبادة البحرى .

(٢) القذاة : ما يسقط في العين أو الشراب فيكدر .

(٣) العافى : طالب الرزق .

(٤) حماة : مدينة بالشام . والحماة : أم الزوج أو الزوجة ؛ ففي قوله (فعدا كلنا يحب حماته) تورية .

(٥) البندق : طين مكثور جاف يرمى به الصيد .

من كل مبعوثٍ إلى الأطيّار تَطْلُهُ غمامةُ الغبار
وكل معسولٍ الشَّبابِ أغيد منعطفٍ عطفَ القضيبي الأملد (١)
قد جحد القومُ به عُقبى السفر عند اقتران القوس منه بالقمر (٢)
لولا حذارُ القوس في يديه لغنت الورقُ على عطفيه (٣)
في كفه مخبئةُ الأوصال قاطعةُ الأعمار كالهلّال (٤)
زهراءُ خضراءُ الإهاب معجبه مما ثوت بين الرياض المعشبه
قائِرةُ الأفواه للأطيّار طالبةُ لحن بالأوتار (٥)
كأنها حول المياه نون أو حاجب بما تشا مقرون

(٩) محي الدين بن قناص الجموى

قال :

سَقِيَا لَهُ رَوْضًا قُدُودُ غُصُونِهِ تَحْتَالُ فِي الْأَبْرَادِ مِنْ أَوْرَاقِهَا (٦)
جَنَّتْ بِهِ وَرَقُ الْحَمَامِ صَبَابَةً أَوْ مَا تَرَى الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهَا؟ (٧)

(١) الأغيد : لين الاعطاف .

(٢) فيه إشارة إلى تشبيه قوس الصيد بقوس السماء وتشبيه وجه حامله بالقمر .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة لونها كلون الرماد .

(٤) يريد بمخبئة الأوصال : القوس .

(٥) الأوتار : جمع وتر بفتحين ، أو وتر بكسر وسكون ؛ ففيها تورية .

(٦) قدود غصونه : قامات فروعها . تحتال : تعجب بنفسها مرحا ، الأبراد : الثياب ، ومفرداتها برد .

(٧) ورق الحمام : جمع أوراق وورقاء . والحمامة الورقاء : التي لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة

الشقوق وحرارته . الأغلال : مفردة غل وهو طوق من حديد يجمّل في العنق لأن المجنون كان يوضع

في أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ لَمَّا تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنَ النَّسْدَى يَجُنَّانِ (١)
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُنَامِلِ الْأَغْصَانِ

وقال :

وَرُبَّ نَهْرٍ لَهُ عَيْسُونُ تَحَارُّ فِي وَصْفِهِ الْعَيْونُ
لَمَّا غَدَا الرِّيقُ مِنْهُ عَذْبًا مَالَتْ إِلَى رَشْفِهِ الْغُضُونُ (٢)

وقال :

أَيَّا حُسْنِهَا رَوْضَةً قَدْ غَدَا جُنُوتِي فَنُسُونَا بِأَفْنَانِهَا
أَتَى الْمَاءُ فِيهَا عَلَى رَأْسِهِ لِتَقْبِيلِ أَقْدَامِ أَغْصَانِهَا

وقال :

تَتَنَّى الْغُضْنُ إِعْرَاضًا وَعُجْبًا عَلَى نَهْرٍ يَذُوبُ أَسَى عَلَيْهِ
فَرَّقَ لَهُ النَّسِيمُ وَجَاءَ يَسْتَعِي مَلَأَ طَفَقَةً ، وَمِيلَهُ إِلَيْهِ !

وقال :

رَوْضَةً مِنْ قَرَقَفٍ أَنْهَارُهَا وَغِنَاءُ الطَّيْرِ فِيهَا بَارْتِفَاجِ (٣)
لَا تَلُمُ أَغْصَانَهَا إِنْ رَقَصَتْ ؛ فَهِيَ مَا بَيْنَ شَرَابٍ وَسَمَاجِ

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة الآلى .

(٢) الرشف : المص .

(٣) القرقف : الخمر .

(١٠) الشهاب الخفاجي^(١) المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ

قال يمدح محمد بن قاسم الحلبي :

حَتَّامٌ يَغْزُونِي صُدُودُهُ . وَالصَّبْرُ قَدْ كَثُرَتْ جُنُودُهُ ^(٢)
 لَمْ أُدْرِ فَاتَرٌ جَفْنِيهِ . وَالْخَصْرُ أَشَقُّ أَمْ عُهُودُهُ ^(٣)
 نَشْوَانٌ يَعْثُبُ بِي كَمَا . عَيْثُتُ بِأَمَالِي وَعُودُهُ ^(٤)
 لَوْلَا مِيَاهُ الْحُسْنِ جَا . لَتُ فِيهِ لَأَحْتَرَقَتْ خُدُودُهُ
 كَالصَّبِّ لَوْلَا دَعُوعُهُ . يَهْمِي لِأَحْرَقَهُ وَقُودُهُ ^(٥)
 يُخْفِي أَلْهَوَى وَعَيْوَنُهُ . يَغْرَامُهُ الْمُضْنِي شُهُودُهُ
 فَسَقَى رِيَاضَ الْحُسْنِ مِنْ . دَمْعِي حَيًّا يَهْمِي مَدِيدُهُ ^(٦)
 زَمَنْ يَجِيدُ اللَّهُوَقْدُ . نَظِمْتُ عَلَى نَسَقِي عُقُودُهُ ^(٧)
 إِذْ دَوَّحَ أَنْسَى يَانِعٌ . بَكْتُوسَنَا أَنْفَتَحَتْ وَرُودُهُ ^(٨)
 وَالكَأْسُ نَجْمٌ لَاحَ فِي . فَلَكِ الْمَسْرَّةُ لِي سَعُودُهُ

(١) ولد في سر ياقوس وتعلم بمصر ثم رحل الى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب .

(٢) حَتَّامٌ أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يَغْزُونِي يسير إلى قتالي وانتهابي .

والصدود : الإغراض .

(٣) جَفْنٌ فاتر : غير حادّ النظر . وَالْخَصْرُ : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٤) النَشْوَانُ : السكران . وَيَعْثُبُ بِي : يلعب بِي .

(٥) الصَّبُّ : المشتاق الذي يكابد حرارة الشوق . يَهْمِي : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله .

(٦) الْحَيَا : المطر . المديد : الممدود والطويل .

(٧) نَسَقٌ : نظام واحد .

(٨) الدَّوْحُ : الأشجار العظيمة . والورود : جمع ورد .

يَصِفُو فَيُحِلِّي ذِكْرَ مَنْ قَدْ ذِينَ الدُّنْيَا وَجَسُودُهُ
ذَلِكَ ابْنُ قَاسِمٍ الَّذِي مَا زَالَ فِي تَعَبِ حَسُودِهِ

(١١) السيد عبد الرحيم العباسي

قال :

أَرَعَشَنِي الدَّهْرُ أَيَّ رَعِشٍ وَكُنْتُ ذَا قِسْوَةٍ وَبَطِشٍ
قَدْ كُنْتُ أَمْشِي وَلَسْتُ أَعْيَا فَصُرْتُ أَعْيَا وَلَسْتُ أَمْشِي

وقال :

مَالِي أَرَى أَحِبَابَنَا فِي النَّاسِ صَارُوا كَمَثَلِ حَبَابِنَا فِي الْكَاسِ
بَيْنَا يَرُوقُكَ عِنْدَ أَوَّلِ نَظْرَةٍ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنَاسِقِ الْأَجْنَابِ
فَإِذَا أَعْدَتِ الطَّرَفَ فِيهِمْ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا؛ وَصَارَ رَجَاؤُهُمْ كَالْيَاسِ

وقال :

لَسْتُ عَنْ وَدِّ صَدِيقٍ سَائِلًا غَيْرَ قَلْبِي فَهُوَ يَذْرَى وَدَّهُ (١)
فَكَمَا أَعْلَمُ مَا عِنْدِي لَهُ فَكَذَا أَعْلَمُ مَالِي عِنْدَهُ

وقال :

رَأَيْتُ لَثِيمَ قَوْمٍ فِي مَمَرٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَشْخَاصٌ لِثَامٌ
فَسَلَّمَ مِنْ جِهَالَتِهِ ابْتِدَاءً فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى كَسَدَ السَّلَامُ؟ (٢)

وقال :

حَالُ الْمُقِلِّ نَاطِقٌ عَمَّا خَفِيَ مِنْ عَيْبِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَ عَارِيًّا فَلَا تَسَلْ عَنْ ثَوْبِهِ

(١) ودّه : حبه . (٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج .

وقال :

إذا ما كنت عن قوم غريباً فعاملهم بفعلٍ يُستطابُ
ولا تحزن إذا فاهوا بفحش غريب الدار تنبُّه الكلاب^(١)

وقال :

أرى الدهر يُكرِّم جهَّاله وأعظمُ قدرًا به الجاهلُ
وأنظرُ حظي به ناقصاً أبحسبني أني فاضلُ

(ب) النثر

أولاً - النثر الفني

(١) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر^(٢) رحمه الله

من كتاب كتبه الى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشراً
بفتح صافيتاً :

فمن ذلك حصن الأكراد الذي تاه يعطيه على الممالك والحصون ، وشمخ
بأنفه عن أن تمتد الى مثله يد الحرب الزبون ؛ وغداً جاذباً بضبع الشام ، وآخذاً
يخانيق بلاد الإسلام ؛ وشلاً في يد البلاد ، وشجاً في صدر العباد ؛ تنقض من عشه
صنقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ؛ وتربض

(١) فاهوا بفحش : نطقوا بكلام سيئ فيبح .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجندابي المصري أحد المتعممين لطريقة القاضي
الفاضل في اتباع البديع ، وخاضعة التورية في الشعر والنثر وكان من رؤساء ديوان الإنشاء في دولة المماليك
البحرية . وتوفي سنة ٦٩٢ هـ .

بَارُ بَاضِهِ آسَادُ تَحِيَّ تِلْكَ الْآجَامُ ، وَتَفَوَّقَ مِنْ قِيَسِهِ سِهَامٌ تُصَيِّمِي مَفَوِّقَاتِ السَّهَامِ ،
تُعْطِيهِ الْمُلُوكُ الْجُزْيَةَ عَنْ يَدِهِ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وَيَصْطَفِي كِرَامَ أَمْوَالِهِمْ وَهُمْ صَابِرُونَ
لَا مُصَابِرُونَ . كَمْ شَكَّتْ مِنْهُ حِمَاةُ قِلْعَةِ الْإِنْصَافِ ، وَكَمْ خَافَتْهُ مَعَرَّةٌ وَمَا مِنْ مَعَرَّةٍ
خَافَ . مَا زَالَتْ أَيْدِي الْمَمَالِكِ تَمْتَدُّ إِلَى اللَّهِ بِالْإِدْعَاءِ عَلَيْهِ تَشْكُو مِنْ جَوْرِ جَوَارِهِ
تِلْكَ الْحِصُونُ وَالصَّيَاصِي ^(١) ، وَتَبْكِي بِمَدْمَعِ نَهْرٍهَا مِنْ تَأْثِيرِ آثَارِهِ مَعَ عِصْيَانِهَا وَنَاهِيكَ ^(٢)
بِمَدْمَعِ الْعَاصِي ؛ حَتَّى نَبَّهَ اللَّهُ الْخَاطِظَ سَيُوفِ الْإِسْلَامِ مِنْ جُفُونِهَا ، وَوَقَّى النُّصْرَةَ
مَا وَجِبَ مِنْ دُيُونِهَا . وَذَاكَ بَأَنَّا قَصَصْنَا فَمَسِيحَ رُبْعِهِ ، وَنَزَلْنَا وَنَازَلْنَا مَحْيًى صُبْقِيهِ ،
وَحَتَمْنَا بِنِصَالِنَا عَلَى قَلْبِهِ وَسَمِيْعِهِ ، وَلَهُ مَدَنٌ حَوْلَهُ نَحْسٌ هُوَ كَالرَّاحَةِ وَهِيَ كَالْأَنَامِلِ ^(٣) ،
وَتَكَادُ بُرُوجُهُ تُرَى كَالْمَطَايَا الْمُقَطَّرَةِ وَهِيَ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الزَّوَامِلِ ؛ مَا خَيَّمْنَا بِهِ حَتَّى
اسْتَبَحْنَا مَحْيًى تِلْكَ الْمَدَائِنِ الْمَكْنِيَّ عَنْهَا بِالْأَرَبِاضِ ، وَأَسْتَحْنَا بِسَاحَتِهَا بِحَرًّا مِنَ الْحَدِيدِ
مَا انْدَقَعَ حَتَّى فَاضٌ ، وَأَخَذْنَا الثُّقُوبَ فِي أَسْوَارٍ لَا تُنْقَضُ وَلَا يَنْقُضُ بُنْيَانُهَا الْمَرْصُوصُ ،
وَلَا تَقْرَأُ الْمَعَاوِلُ مَا نِلْحَوَاتِمِ أَبْرَاجِهَا مِنْ نُقُوشِ الْفُصُوصِ ؛ وَنَصَبْنَا عَلَيْهَا عِدَّةَ مَجَانِيْقَ
جُمِلَتْ فِي شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، عَلَى رُءُوسِ الْأَبْطَالِ ؛ فَتَغِيْظُ السَّمْهَرِيَّةُ أَنَّ الَّذِي تَقُومُ
بِهِ هَذِهِ تِلْكَ بِهِ لَا تَقُومُ ، وَأَنْ مَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ مِنَ الْأَيْدِي وَالرُّءُوسِ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ؛
وَصَارَ يُرْمَى بِهَا كُلُّ نَحْيٍ مُخْتَلِسٍ وَأَرْوَعٌ مُنْتَهَسٍ ^(٤) ، وَكُلُّ لَيْثٍ غَابَةٍ يَحْمِيهَا وَتَحِيَّهِ !

(١) الصياصي : الحصون الرفيعة .

(٢) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٣) الزوامل : جمع زاملة وهي الداية التي يحمل عليها من الإبل وغيره .

(٤) النهس : النهش والنهس مشتق منه .

فشكراً لأسود حتى غاباتها تفترس ؛ الى أن جثت أسوارها على الركب وكانت سهام
مجانيقها تيميل من العجب فصارت تيمد من العجب ، وكانت تطلب فصارت
تهرب من الطلب الخ .

(٢) من كتاب نسيم الصبا للامام ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٥٧٧٩ هـ
الفصل السادس في البحر والنهر .

هزنتي رياح الأمل البسيط ، الى أمطاء^(١) شج البحر المحيط ، فأتيت سفينة طيب
للسفر مشواها ، وركبت فيها بسم الله تجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور صائر ،
معبرنا عن قول الشاعر :

لا أركب البحر أخشى على منه المعاطب

طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذابت دسر^(٢) وألواح ، تجرى مع الرياح ، وتظير
بغير جناح ، وتتنازع عن الحادي بالملاح ، تنحوض وتلعب ، وترد ولا تشرب ، لها
قلاع كالقلاع ، وإشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسكان ، ومكانة وإمكان ،
وجو جو وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار ، وجسم عار عن الفؤاد ، وهو في عين الماء
بمنزلة السواد ، بعيدة ما بين السحر والنحر ، من أحسن الجوارى المنشئات في البحر ،
معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تمل من سير النهار ولا من سري الليل

مارأى الناس من قصور على الماء سواها تسير سير القداح^(٤)

(١) الشج : وسط الشيء ومعظمه .

(٢) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٣) السحر : الرثة . (٤) جمع قذح ، وهو السهم .

كأنها وَعِلٌّ يَنْحَطُّ مِنْ شَاهِقٍ ، أَوْ عِرْبَاضٍ سَابِقٍ يَحْتَهُ سَائِقٌ ، أَوْ عَقْرَبٌ شَائِلَةٌ ، أَوْ عُقَابٌ صَائِلَةٌ ، أَوْ غَرَابٌ أَعْصَمٌ ، أَوْ تَمْسَاحٌ أَوْ أَرْقَمٌ ، أَوْ ظَلِيمٌ نَفَرٌ فِي الظَّلَامِ ، أَوْ جَوَادٌ فَزَّ مُسْتَنَكِفًا مِنْ صَحْبَةِ الْأَنَامِ . حَاكِمُهَا عَادِلٌ فِي حَكْمِهِ ، عَارِفٌ بِنَقْضِ أَمْرِهَا وَبَرْمِهِ ، يَهْتَدَى بِالنُّجُومِ ، وَيَبْتَدِئُ بِأَسْمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، يَبْزُزُ مِنْ نَوَاتِيهَا^(٢) فِي جَنُودِهَا ، وَيَشْمَلُ إِحْسَانَهُمْ أَهْلَهَا إِيقَاطًا وَهَمَّ رَقُودِهَا ، يَتَأَنَّقُونَ فِيهَا يَعْمَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ :

يُكْثَرُونَ الصَّبَاحَ حَتَّى كَانَتْ السَّيِّدُ مَفْنٌ تَجْرَى مِنْ خَوْفِ ذَلِكَ الصَّبَاحِ
فَبَيْنَمَا نَحْنُ مِنَ الْبَحْرِ فِي قَامُوسِهِ ، كَتَبَ الْجَوْ حُرُوفَ الْغَيْمِ فِي طُرُوسِهِ ، وَثَارَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ ، يَتَّبِعُهَا رَعْدٌ قَاصِفٌ ، فَمَالَتْ بَنَاتُ الْفُلْكِ وَأَضْطَرَبَتْ ، وَدَنَتْ شَفَقَتُهَا مِنْ رَشْفِ الْمَاءِ وَأَقْتَرَبَتْ ، وَاسْتَمَرَّتْ تَرْفَعُ وَتُخَفِّضُ ، وَتَقْرُبُ وَتَرْفُضُ ، وَتَعْلُو كَالْأَطْوَادِ وَتَهْمُ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَتَحُومُ وَتَحُولُ ، وَتَجُورُ وَتَجُولُ ، وَتَضْرِمُ فِي الْكِبُودِ نَارَ نَاجِرٍ ، إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ :

أَلَّا فَارَّجُهُ وَأَخْشَاهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَحْرُ فِيهِ الْغِنَى وَالْغَرَقُ

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ ، وَأَمَرَ الْجَارِيَةَ بِحَمْلِ الْعَبِيدِ إِلَى بَعْضِ الْجَزَائِرِ ، فَلَمْ نَدْرِ إِلَّا وَنَحْنُ تَجَاهَ جَزِيرَةٍ ، تَسْرِى النُّفُوسُ بِمَحَاسِنِهَا الْغَزِيرَةِ ، فَأَنَحَدَرْتُ مَاضِيًا إِلَى بَنِيهَا ، نَائِيًا عَنِ السَّفِينَةِ وَسَاكِنِيهَا ، فَوَجَدْتُهَا مُحْضَرَةً الْأَفْنَانَ ، مُحْضَلَّةً

(١) العرْبَاضُ . الغليظ من الإبل .

(٢) جمع نوقى .

(٣) ناجر : كل شهر من شهور الصيف .

الكُثبان ، بها من الياقوت ما يرجع خاسئاً مُناويه ، ومن الأشجار ما يحمل الفواكه
والأفاويه ، وبين رياضها نهر شديد الخصر ، أرضه ذهب وحصباؤه دُرر ، وأمواجه
عُكْنٌ وداراته سُرر :^(١)

عذب إذا ما عب منه ناهلٌ فكأنه من ريق خود ينهل

(٢)

لئن الأديم ، مزاجه من تسنيم ، يصقله الصبا ، ويعرّكه النسيم ؛ فكأنه دروع
موضونة ، أو مبادر مسنونة ، أو دمع يتسلسل ، أو أفاع تتأمل ، أو ذؤب فضة
يسيل ، أو صفحة سيف صقيل ، أو لوح يلور مرقوم ، أو رحيق بالمسك مختوم :
وكان الطيور إذ وردته من صفاء به ترق فراخا^(٤)

إن مالت إليه الغصون فالشخوص ترقص في الخيال ، وإن كَرَعَتْ منه الظباء^(٥)
فالغيد يرشفن من ثغراتهن الزلال ، وإن أشرقت عليه النجوم خلت الفلك يدور^(٦)
في أرجائه ، وإن تجلى له البدر حبيبته قلباً خافقاً بين أحشائه :

قال مؤيد الدين الطغرائي :

والشمس إن وافته رآد الضحى حسناء في مِرآته ناظره
أُتمودج الماء الذي جاءنا الـ موعد بأن تُسقاها في الآخرة

(١) جمع عكنة ، وهو ما تنثى من لحم البطن .

(٢) التسنيم : هو أرفع شراب أهل الجنة .

(٣) موضونة : مضاعفة النسج .

(٤) زق الطائر : فرخه . أطعمه بمنقارة .

(٥) الكرع : شرب الماء بمدة العتي من غير تناوله باليد أو الإناء .

(٦) يشبه خيال الظباء في الماء وقت الشرب بالنساء الجميلات تشرب من فم أترابهن لالتقاء الأفواه .

فليثُ فيها مدة ، مفكراً فيما رأيتُ من الفرج بعد الشدة ، مؤمناً بالقدر خير به
 وشراً ، وحلو به ومُمره ، واقفاً على شكر من تجرى الفلك في البحر بأمره :
 ربما تجزع النفوس من الأمد مرله فُرجة كحل العقال
 ولم أزل بها في أحسن حال ، وأرغد عيش وأنعم بال ، إلى أن حرك الله مني
 ما كان ساكناً ، وأدخلني مصر بمشيئته آمناً .

(٣) شهاب الدين محمود الخفاجي

”المقامة الساسانية“

حدثنا مالك بن دينار ، عن مسافر بن يسار ، قال : كنتُ والشبابُ غُرابة
 لا يُطار ، وثمراته الجنية تُجنى من رياض الأخبار ، أهوى السّياحة والناسُ ناس
 والديار ديار ، والدهرُ غيرٌ لم يَفْطَن لتلون الليل والنهار :

ولم أري يوماً في ظلامٍ مفارقٍ شهابٍ مشيبٍ لاح في الإثر منقُضاً
 فسيرتُ في الأرض لأنظر آثار رحمة ، وأرى مآثر الطراز الأول في أعلام حُلته ،
 فإن من جد وجده ، ومن تواني فقد فقد ، رافعاً عصا التسيار ، على كاهل الاعتبار ،
 رافضاً الاستراحة في مهد البدعة ، مشيعاً قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطمناً أملاً عن در أنيس^(١)
 آرتضعه . أضرب كرة الأرض يصولحان الهمة ، لا أعبا بقائمة غير قائمة وهمة همة .
 أتدرع برد الليل ، لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير ، ولم أقل ليس للعصا
 سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور ، وورق جف فآلوت به الصبا والدبور . كأنني

(١) اللهم راحة بالكسر : الشيخ الفاني . .

على عُصْنٍ بَانَةٍ خَضِلَ تَنْثِيهِ رِيحَ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا أَوْ قَدَى فِي عَيُونِ الْبِلَادِ ، أَوْ عَيْرِ
شُرُودِ تَرْمِيهِ الرَّوَابِي لِلْوَهَادِ :

كَأَنِّي مِنَ الْوُجُنَاءِ فِي مَتْنٍ مُوجِبَةٍ رَمْتَنِي بِحَارٍ مَاهَرٍ سَوَاحِلِ

سَحَى أَتَيْتُ كُورَةَ نُحْرَاسَانَ ، فَإِذَا بِهَا قَيْلٌ نَصَبَ عِرْضَهُ لِسَهَامِ الْهَوَانِ ، مَقْلَدًا
فِي تَرْجِيحِ الْبُخْلِ مَذْهَبَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فَطَوَيْتُ حَدِيثَهُ عَلَى عَرِّهِ ، وَأَتَيْتُهُ لِأَقْفِ عَلَى جَلِيَّةٍ
أَمْرِهِ ، فَلَمَّا جُسِبْتُ خِلَالَ إِيْوَانِهِ ، قَرَأْتُ عُنوانَ حَالِهِ عَلَى وَجْهِهِ غِلْمَانِهِ . وَسَمِعْتُهُ
يَقُولُ لِمَنْ آمَتَرِي أَخْلَافَ دَرَّتِهِ ، وَشَبِيعَ مَنْ خُلَّتِهِ وَخَضَصَهُ بِرُؤْيَا جَرَّتِهِ : يَا هَذَا
صِنَاعَتُنَا وَاحِدَةً ، لَوْ لَمْ تَدْرُجْ مِنْ عُسْكَ كَانَتْ آرَاحَةُ فَائِدَةٍ .

يَحْمُ قَالَ لِي : أَيُّ الْبِلَادِ تُهْدِي سَلَامَهَا ، وَأَيُّ زَهْرَةٍ تَحْيِيهِ فَتَحْتَ لَكَ النِّسْمَاتُ
أَكَامَهَا ؟ قُلْتُ : الْكِانَةُ الْمُعْزِيَّةُ ، وَالْخَطَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حَضَانَةِ نِيْلَهَا تَحْيِيَّةٌ ، رِيَاضُهَا
تَحْيَا بِأَنْهَارِهِ ، وَأَصَابِعُهُ تُشِيرُ لِكُنُوزِ خَضْبٍ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مَعَادِنِ أَقْطَارِهِ ، إِلَّا أَنَّ
أَصَابِعَ النَّاسِ فِي الرَّاحَةِ وَالْأَيْدِي ، وَفِي أَصَابِعِهِ أَيْادٍ وَرَاحَةٌ لِكُلِّ حَاضِرٍ وَبَادِيٍّ .

(١) الْوُجُنَاءُ : النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٢) الْكُورَةُ : النَّاحِيَّةُ ، وَتَطْلُقُ عَلَى الْمَدِينَةِ .

(٣) الْقَيْلُ : الْأَمِيرُ .

(٤) الْعَرُّ : الْعَيْبُ وَالشَّرُّ .

(٥) آمَتَرِي : جَذَبَ الضَّرْعَ لِلْجَلْبِ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ حُلَّةٌ ضَرَعُ النَّاقَةِ . وَالْدَرَّةُ :

الْبَلْبُ أَوْ سَيْلَانُهُ وَكَثْرَتُهُ .

(٦) الْخَلَّةُ : مَا فِيهِ حَلَاوَةٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَالْخَضْصُ : مَا فِيهِ مَلُوحَةٌ .

(٧) فِي الْأَصَابِعِ تَوْرِيَّةٌ ؛ لِأَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْأَصَابِعِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَعَلَى أَجْزَاءِ يَقَاسِ بِهَا النَّيْلُ .

فإن سألت عن حالى فقؤادى بها فؤادُ أم موسى فارغٌ من آمالى . وما حالُ وزدة
 فارقت نَسَمَاتِ الْقَبُولِ^(١) ؟ فحداها السَّمُومُ وقادها الذُّبُولُ :
 فتأمل كيف يَفْشَى مُقَلَّةُ الْمَجِيدِ نَعَاسُ ؟

فأما حالُ سَكَّانِهَا وَمَنْ أَلْقَى جِرَانَهُ بِأَعْطَانِهَا^(٢) ، فقد ذهب أربابُ الهممِ العاليةِ ،
 ولم يبقَ إلَّا مَنْ يفتخر بالرَّمِّ الباليةِ ، رُوحُ الشُّومِ ، ونتيجة اللومِ ، وخليفة البومِ ،
 وبعين الله ما يصنع الليلُ والنهارُ ، ويستُرُّ الثوبُ والجدارُ ، وما يستترُ فى ضمائرِ
 البيوتِ ، وإن طالَ التحمُّلُ والسكوتُ . فكم بكت السماءُ أرضًا فقدت حبيبًا ،
 وساعدتها سحُبٌ انتحبت بها نحبًا .

ولطَّمتِ الحدودَ بها بروقٌ وشققتِ الرعودُ بها جُيوبًا .

فقل لمن آفتخر بالعظامِ ، ما وراءك ياعصام ؟

وأنعطفُ على هذا النسقِ ، لبيان من يَبْقَى منهم طَبَقٌ على طبقٍ^(٣) ، من أصنافِ
 لا تُعدُّ ، وأجناس لا تُرسم ولا تُحدِّد : من كل سائلٍ بالإلحاحِ التحفِ ، أو دارٍ
 يُمزمار ودُّفٌ ، أو تغنى بأنكرِ الأصواتِ ، قنَّهق إذ رأى شيطانًا يدعى الكراماتِ ،
 يُقيم به المعتزلى دليلَ إنكارِ الكرامةِ ، ويقول : هل على بعد هذا ملامة ؟ أو حاملِ
 راية وعلمٍ ، جعل القناعةَ عالمًا لسقوطِ الهممِ . ومنهم من كبر وتكسرت قواريره ،
 وخبا نوره حين هبت أعاصيره ، وهو أعظمهم جرما ، وأقلهم دينًا وحزما ، جمرٌ

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عتق البعير من جهة صدره .

(٣) الطباق من الناس : الكثير والجماعة .

مُسْتَفِرَّةٌ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فِي بَقَاعٍ مُسْتَقْدَرَةٍ ، بَيْنَ رَهْطٍ لَا يَتَدَبَّرُونَ وَلَا يَسْتَمْعُونَ ،
وَلَا يَمْتَثِلُونَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .
وَتُجَارِ رَأْسُ مَا لَهُمُ الْإِفْلَاسُ ، يَضْرِبُونَ الْأَنْحَاسَ^(١) لِلْأَسْدَاسِ ، يُزَكُّونَ كَذِبَهُمُ بِالْإِيمَانِ
الْفَاجِرَةِ ، فَيَرْجَحُونَ خَسَارَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِنْ خَاشَتِ أَحَدَهُمْ فِي تَقَاضِيهِ ، بَادِرَ
بِالْحَلِيفِ عَلَى دِينِهِ فَيَقْضِيهِ .

يقول : أَسْمَعَ حَلْفَتِي كَذِبًا إِذَا مَا أَضْطَرُّرْتُ ، وَفِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جَنَاحٍ عَلَى مُسْلِمٍ يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ

وَقَدْ فُقِدَ الْعِلْمُ لَوْلَا نَفْحَةُ أَنْسٍ مِنْ نَقْرِ بَقَايَا ، فَتَحَ اللَّهُ بِهِمْ خَزَائِنَ كُنُوزِ هِيَ
خَبَايَا فِي الزُّوَايَا : مِنْ كُلِّ نَقِيٍّ الْعِرْضُ أَبْيَضُ السَّجَايَا ، إِذَا تَدَكَّسَتْ الْأَعْرَاضُ
فَأَعْرَاضُهُمْ مِنَ الْعَارِ عَرَايَا :

أَبَدْتُ مَا تُرْهِمُ نَقْصَ الزَّمَانِ فَقِي حَذَّ الرِّبْعِ طُلُوعُ الْوَرْدِ مِنْ نَجْلِ

نَحَمْتُ شَوْكَهُمْ رِيَاضًا فِي رُبَا الدِّينِ الْعَوَالِي ، وَأَحْيَا اللَّهُ بِأَنْفَاسِهِمُ الْعِيسِيَّةَ
مَوَاتَ الْمَعَالِي . وَلَمَّا شَرَحَ اللَّهُ بِهِمْ صَدْرَ الدِّينِ ، وَفَتَحَ بِيصَائِرَهُمْ عَيْنَ الْيَقِينِ ، أَيْدِيَهُمْ
بِأَبْنَاءِ الْأَعْيَانِ مِنْ أُمَرَائِهَا ، فَقَالَتْ أَلْخِلَافَةُ تَحْتَ أَفْيَاءِ لِيَوَائِهَا ، حَتَّى حَمَوْهُمْ مِنْ نَوَائِبِ
الْحُتُوفِ ، وَزَهَتْ جَنَّةُ مَثْوَاهُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، فَصَارَتْ بِهِمُ الْأَطْرَافُ ،
مِنْ مَنَازِلِهِ مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ . وَلِهَذَا يُشِيرُ الْبَدِيعُ ، بِقَوْلِهِ فِي مَعْنَى بَدِيع :

(١) يضرب أنحاسا لأسداس : أى يسعى في المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئا

ويريد غيره . (٢) قال : بقليل . نام وقت القائلة .

قيل لي : لمْ جُلسْتُ في طَرْفِ القو م ، وأنت البديعُ ربُّ القوافي
قلتُ : آثرته ؛ لأنَّ المناديه ل يَرى طُرُزها على الأطراف
وكفاني من المفاسخِ أُنِّي نازلٌ في منازلِ الأشراف

فَأَوَّوا من ذلك الظلِّ لِرَكنٍ مُعْتَمِدٍ ، ونزلوا فيه بين العُلياء والسند . متعنا الله
بهذه الدولة وجعلها أطولَ الدولِ عُمرًا ، وأرفعها منارًا وأعظمها قدرًا ، سماء مجدهم
مُكَلَّلَةٌ بنجوم تهتدي بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانى ، والدهر لسعدهم
من الخدم ، وفيضُ أياديهم يُغني عن الدِّيم ، وسحبهم مُغْدِقَةٌ على الراجين بالكرم :
قلتُ لِلْبَرْقِ إِذْ تَأَلَّقَ فِيهَا : يَا زِنَادَ السَّيِّئِ مَنْ أَوْرَاكَ
إِنْ تَشَبَّهْتَ بِالْكَرَامِ وَمَا قَدْ كَانَ مِنْ جُودِهِمْ فَلَسْتَ هُنَاكَ
ومذَكَّلْتُ دُهُمُ^(١) الْأَقْلَامِ مِنَ الْمَشْيِ فِي الْكِتَابَةِ شَكَرْتُ مَشِيهَا عَلَى الرَّعُوسِ ، وَقُلْتُ
لَا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ، فَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ أَنْتَهَى وَتَمَّ .

ثانيًا — النثر العباسي

(١) الشيخ كمال الدين الدُّمَيْرِيُّ المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

من حياة الحيوانات :

(الْحَمَام) قال الجوهري هو عند العرب ذواتُ الأَطْوَاقِ^(٢) ، نحو الفَوَاحِشِ^(٣)
وَالْقَهَّارِ^(٤) وساقُ حُرٍّ وَالْقَطَا^(٥) وَالْوَرَّاشِينَ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى ؛ لِأَنَّ

(١) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود . (٢) جمع فاختة : وهي الحمامة ذات الطوق .

(٣) جمع قريية : بضم القاف . (٤) ذكر القهاري . (٥) مفردة ورشان بالتحريك :

وهو طائر من نوع الحمام .

الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث ؛ وعند العامة أنها الدواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حُرْبُهُة فترنما

والحمامة هنا القُمرية . وقال الأصمعي في قول النابغة :

وَأَحْكُمُ كَحْكَمِ قَتَاةٍ آخَى إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ شَرَّاعٍ وَارِدٍ ^(١) التَّمِيدِ

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فَقَدِ

فحسبوه فألفوه كما زعمت : تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

هذه زرقاء الحمامة نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل ، فقالت : ياليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطا أهلنا ، فيكفل لنا مائة قطاة ؛ فأتيت وعدت على الماء فإذا هي ست وستون ، قال أبو عبيدة : رآته عن مسيرة ثلاثة أيام ، وأرادت بالحمام القطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأملوي : الدواجن التي تستفرخ في البيوت تسمى حماما أيضا . وأنشد للعجاج :

إني وربّ البلد المحرّم والقاطنات البيت عند زمزم

* قواطنا مكة من ورق الخيم *

يريد الحمام : وجمع الحمامة حمام وحمامات . وربما قالوا حمام للفرد . قال جرّان العود :

وذكري الصبا بعد التناثي حمامة أيكّة تدعو حماما

(١) التمهيد : الماء القليل .

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير: أن الحمام هو الحمام البري،
 الواحدة يمامة، وهو ضروب. والفرق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب
 الحمامة ممساجلي ظهرها فيه بياض، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه، انتهى. ونقل
 النَّوَوِي في التحرير عن الأصمعي: أن كل ذات طوق فهي حمام. والمراد بالطوق
 الحجر أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها. وكان الكسائي يقول:
 الحمام هو البري، واليمام الذي يألف البيوت، والصواب ما قاله الأصمعي. ونقل
 الأزهري عن الشافعي: كل ما عبَّ وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام، والعبُّ
 بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفُّس، قال ابن سيده: يقال في الطائر:
 عبَّ، ولا يقال: شرب، والهدير: ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له،
 قال الرافعي: والأشبه أن ما عبَّ هدر، قال: فلو اقتصروا في تفسير الحمام على
 العبِّ لكفاهم، ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل: وما عب
 من الماء عبًّا فهو حمام، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام.

(٢) من مقدمة ابن خلدون^(١)

فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته

اعلم أن تلقين العلوم للتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدرج شيئًا
 فشيئًا، وقليلًا قليلًا، ^(٢) يُلْقَى عليه أولًا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه وبقدمته التي
 نقل منها هذا الفصل. نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ وتعلم هناك وترقى في مناصب عدة حتى مات بالقاهرة
 سنة ٨٠٨ هـ. (٢) أي المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتي.

الباب ، ويُقَرَّبُ له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوَّةَ عقله واستعدادَه لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهى الى آخر الفن . وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، إلا أنها جرئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن ، وتحصيل مسائله . ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هناك من الخلاف ووجهه ، الى أن ينتهى الى آخر الفن ، فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا ، فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا إلا وضحه ، وفتح له مغلقه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات . وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخلَق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضر المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصوابا فيه ، ويكلفونه وعنى ذلك وتخصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ،^(٢) والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة في الاستعداد ،

(١) شدا : أخذ طرفا من العلم والأدب .

(٢) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

ثم في التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وأنحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه ، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

(٣) . المقرئ^(١)

من خطبة كتابه "المواعظ والأعتبار في ذكر الخطط والآثار" :

وبعد ، فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا ، لما يحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار ، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها ، وأستعلام مذامّ الفعال ليرغب عنها أولوالنهي . لا جرم أن كانت الأنفس الفاضلة به وامقة ، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة . وقد صنّف الأئمة فيه كثيرا وضمن الأجلة كتبهم منهم شيئا كبيرا .

وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ، وجمع ناسي ، ومعنى عشيرتي وحامتي ، وموطن خاصتي وعامتي ، وجوى الذي ربّي جناحي في وكّره ، وعشّ مآربي فلا تهوى الأنفس غير ذكّره ، لازلتُ منذ شذوت العلم ، وآتاني ربي الفطنة والفهم ، أرغب في معرفة أخبارها ، وأحب الإشراف على الكثير من آثارها ، وأهوى مساءلة الرّكان عن سكان ديارها ؛ فقيدتُ بنحطّي في الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلّما يجمعها كتاب ، أو يحويها لعزّتها وغرابتها إهاب ؛ إلا أنها ليست بمرتبة على مینوال ،

(١) هو تقي الدين المقرئ المولود سنة ٥٧٦٦ هـ . وكان شاعرا كاتباً مؤرخاً توفي سنة ٥٨٤٥ هـ .

ولا مُهَذَّبَةٌ بطريقتة واحدة ومثال . فأردتُ أن أُلخِّصَ منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية ؛ وما بقي بفُسطاطِ مصر من معاهد غيرها - أو كاد - البلى والقدم ، ولم يبقَ إلا أن يحور رسمها الفناء والعدم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الحِطِّط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة الأوضاع ؛ مع التعريف بحال مَنْ أسس ذلك من أعيان الأمثال ، والتنويه بذكر الذى شاهدها من سِراة الأعظم الأفاضل ؛ وأثر خلال ذلك نُكَّامًا لطيفة ، وحيكًا بديعة شريفة ، من غير إطالة ولا إكثار ، ولا إحفاف يُخل بالغرَض ولا اختصار ، بل وَسَطُ بين الطرفين ، وطريق بين يَيْنَ ؛ فلهذا سميتُه "كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار" الخ .

(٤) شمس الدين محمد النواجي^(١)

من حلبة الكيت :

والنسيم هى الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بِلين قبل اشتدادها ، وفى الحديث «يُعِثُّ فى نسيم الساعة» أى حين ابتدأت وأقبلت ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسِيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع ، الصَّبا وتسمى القبول وهى تُنَفِّسُ عن المكروب ، والجنوب وهى تجمُّع السحاب ، والشَّمال وهى تُفَرِّقُه ، والدَّبُور وهى تَهْدِمُ البُنيان ، وتقلِّعُ الشجر ، وهى القاصف والصَّرَصِر . وكل ما فى القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدَّبُور ، ولازمها العقوبة ، وكل ما فيه من لفظ

(١) ينسب الى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر

وله عدَّة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

الرياح فهي راجعة إلى الثلاثة الأول، ويراد بها الرحمة. ومن الحديث «نُصِرْتُ بالصِّبَا وَأُهْلِكْتُ عاد بالدُّبُور»، وقيل الرياح ثمانية: أربع في الجهات الأربع، وأربع تسمى النِّجَاء ليلها ونكبتها عن الجهات الأربع، والشَّمال من ناحية الشام، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق، فهبوبها من تحت بنات نعش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من البكر تشد الأعضاء، وتسد المسام، وتحصر الحرارة في الباطن، فينهمض الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيواني، الذي في القلب من الأبنجرة الدُّخانية، وتديم الصحة، وتقوى حواس الدماغ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال، وهي قليلة الهبوب ليلا، وكان الصاحب بن عباد يترجم بقول أبي فراس:

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ
أَدَّتْ رِسَالَاتِ الْهَوَى بَيْنَنَا عَمِيقَتَهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ

قلت: والله إن الصاحب بن عباد لمعذور، فإن هذا مما يزيح الجناد، وتجمع الشمال على شمائل، ولذلك يحسن فيه التورية. ومنه قول الشيخ تقي الدين بن حجة:

جَادَ النَّسِيمُ عَلَى الرَّبَا بِنَسْدَى يَدَيْهِ وَقَالَ لِي:
أَنَا مَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي

والصِّبَا تَهَبُّ من مطلع الشمس وتسمى القَبُول، ويقابلها الدُّبُور وهي معتدلة ولا سميًا إن هَبَّتْ قبل طلوع الشمس في زمن الربيع، وهي لطيفة صافية وتُدسُّ الأذهان، وتنفع الأبدان، وتبسط الأخلاق، لا سيما إن مررت بمروج الأزهار فأثرا تحمل قواها إلى القلب والدماغ الخ.

العصر الحديث

(١) الشعر

(١) الخشاب^(١)

من قوله يمدح الشيخ الأمير عليهما رحمة الله :

أَدْرِئِي فِي الرِّبَا الْقَدَحَا . وَكُنْ لِلْعَذْلِ مُطْرِحَا (٢)
وَنَبَّهْ صَاحِ سَاقِيهَا . فَضْوَةُ الصَّبِيحِ قَدْ وَصَحَا
وَتَغَرُّ الزَّهْرِ مَبْتَسِمًا . وَشَادِي الْوَرَقِ قَدْ صَدَحَا (٣)
وَأُخْذَهَا مِنْ يَدَيَّ رَشِيًا . مَلِيخٌ قَدْ حَوَى مُلَحًا (٤)
غَزَّالٍ إِنِّي يَلُحُّ لِلْبَذِّ . رَأَوْغُصْنِ النَّقَا اقْتَضَحَا (٥)

وَأَطْرِبُ مَسْمَعِيكَ بِمَا . بِهِ أَسْتَاذُنَا أَمْتَدَحَا
نَحْمَدُ الْأَمِيرَ الْمُرَّ . تَجِي كُمْ آمِلًا مَنَحَا

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد اسماعيل الخشاب ، ظهر قيل احتلال الفرنسيين مصر . وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد علي باشا الكبير . وقد توفي سنة ١٢٣٠ هـ . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة .
(٢) الربا : جمع ربة بفتح الراء ، وهي المرتفع من الأرض . والقسح : الكأس . والعذل : اللوم . واطراح اللوم : عدم الاهتمام به . (٣) الشادي : المترنم . الورق بضم الواو جمع أوراق ، وبمؤنثه ورقا ، وهي الحماة لونها رمادي . وصدح : ترنم وتبجح .
(٤) أخذها : الضمير يعود على الخمرة المفهومة من المقام ؛ لأن القدح مذكر . والرشا بفتح الراء والشين : ولد الظبية ، يشبه السافي به لظفره وخفة روحه . والملح بضم الميم وفتح اللام : جمع ملحقة ، وهي ما لذ من الحديث وطاب . (٥) النقا : القطعة من الرمل ، يضرب المثل بالغصن النابت فيه للاعتدال .

إِمَامٌ إِنْ تَرَنَّهُ بِكَ لَمْ مَوَّلَى مَا جِدَ رَجَحًا (١)
سِرَاجٌ ذَكَاهُ الْوَهَا جُ لَيْلِ الْمُشْكَلاتِ مَحَا (٢)
إِذَا تُطْرَى مَنَاقِبُهُ إِخَالَ الْمِسْكَ قَدْ تَفَحَا (٣)

وكتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدٍ خِذْنِ الْمَعَالِي وَالسَّرَى الْأَعْجَدِ (٤)
وَالْحَازِقِ الْفِطَنِ اللَّيْلِ أَخِي الذَّكَاءِ الْلُودَعِي الْأَلْمَعِي الْأَوْحَدِ (٥)
أَلَزِمْتَ نَفْسَكَ فِي الْقَرِيضِ مَذَاهِبًا ذَهَبْتَ بِشِعْرِكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ (٦)

كَدَّرَتْ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بُحُورَهُ فَغَدَّتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُوها صِدْيُ (٧)
فَإِذَا نَظَّمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِدًا نَقَدَ الْبَصِيرِ يَذْهَبُكَ الْمُتَوَقِّدِ
أَوْ لَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَأَسْتَرِخْ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا شِعْرُهُ بِالْجَيْدِ
وَلَكِنْ عَنَّفْتُ عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتُهُ فَلَقَدْ بَدَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ (٨)

(١) المولى : السيد . والماجد : صاحب المجد .

(٢) السراج : المصباح . والوهاج : الشديد الاشتعال . يقول إنه بجدة ذكائه يحل أشد المشكلات ويحلها كما يحل السراج الوهاج ظلمة الليل . (٣) مناقب : جمع منقبة بفتح الميم والقاف : المقخرة .

(٤) اخذن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب . والسرى : السيد الشريف السخي .

(٥) اللودعي : الذكي الذهن . والألمعي : الذكي المتوقد الذكاء .

(٦) القرية : الشعر . و (الحضيض) القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، و (الأوهد) العظيم الانخفاض . والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك .

(٧) كدب الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشاريع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء .

و ينحوها : يقصدها . والصدي بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٨) عنفت : نسوت . والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

(٢) الشيخ حسن العطار^(١)

قال يتغزل :

أَعِنَ الْمُحِبُّ شَتَاكَ عَنْهُ وَجِيبُهُ؟ أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبَعَادِ رَقِيبُهُ؟ (٢)
هَجَرَ الْكَرَى لَمَّا هَجَرْتَ وَوَاصَلَتْ هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُهُ (٣)
لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ، وَإِنَّمَا قَدْ كَانَ بِالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ
أَفْقَرْتُهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ (٤)
وَتَرَكْتُهُ، وَالْفِكْرُ مِنْكَ مَعَ النَّهَا رِ سَمِيرُهُ، وَالسَّهْدُ مِنْكَ مَنِيبُهُ (٥)
لَوْ لَلِقَا عَطْفَتِكَ مِنْهُ شِكَايَةٌ رَقَّتْ وَدَمَعَتْ طَائِفُ شَوْبُوبِهِ (٦)
لَرَأَيْتَ جِسْمًا كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَا وَلَهَيْبَ قَلْبٍ مَقْلَتَاهُ تُذِيبُهُ (٧)
صِلُهُ لَتَسْتَبْقَى بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي لَوْلَا الْأَمَانِي مَا بَقِيَ مَوْهُوبُهُ (٨)
أَلَزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأْسِيًّا وَالصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَحِيبُهُ (٩)

(١) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخا للأزهر الشريف . وكان مع علمه شاعرا كاتباً بليغاً . توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٢) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٣) الشجون جمع شجن بفتحين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٤) النسيب : رقيق الشعر في الغزل .

(٥) السهد : بضم السين الأرق .

(٦) الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شأبيب .

(٧) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التي يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

(٨) الرمق : بفتحين بقية الحياة . يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل .

استبقها بالوصل . (٩) التأسي : التصبر والتعزى . والنحيب : البعير الكريم .

وَبَلَيْتُ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْتَبَ مَدَى نَحْوِ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ (١)

أَفَلَا رَأَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِي الْمُنُونِ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ؟ (٢)
أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِنْ عَجَبِ نَعْمَ مَدِيهِ ، وَمِمْرَضِيهِ وَأَنْتَ طَيِّبُهُ!

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى بِالَّذِي تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ
لَسْتُ أَبْغِي مِنْ زَمَانِي حَاجَةً غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامُ

(٣) السيد على الدرويش (٣)

قال يرثى صديقه المرحوم الشيخ علي الغلبان :

أَفِرُّ مِنَ الْمُحْتَسُومِ ، وَهُوَ مُطَارِدِي وَهَلْ أَمَلِي إِلَّا جِبَالُ الْمَصَايِدِ
وَأَرْصِدُ أَفَقَ الْوَهْمِ وَالْأَمَلِ السَّهْوِ وَرَأَيْتُ مَوْتِي كَامِنٌ فِي وَرَائِدِي
وَنَثَقْتُ بِأَمَالِي ، وَلَمْ تَفِ مَرَّةً وَلَا ثِقَةً لِي بِالنَّذِيرِ الْمُعَاهِدِ
فَأَسْتَبْعِدُ الْمَعْلُومَ ، وَهُوَ مُقَارِبِي وَأَسْتَقْرِبُ الْمَجْهُولَ ، وَهُوَ مُبَاعِدِي
وَمِنْ عَتَمِي خَلْتُ التَّجَاهِرَ خَافِيَا يَغِشُّ زُيُوفَ عَادَهَا كُلُّ نَاقِدِ
أُحَازِرُ مَرَأَى النَّاسِ لَا إِلَهَ فِي الْهَوَى وَعِنْدَهُمْ تَفْصِيلُ تَقْصِي وَزَائِدِي
لَا مَارَتِي بِالسُّوءِ مُسْتَعْبِدٌ وَلِي مَدَاهِنَةٌ فِي اللَّهِ : ضُورَةٌ طَائِدِ
أُبَالِغُ فِي الْإِسْرَافِ حَتَّى كَأَنَّنِي لَمِيتُ غَدًا ، لَكِنْ لِي حِرْصٌ خَالِدِ

(١) اللاحي : الشاتم العائب . والطود بفتح الطاء وسكون الوار : الجبل العظيم .

(٢) المنون : الموت .

(٣) هو السيد علي أفندي الدرويش بن حسن المصري ، كان أديبا شاعرا ولوعا في شعره ونثره بالحسنات البدعية للناية القصوى ، وهو أبرع من علم في التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ .

وقال مادحا المرحوم الحاج محمد علي باشا الكبير، ومؤرخا مجيء الجراد عام موت

البقر سنة ١٢٥٩ هـ .

يا صاح ما هذا الخبر؟ قال : الجرادُ هنا ظهر!
قلت : الجراد ! فقال : إى تدرى الجراد إذا أتدّر؟
قلت : أستعذ بالله ! قا ل : وهل من المقضى مفر؟
ما كان قط بخاطري فى خاطري هذا الخبر

* * *

جاء الجرادُ كأنه يتلو على البقر السور
أو أن أرواح البها ثم أليست تلك الصور
موت الكبير أضر أم نحيا الصغير هو الأضر؟
أو ما سمعت مقالمهم : مثل الجراد إذا انتشر
فترى الجراد على الجريد يد مكللا مثل الثمر
رُفش تراها إنها نار تلمت بالشجر
لواحة للأرض ، لا تبقي النبات ولا تذر
وصغيرة فى حجمها لكنها إحدى الكبر
الأرض كانت جنة فالآن ترمى بالشر
نزل الجراد بها كما نزل القضاء أو القدر
متنشر رجلاه من شار فكم شيء نشر
لما استمر على الفساد يد بقبضه أمر صدر

دَقُّوا الطُّبُولَ لِرُقْصِهِ فِي الزَّرْعِ لَمَّا أَنْ زَمَرَ
 وَغَزَوْا عَلَى ذَا الْمُعْتَدِي فَمَضَى هَزِيمًا وَانْكَسَرَ
 وَكَذَا الْخُصْدِيُّوْ عَادَةً لَمْ يَغْزُ إِلَّا وَانْتَصَرَ
 نَصَبُوا مُوَازِينًا لِأَجْرٍ سَامَ الْجَرَادِ لَتُعْتَبَرَ
 وَأَتَتْ بِأَجْمَعِهِ زَبَا بِنِيَّةِ الْعَذَابِ إِلَى سَقَرٍ
 وَتَتَبَعُوا آثَارَهُ حَتَّى خَفِيَ ذَاكَ الْأَثَرُ
 مِنْ جَنَّةٍ تَخْرُجُ الْجَرَا دُ إِلَى لَظَى بِنُفْسِ الْمُتَقَرِّ

* * *

هَلْ لِلْخُصْدِيِّوْ مُشْبِهٌ فِي هِمَّةٍ أَوْ فِي سِيرٍ
 هَلْ قَبْلَهُ رَدَّ الْجَرَا دَ سِوَاهُ فَمَا قَدْ غَبِرَ
 وَدِدَ يَرَعَى النِّبَا تَ، وَلَيْسَ يُعِيهِ سَفَرُ
 مُتَوَاتِبٌ، لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ قَرَارٌ فِي مَمَرٍ
 بِاللَّيْلِ يُكْفَرُ بِالنَّبَا يَ فَإِنْ بَدَا بِفَرْجَرٍ
 مَذَّ أَسْرَعُوا فِي قَبْضِهِ وَمَضَى الْأَهَالِي بِالْأَجْرِ
 أَرْخَتْهُ وَصَلَ الْجَرَا دُ لِمَصْرِ فِي عَامِ الْبَقَرِ

١٢٦ ٢٣٩ ٣٦٠ ٩٠ ١١١ ٣٣٣

(٤) الشيخ شهاب^(١)

من قصيدته التي أنشأها لتكتب حول جامع القلعة :

عروسُ كنوزٍ قد تحلت بعسجدٍ مكللةٌ تيجانها بالزبرجدِ
أم الجنة المنيّ عالي قصورها بأبهج ياقوتٍ وأبهى زمردِ
أم المكرمات الآصفية أبدعت هيولى أحاجيب بصورة مسجد^(٢)
هو الفلك الأعلى تنزل وأزدهى بزهر الدراري جامعا كل فرقيدِ
ألا إن تجديد العجيب من البناء يؤكّد تأسيس أقدار المجددِ
فدع قصر محمدان وأهرام هرمس وليوان كسرى إن أردت لتتهدى
ودع إرمًا ذات العباد ونحبوها وعرشا لبقيس كصرح ثمردِ
ودع أموى الشام وأنزل بمصرنا وبأدر إلى هذا بإيماء مرشد^(٣)
فلو عددت في الكون بدء بدائع لكان به ختمٌ لذاك التعددِ
كأنّ الليالي الوالدات عجائبًا أصبغت بعقيم بعد هذا التولدِ

(١) هو شهاب الدين محمد بن اسماعيل المكي الأصل المصري المنشأ . كان شاعرا متأدبا موسيقيا . اشتغل بالكتابة في الوقائع المصرية أول ظهورها مساعدا للشيخ حسن العطار ثم كان رئيسا لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجمل مؤلفاته سفينة التي حفظت كثيرا مما كانت تنفي به العامة في عصره وقيله . وتوفي سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الآصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، وكانت رتبة محمد علي باشا بالإضافة إلى الرتب الحالية بمنزلة وزارة .

(٣) يريد بأموى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٥) الشيخ ناصيف اليازجي^(١)

قال في الغزل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَالَتْ بِكُلِّ قَلْبٍ قُوَادُ لَمْ يَحُلْ بِهِ سِوَاكَ
تَزَلَّتْ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانِي وَلَسْتُ يَمُنُّ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكِي
أَطَعْتَ الْعَاذِلِينَ يَقْتُلُ صَبًّا يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَ
تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا قَتَانُفٌ أَنْ يَقُولَ دَمِي فِدَاكَ

وقال :

كُفِّ عَنِّي لَا أَبَالِكَ قَدْ تَيَّنَّا بِحَالِكَ^(٢)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكَ
قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ حَامِلًا فِيهِ مَلَالِكَ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ كَادَ مِنْهُ يَتَهَالِكَ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالِكَ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا وَيُسِيءُ اللَّهُ قَالِكَ

ومن قصيدة يرثي بها صديقا له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَيْهِ بِجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدْ قَاتَ شَهِدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة ، وله كتاب مجمع البحرين . وهو جمع مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفي سنة ١٢٨٧ هـ .
(٢) الحال بكسر الميم : الخديعة والكيد .

أَحَبُّ شَيْءٍ لَعَيْنِي حِينَ أَذْكُرُهُ دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَاثُهَا هَكَوُ
لَا غُرُورٌ أَنْ أَحْزَنَ الزُّورَاءَ مَصْرُوعُهُ فَخَزَنَهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ
وقال يرثي صديقا آخر له :

الْمَوْتُ يُخْتَارُ النَّفْسَ لِنَفْسِهِ مِنَّا كَمَا تَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا أَعْتَدِي
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِي حُسْدَا
كَثُرَ ذَخْرُنَا لَنَا فَأَغْتَالَهُ لِيَصْنُ الْمَنِيَّةُ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا

وقال يرثي طبيبا من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طِبِّهِ لِلنَّاسِ مَنَفَعَةٌ فَإِذَا أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطَّبُّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِئُ مِنَ النَّاسِ الْجَرَاحَ فَهَلْ يُبْرِئُ جِرَاحَ فُسْوَادٍ بَعْدَهُ أَنْصَدَا
سَارَتْ إِلَى اللَّهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً جِسْمًا يُرَى فِي تُرَابِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلُّ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ حَادَ مُنْقَلِبًا فَأَنْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا

(٦) السيد محمد صالح مجدى بك^(١)

كتب الى المرحوم سعيد باشا والى مصر يشكو إليه ظلم رئيسه :

أَنْظُرْ لِي فِي زَمَانِكَ يَا سَعِيدُ وَأَنْتَ الْعَادِلُ الْمَلِكُ الرَّشِيدُ
وَيَسْطُورُ الذُّبُّ مِنْ شَرِّهِ عَلَيْنَا وَأَنْتَ اللَّيْثُ وَالْبَطْلُ الْمَجِيدُ

(١) هو محمد بن صالح بن أحمد بن الشريف مجد الدين . عالم مترجم ، وأصل آبائه من مكة ، وقد ولد بالقاهرة وتعلم في مدارسها وأتقن الفرنسية وترجم عنها بعض الكتب ، نذبه اسماعيل باشا لترجمة القوانين الفرنسية ، واشترك في وضع الخطة التوفيقية ، وتوفي بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

وَيَرْقَى غَيْرُنَا رَتَبَ الْمَعَالِي وَيُخَفِّضُنَا بِلَا سَبَبٍ عَنِيدُ
وَيُظْفَرُ بِالْأَمَانِي كُلِّ رَاجٍ وَتُحْرَمُ مِنْ جَنَابِكَ مَا تُرِيدُ
فَسَرْدُ نَوَائِبِ الْمَلُوكِ عَنَّا فَرَأَيْكَ دَائِمًا رَأَى سَدِيدُ (١)
وَجُودُ يَدَيْكَ فَاضَ عَلَى الرَّعَايَا فَسَرَّ قَرِيبَهُمْ ، وَكَذَا الْبَعِيدُ
وَدُمُ فِي نِعْمَةٍ وَثَبَاتٍ مُلْكٍ فَفِيكَ الشُّكْرُ ، مَا دُمْنَا ، يَزِيدُ

(٧) السيد علي أبو النصر (٢)

قال يتحسر على فراق أجبابه :

أَقْدَ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِي وَأَوْدَعَ فِي حُشَاشَتِي الْوُلُوعَا (٣)
وَالْبَسَنِي الْأَسَى خَلَعَ التَّمَنَّى وَأَلْزَمَنِي التَّدَلُّلَ وَالْحُضُوعَا (٤)
وَنَارُ الشُّوقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي عَلَى تَكِيدِي فَقَوَّمتِ الضُّلُوعَا (٥)
وَلِي قَلْبٌ تَقَلَّبُهُ شُجُونِي وَتَمْنَعُهُ السَّكِينَةُ وَالْهُجُوعَا (٦)
يَبِيتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا وَيُصْبِحُ رَاجِيًا مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الْأَمَانِي حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعَا (٧)

(١) الملوان : الليل والنهار .

(٢) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من متغلو ط بأسوط ، درس بالأزهر وبرع في الأدب ،
واقصَلَ بالبيت الخديوي من عهد محمد علي باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا ، و يعدُّ شعره متوسطاً ، وله ولم
بالتاريخ الشعري . وقد توفي سنة ١٢٩٨ هـ .

(٣) النوى : البعد والفرقة . والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع : شدة العشق .
(٤) الأسى : الجزن والهم . (٥) يريد أن نار الشوق لشدةها جعلت أضلأه مستقيمة بعد
لأن كانت منحنية . (٦) الهجوع : النوم في الليل .
(٧) أضغاث الأحلام المختلطة المتبسة . والولوع بفتح الواو : الشد يد الولع ، وهو الحب .

تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَهُوَ لَاهٍ كَانَ الْوَهْمُ الْبَسَهُ دُرُوعًا
وَرَبُّ مَكَائِدٍ عَانِي خُطُوبًا وَمُفَرَّدٌ عَزَمَهُ عَزَّ الْجُمُوعَا (١)
وَقَائِلَةٌ : إِلَامَ تَحْنُ شَوْقًا إِلَى حَى أَحَلَّ بِكَ الْهَلُوعَا (٢)
فَقُلْتُ لَهَا : وَصِيَّتِ الْبَاسُ ؛ إِنِّي أَوْدُ بِحَيِّهِمْ أَدْعَى هَلُوعَا (٣)
أَبْعَدَ فِرَاقِهِمْ تَرْتَاحُ رُوحِي وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُوعَا (٤)
فَهُنَّ رُوحِي بَوْرِيحَانِي وَرَاحِي فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السَّلْوَى نَزُوعَا (٥)

وقال رحمه الله :

نُورُ زَاهِي الرُّوضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ وَابْتِسَامُ الثَّغْرِ أَمْ زَهْرُ الْأَقَاحِ
وَنَجْمٌ تَزْدَهِي فِي أَفْقِهَا بِوَيْمِضِ السَّبَرِ أَمْ كَاسَاتُ رَاحِ
لَا وَلَا بَلْ بَذُرٌ تَمَّ يَنْجَلِي لِلنَّدَامَى فِي آغْتِسَاقٍ وَأَصْطَبَاحِ
بُحْبُحًا يَزْدَرِي شَمْسَ الضُّبْحَى فِي مَعَانِي حُسْنِهِ تَعْيَا الْفِضَاحِ

وقال رحمه الله متغزلًا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلَفٍ عَنِيدٍ حَيَاتُهُ فِي قَبْضَةِ الصُّدُودِ
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْمَجْهُودِ مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مَزِيدِ

وَأَهَا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجَدِ

(١) من الجموع : غلبها :

(٢) الحى : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء : الجزع .

(٣) الهلوع بفتح الهاء : الشديد الجزع .

(٤) تلوع : تبحر .

(٥) الراح : الخمر . ونزوعا : ميلا .

جَارَ عَلَيْهِ حَاكِمُ الْفَرَامِ قَدَقَ أَنَّ يُدْرَكَ بِالْأَفْهَامِ
فَلَوْ أَنَّاهُ طَارِقُ الْحِمَامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ
إِلَّا إِذَا صَدَرَهُ فِي الْبُرْدِ

لَهُ أَهْتِرَازٌ وَأَرْتِيَا حُوطَرَبُ لَوْجِهِ مِنْ أَوْرَثِهِ طَوْلَ الْكُرْبِ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَجَبِ بَيْنَ مُنَاهِ قَرَبُ مَنْ مِنْهُ الْعَطَبِ
وَمَنْ رَأَى الْغَىَّ بِدَيْلِ الرَّشْدِ

مَا غَابَ عَنْهُ الْحَزْمُ فِي الْأُمُورِ لَكِنَّ مِقْدَازَ الْهُوَى ضُرُورِي
مَبَاحِبُهُ يَحْبِطُ فِي دَيْجُورِ مَنْفَذِ التَّقْدِيرِ بِالْمَقْدُورِ
كَأَنَّهُ يَدَّابُ لَا عَنْ قَضْدِ

مَا الْعُذْرُ فِي السُّلُوعِ عَنْ عَزَالِ * * * مُنْقَطِعِ الْأَقْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
يَسْتَخْلِفُ الشَّمْسَ لَدَى الزَّوَالِ ضِيَاءُ خَدْيِهِ عَلَى اللَّيَالِي
فَصَارَ نُورُ الْبَذْرِ غَيْرَ مُجْدِي

(٨) صفوت الساعاتي^(١)

قال رحمه الله يرثي الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلٍ فَدَتَكَ الشَّهْبُ قَاطِبَةً إِذْ عَنْكَ لَا أَنْجُمُ تُغْنِي وَلَا شَهْبُ
لَا أَصَابَكَ، لَا قَوْسٌ وَلَا وَرْدٌ سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا شاعر مصري ولد بالقاهرة وتعلم بها واتصل بشريف مكة فلابزمه في بعض وقائع وصفها في شعره، ثم استخدم في المعية ثم في مجلس أحكام الجيزة والقلوبية. واشتهر بالساعات لبراعته في فن الساعات ولكن لم يجترئه. وكان حلو الفكاكة حسن المحاضرة. مات سنة ١٢٩٨

مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ
لَوْ أَفْتَدَيْتَكَ الْمَنَآيَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ الْعَفْوِ مُنْسَكًا
وَلَا اسْتَهْلَتْ عُيُوبُ الْقَطْرِ بَاكِتَةً
أَمْسَتْ لَفَقْدِكَ عَيْنُ الْعِلْمِ سَائِلَةً
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى
أَوْ كَانَ يَذْرَى فَوَادِي يَوْمَ تَكْبِتُهُ
بِالرَّغْمِ مِنِّي خِيَاتِي بَعْسَدَ مَضَرَّتِهِ

الْعُمْرُ يُوْهَبُ وَالْأَيَّامُ تَقْتَبُ
يُخَيِّرُنَا لَقْدَتَكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَقَبُ (١)
إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا التُّوبُ (٢)
تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنْتَى يَنْجَحُ الْعَطَبُ (٣)
كَأَنَّمَا نَأَمَّا مِنْ حُزْنِهَا طَوْبُ
نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءُ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ
كَأَنَّ الْفِدَاءَ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
مِثْلَانِ فُرْقَةٍ مِنْ أَحَبَّتْ وَالْعَطَبُ (٤)

(٩) غبد الله باشا فكرى (٥)

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسٌ شَجَّ عَلِيلِ آسَى
عَزَّ الدَّوَاءُ لَكُ وَحَارَ الْآسَى (٦)
أَضْنَاهُ طُؤُلُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ
يَتَحَكَّى لَفَرِطِ ضَنَاهُ ذَاوَى الْآسِ (٧)

- (١) المذهب بفتحين : الأغصان أيضا .
النون وفتح الواو : المصائب ، واحدها نوبة :
فائضة بالدمع . وفي قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .
(٢) العطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم
(٣) في هذا البيت استخدام ، فان (ساعة) بمعنى
(٤) العطب : الهلاك .
(٥) هو الكاتب الشهير المترجم عبد الله باشا فكرى بن محمد افندى بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ،
وأجاد التركية والعربية . وقد ترقى في المناصب حتى وصل إلى معية المغفور له سعيد باشا فاسماعيل باشا . ودأبه
يكتب عنهما مكاتبات كانت بعد نموذجاً متبعاً في المكاتبات الدبلوماسية ، وكان كاتباً بليغاً متأثر بالدين والحق والرفعة
بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية وقد توفي سنة ١٣٠٧ هـ .
(٦) الشجى : اللهوم
الحزين . والآسى : كذلك . وعز الشئ : ندروصه الحصول عليه . والآسى : الطيب .
(٧) أضناه : أسقمه وأهزله . وأساه : حزنه . وذاوى : ذابل . والآس : نوع من الزهر .

- هزته سارية النسيم، وقد جرت
فكان في طي الشمال، إذا اتنى
وكانها حلت إلى رسالة
كليحة عذراء وأفت صبا
يفتر مبسمها بحسن حديثها
تدنو فيطمع عاشقها أنسا
أوروضة فيحاء حياها الحيا
من صوب محلول العرى رجاس (٧)
- يشدا فروق أريجة الأنفاس (١)
من ثيرها طربا، شمول الكاس (٢)
غراء جاءت من أغر موسى (٣)
من بعد طول تعذر وشماس (٤)
عن سحر فأتى جفنها النعاس (٥)
ويشير عن دلاها بإياس (٦)
من صوب محلول العرى رجاس (٧)

وكتب إلى المرحوم توفيق باشا الخديو الأسبق يستعطفه ويستمنحه العفو :

- يكنى توجه وجهه الساحة الكبرى
وقف خاضعا، واستوب الإذن، والنس
وبلغ لدى الباب الخديوي حاجة
لدى باب سمح الراحتين مؤمل
تسوء الجبال الرأسيات بحلمه
وغير إذا وأفت، واجتنب الكبرا
قبولا، وقبل سدة الباب لي عشا (٨)
لدى أمل يرجو له البشر والبشرى
صفوح عن الزلات يلتمس العذرا (٩)
إذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا (١٠)

(١) الشدا : قوة طيب الرائحة . وفروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية . وأريجة : طيبة الريح .

(٢) الشمال : يريد بها ريج الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء النجر .

(٣) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواصي : المساعد المعاون .

(٤) صبا : عاشقها . والتعذر : التمتع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .

(٥) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور . (٦) الإياس : اليأس .

(٧) الحيا : المطر . ويريد بمحلول العرى المطر الغزير الذي لا يحجبه شيء . والرجاس : الشديد الصوت .

(٨) السدة بضم السين : الظلة تقام بباب الدار . (٩) السمع : الكريم . والراحتان :

منى الراحة ، وهى باطن الكف . (١٠) يقال : نابه الحمل ينوء به : أى أثقله وأثعبه .

- يُرَاقِبُ رَحْمَنَ السَّمَوَاتِ قَلْبُهُ
فَيَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ رَفَقًا بِهِمْ طُرًّا (١)
مَلِكِي وَمَوْلَايَ الْعَزِيزَ وَسَيِّدِي
وَمَنْ أَرْتَجِي آلَاءَ مَعْرُوفِهِ الْعُمْرَا (٢)
لَئِنْ كَانَتْ أَقْوَامٌ عَلَى تَقْوُلُوا
يَأْمُرِي فَقَدْ جَاءُوا بِمَا زَوَرُوا نُكْرًا
وَإِنْ سُعَاةَ الشُّوءِ أَنْزَلَ فِيهِمْ
عَلَيْنَا إِلَهَ الْعَرْشِ فِي ذِكْرِهِ ذِكْرًا (٣)
وَعَلَّمَنَا أَنْ نَسْتَبِينَ مَقْبَلَهُمْ
وَنَأْخُذَ مِنْهُمْ فِي مَسَاعِيهِمُ الْحِذْرَا (٤)
حَلَفْتُ بِمَا بَيْنَ الْحَاطِمِ وَزَمَنِمِ
وَبِالزَّائِرِيهَا يَرْتَجُونَ مَلِكُهُمْ
وَبِالصَّلَوَاتِ الْخَمِيسِ يُرْجَى ثَوَابُهَا
لَمَّا كَانَ لِي فِي الشَّرِّ بَاعٌ وَلَا يَدُ
وَلَكِنْ مَحْتُومَ الْمَقَادِيرِ قَدْ جَرَى
لَمَّا كَانَ لِي فِي الشَّرِّ بَاعٌ وَلَا يَدُ
وَلَكِنْ مَحْتُومَ الْمَقَادِيرِ قَدْ جَرَى
وَفِي عِلْمِ مَوْلَايَ الْكَرِيمِ خَلَائِقِي
بِمَا اللَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَهُ أَجْرِي (٩)
قَدِيمًا، وَحَسْبِي عِلْمُهُ شَاهِدًا بَرًّا (١٠)
فَيَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ رَفَقًا بِهِمْ طُرًّا (١)
وَمَنْ أَرْتَجِي آلَاءَ مَعْرُوفِهِ الْعُمْرَا (٢)
يَأْمُرِي فَقَدْ جَاءُوا بِمَا زَوَرُوا نُكْرًا
عَلَيْنَا إِلَهَ الْعَرْشِ فِي ذِكْرِهِ ذِكْرًا (٣)
وَنَأْخُذَ مِنْهُمْ فِي مَسَاعِيهِمُ الْحِذْرَا (٤)
وَبِالصَّلَوَاتِ الْخَمِيسِ يُرْجَى ثَوَابُهَا
وَلَمَّا كَانَ لِي فِي الشَّرِّ بَاعٌ وَلَا يَدُ
وَلَكِنْ مَحْتُومَ الْمَقَادِيرِ قَدْ جَرَى
وَفِي عِلْمِ مَوْلَايَ الْكَرِيمِ خَلَائِقِي

- (١) يشير إلى الحديث الشريف : « الراحون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . (٢) الآلاء : النعم . والعمر هنا ظرف زمان ، والمعنى مدى العمر . (٣) الذكر : القرآن الكريم . (٤) الحذر بكسر الحاء وسكون الذال : الحذر بفتحها . يشير إلى قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » . (٥) الحطيم : موضع من الحرم المكي . والميزاب : مسيل المطر . والمراد ميزاب الكعبة . (٦) ملكهم : ربيهم . والغفر : الغفران . (٧) حفي بالشيء من باب علم واحتفي به : أكرمه ، وأظهر الفرح به . (٨) الباع : قدر مدي الدين : والمراد أنه لم يحدث الشر ولم يدخل فيه مطلقا . (٩) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . (١٠) الخلائق : جمع خليفة ، وهي السجدة والطبيعة .

فَعَفُوا أَبَا الْعَبَّاسِ لَا زِلْتَ قَادِرًا عَلَى الْأَمْرِ إِنَّ الْعَفْوَيْنِ قَادِرٌ أُخْرَى ! (١)
 «مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» وَأَمْنَحَ الْعَفْوَتَيْنِ زَكَاةً لِمَا أَوْلَاكَ رَبُّكَ أَوْ شُكْرًا (٢)
 أَيْجُلُ فِي دِينِ الْمُرُوءَةِ أَنْتِ أَكَايِدُ فِي أَيَّامِكَ الْبُؤْسَ وَالْعُسْرَا ؟
 وَلِي فِيكَ آمَالٌ ظَمِنِي بُجُوحَهَا وَفَاؤُكَ ، لَا أَرْجُو سِوَاكَ هَذَا ذُخْرًا (٣)
 فَمَنْ فَقَدْ أَلْفَيْتَ مَوْضِعَ مَنَةٍ وَرَبُّكَ لَا يَنْسَى لَدَى مَنَةٍ أَجْرًا (٤)

وقال يتغزل :

كَبْتُ وَلَوْلَا دَمْعُ عَيْنِي سَائِلٌ تَلْظِي جَوَابِي مِنْ تَلْهَبِ أَنْفَاسِي (٥)
 وَعُنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبْجُ بِهِ لِسَانُ يَرَّاحٍ فِي مَسَامِعِ قِرْطَاسِ (٦)
 وَلِي مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى وَشُجُونِهِ أَحَادِيثُ تُلْهِى الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الْكَاسِ (٧)
 وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَا لِمَارِي لَسِرْتُ لَكُمْ سَعِيًّا عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب الى السيد عبده الهادي نجا الأبياري يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حَلَاةٍ تُزِرِي الْبَدِيعَ وَتُنْسِي

وَأَفْتِ عَقِيلَةَ نَظْمٍ تَلُو فَصَاحَةَ قَسٍّ
 كَالْبَدْرِ لَاحَ سَنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسٍ

- (١) أخرى : أحق راجد . (٢) ملكت فأسجح : مثل مضروب . والإسجاح : أحسن العفو . (٣) النجح بضم النون : النجاح . والنخب بضم الذال والذخيرة : ما يستبق لوقت الحاجة . (٤) المنة بكسر الميم : الاحسان . (٥) تظلي : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التي ضمنها خطابه . (٦) اليراع : القلم . والقرطاس : الصحيفة التي يكتب فيها . (٧) تباريح الهوى : حرقه . والشجون : جمع شجن ، وهو الحزن . والشرب : بفتح الشين الشاربون .

فَعَادَرْتَنِي صَرِيحًا تَشَوَّانَ مِنْ غَيْرِ كَأْسٍ
فُسْنٌ بِالْعَفْوِ إِنِّي مِنْهُ عَلَى غَيْرِ يَأْسٍ
وَإِنْ عَتَبْتَ فَحَقُّ وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي

(١٠) الشيخ علي الليثي^(١)

قال يرثي محمود باشا الفلكي وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَّازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكَ مَدْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ (٢)
كَالطَّيْرِ فَاجَاهَا الْبَازِي وَأَذْهَلَهَا فَمَا كَتَّ الْبَرْقُ وَانْقَضَتْ عَنْ الْحُبِّكَ (٣)
نَعَتْ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الْجَهْدِيَّ، وَقَدْ قَالَتْ : تَعَزَّوْا فَمَا حَى بِمُتْرِكَ (٤)
يَا نَفْسُ هَذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ قَمَا أَبَى قُوَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكٍ

* * *

أَلَيْسَ تَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ كَفُّ الْمُنُونِ بِهِ فَأَنْحَازِي الشَّرِكَ (٥)
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ، وَاسْتَبْقِي مَنَاجِيَهُ أَوْ فَالْتَصَبَّرِي إِنْ تَبَغَّى الْجُدَى فَلَاكِ (٦)
حَلَّ الْقَضَاءُ وَنَاعَى الْمَجْدِ أَرْخَنَا قَدْ مَاتَ مُحَمَّدُ بَاشَا الْمُسْنَدُ الْفَلَكَ

١٣٠٣ ١٠٤ ٤٤١ ٩٨ ٣٠٤ ١٨٥ ١٧١

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادر شاعر الخديو اسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار في معية اسماعيل باشا . ولما خلفه توفيق أبى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط . وتوفي سنة ١٣١٣ هـ . (٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون ، شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة . والدرك : أسفل السفلى . (٣) البازي : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء . (٤) الجهد : الناقد العارف بتميز الجيد من الرديء . ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك . (٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبال الصائد . (٦) المناجح : يريد بها جمع مناجاة : هي موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال في عقب الثورة العرابية من قصيدة طويلة :

كُلُّ حَالٍ لَضِدِّهِ يَتَحَوَّلُ	فَالزَّمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ
يَا فُؤَادِي اسْتَرَحْ فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا	مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَنْزَلُ
رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وَهُوَ مِمَّنْ	ظَنَّ بِالسَّعْيِ لِلْعُسْلا يَتَوَصَّلُ
قَدَرٌ غَالِبٌ وَمِرُّ الْحَقَايَا	فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيْبِ مَهْمَاتُكُلْ
خَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةٌ وَعَقَالُ	وَاللَّبِيبُ الذَّكِيُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلُ
كَيْفَ تَنْسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِي	فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُجْمَلُ
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَفَالَتْ نَفِيسًا	وَذَوَى مَرَبْعِ الْحُظُوظِ وَأَحْمَلُ

* * *

وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَبْنَى	نُخَيْالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلُ
وَيُخَيِّقُ قَوْمَ سَعَا لِإِدْرَاكِ أَمْرِ	دُونَ إِدْرَاكِ الْجِبَالِ تَزَلُّزَلُ
مَا أَصْرُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَضْرُوا	بَأَنَاسٍ مِنْ نَاهٍ أَوْ مُغْفَلُ
ذَاكَ يَسْعَى عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا	وَسِوَاهُ سَعَى لِكَيْمَا يُجْمَلُ
لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَاءِ	كَانَتْ الْغَايَةُ الْجَمِيلَةُ أَمَثَلُ

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الْوَقْتُ بِاسْمًا بِالسُّرُورِ	كَابِتَسَامِ الرِّبْعِ وَقْتَ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبِيعٍ لَطِيفًا	كَيُّ نَدِيرِ الْحَدِيثِ مِثْلَ الْخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ مُحْسِنٌ وَصَفًا	حَيْثُ يَجْرِي عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ

* * *

وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مُعْنَى وَيُحِبُّكُمْ يَحْرُ ذَيْلُ الْفَخُورِ (١)

ذَيْلُهُ يَرْسُمُ الْمَجْرَةَ عَجَبًا بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ الْبُذُورِ (٢)

(١١) السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغزل :

مَسْلُوهٌ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهِيَ مَلَاغِبُهُ وَكُفُّوا إِذَا سَلَّ الْمُهَنْدَ حَاجِبُهُ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهُ (٤)
وَلَا تَذْكُرُوا الْأَشْبَاحَ بِاللَّهِ عِنْدَهُ فَلَوْ أَتَلَفَ الْأَرْوَاحُ مِنْ ذَا يُطَالِبُهُ ؟
أَرَاهُ يَعْينِي وَالْذُّمُّوعُ تَكَاثِبُهُ وَيُحْجِبُ عَنِّي ، وَالْفُؤَادُ يَرَاقِبُهُ
فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الْحَبِيبَ لَصْبِهِ سِوَى زَفْرَةٍ تَلْنِي الْحَشَا وَتُجَاذِبُهُ ؟
فَلَا أَنَا يَمِّنُ يَتَّقِيهِ حَيِّبُهُ وَلَا أَنَا يَمِّنُ بِالصُّدُودِ يُعَاتِبُهُ
فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُهُ (٥)

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدر . وويحه : رحمة له .
والفخور بفتح الناء : الكثير التفاخر .

(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر بل يراها كبقعة بيضاء .

(٣) يعد السيد عبد الله نديم في مقدمة الخطباء العراقيين ، وكان لا يجارى في سرعة البديهة وشدة التأثير في سامعيه بالعامية وغيرها . ويعد متأثرا بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعروثر بجيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .

(٤) الأرقام : أخبرك الحيات . واحدا : أرقم .

(٥) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهي القطعة من الجيش .

(١٢) محمود باشا سامى البارودى^(١)

قال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَجْمَى سَرْحَةَ الْوَادِى طَاحَ الرَّدى بِشَهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِى^(٢)
مَاتَ الَّذِى تَرَهَّبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ وَيَتَّقِى بِأَسَةِ الضَّرْفَامَةِ الْعَادِى^(٣)
مَضَى ، وَخَلَفْنِى فِي سَبْتٍ سَابِعَةٍ لَا يَرَهَّبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِى وَإِرْعَادِى^(٤)
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ أَصْرَتِى فَهَآ أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِى^(٥)

وقال يتشوق وهو فى المنفى :

رَبُّدُوا عَلَى الصَّبَا مِنْ عَصْرِى الْخَالِى وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّيْلِ الْبَالِى؟^(٦)
لَمْ يَذِرْ مِنْ بَاتٍ مَسْرُورًا بِكَلْدَتِهِ أَنَّى يَنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِى^(٧)

(١) هو محمود سامى باشا ابن حسن حسنى بك البارودى أحد زعماء الثورة العراقية . ولد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتعلم بالمدرسة الحربية وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة العراقية ، ونفى بعدها الى مرنديب ، ثم عاد الى مصر ، ومها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقارنة للفحول السابقين : بزل الأسلوب ضخم المعانى متنوع الفنون . له ديوان ومختارات .

(٢) السرحة بفتح السين : القطعة من الإبل السائمة . وطاح به : أهلكه . والردي بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب . يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على محاربيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

(٣) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . والضرفامة : الأسد . والعادى : الصائل .

(٤) إبراقه وإرعاده : تهديده ووعيده .

(٥) يريد بأصرته : أهل قرابته وأصحاب موكلته .

(٦) اللة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، وهو يريد بشعر الرأس على الإطلاق .

ويريد بالبالى الذى تغير لونه فيضه المشيب .

(٧) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم وصلّى بها فهو صال : قامى حرها أراحرق بها .

يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى حِدَةٍ بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أُنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي (١)
غَبِمٌ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ (٢)
فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ، وَلَا قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَالِ (٣)
أَبَيْتُ مُتَفَرِّدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِثْلَ الْقَطَايِ فَوْقَ الْمَرْبَا الْعَالِي (٤)

ومن قصيدة له طويلة يصف فيها حرب اقريطش (كريد) ويتشوق الى مصر:

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ وَهَفَا السُّرَى بِأَعْنَةِ الْفُرْسَانِ (٥)
وَاللَّيْلُ مَنُشُورُ الذُّوَابِ ضَارِبٌ فَوْقَ الْمَتَالِيعِ وَالرُّبَى بِجِرَانِ (٦)
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظَلَمَائِهِ إِلَّا أَشْتَعَالَ أُسْبُنَةُ الْمُرَانِ (٧)
تَسِيرُ بِهِ مَا بَيْنَ لُحَّةٍ فِتْنَةٍ تَسْمُو غَوَارِبَهَا عَلَى الطُّوفَانِ (٨)
فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ تَهْدَارُ سَامِرَةٌ وَعَزْفُ قِيَانِ (٩)

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصبي : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتح السين : الحبل الذي تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع ، والقطاي بفتح القاف وضمة : الصقر . والمربا : المكان الذي .

يقف فيه من يرقب .

(٥) الكرى : النوم . وهفا : أسرع .

(٦) الذوائب : جمع ذؤابة بضم الذال ، وهي شعر في مقدم الرأس . المتالع : الأرض المرتفعة ،

والجران من البعير : مقدم عنقه . ويقال : ضرب بجراحه كناية عن التسلط والتمكن .

(٧) المران بضم الميم وتشديد الراء : الرماح اللدة في صلابه .

(٨) الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى كل شيء ، وما بين السنام والعتق .

(٩) المرباة : مكان المراقب ، والثنية : الطريق في الجبل . والتهدار : التصويت وقرقرة الحمام .

والقيان جمع قبة بفتح القاف : وهي المغنية .

- تَسْتَنُّ عَادِيَةً، وَيَصْهَلُ أَجْرَدُ،
وَتَصِيحُ أَجْرَاسُ، وَيَهْتَفُ عَانِي (١)
قَوْمُ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا خُسْرَهُمْ
قَسَلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ (٢)
مَاءُوا الْفَضَاءَ، فَمَا يَبِينُ لِنَظِيرِ
غَيْرِ التَّمَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ (٣)
فَالْبَذْرُ أَكْدَرُ وَالسَّاءُ مَرِيضَةٌ
وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرَّيْحُ دَوَانِ (٤)
وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا
لِطَرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ (٥)
وَضَعُوا السَّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَأَقْبَلُوا
يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّنَنِ النَّيْرَانِ (٦)
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَصْفَرُ، وَارْتَمَتْ
عَيْنَايَ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مَحَانِ (٧)
فَإِذَا الْجِبَالُ أَسِنَّةٌ، وَإِذَا الْوَهَا
دُاعِيَةٌ، وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي (٨)
فَتَوَجَّسَتْ فُرْطُ الرِّكَابِ، وَلَمْ تَكُنْ
لِتَهَابٍ، فَاِمْتَنَعَتْ عَلَى الْأَرْسَانِ (٩)
فَزِعَتْ فَرَجَعَتِ الْحَيْنِ، وَإِنَّمَا
تَحْنَانُهَا شَجْنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ (١٠)
ذَكَرْتُ مَوَارِدَهَا بِمَصْرَ، وَأَيْنَ مِنْ
مَاءٍ بِمَصْرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ؟ (١١)

(١) استن الفرس : عدا إقبالا وإدبارا . والأجرد : الجصان القصير الشعر . والعاني : التعب الملهوم .

(٢) تسلاوا : انسلوا وخرجوا .

(٣) البيض : السيوف . والخرسان : الدروع والرياح .

(٤) أكدر : تعلوه كدرة أى غيرة مما تثيره الحرب فى الجو ، والأشكال : الذى يضرب بياضه فى حمرة .

(٥) الأرسان : جمع رسن ، وهو اللجام أو الخيل فى عنق الدابة .

(٦) السن النيران هنا : التقاذف بالمدايع والبنادق .

(٧) المجاني : جمع مجنى الموضع ومكان جنى الثمار .

(٨) قان : شديد الحرارة .

(٩) الفرط : الفرس السريعة التى تتقدم الخيل . وامتنعت على الأرسان : حنت ، وصارت لا يتقاه

بالأرسان . (١٠) الشجن : الهم والحزن .

(١١) الموارد : جمع مورد مكان ورود الماء للشرب .

وقال يتغزل :

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ فَبَكَى وَتَوَلَّى الصَّبْرُ عَنْهُ فَشَكَى (١)
وَمَتْنَى نَظْرَةَ يَشْفِي بِهَا عِلَّةَ الشُّوقِ، فَكَانَتْ مَهْلِكََا (٢)
يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَا قَارَبَتْ مَهْيَطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى اتُّهِكَا! (٣)
نَظْرَةَ ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ، ثُمَّ أَغْرَاهَا، فَكَانَتْ شَرْكََا (٤)
غَمَّرَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي حَبَّةُ وَسَقَطَتْ أَدْمَعِي حَتَّى زُرْكََا (٥)

* * *

كَانَ أَبْقَى الْوَجْدُ مِنِّي رَمَقَا فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكََا (٦)
إِنِّي طَرَفِي غَرَّ قَلْبِي، فَمَضَى فِي سَبِيلِ الشُّوقِ حَتَّى هَلَكََا (٧)
قَسَمَهُ تَوَلَّى إِثْرَ غَزْلَانِ النَّقَا لَيْتَ شِعْرِي أَىَّ وَادٍ سَلَكََا (٨)
لَمْ يَعْصِدْ بَعْدُ، وَظَنَّنِي أَنَّهُ لَجَّ فِي نَيْلِ الْمُنَى، فَارْتَبَكَا! (٩)

(١) تولى عنه الصبر : فارقه .

(٢) المهلك : الهلاك .

(٣) اتهمك بالبناء للجهول : انكشف وانضح .

(٤) : الهدب بضم الهاء وسكون الدال : شعرا أجفان العينين . واحدها هدبة بضم الهاء . والشرك : يفترق : حبات الصيد .

(٥) زكا الزرع : طال ونما .

(٦) الرق بفتحين : بقية الحياة . والبين : البعد والفرقة .

(٧) الطرف بفتح فسكون : العين .

(٨) النقا : القطعة من الرمل ، يضرب المثل بغزلانها في الحسن ، وبأخصانها في الاعتدال . ليت .

شعري : ليتنى أعلم .

(٩) لج في طلب الشيء : تبادى فيه وأبى الانصراف عنه . والتي جمع منية بضم الميم وسكون النون .

ما يتمناه الإنسان .

يَا غَزَا لَا تَصَبْتُ أَهْدَابُهُ يَبِيدُ السَّحَرِ لَضَمِّي شَبَكَا (١)
قَدْ مَلَكَتِ الْقَلْبَ ، فَاسْتَوْصَ بِهِ إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكََا
لَا تُعَذِّبُهُ عَلَى طَاعَتِهِ ؛ بَعْدَ مَا تَيَمَّنَتْهُ ؛ فَهُوَ لَكَ (٢)
غَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى فِيكَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الضُّحِكِ الْبَكََا
فَأَلَى مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي مِنْ غَرَامٍ ؟ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ! (٣)
سَلَكْتُ نَفْسِي سَبِيلًا فِي الْهَوَى لَمْ تَدْعُ فِيهِ لَغَيْرِي مَسَلَكَا

وقال في الفخر، وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بَتَّحَنَانَ الْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّدَاتِ يَلْهُو وَيَعْجَبُ (٤)
وَمَا أَنَا بِمَنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لَهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْبِرَاعُ الْمُثْقَبُ (٥)
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَبَّجَتْ بِهِ سَوْرَةٌ تَحْوِي الْعَلَا رَاحَ يَدَا (٦)
نَقَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسَ آيَةٍ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ (٧)
وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَّيْ خَالٍ وَلَا ضَمْنِي أَبُ

(١) الشسبك بفتحين : الشرك الذي بطرحة الصياد في البر أو البحر لاقتناص الصيد . والواحد : شبكة بفتحين . (٢) تيمم الحب : استعبده واستذله . (٣) شفه : أضعفه وأهزأه . (٤) التحنان بفتح التاء الحين . والأغاريد جمع أغرودة بضم الهمزة : غناء الطائر . ويعجب بالشئ بالبناء للجهول يسر منه .

(٥) البراع : القلم . والمثقب النافذ . ويريد بسمعية أذنيه .

(٦) الهم هنا الهممة . وترجحت به مالت به . ويريد بالسورة الزعة القوية .

(٧) الأسة جمع سنان : وهو نصل الرمح .

خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ عَلَى يَدَا أُغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضِبُ (١)
فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ (٢)
أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ (٣)
وَإِنِّي إِذَا مَا الشُّكُّ أَظْلَمَ لَيْلَهُ وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرَى تَسْعَبُ (٤)
صَدَعْتُ حَقَافِي طُرْتِيهِ بِكَوْكَبٍ مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمَغِيبُ (٥)

وقال رحمه الله يتغزل :

فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ هَوَايَ فَاتْنِي وَرَبِّكَ أَدْرِ كَيْفَ زَلَّتْ بِي النَّعْلُ (٦)
فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ نَظَرْتُ بِجَاءَةٍ يُحْلَوَانِ حَيْثُ أَنْهَارُ وَأَنْعَقَدَ الرَّمْلُ
إِلَى نِسْوَةٍ مِثْلِ الْجَمَانِ تَنَاسَقَتْ قَرَائِدُهُ حُسْنًا وَالْفَهْ الشُّمْلُ (٧)
تَكْنُفْنَ ثَمَثَالًا مِنَ الْحُسْنِ رَائِعًا يُجْنُ جُنُونًا عِنْدَ رُؤْيَيْهِ الْعَقْلُ (٨)
فَكَانَ الْبَذَى لَوْلَاهُ مَادَرْتُ هَائِمًا أَرُودُ الْفِيَّافِي لَا صَدِيقٌ وَلَا خِلُّ (٩)

(١) العيوف بفتح العين : الشديد الأتقة . واليد : النعمة .

(٢) أتعبت : أغضب . (٣) المذهب : الطريقة .

(٤) الأحلام : العقول . وتشعب تشعب : أى تختلف وتفرق .

(٥) حفافا الشيء : جانباه . والطرة : الناصية . يقول : انه اذا أشكل الأمر وتحيّرت فيه العقول أفاره .

برأى كالكوكب فى وضوحه وإشراقه .

(٦) يريد بزلة النعل : الوقوع فى شرك الحب .

(٧) الجمّان : اللؤلؤ ، واحدتها جمّانة . (٨) تكنفته : أحطن به .

(٩) هام الرجل على وجهه فهو هائم : ذهب لا يدرى أين يتوجه . وراد الأرض تفقد ما فيها من المراضى

والمياه ، والمراد هنا مجرد الجولان فى الفيافي وهى المقازات لا ماء فيها وواحدتها فيفاء .

(١٣) حَفْنَى بَكَ نَاصِفٌ^(١)

قال يخاطب ناظر الحفانية وقد نقله إلى قنا :

رَقِيتَنِي حَسًّا وَمَعْنَى فَلَصُّنِيكَ الشُّكْرُ الْمَشْنَى
وَجَعَلْتَ رَأْسَ الْحَاسِدِ يَنْ بِمَصَرٍّ مِنْ قَدَمَيَّ أَدْنَى
وَجَعَلْتَ سُدَّةً مِثْلِي مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنَى
أَسْكَنْتَنِي فِي بُقْعَةٍ فِيهَا غَدَوْتُ اعْرَضًا شَانَا
أَرِدُ الْمَشَارِعَ سَابِقًا وَالسَّبْقُ عِنْدَ الْوَرْدِ أَهْنَا
وَأُزُورُ آثَارَ الْمُلُوكِ لِي، وَكُنْتُ قَبْلُ بِهَا مُعْنَى
بَلَدٌ إِذَا حَلَّتْ بِهِ قَدَمَاكَ قَلْتُ حَلَّتْ حِصْنَا
جَبَلُ الْمُقَطَّمِ حَوْلَهُ مُتَعَطِّفٌ كَالنَّوْنِ حُسْنَا
هَيَّاتَ أَنْ يَصِلَ الْعَدُوُّ لَهُ ، وَيُدْرِكَ مَا تَمْنَى



قالوا : شَخَصْتَ إِلَى قَنَا يَا مَرْحَبًا "بِقَنَا" و "إِسْنَا" !
قالوا : مَكُنْتَ السَّفْحَ قَدْ مَتُّ وَحَبْدًا بِالسَّفْحِ مَكْنَى
قالوا : قَنَا حَرًّا ، فَقَدْ مَتُّ : وَهَلْ يَرُدُّ الْحَرُّ قَنَا؟^(٢)

(١) هو القاضي الفاضل والشاعر الكاتب الاسناد محمد حَفْنَى نَاصِفٌ ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودارالعلوم ، فخرج نابغة فانيها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة فكان مثال الفضل والبراعة وحسن التفكاكه وسمرة البديهة ، يمتاز أسلوبه بالجزالة في النثر والسهولة في الشعر . توفي سنة ١٩١٩ م . (٢) القن : العبد الرقيق . وفاعل يرد يعود على (حر) بفتح الحاء . يقول وهل يصير حر قنا الرجل الحر عبدًا رقيقًا ؟

سِرُّ الْحَيَاةِ حَرَارَةٌ لَوْلَاهُ مَا طِيرَ تَغْنَى
كَلَّا ! وَلَا زَهْرٌ تَبَسَّ مَمْ ، لَا وَلَا غَصْنٌ تَنَنَّى !
تَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْ حَرٍّ ، وَتُزْجِي الرِّيحُ مُزْنًا !
هَا قَدْ أَمِنْتُ الْبَرْدَ وَالْ بُرْدَاءَ ، وَالْقَلْبُ أَطْمَأَنَّا
وَوُقِيتُ أَمْرَاضَ الرُّطُو بَةِ ، وَأَسْتِرَاقَ الرِّيحِ وَهْنًا
أَلْقَى الْهَوَاءَ فَلَا أَهَا بٌ لِقَاءَهُ : ظَهَرَا وَبَطْنَا
وَأَنَامُ غَيْرَ مُدَّتَرٍ شَيْئًا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا
قَبْدَ خَفَّتِ النَّفَقَاتُ إِذْ لَا أُشْتَرَى صُوقًا وَقُطْنَا
وَقَرْتُ مِنْ تَمَنِّ الْوَقُورِ دِ النِّصْفِ أَوْ نِصْفًا وَثُمْنَا
فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي ؛ فَكَأَنهَا أُمِّي وَأَخِي
فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ فِي الْغَسْلِ أَلْقَى الْمَاءَ سُبْحَنَا
أَوْ رُمْتُ طَبِخًا أَوْ عِلَا جَ الْخَبْزِ أَلْقَى الْجَوْ قُرْنَا
سَكَنَى الْقُرَى تَدْعُ السَّفِيءَ مَهْ مُوَكَّلًا بِالْمَالِ مُضْنَى
أَيُّ الْمَلَاهِي فِيهِ يَصِدُّ رِفْ مَالَهُ وَمَتْنِي وَأُنَى ؟
كُلُّ أَمْرِي تَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الظَّهِيرَةِ مُسْتَكْنَا
وَيَرَى الْغَرِيبُ السُّعْرَ أَيْدِ سَرَ حَالَةٍ ، وَأَخَفَّ غَبْنَا
يَجْنِدُ الْحَلِيبَ بَعِينِهِ لَبْنًا ، وَيُلْفِي السَّمْنَ سَمْنَا
عِشْ فِي الْقُرَى رَأْسًا ، وَلَا تَسْكُنْ مَعَ الْأَذْنَابِ مُدْنَا

وَأَرَبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَى مُسْتَمِرًّا فِي الْعَيْنِ جُبْنَا
وَدَعَ الْجَزِيرَةَ وَالْمَهَا وَالْجَسَرَ وَالظُّلَى الْأَغْنَا
وَأَسْلُ الْأَغَانِي وَالْفَوَا نِي ، وَأَسْأَلِ الرَّحْمَنَ عَدْنَا !

ولما أشرف على الإحالة على المعاش بيلوغ الستين كتب الى المرحوم
حسين رشدي باشا ، وكان يومئذ رئيسا للوزارة ، يسأله أن يمد في أجل خدمته ،
في مفاكهة غاية في الظرف والرفقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الْوِزَارَةِ حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضَى بِأَشَارَةٍ
فَالْمَنَا قَبْلِي أَلَوْفٌ لَمْ أَكُنْ دُونَهُمْ عَلِمًا وَلَا أَدْنَى إِدَارَةٍ
نَاهَزَ السَّتِينَ عَمْسَرِي إِنْمَا لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقَوَى جَمَّ الْجِدَارَةِ^(١)
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِنْ شِلِي عِلَّةً هَلْ مِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَهُ؟
إِنْ تَرَكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعَ طُولَ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَهُ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَيْتُهَا تَارَةً فِي الْعَدْلِ وَالْعَلِيمِ تَارَةً^(٢)

وقال موجهًا الخطاب إلى صديقه الشاعر حافظ بك إبراهيم رحمهما الله :
أَتَذْكُرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةً نَعْدُدُ آثَارَ الْإِمَامِ وَنَسْدُبُ؟
وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا مَمَاتٌ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرَّتَبُ؟

(١) ناهز : قارب . والجَم : الكثير . والجدارة : الأهلية والآنحقاق .

(٢) وان كانت نشأة الشاعر الأولى في الأزهر ثم في دارالعلوم فقد ولي القضاء في المحاكم الأهلية

مدة ليست بالقصيرة .

(٣) كان الذين قاموا على تأبين المرحوم الشيخ محمد عبده سنة ، وصادف أن مات منهم أربعة

متتابعين على ترتيبهم في التأبين . وكان حفيي خامسهم ، وآخرهم حافظ إبراهيم رحمة الله عليه .

أَبُو خَطْوَةٍ وَلَّى وَقْفَاهُ عَاصِمٌ
وَجَاءَ لِعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتُ يَطْلُبُ
فَلَبَّى ، وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَائِمٍ
وَعَمَّا قَلِيلٍ نَجْمٌ مَحْيَايَ يَغْرُبُ (١)
فَلَا تَحْشَ هُلُكًا مَا حَيِّتُ ، وَإِنْ أَمْتُ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا خَائِفٌ تَسْتَرْقُبُ
نَفَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الْقِطَارِ وَلَا تَخَفُ
وَنَمَّ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقِفِ وَهُوَ مَحْرَبُ
وَحُضْ لِحَجِّ الْمَيْجَاءِ أَغْرَزَ آمِنًا
فَإِنَّ الْمَنَآيَا مِنْكَ تَجْرِي وَتَهْرُبُ

(١٤) اسماعيل صبرى باشا^(٢)

قال :

إِنْ سَمِيتَ الْحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الْأَرْضِ
ضِ تَمَّ آمِنًا مِنَ الْأَوْصَابِ (٣)
تِلْكَ أُمُّ أُخْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأُمِّ
الَّتِي خَلَقَتْكَ لِلْأَتْعَابِ (٤)
لَا تَخَفْ ، فَالْمَمَاتُ لَيْسَ بِمَاجٍ
مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابٍ

(١) هم على الترتيب في البينين المرحومون : الشيخ أحمد أبو خطوة ، وحسن باشا عاصم ، وحسن باشا عبد الرازق ، وقام بك أمين .

(٢) ولد اسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والادارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل في مصر مناصب القضاء ، يرقى فيها إلى أن صار وكيل الحفائنة . وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لفة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر في رقة شعره وحسن ابتكاره وبجمال قده . له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فنى ، مات سنة ١٩٢٣ م .

(٣) الأوصاب : جمع وصب بفتحيتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض ؛ لأنه خلق من ترابها .

(٤) أحنى : أعطف وأرتق . والأتعاب : جمع تعب .

كُلُّ مَيِّتٍ بَاقٍ، وَإِنْ خَالَفَ الْعُدُّ وَأَنْ مَا نُصِّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ (١)
وَحَيَاةُ الْمَرْءِ اغْتِرَابٌ قَلْبٌ مَا تَ فَقَدْ عَادَ سَالِمًا لِلْغُرَابِ (٢)

وقال ينجى الدواة :

يَا دَوَاةُ أَجْعَلِي مِدَادَكَ وَرَدًّا لَوْفُودِ الْأَقْلَامِ حِينَ خِينَا (٣)
وَلِيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينَا (٤)
أَكْرِمِي الْعِلْمَ وَأَمْنِي خَادِمِيهِ مَاءَكَ الْغَالِي النَّفِيسَ الثَّمِينَا
وَأَبْذُلِي الصَّافِي الْمُطَهَّرَ مِنْهُ لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ الْمُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا يَوْمَ نَحْسِ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا
وَأَسْتَمِدَّا مِنَ الشُّرُورِ مِدَادًا فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا

وَإِذَا مُهَجَّةُ الْحَمَائِمِ أَسَدَتْ نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّيْءُ الْمَصُونَا (٥)
فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَفَقَا وَهَيْبَهَا رَسَائِلَ الشَّقِيقِينَا (٦)

(١) في غُضُونِ الْكِتَابِ : في أثناءه . هذا البيت بمثابة التذليل على البيت الذي قبله ؛ فإنه قرر في ذلك البيت أن الموت لا يحو من الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفي هذا البيت يقول : إن كل بيت هو في الواقع حي ، وإن كان الموت معروفاً بأنه عدم الحياة ؛ وذلك كشأن العنوان إذا خالف في الواقع ما نص عليه في صلب الكتاب .

(٢) هذا البيت جار مجرى البيت الذي قبله ، وهو من أنثر الشعر راروعه .

(٣) الورد بكسر الواو : الماء الذي يورد . (٤) الآسن : الراكدة المتغير . والمعين بفتح الميم :

الماء الجاري . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان في سعة ونحمة ، وفي صفوه ركده .

(٥) المهجة : دم القلب . والحمايم : جمع حماة . وأسدت هنا بمعنى امتدعت . وذلك لأن الحمام

معروف بالوداعة واللفظ وطهر القلب .

(٦) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشقيقين : المشايقين .

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا مَا أَعَدَّ الْإِخْلَاصُ لِلْخُلُوصِ
فاجعله حظي لا أكتب منه شرح حالي لسيد المرسلينا (١)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَيْتَ لِي
بَيْنِي وَبَيْنَكَ خُطْوَةً
أَيَّامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّي
إِنْ تَحُطُّهَا فَرَجَتْ عَنِّي

وقال :

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرَبَ الشَّوْقُ جَهْدَهُ
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ
تَحِيَّينُ فَأَضَا لَوْعَةً وَعِثَابًا (٢)
تَسْرَبُ أَثْنَاءَ الْعِنَاكِ وَغَابًا

وقال في ساعة التوديع :

أَتَرَى أَنْتَ خَاذِلِي سَاعَةَ التَّوَدِيعِ
وَيْكَ ! قُلْ لِي ، مَتَى أَرَاكَ بِجَنِّي
لَسْتُ بَعْضَ الْحُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةً أَنْتِ قُدَّتْ
لَا تَحِيَّيني ! رُوحِي الْفِدَاءُ لِمَا حَيَّ
دِيعِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِي ؟
رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتُ بِالْمَأْجُورِ (٣)
لِلْحَبِيبِينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ؟ (٤)
نِكَ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ (٥)

(١) حظي : نصيبي .

(٢) اللوعة : حرقه الوجد .

(٣) الحداة بضم الحاء جمع حاد : الذي يسوق الإبل ويغني لها . يريد من قلبه أن يثبت في مكانه الذي هجره ليسير في ركاب الأوبة ويغنيهم ، وذلك تخاية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

(٤) البين : البعد والفراق . وقدت : قطعت .

(٥) حان الشيء : يحين : قرب وقته .

وقال يتغزل :

أَبَشُّكَ مَا بِي فَإِنْ تَرَجِمِي رَحِمْتَ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا (١)
وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَ النَّوَى عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشُّوقُ لَبًّا (٢)
وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُبُوبَ النَّسِ مِمَّ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرُّوضِ هَبًّا
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ بُرْهَةٍ مِنْ الْعُمُرِ لَمْ تَلْقِنِي فِيكَ صَبًّا (٣)
تَعَالَى يُجَدِّدُ زَمَانَ الْهَنَاءِ وَتَنْهَبُ لِيَالِيَهُ الْغُرْنَ نَهَبًا (٤)
تَعَالَى أَذُقُ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا (٥)

وقال يتغزل :

يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صِلِي مَتَمِّيًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَاهُ (٦)
زِينِي النَّدَى وَسِيلِي فِي جَوَانِيهِ لُدْلَفًا يَعْصِمُ رَعَايَا اللَّطِيفِ رِيَاهُ (٧)
رَيْحَانَةُ أَنْتِ فِي صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ مِنَ الرِّيَاحِينَ حَيَاتَنَا بِهَا اللَّهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الطَّلَا أَوْ صَدَّ لَاحِرُجُ هَذَا جَمَالُكَ يُغْنِينَا مَحَبَّاهُ (٨)

(١) اللوعة : حرقه الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٢) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق . ولي : أجاب . ودعا : دعاه .

(٣) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . والصب :

العاشق الشديد العشق . (٤) الغر : الحسان .

(٥) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا

شبيه بقول العباس بن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

(٦) المنيم : الذي استنذله الحب . وفي الحالين : أى فى حالى الوصل والهجر .

(٧) الندى : بتشديد اليا . النادى . والريا بفتح الراء وتشديد اليا . : الريح الطيبة الزكية .

(٨) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحبا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

ومن قوله في التصوف :

يَا رَبِّ أَيْنَ تُرَى تَقَامُ جَهَنَّمُ	لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْفُجَّارِ
لَمْ يَبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى	وَالْأَرْضِ شَبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ أَهْلَنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي	شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
وَمِرَّ الْوُجُودِ يَشْفِ عَنْكَ لَكِنِّي أَرَى	غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ (١)
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِي مَحْنَةٌ	عَلَيَّ بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ (٢)
أَخْلَقَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسَعُّ الْوَرَى	أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ (٣)

وقال متغزلا :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَةٍ	وَلَا يَشَافِعُهُ فِي رَدِّ مَا كُنَّا (٤)
سَلَا الْفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتُهُ زَمَنًا	حَمَلَ الصَّبَابَةَ فَأَخْفِقُ وَحَدَكَ الْآثَانَا (٥)
هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ	مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا؟ (٦)
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ الْعُمَرَ مُقْتَحِمًا	فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهِجْرَانِ نِيرَانَا

(١) شف الشيء يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه .

(٢) المحنة : اليلة والمصيبة . يقول : يكفيني تجربة و بلاء على بأنك تعلم السر وما يخفى لآنك إذن .

مطلع على آثامى وأوزارى . (٣) أخلق به أن يفعل كذا ، أى ما أحقه بفعله .

(٤) أقصر : كف وأقلع .

(٥) يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادل الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

(٦) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبة أى هيات له أسبابه .

والأشجان الهموم والأحزان ، واحدها شجن . يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطية والهجيران

فأعددت له عدته قبل أن تندفع في تيار العشق ، فلا يقلب ما كنت تجده من الشوق هموما وأحزاناً بما تعانيه

من القطبة .

(١٥) ولي الدين يكن^(١)

ويل للناس من الناس

يربذ الناس في الدنيا هباءً	ويأبى أن يحود به الزمان
حياة حاربتهم منذ كانت	وحظ حاربوه منذ كانوا
وآمال تغرهم عجايف	وأحداث تكذبها سمان
وكم من مستنيل ليس يعطى	وكم من مستعين لا يعان
تكاثر الهموم فلا يرأع	يوفيها الشكاة ولا لسان
أماناً أيها الخصم المعادي	إذا دان العدا وجب الأمان
إن رغبوا إليك رغبت عنهم	لقد هانت رغائبهم وهانوا
يمنى الناس بعضهم بخير	ألا كذبوا على بعض ومانوا
وداع جاء يدعوني لنصح	وقد وهن النهى وهى البنان
تعبت من الكلام فليس يجدى	— كما أملت — نظم أو بيان
وكانت صبوّة وتزعّت عنها	فها أنا لا أدين ولا أذانب
وما أسفى على عهد تقضى	ولكن صنت عهداً لا بضان
ظلمت أمينه دهرًا طويلاً	وكنْتُ أظن أنى لا أخان

(١) ولي الدين بن حسن سرى بن إبراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلاً وتعلم بها ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الآستانة وعين عضواً في مجلس معارفها ، ثم نقاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيواس ، وبعد إعلان الدستور عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته . وله شعر رفيع وكتابة جيدة .

* * *

وَدَارٍ لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا كَانَ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
 أَهَابَ بِهَا الْيَرَّاعُ فَلَمْ يُجِبْهُ وَنَادَاهَا بِجَاوَبَتِ السَّنَانُ
 تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ عَامِلَاتٍ يَصْرَفُهَا ضَرَابٌ أَوْ طَعَانُ
 بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ مَدَامُهَا غَدًا يَبْكِي الْجَنَانُ
 لَعَمْرُكَ مَا لِيذِي نَضِجَ مَكَانُ وَلَا لِلنَّضِجِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ
 فَدَعْنِي إِنْ آمَلِي اسْتَكْفَفْتُ قَلِي شَانُ وَلِلْآمَالِ شَانُ

معارضته قصيدة الحصري

”يا ليل الصب متى غده“

الْحُسْنُ مَكَانُكَ مَعْبُدُهُ وَاللَّحْظُ قُوَادِي مَعْبُدُهُ
 يَا سَيِّدِي هَذَا حُرُّ لَمْ يَعْرِفْ قَبْلَكَ سَيِّدُهُ
 اللَّيْلُ وَطَيْفُكَ يَعْرِفُهُ إِنْ كَانَ قُوَادِكُ يَجْعَدُهُ
 كَمْ يُوَسِّخِي طَرْفُكَ لِي غَزْلًا وَأَنَا فِي شِعْرِي أَشِيدُهُ
 وَتَسَاجَلْنِي الْأَطْيَارُ هَوًى فِي الدَّوْجِ أَيْتُ أَرْدَدُهُ
 لِلصَّبْحِ سَنَاؤُكَ أَيْضُهُ لِلَّيْلِ غَرَامِي أَسُودُهُ
 أَحْبَبْتُ قَلَاكَ فَمُطْلَقُهُ عِنْدِي عَذْبٌ وَمَقِيدُهُ
 إِنْ ضَلَّ حَنَانُكَ عَنْ قَلْبِي فَأَنَا بِوُلُوعِي أُرْشِدُهُ
 قَدْ بَاتَ دَلَالُكَ يَتَخَذَلُهُ وَجَمَالُكَ كَانَ يُؤَيِّدُهُ
 زَيْدِي تِيهَا أَرْدَدَ كَلْفًا كَلْفِي إِنْ رَثَّ أَجْدَدُهُ

(شوقى) إِنْ يَنْتِ بِضَاعِفِهِ (صبرى) إِنْ جَرَتْ يُؤَكِّدُهُ
خَلَّانِ هُمَا شَمْسًا فَلَكِ طَرَفِي مَعَ طَرَفِكَ يَرْصَدُهُ
فِيصَلِي بِاللَّهِ وَلَوْ حَلَمَا (مُضْنَاكِ جَفَاءَ مَرَقَدُهُ)
وَعِدِيهِ الْيَوْمَ وَلَوْ كَذِبًا الصَّبُّ يَمَاطِلُهُ غَدُهُ

(١٦) الشيخ محمد عبد المطلب^(١)

قال في وصف القلم :

إِذَا اهْتَزَّ فِي طَرَسِهِ مُعْجَبًا أَذَلَّ شُعُوبًا وَأَعْلَى شُعُوبًا (٢)
فَيَسْعِدُ قَوْمٌ بِهِ تَارَةً وَقَوْمٌ بِهِ يَصْطَلُونَ الْخُطُوبَا (٣)
وَطُورًا تَرَاهُ يَفُضُّ الْجَمُوعَ وَطُورًا تَرَاهُ يُشِيرُ الْجُرُوبَا
وَطُورًا تَرَاهُ أَمْرًا زَاهِيًا وَطُورًا تَرَاهُ حَزِينًا كَثِييَا
وَطُورًا يَنَادِي الْوَرَى سَائِلًا وَطُورًا يَرُدُّ عَلَيْهِمُ مُجِيبَا
تَسِيرُ الْمُلُوكُ عَلَى أَمْرِهِ وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ مَلِكٌ مَهِييَا
وَتَجْرِي الْعُلُومُ عَلَى سِنَنِهِ فَيُمَلِّي عَلَى كُلِّ قَلْبٍ نَصِييَا

(١) هو الشاعر الأديب الشيخ محمد بن عبد المطلب . ولد ببلدة باصونة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ فيها القرآن . ثم طلب العلم في الأزهر ثم في دار العلوم ، حتى إذا نال إجازتها قام بالتدريس في المدارس الأميرية ، ثم تولى التدريس بمدرسة القضاء الشرعي ثم تحولت به الأحوال فاختر مدرسا في دار العلوم ، وظل فيها حتى أحيل إلى المعاش ولم يلبث إلا قليلا حتى وافاه أجله المحتوم . وهو شاعر بزل اللفظ ، نظم النظم ، يتأثر في قريضه شعر الجاهليين وشعراء الصدر الأول في الإسلام ، توفي سنة ١٩٣١ م . وهذه المختارات والتعليق عليها من ديوانه المطبوع الذي وقف على ضبطه وشرحه الأستاذان إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية .

(٢) الطرس : الصحيفة . (٣) يصطلون الخطوب : يحترقون بصلاها .

وله من قصيدة في تكريم شوقي بك :

تَأْوِيَنِي وَاللَّيْلُ بِالصَّبْحِ مُرْتَجٍ ۖ خَيَالٌ لَهُ فِي حُنْدِسِ الْهَمِّ مَنَهِجٌ ^(١)
يُكَلِّفُ جَفَنِي الْغِرَارَ لَعَلَّهُ إِلَى النَّفْسِ فِي طَيِّ الْكُرَى يَتَدَرَجُ ^(٢)
وَمَا شَغَلْتُ عَيْنِي عَنِ النَّوْمِ صَبُوءٌ بِهَا شَاقِي طَرْفٌ مِنَ الْعَيْنِ أَبْرَجُ ^(٣)
وَلَا بَاتُ يُغْرِينِي بِمَعْسُولَةِ اللَّيْ إِذَا آبَتْسَمْتُ ، ذَاكَ الْجَمَانُ الْمُفْلَجُ ^(٤)
وَلَا ذَرَفْتُ عَيْنِي لِرَكْبٍ يُشَوِّقُنِي غَدَاةَ النَّوَى ، فِيهِ خِبَاءٌ وَهَوْدَجُ
لَوَيْتُ زِمَامَ النَّفْسِ عَنْ سَنَنِ الْهَوَى وَخَلَيْتُ أَتْرَابَ [الْهَوَى] ^(٥) حَيْثُ عَرَّجُوا
وَرُحْتُ إِلَى مَا يَبْتَنِي الْمَجْدَ لِلْفَتَى وَأَدْبَلْتُ فِي رَكْبِ الْعَلَا يَوْمَ أَدْبَلُوا ^(٦)
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا حَيْثُ حَلَّتْ رِبَاعُنَا لَهُ فِي نَوَاحِيهَا ظِلَالٌ وَتَجَسَّجُ ^(٧)
إِذَا أَجْدَبْتُ أَحْسَابُ قَوْمٍ تَمَّائِنَا عَلَى النَّاسِ جَيَّاشُ الْغَوَارِبِ مُرْتَجُ ^(٨)
لَنَا الْبَاذَخَاتُ الشَّمُّ تَعْلُو قِلَاحُهَا عَلَى كُلِّ مَا شَادَ الْأَنَامُ وَبَرَّجُوا ^(٩)

(١) تأويه : أتاه ليلا . والحندس : للسواد والظلمة . والمنهج (كقعد ومنبر) : الطريق الواضح .

(٢) الغرار : النوم القليل .

(٣) العين : البقر الوحشية وتشبه بها الحسان في جمال العيون . والطرف الأبرج : الذي يكون

بياضه محدقا بالسواد كله لا يغيب من سواده شيء .

(٤) اللى (بالثلاث) : سمرة في باطن الشفة . والجمان : اللؤلؤ . والمفلج غير المسلح ، يريد

بها الأسنان .

(٥) زيادة يفقدها الأصل المخطوط . (٦) الإدلاج : السير في الليل .

(٧) الرباع : الدور . جمع ربع . والسجسج : اعتدال الجور وقته ، يقال : يوم سيجسج إذا لم

يكن فيه حرم مؤذ ولا قر ، وكذلك الليل .

(٨) الجياش : المضطرب . والغوارب : الأمواج المرتفعة . والمرج من البحار : الهائج الذي يغمر

كل شيء . (٩) القلال : القمم . وبرج : بني برجا .

سَلُوا الدهرَ عَنَّا في القديمِ فإنما بأسلافنا يذكو قديماً ويأرجُ^(١)
 لهم في نواحي كلِّ جيلٍ مناقبُ تيجدُ إذا أهلُ المناقبِ أنهمجوا^(٢)
 إذا عَرَضُ الدنيا بَنَى تَجْدُ معشِرُ . زهاهم من الدنيا رُواء وبهرج^(٣)
 فشادوا على زَيْفِ المظاهرِ قُوَّةُ يَصُولُ بها سيفٌ من الغيِّ أهوج
 رَفَعْنَا منارَ الحقِّ في مَدَنِيَّةِ سَنَا الحَقُّ مِن آفاقها يَتَبَلَّجُ
 لها فَلَقٌ مِن جانبِ الشَّرقِ واضِحٌ على الغُربِ يعلو نُورُهُ المُتَوَهِّجُ^(٤)
 حياةَ ورثَها بَيَاناً مُفَصَّلاً بها يُفَلِّقُ الذِّكْرُ الحَكِيمُ وَيُفَلِّجُ^(٥)
 فَتَنَحْنُ إذا الأَقلامُ جالتْ جِيادُها أُولو السَّبْقِ تَجْرِي حيثُ شِئْنَا ونُهِجُ^(٦)

وقال يجاوب شوقي بك على قصيدته التي مطلعها : " اختلاف النهار والليل

يُنْسَى " والتي قالها في منفاه :

مَالَهُ في الحَيْنِ يُضْحِي وَيُمِيسُ شَفَهُ البرقُ لاح من «عين شمس»^(٧)
 وآسَتْخَفَتْ به الصُّبا فتَنَاسَى عَهْدَهُ في الوقَارِ، والشوقُ يُنْسَى^(٨)

(١) أرج الطيب يارج (من باب علم) : فاحت رائحته .

(٢) جد يجد (من باب ضرب) : صار جديدا . برأهج ثوبه : أبلاه . يريد أن هذه المناقب

تبقى جديدة على مر الأيام بينما تبلى مناقب غيرهم .

(٣) زهاهم : استخفهم .

(٤) الفلق : الصبح .

(٥) يقال : فلق الله الصبح أى شقه بكشف الظلام عنه . والذكر الحكيم : القرآن . ولفقه :

إيضاح مفرداته وكشف الغطاء عن معانيه ، وكذلك فله .

(٦) أهجج : جد في السير .

(٧) شفه : أضناه .

(٨) الصبا : الشوق .

- حَنِّ فِي شَجْوِهِ إِلَى جَبَلِ الطَّيْرِ رَحْنِي إِلَى الْغَوِيرِ وَجَلِّسْ (١)
 ذَكَرَ الْعُرْبَ بِالْوَلِيدِ فَأَنْسَا هَ بِمَا صَاغَ ذِكْرُ هُوجُو وَشَكْسَى (٢)
 وَبَكَى الْمَكْسَ إِذْ تَذَكَّرَ مَا سَيِّدِ مَمَّ بَنُو مَصَرَ مِنْ هَوَانٍ وَمَكْسِ (٣)
 وَيَحْهَ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَصْرًا مَسَّهَ الْوَجْدُ نَحْوَ مِصْرِيَّسْ (٤)
 لَا تَلَمَّ وَيَحْكُ الْغَرِيبَ عَلَى الدَّمِّ عَ فَمِ الدَّمْعِ لِلْغَرِيبِ تَأْسَى
 وَأَبْنُ مَصِيرٍ إِذَا الْأَصُولُ تَلَاقَتْ يَدَّ أَهْلَ الْعُلَا إِلَى خَيْرِ إِرْسِ (٥)
 بَلَدٌ نَازِحٌ وَدَارٌ طَرُوح بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَبَاسِ (٦)
 شَاعِرَ النَّيْلِ، هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ آلِ سَدَّ بَيْلٍ وَالْدَهْرُ ذُو سُعُودٍ وَنَحْسِ
 ظَامِيٌّ لَوْ عَلِمْتَهُ وَهُوَ رِيٌّ آلِ سَدَّ مَاسٍ عَارٍ أَدِيمُهُ وَهُوَ يَكْسِي

وله من قصيدة قالها في جمعية المواساة :

- أَسَأَلْتُ بِأَكْبَةِ الدِّيَابِجِ مَا لَهَا أُرِقْتُ فَأَرَقْتُ النُّجُومَ حِيَالَهَا
 بَاتَتْ تُكْفِكِفُ بِالْوَقَارِ مَدَامَعًا غَلَبَ الْأَسَى عِبَارَتَهَا فَأَسَاطَهَا
 تَطَّيَّرَ عَلَى الْأَلَامِ مُهْجَةً صَابِرٍ قَطَعَ الزَّمَانُ بِرَيْسِهِ آمَالَهَا
 فَالنَّجْمُ يُخَفِّقُ عَنْ فَوَادٍ كَرِيمَةٍ رَحِمَ السَّحَابُ جَفُونَهَا فَبَكَى لَهَا

- (١) جبل الطير : جبل بصعيد مصر قرب أثينا (مدينة أزيلية من ضواحي الصعيد) في شرق النيل .
 وجلس : كل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد . والغوير : تصغير الغور وهو ما انخفض ، يريد بهما بلاد العرب حيث موطن آباءه السابقين . وقد لاخلو قصيدة له رحمه الله من الإشارة إلى موطنه الأول .
 (٢) الوليد : يريد به البحري الوليد بن عبيد بن يحيى الشاعر المعروف بالإجادة والجزالة والرفقة .
 وهوجو : هو فكتور هوجو الشاعر الفرنسي . وشكسى : يريد شكسبير الشاعر الإنجليزي .
 (٣) المكس : من ضواحي الإسكندرية . ومكس : ظلم . (٤) مس : جنون .
 (٥) الإرس : الأصل . (٦) النازح : البعيد ، وكذلك الطروح .

تَبْكِي إِذَا انْقَطَعَ الْأَنْيْسُ لِصَبِيَّةٍ
 مِنْ كُلِّ نَاعِمَةِ الْحَيَاةِ وَمُتَرَفٍ
 يَشْكُو الطَّوْنِي فَتَفِيضُ مُهْجَةً أُمُّهُ
 وَلِأَخْتِهِ مِنْ تُحَدِّثِ أُمِّهَا
 كَلْبُ الشَّاءِ يَجْسِمُهَا فَتَعَطَّفَتْ
 حَتَّى إِذَا رَقَدَ الْأَسَى بِجُفُونِهَا
 جَلَبَ الطَّوِي أَحْشَاءَهَا فَتَفَزَّعَتْ
 يَا لَيْتَ شَبَعْرَى هَلْ يُقِيلُ عِثَارَهَا
 مَسْذَا يَحِيرُ عَلَى اللَّيَالِي أَسْرَةً
 أُمٌّ مَنْ يَمُدُّ يَدًا لِنَصْرٍ مَصُونَةٍ
 قَذَفَ الصَّبَاحُ بِهَا سَبِيلَ بَنِي النَّدَى
 وَيَتِيمَةٍ شَهِدَ الزَّمَانُ بِتَتَمُّهَا
 تَخَرَّجَتْ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ غُدُوَّةً
 حَتَّى إِذَا وَقَفَ الْقِطَارُ بِهَا عَلَى
 وَسَعَتْ تَقَلُّبُ مُقَالَةٍ مُحْزُونَةٍ
 يَتَضَرَّوْنَ بِمِثْلِهَا وَشِمَالَهَا
 وَرَدَ الْحَيَاةَ مَعِينَهَا وَزُلَامَهَا
 شَفَقًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ يَدْرِي حَالَهَا
 وَحَيًّا وَقَدْ حَبَسَ الْحَيَاءُ مَقَالَهَا
 تَطْوِي هَلِي خَاوِي الْحَشَا أَوْصَالَهَا (١)
 وَهَفَا النَّعَاسُ بِرَأْسِهَا فَأَمَامَهَا
 حَيْرَى تُعَانِي سُهْدَهَا وَمَلَامَهَا
 دَهْرٌ تَوَلَّى حَرْبَهَا وَنَكَالَهَا
 خَطَفَ الْمَنُونُ غِيَاثَهَا وَثِمَالَهَا (٢)
 بَذَلَ الزَّمَانُ قِنَاعَهَا فَأَذَالَهَا (٣)
 لُتْجِرَ مِنْ غَوْلِ الْخُطُوبِ عِيَالَهَا (٤)
 فِي الْحُسْنِ لَمْ تَلِدِ الْحِسَانُ مِثَالَهَا
 تُرْجَى إِلَى أَكْثَافِ مِصْرَ رِحَالَهَا (٥)
 بَابُ الْحَدِيدِ تَلَفَّتْ أَشْمَالَهَا
 فِي الذَّاهِبِينَ يَمِينَهَا وَشِمَالَهَا

(١) كلب به : اشتد .

(٢) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه .

(٣) أذالها : أهانها .

(٤) الغول : المشقة والإهلاك .

(٥) ترجى : تسوق .

تُقْتَادُ فِي الطَّرَقَاتِ فَانِيَةَ الْقُوى
مَحْنِيَّةً صَبَغَ الْمَشِيبَ قَذَالَهَا (١)
عَمِيَ النَّهَارُ عَلَيْهِمَا فَكَأَنَّهُ
ظَلَمَ تَمُدَّ عَلَى الطَّرِيقِ سِدَالَهَا
لَوْلَا فَتَى جَمِّ الْمَرْوَةِ أَقْبَلَتْ
تَشْكُو إِلَيْهِ عِثَارَهَا فَأَقَالَهَا
مِنْ مَعَشِرٍ عَقَدُوا ضَمَائِرَهُمْ عَلَى
حُبِّ الْمَرْوَةِ يَخْطُبُونَ بِجَمَالَهَا
مَدُّوا لَنَجْدَتِهَا أَكْثَرًا أَرْخَصَتْ
فِي سَوْمِ غَالِيَةِ الْحَمَامِ مَالَهَا

(١٧) حافظ إبراهيم (٢)

قال رحمه الله، يصف القطار الحديدي، من قصيدة له :

صَفْحَةُ الْبَرَقِ أَوْ مَضَّتْ فِي الْغَمَامِ؟ أَمْ شِهَابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْدِ يَدٍ فَأَعْيَا سَوَائِقَ الْأَوْهَامِ! (٣)

(١) القَذَالُ : جماع مؤخر الرأس، وقيل ما بين قرة القفا إلى الأذن .

(٢) هو الشاعر الناصر الأديب محمد حافظ بك إبراهيم، ويلقب بشاعر النيل . ولد في ديروط من أعمال مديرية أسيوط ونشأ بالقاهرة، وفيها جاز التعليم الابتدائي وطرفا من الثانوي . ثم تحول إلى المدرسة الحربية، وخرج منها برتبة (الملازم الثاني) . وأُشْتُخِصَ إلى السودان، فظل هناك دهرا، ثم حول إلى البوليس في ريف مصر، ثم أعيد إلى الجيش . ثم خرج إلى (الاستيداع) . ثم أُحِيلَ إلى التقاعد وهو في رتبة اليوزباشي . وبعد بضع سنين عين رئيسا للقسم الأدبي في دارالكتب المصرية، ثم وكّلا لها . وظل في المنصب إلى أن خرج من الخدمة بحكم الستين، وكان ذلك قبيل وفاته ببضعة أشهر . وكان — رحمه الله — شاعرا فحلا من الطراز الأول : نغم اللفظ، متين الرصف، متلاحم النسج، رحين القافية، مشرق الديباجة . كما كان خفيف الروح، حسن المفاكهة، حاضر البديهة . وله ديوان شعر طبع منه ثلاثة أجزاء . وكتاب ليالى سطوح . وترجم صدرا محمودا من كتاب (البؤساء) لفكتور هيجو . وشارك في ترجمة كتاب (الموجز في الاقتصاد السياسي) . وتوفي رحمه الله في سنة ١٩٣٢ م .

(٣) السليل : الولد .

- مَرَّ كَالْمَجِّ لَمْ تَكْدُ تَقِفُ الْعِيَّةُ بَنُ عَلَى ظِلِّ جِرْمِهِ الْمُتْرَامِي (١)
 أَوْ كَشَرِخِ الشَّبَابِ لَمْ يَذِرْ كَاسِيْدَ إِلَهٍ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنْامٍ! (٢)
 لَا يُبَالِي السَّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ (٣)
 يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيدًا لَمْ تُضَعِضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ (٤)
 لَيْسَ يَثْنِيهِ مَا يُذَيِّبُ دِمَاحَ الضُّسْبِ يَوْمَ الْمَهِجِرِ بَيْنَ الْمَوَامِي (٥)
 لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُحْرِسُ النَّا يَجَّ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ الْحِيَامِ
 هَائِمًا كَالظَّلِيمِ أَرْعَجَهُ الصَّيْدُ دُ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ (٦)
 فَهُوَ يَسْتَدُّ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي حَيْثُ تَرْمِي بِجَانِبَيْهِ الْمَرَامِي (٧)



- يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدِ كَانِسِيَابِ الرُّقَطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ (٨)
 قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا يَذِرَاعِي مُشَمِّرٍ مَقْدَامِ (٩)
 بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا يَجْنِي لَيْكِنْ مَا يَجْنِي مُسْتَدِيمُ الضَّرَامِ (١٠)

- (١) المتراعى : المتتابع .
 (٢) شرخ الشباب : أوله .
 (٣) السرى : سير عامة الليل . واعتكار الليل : اشتداد سواده .
 (٤) البيد ، جمع بيدا : الصحراء . والفيا في ، جمع فيفاء : الصحراء لا ماء فيها .
 (٥) الموامي ، جمع مومة : الصحراء . و «دماخ الضب» يضرب به المثل في احتمال الحر الشديد .
 (٦) الظليم : ذكر النعام ، يضرب به المثل في شدة الجرى .
 (٧) النجاء : السرعة .
 (٨) الرقطاء : الحية . والرغام : التراب .
 (٩) مسح البلاد : قاسها . والمشمّر : المقدم على الأمر والمتهب له .
 (١٠) الضرام : الاتقاد .

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ وَإِنْ كُنْتُ تُرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ (١)
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَيْنَ إِلَى الْإِلَافِ (٢) فَمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي؟ (٣)
 أَنْتَ قَاسِي الْقَوَادِ بِلَدٍّ عَلَى الْأَيْدِ (٤) مِنْ شَدِيدِ الْقَوَى شَدِيدُ الْغَرَامِ (٥)
 لَا تُبَالِي أَرَعْتُ بِالْبَيْنِ أَحَدًا (٦) بَابًا وَأَسْرَفْتُ فِي أَذَى الْمُسْتَهَامِ (٧)
 أَمْ جَمَعْتَ الْأَحْبَابَ فَوْقَ صَعِيدٍ (٨) وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْأَرَامِ (٩)

وقال يصف طيارة :

يَجْرِي بِسَاحَةِ نَشْءٍ (١) سَبِيلَهَا شَقٌّ الْإِزَارُ (٢)
 وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَثَرِ (٣) يَرِي فَيَسْتَخِيلُ إِلَى شَرَارِ (٤)
 مِثْلَ الشَّهَابِ أَنْقَضَ فِي (٥) آثَارِ عَفْرِيتٍ وَطَارَ
 فَإِذَا عَلَتْ فَكَدَعُوهُ إِلَى (٦) مُضْطَرَّ تَحْتَرِقُ السَّتَارُ
 وَإِذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ (٧) أَنْتَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارِ (٨)

-
- (١) الزفير : إخراج النفس مع مده ، ولا يكون الا من الهم والكرب .
 (٢) الإلف : الأليف . والهوامي : المتدفقة .
 (٣) الأين : التعب والإعياء . والعرام : الشراسة والأذى .
 (٤) البين : البعد . والمستهام : الذي غاب عقله من الحب أو غيره .
 (٥) الصعيد : التراب ، ويريد به هنا الأرض . والآرام ، جمع رثم : الفلي الخالص البياض .
 (٦) السابحة : يريد بها الطائرة تشبها لها بالمركب تسبح في الماء .
 (٧) الأثير في عرف علماء الطبيعة : مادة لا تقع تحت الوزن ، تتخلل الأجسام ، ويكون امتداد الصوت والحرارة بوساطة تموجاتها .
 (٨) العقاب (بضم العين) : طائر من الجوارح قوى المخالب ، والقوة فيه للأنتى ، وجمعه عقبان (بكسر العين) . والهازار (بفتح الهاء) : طائر كالجمامة ، حسن التفريد .

وَتُسِفُّ آوِنَةٌ وَآ وَنَةً يَحِيدُ بِهَا أَزُورَارُ^(١)
 فَيَخَالُهَا الرَّاؤُونَ قَدْ قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
 لَعِبَ الْجَوَادِ أَقْلٌ لَيْ شًا مِنْ قُضَاعَةٍ أَوْ نَزَارُ^(٢)
 أَوْ كَالْقُلُوبِ مِنَ الْحَا ثُمَّ فَوْقَ مَلْعِيهِ اسْتَطَارُ^(٣)
 وَكَانَهَا فِي الْأَفْقِ حَي نَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ^(٤)
 وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا حُلَّ أَصْفَرَارٍ وَأَحْمَرَارُ
 مَلِكٌ تُمَثِّلُهُ لَنَا السَّيِّ يَا فَيَأْخُذُنَا أَنبَارُ^(٥)

وقال في (دولة السيف والمدفع) :

يَا دَوْلَةَ الْقَوَاضِبِ الصَّقَالِ وَصَوْلَةَ الدَّوَابِلِ الطَّوَالِ^(٦)
 كَمْ شَدَّتْ بَيْنَ الْأَعْصُرِ الْخَوَالِ مَمَالِكًا عَزِيزَةً الْبَنَالِ
 قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْفَصَالِ وَسَنَ ذَاكَ الْأَثْمَرِ الْعَسَالِ^(٧)
 رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِ وَخَلَفَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ

(١) أسف الطائر (بفتح السين وتشديد الفاء) : دنا من الأرض في طيرانه . وازورر (بفتح الواو وتشديد الراء) ازورارا : انحرف وحاد .

(٢) قضاة وزار : شعبان عظيمان من شعوب العرب . يشبه الطيارة في مجوالها وترجحها في الحق مجواد يركبه فارس من فرسان العرب .

(٣) القلوب بفتح القاف : الكثير الثقل .

(٤) يقال : مال ميزان النهار إذا تجاوز الظهر .

(٥) الانبهار هنا : شدة العجب .

(٦) الدوابل جمع ذابل : وهو الريح .

(٧) الأبيض الفصال : السيف الماضي . والأثمر : الريح . والعسال : الشدائد الاهتزاز .

- فَمَلَكَةُ الْمَدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ (١)
- فَأَرْهَبَتْ أَفْئِدَةَ الْأَبْطَالِ أَرْهَبَهَا مُزْعِزُ الْجِبَالِ
- وَمُفْزِعُ اللَّيْثِ فِي الدَّحَالِ وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْآمَالِ (٢)
- وَحَاطِفُ الْأُرُوجِ مِنْ أُمِّيَالِ يَثُورُ كَالْبُرْكَانِ فِي التَّزَالِ
- فَيَتَّبِعُ الْأَهْوَالَ بِالْأَهْوَالِ وَيُرْسِلُ النَّارَ عَلَى التَّوَالِي
- فَيَحِطُّمُ الْهَامَ وَلَا يُبَالِي مَا كَوَّكَبُ الرَّجْمِ هَوَى مِنْ عَالِي (٣)
- فَمَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ عَلَى عَنِيدٍ مَا رِدٍ مُحْتَالِ
- مُسْتَرِيقٌ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ مِنْ عَالِمِ التَّسْيِيحِ وَالْإِهْلَالِ (٤)
- أَمْضَى وَأَنْتَ مِنْهُ فِي الْقِتَالِ إِذَا سَرَتْ قُبْلَةُ الْوَبَالِ
- مَنْ قَمِيهِ الْمُحْشَوُ بِالنَّكَالِ يُنْذِرُهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجَالِ
- بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَالْآجَالِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخِتَالِ (٥)
- يَحْزُزُ فِي الْهَامِ وَفِي الْأَوْصَالِ صَامِتَ قَسْوِلٍ نَاطِقِ الْفِعَالِ
- رَأَيْتُهُ كَالْقُسُومِ فِي الْمِثَالِ مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ

* فَاْمْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِي *

(١) الخال هنا بمعنى العظمة والكبرياء .

(٢) الدحال ، جمع دحل (يفتح الدال) : عرين الأسد .

(٣) الهام ، جمع هامة : وهي الرأس .

(٤) الإهلال هنا : رفع الصوت بذكر الله تعالى .

(٥) يريد (بالختال) : السيف لأنه يقطع بغير سابق إنذار ، أما المدفع فينذر بالبرق والرعد ؛ يريد

ما يكون من دويه وما يظهر من بريقه ساعة انطلاقه .

وقال من قصيدة له في الدعوة إلى مكارم الأخلاق :

- إِنِّي لَتَطْرِبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةٌ طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأُوبَةٍ وَتَلَاقٍ (١)
 وَيَهْزُنِي ذِكْرُ الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَقِاقِ (٢)
 فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ (٣)
 فَالنَّاسُ : هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
 وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدَّخِرْهُ مُحْصَنًا بِالْعِلْمِ كَانَ نِهَايَةَ الْإِمْلَاقِ (٤)
 وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ (٥)
 لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يَتَّوَجَّ رَبُّهُ بِخِلَاقِ (٦)
 كَمْ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا لَوْ قِيعَةٍ وَقَطِيعَةٍ وَفِرَاقِ
 يَدْعُوهُ عِنْدَ الشَّقَاقِ وَمَا دَرَوْا أَنَّ الَّذِي يَدْعُونَ خِذْنُ شِقَاقِ (٧)
 وَطَيِّبِ قَوْمٍ قَدْ أُحِلَّ لِطَبِّهِ مَا لَمْ تُحِلَّ شَرِيعَةُ الْخِلَاقِ
 قَتَلَ الْأَجِنَّةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً جَمَعَ الدَّوَانِقَ مِنْ دَمٍ مُهْرَاقِ (٨)

(١) الخلال جمع خلة بالفتح وهي الخصلة . والأوبة : الرحمة .

(٢) الشمائل : الخصال ، واحدها شمال (بكسر الشين) .

(٣) الخليفة وجمعها خلائق : السجايا والخصال .

(٤) الإملاق : شدة الفقر .

(٥) الإخفاق : الخيبة .

(٦) الخلاق (بفتح الخاء) : الحظ الوافر من الخير .

(٧) الخدن (بكسر الخاء) : الصاحب .

(٨) الدوانق : جمع دائق : سدس الدرهم . والمهراق المصبوب المسفوك . يقول : إن من الأطباء من يبيعون ذممهم ويخونون واجب مهنتهم ، فيرتكبون أعظم الجرائم مثل إجهاض الحوامل لقاء أتعبه المال .

وَأَدِيبَ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينَهُ
يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْعُقُولِ بَيَانَهُ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمْجُ لُعَابُهُ
يَرُدُّ الْحَقَائِقَ وَهِيَ بَيَضٌ نَصْعُ
فَيَرُدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابَتَيْهَا
غَيْرِيَّتٍ مِنَ الْخُلُقِ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ
لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ
قَطَعَ الْأَنَامِلَ أَوْ لَطَى الْإِحْرَاقِ
فَكَأَنَّهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَّةٌ رَاقِي (١)
سَمًا وَيَنْفُثُهُ عَلَى الْأَوْرَاقِ
قُدْسِيَّةٌ عَلَوِيَّةٌ الْإِشْرَاقِ
مِنْ ظُلُمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطَاقِ
فَحْيَاتُهُ ثِقَلٌ عَلَى الْأَعْنَاقِ
بَيَانُهُ وَبِرَاعِيهِ السَّبَاقِ

وقال يرثي محمود باشا سامي البارودي رحمه الله :

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ مَحْمُودٍ
مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضَبِي لَا تُطَاوِعُنِي ؟
ظَنَنْتُ سَكُوتِي صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ
وَلَوْ دَرَّتْ أَنْ هَذَا الْخُطْبَ أَفْحَمَنِي
لَيْسَ بِكَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتِ وَمُوحِشَنَا
مُلْكُ الْقُلُوبِ ، وَأَنْتَ الْمُسْتَقِيلُ بِهِ ،
إِنِّي عَيْتٌ وَأَعْيَا الشُّعْرَ مَجْهُودِي
وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودٍ ؟
فَأَسْلَمْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدٍ (٢)
لَأَطْلُقَتْ مِنْ لِسَانِي كُلَّ مَعْقُودٍ (٣)
يَا فَارِسَ الشُّعْرِ وَالْمِجْأَاءِ وَالْجُودِ (٤)
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ ابْنِ دَاوُدَ (٥)

(١) الرقية وتجمع على رقى (بضم الراء وفتح القاف) : ما يقال أو يكتب للعصمة من العين أو السحر ونحو ذلك في وهم الواهين .

(٢) الصفح هنا : الإعراض . والسهد : الأرق وقلة النوم .

(٣) ألحمه : أعجزه عن الجواب . والمراد هنا أنه أعجزه عن قرض الشعر .

(٤) الميحاء : الحرب .

(٥) ابن داود : سيدنا سليمان (قال رب أغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) .

لبيك يا شاعراً ضمن الزمان به
تجري السلاسة في أثناء منطقيه
لو حنطوك شِعْر أنت قائله
لييك يا خير من هنّ اليراع ومن
إن هُد رُكُك منكوباً فقد رفعت
إن المناصب في عزل وتولية
كم وقفة لك والأبطال طائفة
فسخت يوم كريد كل ما نقلوا
نظمت أعداك في سلك الفناء به
كانهم كلم والموت قافية
أقول للملاء الغادي بموكبه
غضوا العيون فإن الروح يصحبكم
على النهى والقوافي والأناشيد
تحت الفصاحة بحرى الماء في العود
غيتت عن نقحات المسك والعود^(١)
هنّ الحسام ومن لبي ومن نودي
لك الفضيحة رُكناً غير مهود^(٢)
غير المواهب في ذكر وتخليد
والحرب تضرب صنيدياً بصنديد^(٣)
في يوم ذي قار عن هاني بن مسعود^(٤)
على روى وامكن غير معهود^(٥)
يرمى به عربى غير رعيد^(٦)
والناس ما بين مكبود ومقشود^(٧)
مع الملائك تكريماً لمحمود^(٨)

(١) العود في هذا البيت : نوع من الطيب يتغير به . والعود في البيت الذى قبله : الغصن .

(٢) يشير (بهة ركنه) إلى تقيه واستصفاء أمواله . (٣) الصنديد بكسر الصاد : السيد الشجاع .

(٤) تاراهل جزيرة كريد بالحكم التركى ، وكانت في ملك تركيا ، بخردت لانحداد ثورتهم جيشاً ، وأمدتها

مصر بآثر ، وكان البارودى في قواده ، فأبلى في تلك الحرب بلاء حسناً . وترى بعض وصفها فيما مر عليك

من شعره . ووقعة ذي قار كانت بين الفرس والعرب بعيد البعثة ، وكان قائد العرب هانى بن مسعود الشيباني ،

وكان النصر فيها لهم على الفرس . وقد أبلى هانى فيها بلاء عظيماً .

(٥) الروى : الحرف الأخير الذى يلتزم فى آخر كل بيت من القصيدة .

(٦) الرعيد بكسر الراء : الجبان .

(٧) المكبود : المصاب فى كبده . والمقشود : المصاب فى قواده .

(٨) الروح هنا : جبريل الأمين صلوات الله عليه .

يَا وَيْحَهُ حَلَّ فِيهِ ذُرٌّ قَرِيحَتُهُ لَهَا يَحْذِرُ الْمَعَانِي أَلْفُ مَوْلُودٍ^(١)
 تَحْجُودُ إِنِّي لَأَسْتَحْيِكَ فِي كَلْبِي حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبَدْتُ تَقْصِيدِي
 فَأَعِذْ قَرِيبِي وَأَعِذْ فِيكَ قَائِلُهُ كِلَاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْدُودٍ^(٢)

(١٨) شَوْفِي^(٣)

من قصيدة طويلة له ، رحمه الله ، يتأجى بها أبا الهول :

أَبَا الْهَوْلِ : طَالَ عَلَيْكَ الْعَصْرُ وَبُلَّغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعُمُرِ^(٤)
 فَيَالِدَةَ الدَّهْرِ : لَا الدَّهْرُ شَبٌّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصَّغَرِ^(٥)

(١) ذر هنا بمعنى الذى فى لغة طي . . والخذر : الستر الذى يمدّ للجارية فى ناحية البيت . والضمر فى (ويحه) يعود على القبر المفهوم من سياق الكلام .

(٢) المضعوف : اسم مفعول من أضعف على غير القياس . والمحدود : السبيء الحظ ، ضد المجودود .

(٣) هو الشاعر الناصر أحمد شوقي بك ، ويلقب بأمير الشعراء . انحدر من أصل تركى ، ولكنه ولد بمصر ونشأ فيها . واستظل برعاية البيت المالكة من أول مولده . وقد تعلم فى مدارس مصر حتى بلغ مدرسة الحقوق ، ثم شخص إلى فرنسا ونال من إحدى كلياتها إجازة الحقوق ، وعاد فعين فى معية الخديو ، وما زال يرقى فيها حتى صارت إليه رئاسة القلم الفرنكى فيها . ولما شبت الحرب الكبرى لم يكن له بد من مغادرة البلاد ، فاختار مدينة برشلونه من أعمال أسبانيا مئوى له ولأسرته . وظل بها إلى أن أذن له فى العودة بعد استقرار السلام العام .

ولقد كان ، رحمه الله ، شاعرا لا يتعلق بفنائه . حالب الشعر من أيام فتوته فأعجب وأبدع ، وضرب فى كل فن ، وجال فى كل مطلب ، ونحا كل نحو ، فأصاب أرفع المعانى ونظم أنحر الكلام . وله أثر يلزم فيه السجع القصير . وهو أشبه بحل النظم منه بكتابة الترسيل . وله روايات تاريخية عدة من وضعه هو . وتوفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٣٢

(٤) العصر (بضمين) ، كالعصر (بفتح فسكون) : الدهر .

(٥) لدة الدهر : أخوه وقريته ، وجمع لدة لدات .

- إِلَام رُكُوبِكَ مَثْنِ الرِّمَاءِ لِي لَطَى الْأَصِيلِ وَجُوبِ السَّحَرِ (١)
- تَسَافِرُ مُتَقِيلًا فِي الْقُرُوفِ نِي فَأَيَّانَ تُلْقِي غُبَارَ السَّفَرِ؟
- أَبَيْتَكَ عَهْدٌ وَيَيْنُ الْجَبَا لِي تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُتَنَظَّرِ؟ (٢)
- أَبَا الْهَوْلِ مَا أَنْتَ فِي الْمُعْضَلَا يَتِ لَقَدْ ضَلَّتِ السَّبِيلَ فِيكَ الْفِكْرُ (٣)
- تَحْبِيرُتِ الْبَدُو مَاذَا تَصْكَو نُوَضَّلْتُ بِوَادِي الظُّنُونِ الْحَضَرِ
- فَكُنْتُ لَهُمْ صُورَةَ الْعُنْفُو نِي وَكُنْتُ مِثَالِ الْجَحَى وَالْبَصْرِ (٤)
- وَسِرُّكَ فِي حُجْبِهِ كَلَّمَا أَطَلْتُ عَلَيْهِ الظُّنُونُ اسْتَرَّ (٥)
- وَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ رَأْسِ الرَّجَا لِي عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظُّفْرِ (٦)
- وَلَوْ صُورُوا مِنْ نَوَاحِي الطَّبَا عِ تَوَالَوْا عَلَيْكَ سَبَاعَ الصُّورِ (٧)
- فَيَارُبَّ وَجْهِ كَصَافِي النِّمِ مِرِ تَشَابَهَ حَامِسَلُهُ وَالنِّمْرِ (٨)
- أَبَا الْهَوْلِ وَيَحْكُ لَا يُسْتَقَلُّ لُمُ مَعَ الدَّهْرِ شَيْءٌ وَلَا يُحْتَقَرُ (٩)
- تَهَزُّبَاتٌ دَهْرًا بِإِدْيِكَ الصَّبَا حِجْ فَتَقَرَّ عَيْنُكَ فِيمَا تَقَرُّ (١٠)

(١) الأصيل : آخر النهار . والسحر : آخر الليل ، والمراد عامة النهار والليل ، كناية عن عمر الدهر الأطول . (٢) الموعد المتظر : يريد به يوم قيام الساعة .

(٣) ما أنت في المعضلات : خبر في أي معضلة أنت في المعضلات !

(٤) العنقوان (بضم العين) والفاء : الشدة والقوة . (٥) حجب جمع حجاب : وهو ما ينجي ويستتر .

(٦) ركب أبو الهول من رأس رجل وجسم سبع .

(٧) يريد أن هؤلاء الناس الذين يظهرون العجب من خلقك لو أنهم صوروا على ما يطابق طباعهم

لما كانت لهم إلا صورة السباع لما في نفوسهم من العدوان والقسوة والشر .

(٨) هذا البيت بمنابة التدليل على ما قبله . والنمر (بفتح فكسر) من أقصى السباع وأشرها .

(٩ و ١٠) يحذر أبا الهول في هذين البيتين من احتقار الصغار فرب صغيرة أنت عظيما . ودبك الصباح

يريد به صدر الزمان . فإنه ما زال بأبي الهول العاني حتى تهر عينه .

أَسَالَ الْبِيَاضَ وَسَلَّ السَّوَا دَ وَأَوَّغَلَ مِثْقَارَهُ فِي الْحُفَيْرِ
 فَعُدَّتْ كَأَنَّكَ ذُو الْمَحْبَسِ مِنْ قَطِيعِ الْقِيَامِ سَلِيبَ الْبَصْرِ (١)
 كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبَيْهِ لَكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشْرِ
 كَأَنَّكَ فِيهَا لِوَاءُ الْقَضَا عِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دَيْدَبَانُ الْقَدَرِ (٢)
 كَأَنَّكَ صَاحِبُ رَمْلٍ يَرَى خَبَايَا الْغُيُوبِ خِلَالَ السَّطْرِ (٣)
 أَبَا الْهَبُولِ أَنْتَ نَدِيمُ الزَّمَا نِ نَجَى الْأَوَانِ سَمِيرُ الْعَصْرِ (٤)
 بَسَطْتَ ذِرَاعَيْكَ مِنْ آدَمِ وَوَلَّيْتَ وَجْهَكَ شَطْرَ الزَّمَرِ (٥)
 تُطِلُّ عَلَى عَالِمٍ يَسْتَهْذِ لُ وَتُصَوِّفِي عَلَى عَالِمٍ يُحْتَضِرُ (٦)
 فَمِيتٌ إِلَى مَنْ بَدَأَ لِلْوُجُ مَوِدٌ وَأُخْرَى مُشِيعَةٌ مِنْ عَبْرِ (٧)
 فَحَدَّثْتُ فَقَدْ يَهْتَدِي بِالْحَدِيدِ مِثْ وَخَبَرْتُ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبْرِ

وقال من قصيدة له يزجرفيها طلاب العلم عن بدعة الانتحار ، ويبسط لهم

الأمل في الصبر ومعاودة الجدة في الدرس :

كُلَّ يَوْمٍ خَبَرٌ عَنْ حَدِيثٍ مَسَمَّ الْعَيْشَ وَمَنْ يَسَامُ يَذُرُ (٨)

(١) الحبس : مكان الحبس : وكان يقال للعرى : رهين المحبين ، أى رهين عماء وبيت .

(٢) الديدبان فارسية ، ومعناها الجندي الموكل بالحراسة .

(٣) السطر (بفتحين) : السطر .

(٤) النجى : من تحادته في السر .

(٥) الزمر جمع زمرة بضم الزاى : الجماعة من الناس . ويريد بها هنا الناس جميعا . يريد أنه أشرف

على الخليفة من أرلها وسيظل كذلك إلى غاية الزمان .

(٦) يستهل : يتندى . ويحتضر (بالبناء للجهول) : يدخل في سكرة الموت .

(٧) عبر (بفتحين) : مضى . (٨) أجدت هنا : الشاب . ويدر : يترك .

- عَافَ بِالدُّنْيَا بِنَاءً بَعْدَ مَا خَطَبَ الدُّنْيَا وَأَهْدَى وَمَهْرٌ (١)
 حَلَّ يَوْمَ الْعُرْسِ مِنْهَا نَفْسَهُ رَحِمَ اللَّهُ الْعُرُوسَ الْمُخْتَضِرَ (٢)
 ضَاقَ بِالْعَيْشَةِ ذَرْعًا فَهَوَى عَنْ شَفَا الْيَأْسِ وَيُسَّ الْمُنْهَدِرِ (٣)
 رَاحِلًا فِي مِثْلِ أَعْمَارِ الْمُنَى ذَاهِبًا فِي مِثْلِ آجَالِ الزَّهْرِ
 هَارِبًا مِنْ سَاحَةِ الْعَيْشِ وَمَا شَارَفَ الْغَمْرَةَ مِنْهَا وَالْغُدْرَ (٤)
 لَا أَرَى الْأَيَّامَ إِلَّا مَعْرُكًا وَأَرَى الصَّنِيدَ فِيهِ مِنْ صَبَرٍ (٥)
 رَبِّ وَاهِي الْجَاشِ فِيهِ قَصَفٌ مَاتَ بِالْجُبْنِ وَأَوْدَى بِالْحَذَرِ (٦)

* * *

- نَشَأَ الْخَيْرُ ، رُويِدًا ، قَتَلَكُمْ فِي الصَّبَا النَّفْسَ ضَلَالٌ وَخُسْرٌ (٧)
 لَوْ عَصَيْتُمْ كَاذِبَ الْيَأْسِ ، فَمَا فِي صَبَاهَا يَنْحَرُّ النَّفْسَ الضَّجَرُ (٨)
 تُضْمِرُ الْيَأْسَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَهَا عَنْ حَادِثِ الدُّنْيَا خَبَرٌ
 فِيمَ تَجْنُونَ عَلَى آبَائِكُمْ أَلَمْ تُكَلِّ شَدِيدًا فِي الْكِبَرِ؟ (٩)

(١) عاف : كره . والبناء هنا : زفاف العروس الى زوجها . وخطب الدنيا من خطبة الزواج (بكسر الخاء) . ومهر : أعطى المهر .

(٢) المختضر (بالخاء) : الذي يموت في صباه .

(٣) شفا الشيء : حرقه .

(٤) شارف الشيء : دنا منه . وغمرة الشيء : شدته ومزدهجه . والغدر (بضمين) جمع غدير ، وهو القطعة

من الماء يغادرها السيل . يريد أنه يهرب من الحياة مع أنه لم يضرب في زحماتها ولم يعارك أحداثها .

(٥) المعرك : موضع العراك . والصنديد (بكسر الصاد) : السيد الشجاع .

(٦) القصف (بفتحين) : الضعف والخور . وأودى الرجل : هلك .

(٧) النشأ (بفتحين) جمع نشأ (بفتح فسكون) وهو النسل . والخسر (بضمين) : الخسران .

(٨) لو عصيتم معناه : اعصوا اليأس الكاذب . (٩) الثكل : فقد الولد .

وَتَعْقُونَ يَلَادًا لَمْ تَزَلْ يَبْنَ إِشْفَاقٍ عَلَيْكُمْ وَحَذَرُ؟
فَمَصَابُ الْمُلْكِ فِي شُبَانِهِ تَمَصَّابُ الْأَرْضِ فِي الزَّرْعِ النَّضْرِ
لَيْسَ يَدْرِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمَا كَانَتْ يُعْطَى لَوْ تَأَنَّى وَأَنْتَظَرُ
رُبَّ طِفْلٍ بَرَّحَ الْبُؤْسُ بِهِ مِطَرِ الْخَيْرِ قَتِيًّا وَمَطَرُ (١)
وَصَبِيٌّ أَزْرَتِ الدُّنْيَا بِهِ شَبَّ بَيْنَ الْعِزِّ فِيهَا وَالْخَطَرُ (٢)
وَرَفِيعٌ لَمْ يُسَوِّدْهُ أَبٌ مَنْ أَبُو الشَّمْسِ وَمَنْ جَدُّ الْقَمَرِ؟
فَلَمْ يَكُنْ جَارٍ وَدُنْيَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا السَّعْدُ، وَلَا النَّحْسُ أَسْمَرُ

ومن قصيدة طويلة له يرثى فيها (مقدونية) وقد تكاثرت على الدولة العثمانية
دول البلقان سنة ١٩١٢ حتى نزعتها منها بعد بلاء الترك في الدفاع عنها :

يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامٌ هَوَتْ اِلْخَلَافَةُ عَنْكِ وَالْإِسْلَامُ
تَزَلُ الْهَلَالُ عَنْ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا طُويَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظَنَامُ (٣)
أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ قَدَرٌ يَحْطُّ الْبَدْرَ وَهُوَ تَمَامُ (٤)
جُرْحَانِ تَمْضِي الْأُمْتَانِ عَلَيْهِمَا هَذَا يَسِيلُ وَذَاكَ لَا يَلْتَامُ (٥)
يَكُنَا أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ وَفِيكُمَا دُفِنَ الْبِرَاعُ وَغُيِبَ الصَّمْصَامُ (٦)

(١) برح به : آذاه . مطر الخير الخ : أصاب الخير وقع بالخير الناس .

(٢) أزرت به : تهاوت . والخطر هنا : عظم القدر .

(٣) الهلال : شعار الدول الإسلامية ، كما أن الصليب شعار الدول المسيحية .

(٤) أزرى به : رضع من شأنه . الأرج : العلا . وتام : تام مكتمل .

(٥) يلتام : يلتئم . الأمتان هما العرب والترك . وجرحا الأمتين في سقوط الأندلس أزلا ، وضباع
أدرة ثانيا .

(٦) البراع : القلم . والصمصام بالصمصامة : السيف لا ينتنى .

- لم يُطو ما أتمها وهذا ماتم
ما بين مصرعها ومصرعك انقضت
خات القرون كليلة وتصرفت
والدهر لا يالو الممالك من ذرا
مقدونيا ، والمسلمون عشيرة ،
أترينهم هانوا ، وكان يعزهم
إذ أنت ناب الليث ، كل كتيبة
ما زالت الأيام حتى بدلت
أرايت كيف أديل من أسد الشرى
زعموك هم للخلافة ناصبا
- لَبَسُوا السَّوَادَ عَلَيْكَ فِيهِ وَقَامُوا (١)
فِيما نُحِبُّ وَنَكْرَهُ الْيَّامُ
دَوْلُ الْفَتْوحِ كَانَهَا أَحْلَامُ (٢)
فَإِذَا غَفَلَ فَمَا عَلَيْهِ مَلَامُ (٣)
كَيْفَ الْخُؤُولَةُ فِيكَ وَالْأَعْمَامُ؟ (٤)
وَعُلُوهُمْ يَتَخَيَّلُ الْإِسْلَامُ؟ (٥)
طَلَعَتْ عَلَيْكَ فَرِيْسَةٌ وَطَعَامُ (٦)
وَتَغَيَّرَ السَّاقِي ، وَحَالَ الْجَامُ (٧)
وَشَهِدْتَ كَيْفَ أُبَيِّعَتِ الْآجَامُ (٨)
وَهَلِ الْمَمَالِكُ رَاحَةً وَمَنَامُ؟ (٩)

(١) الضمير في (ماتمها) يعود على الأندلس .

(٢) تصرف ، انقضت .

(٣) لا يالو : لا يقصر ولا يبطئ .

(٤) الخؤولة : النسبة الى الخال ، كالعمومة وهي النسبة الى العم .

(٥) يتخائل : يتبخر .

(٦) الكتيبة : الجيش أو القطعة منه . والمراد : أن من غزاها افترسته وقضت عليه .

(٧) حال : تحول . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر . والمراد : خروجها من يد الترك الى يد أعدائهم .

(٨) أديل منهم : حل غيرهم في موضعهم . والشرى : مكان تكثر فيه الأسود . والآجام : جمع أجم ، وهذا جمع أجمة : وهي الشجر الكثير الملتف ، واليه تأوى الأسود .

(٩) زعموك الخ . كان بعض الساسة يزعمون أن بقاء مقدونيا في يد تركيا مصدر هم كبير لها من كل وجه ، وتعزوا بهذا عن خروجها من يدها ، فرد الشاعر عليهم ردا بديعا في هذا البيت والبيت بعده .

وَيَقُولُ قَوْمٌ كُنْتُمْ أَشْأَمَ مُورِدٍ
وَيَرَاكِ دَاءَ الْمُلْكِ نَاسٌ جَهَالَةٍ
لَوْ أَتَوْا لِإِصْلَاحِ كُنْتُمْ بِعَرَشِهِمْ
وَهُمْ يَقْبِضُونَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ بِهِ
صُورُ الْعَمَى شَتَّى، وَأَقْبَحُهَا إِذَا
وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ وَلَيْسَ مِنْ
وَقَالَ يَتَغَزَّلُ :

مَاذَا صَنَعْتَ بِهِ يَا ظَلِيَّةَ الْبَنَانِ
عَلَيْهِ مَرَعَاكِ مِنْ قَاجٍ وَكُثْبَانٍ (٣)
وَجَنٍّ لِلنَّازِحِ الْمَأْسُورِ جُثْمَانِي (٤)
إِنْ كَانَ فِي رَدِّهِ صَحْوِي وَسَلْوَانِي (٥)
مَاضٍ لَهُ مِنْ مُبِينِ السَّحَرِ جَفْنَانِ
وَقَانَ سَهْمٌ فَقَالَ الْقَلْبُ مَهْمَانِ
وَكَوَّكَبَ الصُّبْحِ فِي أَعْطَافِ إِنْسَانٍ (٦)
يَا صُورَةَ الْخُورِ فِي جِلْبَابٍ فَانِيَةٍ

(١) الهام جمع حامة : وهي الرأس .

(٢) ولقد يقام الخ . يريد أن الأمة التي يقهرها عدوها بمجد السيف لا يتعذر عليها أن تجمع شملها وتستعيد قوتها وتأخذ بنارها وتسترجع ملكها . أما الأمة التي تعثر بها الكوارث من ضعف أخلاقها وشيوع الفساد فيها فهيئات مالها من قيام .

(٣) الكُثْبَان جمع كُثيب (بفتح الكاف) ، وهو التل من الرمل ، وعليه تشرح الغزلان .

(٤) الضمير في (فرقة) يعود على القلب في البيت الأول .

(٥) السلوان : النسيان . (٦) في جلباب فانية : في صورة امرأة .

مُرِي عَصَى الْكَرَى يَغْشَى مُجَامَلَةً وَسَامِحِي فِي عِنَاقِ الطَّيْفِ أَجْفَانِي
فَحَسْبُ خَدَيَّ مِنْ عَيْنَيَّ مَا شَرِبَا فَمَنْ لُ مَا قَدْ جَرَى لَمْ تَلَقَ عَيْنَانِ

وقال :

رَدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ
مَرٍّ مِنْ بَعْدِكَ مَا رَوَّعَنِي أَتَرَى يَا حُلُوْ بَعْدِي رَوَّعَكَ
كَمْ شَكَوْتُ الْبَيْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكَ
وَبَعَثْتُ الشُّوقَ فِي رِيحِ الصَّبَا فَشَكَا الْحُرْقَةَ مِمَّا اسْتَوَدَعَكَ
يَا نَعِيمِي وَعَذَابِي فِي الْهَوَى يِعْذُولِي فِي الْهَوَى مَا جَمَعَكَ
أَنْتَ رُوْحِي ظَلَمَ الْوَاثِي الَّذِي زَعَمَ الْقَلْبَ سَلَا أَوْ ضَيَّعَكَ
مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ آه لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكَ
أَرْجَفُوا أَنْكَ شَاكِ مُوجَعٌ لَيْتَ لِي فَوْقَ الضَّنَا مَا أَوْجَعَكَ (١)
نَامَتِ الْأَعْيُنُ إِلَّا مُقَلَّةٌ تَسْكُبُ الدَّمْعَ وَتَرَعَى مَضْجَعَكَ

وقال يعارض الحصرى في قصيدة (يا ليل الصب متى غده) :

مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَبِكَاهُ وَرَحْمَ عَوْدِهِ (٢)
حَيْرَانُ الْقَلْبِ مَعَذِبُهُ مَقْرُوحُ الْجَفْنِ مَسْهَدُهُ (٣)
أَوْدَى حَرَقًا إِلَّا رَمَقًا يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتَنْفِيْدُهُ (٤)

- (١) الضنا : المرض والضعف والهزال ، يمتنى أن يتحول إليه ما يشكو منه الحبيب فوق مرضه وهزاله .
(٢) العود : جمع عائد ، وهو زائر المريض .
(٣) المسهد (بفتح السين) : المؤرق .
(٤) الرمق : بقية الروح .

يَسْتَهْوِي الورق تَأْوِهَهُ وَيَذِيبُ الصَّخْرَ تَهْدُهُ (١)
وَيُنَاجِي النَّجْمَ وَيَتَعَبَّهُ وَيَقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
وَيَعْلَمُ كُلَّ مَطْوِقَةٍ شَجَنًا فِي الدُّوْحِ تَرْدُدُهُ (٢)
كَمْ مَدَّ لَطِيفِكَ مِنْ شَرِكٍ وَتَأَوَّبَ لَا يَتَصَيَّدُهُ

* * *

سَبَبٌ لِرِضَاكَ أُمِّهِدُهُ مَا بَالُ الْخَصْرِ يُعَقِّدُهُ
يَلْنِي فِي الْحُبِّ وَبَيْنَكَ مَا لَا يَقْدِرُ وَاشٍ يُفْسِدُهُ
مَا بَالُ الْعَاذِلِ يَفْتَحُ لِي بَابَ السُّلُوتَانِ وَأَوْصِدُهُ
وَيَقُولُ : تَكَادُ تُجِنُّ بِهِ فَأَقُولُ : وَأَوْشِكُ أَعْبِدُهُ
مَوْلَايَ وَرُوحِي فِي يَدِهِ قَدْ ضَيَّعَهَا سَلِمَتْ يَدُهُ
نَاقُوسُ الْقَلْبِ يَدُقُّ لَهُ وَحَنَائِي الْأَضْلَعِ مَعْبِدُهُ
قَبَسًا بَنِيَا، لُؤْلُؤَهَا قَسَمَ الْيَاقُوتَ مَنْضُدُهُ
وَرُضَابٍ يُوْعَدُ كَوَثْرُهُ مَقْتُولُ الْعَشِيقِ وَمُشْهَدُهُ (٣)
وَيُنْجَالِي كَادَ يُحْجِجُ لَهُ لَوْ كَانَ يَقْبَلُ أَسْوَدُهُ
وَقَوَائِمُ يَرَوِي الْغُصْنَ لَهُ نَسَبًا وَالرَّحْمَ يَقْنَدُهُ
وَيُنْخَصِرُ أَوْهَنَ مِنْ جَلْدِي وَعَوَادِي الْمَجْرِي تَبْدُدُهُ
مَا خُنْتُ هَوَاكَ وَلَا خَطَرْتُ سَلَوِي بِالْقَلْبِ تُبْرِدُهُ

(١) الورق بضم فسكون : الحمام . واحده أورق ، ومؤنثه ورقاء .

(٢) المطوقة : الحمامة . والدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة المظلة .

(٣) مشهده بالبناء للفعول : قتيله .

ومن قصيدة طويلة له عارض فيها البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ،
ودعاها نهج البردة :

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ	فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَاقِبَةٍ	وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِيمِ (١)
تَطْنِي إِذَا مُكِّنْتَ مِنْ لَذَّةٍ وَهَوَى	طَنْى الْجَيَادِ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكْمِ (٢)
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ	فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمِ
أَلْقَى رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَى	مُفْرَجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْغُمِّ
إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الذَّلِّ أَسْأَلُهُ	عِزَّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سِوَى أُمِّ (٣)
وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ	قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عِبْرَةَ النَّدَمِ
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ	يُمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَفْتِنِمِ
فَكُلُّ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَعَارِفَةٍ	مَا بَيْنَ مُسْتَلَمٍ مِنْهُ وَمُلْتَزِمِ (٤)
عَلِقْتُ مِنْ مَدْحِهِ نَجَبًا أَعَزُّ بِهِ	فِي يَوْمٍ لَا عِزَّ بِالْأَنْسَابِ وَاللَّحْمِ (٥)
يُزْرِى قَرِيضَى زُهَيْرًا حِينَ أَمْدَحُهُ	وَلَا يُقَاسُ إِلَى جُودِي نَدَى هَيْرِمِ (٦)

(١) المرتع : مكان الرتوع . يقال رتعت الماشية : أكلت ماشاءت . والوخم بكسر الخاء : الردى . الربى .

(٢) الشكم جمع شكمة : وهي الحديدة المعترضة في لحام الفرس .

(٣) الأم (بفتح الحين) هنا : اليسير .

(٤) العارفة : المعروف .

(٥) اللحم (بضم اللام وفتح الحاء) جمع لحم : القرابة .

(٦) زهير : هو زهير بن أبي سلمى من أصحاب المعلقات . وهرم : هو هرم بن سنان من أجراء

العرب . وكان قد حلف لا يلقاه زهير إلا أعطاه ووصله .

- مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلُهُ
سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ الشَّمْسِ طَالِعُهُ
قَدْ أَخْطَأَ النُّجُومَ مَا نَالَتْ أَبْوَابُهُ
نُمُوا إِلَيْهِ فَزَادُوا فِي الْوَرَى شَرْفًا
حَوَاهُ فِي سُبُحَاتِ الطُّهْرِ قَبْلَهُمْ
أَتَيْتَ وَالنَّاسُ قَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَخَّرَةٌ
مُسَيِّطِرُ الْفُرْسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ
يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شَيْبِهِ
وَالْخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأُضْعَفِهِمْ
- وَبُغْيَسَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمٍ (١)
مَتَى الْوُرُودُ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَلَمِي
فَالْجَرْمُ فِي فَلَكَ وَالْجَسُوءُ فِي عَالَمٍ (٢)
مَنْ سُوِّدَدِ بِأَذْنِخٍ فِي مَظْهَرِ سَنَمٍ (٣)
وَرُبَّ أَصْلٍ لِفَرْعٍ فِي الْفَخَارِ نَمِي (٤)
نُورَانٍ قَامَا مَقَامَ الصُّلْبِ وَالرَّحِمِ (٥)
إِلَّا عَلَى صَنِيمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنِيمٍ (٦)
لِكُلِّ طَائِفَةٍ فِي الْخَلْقِ مُنْتَكِمٍ
وَقِصْرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصَمٍّ عَمِي
وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالْغَنَمِ
كَأَلَيْتَ بِأَلْبَهُمْ أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ (٧)

❖ ❖ ❖

أَخُوكَ عَيْسَى دَعَى مَيْتًا فَقَامَ لَهُ . وَأَنْتَ أَجِيئْتَ أَجْيَالًا مِنَ الرَّمَمِ (٨)

- (١) النسم : جمع نسمة ، وهي النفس أو الإنسان .
(٢) سَنَاؤُهُ : رفعة ، وسَنَاهُ : ثوره . وَالْبَلَمُ (بفتحين) هنا : العالم .
(٣) السَنَمُ (بفتح فكسر) : المرتفع .
(٤) نَمِي إِلَيْهِ بصيغة البناء للجهول : نسب .
(٥) السُّبُحَاتُ (بضمين) : مواضع السجود . وَسُبُحَاتُ وَجْهِ اللَّهِ : أنواره .
(٦) شَبِهَ عَابِدَ الصَّنَمِ بالصَّنَمِ بِجَامِعِ الْفَقْلَةِ فِي كُلِّ .
(٧) الْبَلَمُ جمع بهمة : ولد الضأن والمعز . وَالْبَلَمُ (بفتحين) : صغار السمك .
(٨) شَبِهَ الْأُمَّ بِالْمَاهِلَةِ بِالرَّمَمِ (جمع رمة) وهي ما بلى من العظام .

- والجهل موتٌ فإن أُوتيت معجزةً فأبعث من الجهل أوفأبعث من الرجم (١)
 قالوا غزوت، ورسُل الله ما بعثوا لقتل نفس ولا جاءو السفك دم
 جهل وتضليل أحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
 لما أتى لك عفوا كل ذي حسب تكفل السيف بالجهال والعم (٢)
 والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم (٣)
 سبي المسيحية الغراء ثم شربت بالصواب من شهوات الظالم الغلم (٤)
 طريدة الشرك يؤذيها ويوسعها في كل حين قتالا ساطع الحدم (٥)
 لولا حماة لها هبوا لنصرتها بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم (٦)

(١) الرجم (بفتحين) : القبر . ويجمع على رجام .

(٢) العم (بفتحين) : اسم جمع للعامة .

(٣) ينحسم : ينقطع وينتهي .

(٤) الصواب : شجر مر ، واحدة صابة . والغلم (بفتح فكسر) : الهاجج النائر .

(٥) الحدم (بفتحين) : شدة احتراق النار .

(٦) الرحم (بضمين) : الرقة والعفو والرحمة .

(ب) النثر

أولا - النثر الفني

(١) من كتاب للشيخ حسن العطار^(١)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشَى رَقَّتَهُ الْأَقْلَامُ^(٢)، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْأَكْثَامُ^(٣) .
عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرِ الْمَحَبَّةِ نَفْحَهُ^(٤)، وَيُشْرِقُ فِي سَمَاءِ الطُّرُوسِ صُبْحَهُ^(٥) .

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا^(٦) أَوْ الرَّاحِ تُجَلَّى فِي يَدِ الرَّشَاءِ الْأَمَلَى^(٧)

سَلَامٌ عَاطِرُ الْأَرْدَانِ^(٨)، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرِّندِ وَالْبَانِ^(٩)، إِلَى مَقَامِ حَضْرَةِ
الْمُخْلِصِ الْوِدَادِ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْقَوَادِ، صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ،
حَلِيَّةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ، الَّذِي مَوْصُولُ إِحْسَانِهِ بِكُلِّ فَضْلٍ
عَائِدٌ، كَثَرُ الْمَعَارِفِ عَقْدُ دُرَرِ الْقَوَائِدِ، الَّذِي إِذَا أُجْرَى أَقْلَامُهُ فِي مَيْدَانِ الطُّرُوسِ،

(١) تقدّمت ترجمته في شعره .

(٢) الوشى : الثوب المحسن بالألوان .

(٣) رفته : خططته .

(٤) العبير : أخلاط من الطيب .

(٥) نفحه : انتشار رائحته .

(٦) الرشأ : ولد الظبية . والأملى : المسود الشفة ، وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب .

(٧) الأردن : جمع ردن بضم الراء ، وهو طرف الكم .

(٨) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٩) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

أَوْدَعَ فِيهَا مِنْ لَآئِي الْبَيَانِ مَا يَقَعُلُ بِالنُّفُوسِ ، فَعَمَلُ حَمِيٍّ الْكُؤُوسِ . مِنْ مَعَانٍ
 حَيْرَتِ الْمَعَانِي ، وَقَعَلْتُ بِالْأَلْبَابِ مَا لَا تَفْعَلُهُ الْمَثَالُثُ وَالْمَثَانِي ، تَقِفُ الْفَصَاحَةُ
 عِنْدَهَا ، وَتَقْفُو الْبَلَاغَةُ حَدَّهَا .

يَلْهُو بِأَطْرَافِ الْبِرَاعِ فَلَمْ يَدَّعِ قَوْلًا يُقَالُ وَلَا بَدِيعًا يُدْعَى

(٢) الشيخ ناصيف اليازجي

(٥) المقامة الخزرجية

قال سهيل بن عباد: دخلت بلاد العرب، في التماس بعض الأرب، فقصدت
 نادى الأوس والخزرج، لَأَتَفَرِّجَ وَأَتَخْرِجَ، وَأَخُذَ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ بَعْضَ الْمَنْهَجِ، فَلَمَّا
 صِرْتُ فِي بُهْرَةِ النَّادِي، أَخَذَ بِجَمَاعِ قَوَادِي، فَخَاسْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ سَبَاعَةً، وَأَنَا أَحَدُكُمْ
 إِلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِذَا شَيْخُنَا مَيُّونُ بْنُ نَخَامٍ، قَدْ تَصَدَّرَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَهُوَ يَقُولُ مِنْ
 أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ جُهَيْنَةَ، أَوْ شَاعِرَ مُزَيْنَةَ، فَلْيَحْضُرْ لِيَسْمَعَ وَيَرَى، فَإِنَّ كُلَّ الصَّيْدِ

(١) الحيا يضم الحاء وفتح الميم : من أسماء الخمر .

(٢) يريد بالمعاني الثانية علم المعاني ، وذلك بما حوت من فنون البلاغة .

(٣) المثلث والمثاني : من آلات الطرب .

(٤) تقدمت ترجمته في الشعر .

(٥) اختصرنا هذه المقامة لطولها واقتبسنا شرحها من شرح مؤلفها .

(٦) الأرب : الحاجة . (٧) الأوس والخزرج هما أخوان كل منهما أبوقيلة من أصل يمني .

(٨) بهرة النادى : وسطه . (٩) جهينة : قبيلة قتل رجل منها قتيلًا ، ومرت بامراته تنشده فقال :

تناشد كل حي عن حصين وعن جهينة الخبير اليقين

يضرب الشطر الأخير مثلاً لمعرفة الخبر على حقيقته .

(١٠) هوزهير بن أبي سلى .

(١) في جَوَفِ الْفَرَا ، فَعَمَدَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَقَالَ : أَطَرِقُ كَرِيًّا ، إِنَّ النَّعَامَةَ فِي الْقُرَى ،
 فَقَالَ الشَّيْخُ : كُلُّ فِتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ ، فَكُنْ سَائِلًا أَوْ مَسْئُولًا لِتَرَى مَا فِي الْقِدَاحِ مِنْ
 الْأَنْصِبَةِ ، قَالَ : إِنَّمَا يُسْأَلُ الْعَالِمُ ، فَهَا هِيَ أَسْمَاءُ الْمَطَاعِمِ ، قَالَ : لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ ،
 وَأَنْشَدَ كَهَزَارِ الْأَيْكِ :

لِلنَّفْسَاءِ الْخُرسِ وَالْعَقِيقَةِ (٧) لِلطِّفْلِ عِنْدَ عَارِفِ الْحَقِيقَةِ (٨)
 كَذَلِكَ الْإِعْذَارُ لِلتَّيْنَانِ وَذَوِ الْحِذَاقِ حَافِظِ الْقُرْآنِ (٩)
 لِلطُّبَيْبَةِ الْمِلَاحُ وَالْوَلِيمَةِ لِلْعُرْسِ ، وَالْمَيْتُ لَهُ الْوَضِيمَةُ
 وَلِلْبِنَاءِ جَعَلُوا الْوَكِيرَةَ وَلِهَذَا لِي رَجَبُ الْعَقِيرَةِ
 وَقِيلَ تُخْفَةُ لَزَائِرٍ يَرِدُ وَشُنْدُخٌ لَمَّا يَضِلُّ إِذَا وَجِدَ (١٠)
 كَذَا تَقِيَعَةُ الْقُدُومِ مِنْ سَفَرٍ ثُمَّ الْقِرَى لِلضَّيْفِ عِنْدَ مَا حَضَرَ
 وَحَيْثَا لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَاكَ سَبَبٍ فَإِنَّهَا مَادِيَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ
 وَإِنْ تَعَمَّ دَعْوَةٌ فَالْجَفَلِي تَدْعَى ، وَإِنْ خُصَّتْ فَتِلْكَ النُّقْرَى (١١)

(١) الفراء : حمار الوحش ، أى أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد . وهذا
 مثل سائر . (٢) اخفض رأسك ، والكري قيل : هو الكروان وهو منادى . وهذا مثل أيضا .
 (٣) أى لا تتكبر فان النعامة التى هى أعظم منك قد صيدت وحبست فى القرى . (٤) مثل يضرب
 فى افتخار كل بما عنده . (٥) القداح : سهام الميسر . (٦) الهزار : طائر حسن الصوت ،
 والأيك : الشجر الكثير الملتف . (٧) المراد به طعام الولادة لا ما تطعمه النفساء عيها وكذا البواقي .
 (٨) كانوا يصنعون العقيقة عند حلق شعر الولد . (٩) أى أن الطعام الذى يصنع
 لحفظ الولد القرآن يقال له الحذاق . (١٠) شندخ نائب فاعل قيل . (١١) أى اذا دعا صاحب
 الطعام كل القوم فهى الجفلى ، واذا دعى أفرادا منهم فهى النقرى . أخذه من قول الشاعر :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الأدب فينا ينتقر .

قال : أحسنت يا ضريب الضرب^(١) ، فما هي نيران العرب ، فأنشد :
 أول نارٍ عندهم نارُ القرى^(٢) وذِكْرُ نارِ الوسمِ بعدها جرى^(٣)
 ونارُ الاستسقاء والتحاليف^(٤) والصيد والحرب لدى التراخف^(٥)
 ونار غدير وسلامة تبعد^(٦) ونار راحل كذا نار الأسد^(٧)
 والنار للسليم والفساد^(٨) بجملة النيران هؤلاء^(٩)

قال أعتقك الله من النار؛ فهل تعرف ساعات النهار؟ فأنشد :
 أول ساعة من النهار هي البكور والبزوغ طار^(١٠)
 والرأد والضحي المتوع بعد ظهيرة ثم الزوال عدوا
 فالعصر فالأصيل ثم الطفل وبالحدور والغروب تكمل

- (١) الضريب : النظير . (٢) الضرب : العسل الأبيض الغليظ . (٣) للقرى : الضيافة .
 (٤) كانوا يسبون إبل الملوك لترد الماء أولا ، ونار الوسم هي التي توقد ليحمى بها الميسم .
 (٥) نار الاستسقاء كانت الجاهلية توقدها طلبا للطير .
 (٦) توقد عند التعاقد على أمر . (٧) توقد للظباء لتعشى أبصارها .
 (٨) توقد على جبل إعلاما للأحلاف الأبعد .
 (٩) مشى الجيشين بعضهما الى بعض .
 (١٠) كانوا اذا غدر الرجل بصاحبه يوقدون نارا بمنى أيام الحج ثم يقولون هذه غدره فلان .
 (١١) توقد للقادم من سفر سالما .
 (١٢) توقد للسافر اذا لم يحبوا أن يعود .
 (١٣) توقد عند الخوف من سطوة الأسد حتى اذا رآها ينفر منها .
 (١٤) السليم : المسوع يقال له ذلك تفاؤلا بالسلامة ، وهم يكرهونهم على السهر و يوقدون له نارا ليسهر
 على ضوءها .
 (١٥) كانوا اذا سبيت نساء الأشراف منهم وقدهن يخرجوهن ليلا و يوقدون لهن نارا يستضيئن بها .
 (١٦) طار أى حادث : أى واقع بعدها .

(١) قال : قد أسبغت الدليل ، فهل تعرف ساعات الليل ؟ فأنشد :

أَوَّلُ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ الشَّفَقُ وبعدها العَشْوَةُ يَتَلَوُّهَا الْغَسَقُ
فَهَذَاةٌ ثُمَّتْ شَرَعٌ ثُمَّ قُلْ جُنَحٌ وَزُلْفَةٌ هَزِيعٌ يَا رَجُلُ
وبعد ذلك غَبَشٌ وَتَحَرُّرٌ وَالْفَجْرُ وَالصُّبْحُ الَّذِي يَنْفَجِرُ

قال : قد درأت الشُّبُهَاتِ ، فهل تعرف رياح الجهات ؟ فأنشد :

ماهبٌ من شرقٍ فذلك الصِّبَا ثم الجنوبُ عن يمينٍ ذهبا
ثم الشمالُ والدُّبُورُ وَجَرَّتْ نَجَاءٌ بَيْنَ كُلِّ رِيحَيْنِ سَرَّتْ
فذلك الأزيبُ ثم الصَّابِيةُ فالهيفُ ثم الجَرَبَاءُ آتِيَةٌ (٢)

قال : قد جالوت الرُّمُوزُ ، وفتحت الكُنُوزُ ، فهل تعرف أيام برد العجوز ؟ فأنشد :

صِنْ وَصِنْبَرٌ وَوَبْرٌ يَذْكُرُ وبعده الأمرُ والمؤتمِرُ (٣)
كذا معللٌ ومُطْفِئُ الجَمْرِ هاتيك أيامُ العجوزِ قَادِرِ

(٤) قال : حَيْتُ يَا قُطْبَ الْعِرَاقِ ، فما أسماءُ خيل السِّبَاقِ ؟ فأنشد :

أَوَّلُ سَابِقٍ هُوَ الْمُجَلَّى ثم المَصَلَّى بعده المَسَلَّى
تَالٍ وَمِرْتَاخٌ عَائِيهِ يُقِيلُ وَالْعَاطِفُ الْحِظِيُّ وَالْمُؤَمِّلُ
كذلك اللَّطِيمُ وَالسَّكِيْتُ فاحفظُ فما أُعْطِيَتْ قَدْ أُعْطِيَتْ (٥)

(١) أتمت وأطلت . (٢) أى أن الأزيب ريح بين الصبا والجنوب ، والصابية بين الصبا والشمال ، والهيف بالفتح بين الجنوب والدبور ، والجرباء بكسر الجيم والباء وسكون الراء بين الشمال والدبور . (٣) بكسر الصاد وفتح النون المشددة وسكون الباء . (٤) قطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم . (٥) إشارة الى قولهم فى المثل : وانما نعطى الذى أعطينا ، وأصله ان امرأة كانت تلد البنات فهجرها زوجها وتحول عنها الى بيت له آخر فقالت :

ما لأبى الدلفاء لا يأتينا وهو فى البيت الذى يلينا
يفضب أنت لم تلد البينا وانما نعطى الذى أعطينا

قال : لله دَرَكٌ لقد جمعت فأوعيت ، وقد حَتَّ فأوريت ، ^(١) فان شئت فقل ،
 قال أجَلٌ ، ولكن خُلِقَ الإنسانُ من ^(٢) عَجَلٍ ، فان أَبْطَأَتْ في الجواب فلي عليك ^(٣)
 ناقة حمراء ، وعلى قومك فرس غراء ، ^(٤) قال هات وبالله التوفيق ، ^(٥) الى سواء ^(٦)
 الطريق ، فقال ماهي برق العرب المذكورة ، وداراتها المشهورة ؟ فضاق الرجل ^(٧)
 ذرعاً في الجواب ، وقال اللهم اهدنا صراط الحق والصواب ، ^(٨) ثم قال قد وجبت ^(٩)
 راحلة الشيخ علينا . ليسهل وفده الينا ، فقال الشيخ قد علمتم يا قوم أن الخير ^(١٠)
 معهود بنواصي الخيل . وهي التي ينجونها الوافد من جوارح النهار وطوارق الليل ، ^(١١)
 قالوا كلاهما وتمراً ، فقد فرضنا لكل بيت صلة أخرى . ^(١٢) على أن تكتبها لنا سبطاً ^(١٣)
 فسطراً ، ^(١٤) فقال الشرط أملك ، عليك أم لك ، بخاء وبناقة وجناء وفس ^(١٥)
 كمت ، وشاة لكل بيت . ^(١٦)

- (١) يقال أوري الزند اذا أخرج منه نارا . (٢) نعم .
 (٣) النياق الجرعة العرب : أفضل الابل . (٤) الفرس : تذكر وتؤنث .
 (٥) لها بياض في جبهتها أوسع من الدرهم . (٦) البرق : جمع برقة وهي أرض غليظة ذات حجارة ورمل
 وهي مواضع في بلاد العرب تنتهي الى نحو مائة موضع منها برقة تهمد المذكورة في معلقة طرفة بن العبد البكري .
 (٧) الدارات : مواضع أخرى تنتهي الى أربع عشرة ومائة دائرة منها دائرة جلجل المذكورة في معلقة
 امرئ القيس الكندي . (٨) طريق . (٩) زيارته .
 (١٠) قال ذلك رياء لأنه لم يرد أن يتظاهر بالعجز عن الجواب .
 (١١) جوارح النهار : ما يحدث من آفاته وكذلك الطوارق في الليل .
 (١٢) مثل : أصله أن عمرو بن حمران الجعدي كان جالسا وبين يديه زبد وتامك وتمرفاتاه رجل وقال
 أطعمني من هذا الزبد والتامك فقال كلاهما وتمرا ، أي لك كلاهما وأز يدك تمرا ، والتامك : سنام الجمل
 ويروى كليهما بالياء أي أطعمك كليهما وأز يدك تمرا . (١٣) عطية . (١٤) مثل يضرب لحفظ
 الشرط . (١٥) شديدة . (١٦) يتخالط حمرتها سواد .

فلما فصل عن النادى ، قَفَوْتَهُ ^(١) الى الوادى . وقلت له هنيئاً ^(٢) مريراً ، لقد جئتَ ^(٣) شيئاً ^(٤) فريئاً ، فأنى لك هذا ^(٥) السبجال ، وكيف أجبتَ كلَّ سؤال بالآرتجال ، قال :
يا ابن أخى الحقُّ أولى أن يُقال ، شهدتُ سوقَ عُكاظ ^(٦) ، وتخاللتُ تلك الأوشاظ ^(٧) ،
فسمعتهم يتناشدون القطعة والبيت ^(٨) ، ويتذاكرون من كيت ودَّيت ^(٩) ، فالتقطتُ ^(١٠)
منهم ما التقطت ، وسقطت به على من سقطت ، ثم أشار إلى بعصاه ، وأنشد وهو
يسوق ^(١١) الشياه :

تُرى عيني تَقَرُّوعين ليلي ^(١٢) تراقبُ عودتي حيناً حيناً
تُسائلُ عن أيها كل ركب ^(١٣) فلا تدري له خبراً يقيناً
نذرتُ لها الفراهيد اللواتي ^(١٤) أعود بها وأخرجتُ اليمين ^(١٥)
تضيفُ بها بنات الحى يوماً كما قد كنتُ أصنعُ للبينا

ولما فرغ من إنشاده تمطى ^(١٦) فى يدايه ، على جواده ، ثم ودَّعنى وانطلق ،
وأودعنى القلق ، فأتبعته عيني الى أن غاب ، ورجعتُ أَسْتَمِطِرُ له السحاب .

-
- (١) اتبعته . (٢) مأخوذ من قولهم للشارب هنيئاً وللاً كل مريراً : أى جعلك الله تسبغ
الشراب والطعام فلا تشرق ولا تنقص .
(٣) عظيماً . (٤) المباراة . (٥) من غير تفكير .
(٦) صحراء بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة فى أول ذى القعدة فيقيمون عشرين يوماً يتبايعون
ويتفاخرون ويتناشدون الأشعار .
(٧) الجماعات . (٨) أبيات الشعر الى سبعة وقيل الى عشرة وما فوق ذلك قصيدة .
(٩) كناية عن القول . (١٠) كناية عن الفعل . (١١) جمع شاة . (١٢) ابنته .
(١٣) ادعى بأنه نذر الشياه خالٍ ليقطع طمع سبيل فى شيء منها . (١٤) صغار الغنم .
(١٥) عظمت . (١٦) مما يحشى ويجعل تحت السرج ونحوه . أى فى سرجه .

(٣) أحمد فارس الشدياق^(١)

قال في وصف أهل مصر :

قَدْ قُتُّ حَامِدًا لِلَّهِ شَاكِرًا ، فَأَيْنَ الْقَلَمُ وَالِدَوَاةُ حَتَّى أَصِفَ بِهِ الْمَدِينَةَ السَّعِيدَةَ
 الْجَدِيرَةَ بِالْمَدْحِ مِنْ كُلِّ مَنْ رَأَاهَا ، لِأَنَّهَا بَلَدُ الْخَيْرِ ، وَمَعْدِنُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، أَهْلُهَا
 ذَوُّ لُطْفٍ وَأَدَبٍ وَإِحْسَانٍ إِلَى الْغَرِيبِ ، وَفِي كَلَامِهِمْ مِنَ الرَّقَّةِ مَا يُغْنِي الْحَزِينَ
 عَنِ التَّطْرِيبِ . إِذَا حَيَّوكَ ، فَقَدْ أَحْيَاكَ ، وَإِنْ سَأَلُوا عَلَيْكَ فَقَدْ سَأَلُواكَ ، وَإِنْ
 زَارُوكَ زَادُوكَ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ ، وَإِنْ زُرْتَهُمْ فَسَحُّوا لَكَ صُدُورَهُمْ فَضْلًا عَنْ
 مَجَالِسِهِمْ . أَمَّا عِلْمَاؤُهَا فَإِنَّ مَدَحَهُمْ قَدْ انْتَشَرَ فِي الْأَفَاقِ ، وَقَاتَ نَحْرَ مَنْ سِوَاهُمْ
 وَفَاقَ . بِهِمْ مِنْ لِينِ الْجَانِبِ ، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، وَخَفِضِ الْجَنَاحِ ، وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ
 مَا لَا يُمَكِّنُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِطْرَائِهِ . وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُمْ إِكْرَامٌ يَلِيقُ بِهِ سَوَاءً
 كَانَ مِنَ النَّصَرَانِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ . وَرُبَّمَا خَاطَبُوهُمْ يَقُولُهُمْ يَا سَيِّدِي . وَلَا
 يَسْتَنكِفُونَ مِنْ زِيَارَتِهِمْ وَتُخَالَطَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ خِلَافًا لِعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ .
 وَبِذَلِكَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَى غَيْرِهِمْ . وَكَأَنَّ هَذِهِ الْمِزِيَّةَ وَهِيَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَرِقَّةُ الطَّبْعِ
 أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي جَمِيعِ أَهْلِ مِصْرٍ . فَإِنَّ لِعَامَّتِهِمْ أَيْضًا مُحَالَقَةً وَمُجَامَلَةً . وَكُلُّهُمْ فَيَصِيحُ
 اللَّهُجَّةَ ، بَيْنَ الْكَلَامِ ، سَرِيعُ الْجَوَابِ ، حُلُو الْمُفَاكَهَةِ وَالْمُطَارَحَةِ . وَأَكْثَرُهُمْ يَمِيلُ إِلَى
 هَذَا النَّوْعِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الْأَنْقَاطَ^(٢) . وَكَأَنَّهُ الْمَجَارَزَةُ وَهِيَ مُفَاكَهَةُ تَشْبِهِ السَّبَابِ ،
 وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْأَحَاجِي . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَدَرَّبَ فِيهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ شَيْئًا ،

(١) ينتمي إلى أسرة مارونية . ولد في لبنان ودرس العربية ، وحضر إلى مصر وحرر في الوقائع المصرية
 ثم أسلم ، وانشأ الجواب بالأسنانة ، ويمتاز بسهولة الأسلوب والخبرة اللغوية وله عدة مؤلفات لغوية
 عليه توفي سنة ١٣٠٥ هـ . (٢) الأنقاط : جمع نقطة وهي باللغة البلدية النكتة .

وَإِنْ يَكُنْ شَاعِرًا . وَكُلُّهُمْ يُحِبُّ السَّمَاعَ وَاللَّهُوَ وَالْخَلَاعَةَ . وَغِنَاؤُهُمْ أَشْجَى مَا يَكُونُ .
فَلَا يُمْكِنُ لِمَنْ أَلْفَهُ أَنْ يَطْرَبَ بغيرِهِ . وَكَذَلِكَ آلائُهُمْ فَإِنَّهَا تَكَادُ تَنطِقُ عَنِ الْعَازِفِ
بِهَا . وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُمْ هُوَ الْعُودُ . غَيْرَ أَنَّي أَدُمُ مِنْ غِنَائِهِمْ شَيْئًا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَكَرُّرُ
لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَيْتٍ أَوْ مَوَالٍ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يَفْقِدَ السَّامِعُ لَذَّةَ مَعْنَى الْكَلَامِ .

(٤) لعبد الله باشا فكرى^(١)

سَلَامٌ يَعْبُرُ عَنِ الْوِدَادِ طَيْبٌ عَبِيرُهُ ، وَيُخْبِرُ عَنِ الْفَوَادِ لَطْفٌ تَعْبِيرُهُ ،
وَشَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ^(٢) ، أَرْقٌ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ^(٣) ، وَتَحِيَّةٌ بِهَيْةِ تَبَاهِي الْخَمَائِلِ^(٤)
بِنَفَحَاتِ أَوْرَادِهَا ، وَأَدْعِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ جَعَلَتْهَا الْأَلْسَنَةُ خَيْرَ أَوْرَادِهَا ، وَسُؤَالٌ عَنِ
الْمِزَاجِ الزَّاهِرِ ، وَصَحَّةِ الْخَاطِرِ الْبَاهِرِ . لَا زِلْمٌ مَحَلٌّ نِعْمَةٍ يَتَّصِلُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ
بِقَاؤُهَا ، وَبِزَيْدٍ عَلَى مَرَّةِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ بِهَاؤُهَا ، وَلَا بَرِحَتْ تَغُورُ الْإِقْبَالَ إِلَيْكُمْ
بِوَاسِمٍ^(٥) ، وَرِيَاخُ الْأَمَالِ لَدَيْكُمْ تَوَاسِمٌ .

وَبَعْدَ فَنَ بِي مِنَ الْأَشْوَاقِ ، مَا تَضَعُفُ عَنْ حَمَلِهِ إِلَى حِمَاكُمِ الْأَوْرَاقُ ، وَمِنْ
التَّأْسَفِ عَلَى مَا حُرِمْتُهُ مِنْ لُقْيَاكُمْ ، وَالتَّلَهُّفِ إِلَى مَطَالَعَةِ أَنْوَارِ مُحْيَاكُمْ ، مَا يَقْصُرُ عَنِ
وَضْفِهِ لِسَانُ الْبِرَاعَةِ ، وَيَقْصُرُ دُونَ وَصْفِهِ بَيَانُ الْبِرَاعَةِ ، وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْعِبَارَةِ ،
وَلَا يَنْفَسِحُ لَهُ مَيْدَانُ الْإِشَارَةِ .

(١) تقدّمت ترجمته في الشجر . (٢) الخلال والسجاي .

(٣) جمع شمال ، وهو من الجناس التام .

(٤) الخمائل جمع نخيلة : وهي الشجر الكثير الملتف .

(٥) نسبت الريح تحركت وهبت .

وكتب رحمه الله معزيا :

يعز عليّ أن أكتب سيدي معزيا ، أو ألمّ به في مُلْمة مسلّيا ، ولكنه أمر الله الذي لا يُقَابَل بغير التسليم ، وقضاؤه الذي ليس له عُدَّةٌ سوى الصبر الكريم . وقد علم مولاي (أجل الله صبره ، ولا أراه من بعدُ إلا ما سرّه وشرح صدره) أن الله (جل ثناؤه ، وتباركت آلاؤه) إذا امتحن عبده فصبر آجره وعوضه بكرمه ، كما أنه إذا أنعم عليه فشكره زاده وضاعف له من نِعَمه ، وقد عُرف من حال سيدي في الشكر على السراء ، ما يستوجب المزيد منها ، والظنُّ بحزمه وعلمه أن يكون حاله في الصبر على الضراء ما يستجلب الأجر عليها والتعويض عنها .

وكتب أيضا الى بعض أصحابه :

كَتَبْتُ وَالذَّهْنَ فَاتِرًا ، مِنْ وَهْنِ الدَّفَاتِرِ ، وَالتَّبْيِيضَ وَالتَّسْوِيدَ ، وَالتَّقْيِيدَ وَالتَّسْدِيدَ ، وَالتَّرْجِمَةَ وَكَثْرَتَهَا ، وَالْهَمَّةَ وَقَتْرَتَهَا ، وَالْمَاهِيَةَ وَقِلَّتَهَا ، وَالنَّفْسَ وَذِلَّتَهَا ، وَرَاتِي لَا يَكْفِي أُجْرَةَ الْبَيْتِ ، وَلَا يَفِي ثَمَنُ الْمَاءِ وَالزَّيْتِ ، وَبِالْأَمْسِ وَعَدِ الْوَيْكَلِ بِالزِّيَادَةِ ، وَاعْتَذِرِ الْيَوْمَ بِالْأَصِيلِ عَلَى الْعَادَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصَلَتْ زِيَادَةُ فَلَزِيدَ وَعَمْرُو ، إِلَى آخِرِ الزَّمَرِ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ ، أَحْوَالُ مُتَبَدِّدَةٍ ، وَنَفُوسٌ مُتَبَلِّدَةٌ ، وَأَشْغَالُ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَإِخْوَانٌ خُؤَانٌ ، وَخِلَآنٌ غِيْلَانٌ ، وَرِفَاقٌ ، وَمَا أَجَلَ الْفِرَاقِ ، وَقُلْتُ :

أَلَامَ أَعَانِي الصَّبْرَ وَالْدَهْرُ غَادِرُ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَادِرُ

لَوْ أَنِّي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي لَمَيِّتٍ لَرَقْتُ لِي الْعِظَامُ النَّوَاحِرُ

وسألت عن فلان وفلان ، وهَيَّانَ بَنِي بَيَّانَ ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، وَيَتَظَاهَرُ

بِشِعَارِ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِإِحْيَاةٍ تَعْظُمُ وَتُطَوَّلُ ، وَشَوَارِبَ تُخَفُّ وَتُسْتَأْصَلُ ،

وَعِيُونٍ عَلَى مَا يَحْمِلُ مِنْ غَمٍّ وَرَمَصٍ تَكْمُلُ ففهم أعلم من أقلته الثبراء ،
وَأَفْقَهُ مَنْ أَظْلَمَتْهُ الْخَضْرَاءُ ، وَإِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ غَيْرُ هَذِهِ الْآلَاتِ ، فَمَا لَمْ يَسْوِ هَذِهِ
الْجَالَاتِ بِأَقْوَمِ أَهَذَا النُّحُوِّ وَإِعْرَابِهِ ، وَالصَّرْفِ وَأَبْوَابِهِ ، وَالْعَرُوضِ
وَأَوْزَانِهِ وَأَبْجَرِهِ ، وَالْمَعَانِي وَإِنْسَائِهِ وَخَبَرِهِ ، وَالْبَيَانِ وَفَرَائِدهُ ، وَالْبَسِيطِ وَشَوَاهِدِهِ ،
وَهَذِهِ الْعُلُومُ الْمَوْضُوعَةُ ، وَالْأَسْفَارُ الْمَحْمُولَةُ ، وَالِدُرُوسُ الْمَأْهُولَةُ ، وَالْأَصْوَاتُ
الْمَأْهُولَةُ ، لِحِجْرٍ مَعْرِفَةٍ ضَرْبِ زَيْدٍ لِعَمْرٍو ، وَقِتَالِ خَالِدٍ لِبَكْرٍ ، وَأَنْ قَالَ أَصْلُهَا قَوْلٌ ،
ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالطَّوِيلُ مِنْ فَعُولِنِ مَفَاعِلِنِ ثُمَّ لَا يَعْلَمُ ، كَيْفَ يُنْظَمُ ،
وَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، وَلَا أَصْلٌ وَلَا فَصْلٌ ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ، وَلَيْسَ لَهَا مَجَازٌ ،
وَالْتَوْرِيَّةُ وَالْجِنَاسُ ، مِمَّا يُحْفَظُ وَلَا يُقَاسُ ، إِذَا وَاللَّهِ تَكُونُ تِلْكَ الْفُنُونُ ، مِنْ أَقَانِينِ
الْجُنُونِ ، وَيَكُونُ الْمِيلُ إِلَيْهَا ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا ، تَعَمُّلاً حَاطِطًا ، وَشُغْلًا سَاقِطًا ، وَهَوَسًا
حَاطِطًا ، وَهَوَسًا بَاطِلًا ، وَيَكُونُ وَاضِعُوهَا أَسَاءُوا النَّاسَ ، وَأَخْطَطُوا الْقِيَاسَ ،
وَبَنَوْا عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، كَلَّا إِنَّمَا وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ، وَشَرَعُوا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدَ ،
لِيَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمَتْ ، وَيَفْهَمُوا مِنْ أَلْفَظِهَا كَالَّذِي فَهِمَتْ ،
وَيَتَرَجَّمُوا عَنْ سِرَائِرِ الضَّمَائِرِ كَمَا تَرَجَّمَتْ ، وَيَنْتَرُوا وَيَنْظُمُوا كَمَا نَثَرَتْ وَنَظَّمَتْ . وَقَدْ
كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانَهَا ، وَشَرَّفَ بِسَيِّدِنَا النَّبِيَّ وَالْقُرْآنَ
الْعَرَبِيَّ مَكَاتِنَهَا ، لِيَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ اللُّغَةِ الْعَلِيَّةِ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ، وَالسَّجِيَّةِ الْجَبَلِيَّةِ ،
مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصُولِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابِ وَالْفَصُولِ ، وَكَانَتْ تَعْتَدُ الْبَلَاغَةَ
مَبْلَغَ عُلَاهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ مُحَاسِنِ حُلَاهَا... إِلَى أَنْ خَلَفَ هَذَا الْخَلْفُ فَظَنُوا
تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةٌ لِقَاصِدٍ ، وَحَسِبُوا هَذِهِ الْكُتُبَ تُقْصَدُ

لذاتها، ويكتفى بالتعبد بكلماتها، فوقفوا عندها، ولم يتجاوزوها لما بعدها، واتخذوا
الأدب وراءهم يظهرها، وجعلوا النظم والنثر شيئا فريا، ... أما فلان وأترابه، وفلان
وأضرابه، فهم أنجوبة الأيام، وأحدوثه الأنام، أحوال متناقضة، وأفعال متعارضة،
فكبر وفقر، وعجز وفخر، وحال تحت التراب، ونفس فوق السحاب، إن صدقتهم
كذبوا، وإن أرضيتهم غضبوا، وإن تباعدت عنهم لأموا وعدلوا، وإن تقربت
منهم سئموا وملؤا، صغيرة السيئة عندهم كبيرة . وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة، عيون
متقدة، وقلوب متقدة، وألسنة حداد، وأفئدة شداد، وأجسام صحيحة وقلوب
مريضة، وجهل طويل ودعاوى عريضة، وقد بذلت في مرضاتهم جهدي،
وأجنتهم مرى وشهدى، وقابلتهم باللفظ والعنف، وعاملتهم بالشكر والعرف،
فلا وأبيك ما زادوا إلا فجورا، وعتوا وتهورا، ولو وقفت عليهم ليلتي ويومي، وهجرت
لديهم راحتي ونومي، وفديتهم بعشيرتي وقومي، ثم أطعمتهم من جسمي، وآثرتهم
من العافية بقسمي، لما بلغت من نفوسهم رضاها، ولا أدت من حقوقهم —
على زعمهم — مقتضاها، بل ولو صاحبهم جبريل، وخاطبهم بالتزليل، وأهداهم الجنة
في منديل، وأنزل اليهم الشمس في قنديل، ونظم لهم النجوم عقودا، وشق لهم من
المجرة برودا، وصير الإنس والجن لهم عبيدا، وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا،
وأطلعهم على غيب السماء والأرض، وخبرهم بما كان وما يكون إلى يوم العرض،
لما أصبح عندهم إلا مذموما، ولا أمسى لديهم إلا ملوما، ولكان منسوبا
للقصور وانتصير، والإخلال بالقليل والكثير، قوم هذه طباعهم، وتلك أوضاعهم،
من ذا يرضيهم بحال، ولو فعل لهم المحال ... اه باختصار .

(٥) السيد نعيد الله نديم^(١)

من رسالة طويلة ، تعتمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكرا الحكيم .
 لَا حَوْكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اسْتَبَهَ الْمُرَاقِبُ^(٢) بِاللَّاهِ ، وَاسْتَبَدَّلَ^(٣) الْحُلُوبَ بِالْمُتَرِ ، وَقُدِّمَ^(٤)
 الرِّقِيقُ عَلَى الْحُرِّ ، وَبِيعَ الدُّرُّ بِالْخَرْفِ ، وَالْخَزُّ بِالْخَشْفِ ، وَأَظْهَرَ كُلُّ لَيْمٍ كِبَرَهُ ،
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً . سَمِعًا سَمِعًا ، فَالْوَشَاةُ^(٥) إِنْ سَعَوْا لَا يَعْقِلُوا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا^(٦)
 بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْفَ تَسْتُرُونَ مِنْهُمْ الْقَارَ^(٧) فِي صِفَةِ الْعَنْبَرِ ، وَقَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، وَكَيْفَ تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ ،
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ^(٨) . عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا
 مُعْرِضُونَ . فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ^(٩) . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعَالِيَا ،
 وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ بَيَّنْتَ لَكَ فَعْلَهُمْ ، فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَكِنْهُمْ طِمَعُ^(١٠)
 فِي عَمِيمٍ طَوْلِكَ ، وَلَوْ كُنْتَ قَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ^(١١) . أَتَرَاهُمْ
 يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ ؟ ، لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ^(١٢) . لَهُمْ قُلُوبٌ

(١) تقدمت ترجمته في الشعر . (٢) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : الإلهي . (٤) الخرف : الفخار .

(٥) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف . (٦) الخشف : الردى ، من الصوف .

(٧) القار : الزفت . (٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) ركض : جرى وعدا . (١٠) فبما رحمة : فبرحمة وما للتوكيد .

(١١) طولك بفتح الطاء : إحسانك .

(١٢) اللفظ : الجاني النفس السيئ الخلق .

(١٣) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : رحمتك .

(١٤) يعمهنون : يشيرون .

لَا يَذْرُونَ بِهَا لِلْحَسَدِ قَرَارًا، لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا. كَيْفَ يَسْعَى الْعَاذِلُ
 بَيْنَ النَّدِيمِ وَالْفِيءِ، وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ^(١) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، فَيَأْسَادَتِي دَعْوَانِي مِنْ
 الْمُعْجِبِ وَالْمُطْرِبِ، لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَاجْعَلُوا
 سَيْفَ ثَبَاتِكُمْ لِلْعُدَالِ مَسْئُولًا، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا. فَانَّهُمْ إِنْ قَالُوا
 كَذِبَ النَّدِيمِ أَوْ بَطَرَ، سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ^(٢). وَهَذَا قَدْ صَارَ أَمْرُ الْحَزِينِ
 عِنْدَكَ جَلِيًّا، أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، أَتُظَنُّ عَهْدَ الْعَاذِلِ عِنْدَ غَضَبِكَ
 لَا يُنْكَثُ؟^(٤)، مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَأْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ^(٥)، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ كَبِيرٌ، فَفِرُّوا إِلَى
 اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ، فَانَّهُ جَمَعَ لِقِتَالِكَ الْأَوْلَادَ وَالْأَحْفَادَ، وَآخَرِينَ^(٦) مُقَرَّنِينَ^(٧)
 فِي الْأَصْفَادِ^(٨)، تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاشْتَغَلَوْا بِمَا يَرْضَوْنَهُ، فَأَعَقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ
 يَلْقَوْنَهُ : وَظَنِّي إِنْ وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي أَنَّهُمْ يُطْرَدُونَ وَيُرَدُّونَ، وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ
 أَهْلُهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ.

(١) النذر بضم نين : جمع نذر بمعنى الإنذار .

(٢) الأشرب بكسر الشين : البطرب بكسر الطاء .

(٣) الندى بكسر الدال وتشديد الياء : النادي وهو مجلس القوم .

(٤) ينكث : ينقض .

(٥) لث الكلب يلهث : أخرج لسانه من التنفس الشديد تعبًا وإعياء .

(٦) أولاد الأبناء : أما أولاد البنات فيدعون الأسياط .

(٧) مقرنين : مشدودين .

(٨) الأصناد جمع صفد بفتح حين : وهو القيد .

(٦) السيد جمال الدين الأفغانى^(١)

كتب الى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمه أمام الخديو
على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه^(٢).

مولاي ! إن نسبتيك إلى هَوادة في الحق وأنت — تَقَدَّستَ جِيتُكَ — فُطِرْتَ
عليه، وتَجَوَّضَ الغَمَرَاتِ إليه؛ فقد بعثُ يقينى بالشك، وإن توهمتُ فيك حَيَدَانَا
عن الرُّشد، وجَوْرًا عن القصد، وأنا مُوقِنٌ أنك لازلتَ على السدادِ غير مُفْرِط ولا مُفَرِّط
فقد استبدلتَ علمى بالجهل — ولو قلتُ: إنك من الذين تأخذهم في الحق لومة لائم،
وتصدِّهم عن الصدق خشية ظالم، وأنت تصدع به غير وإن ولا ضجير ولو ألب
الباطل الكوارث المردية، وأجرى عليك الخطوب الموبقة، لكذبتُ نفسى وكذَّبتُ
من يسمع مقالتي، لأن العالم والجاهل والفطن والغبي كلهم قد أجمعوا على طهارة
سَجِيَّتِكَ ونقاوة سَرِيرَتِكَ — وانفقوا على أن الفضائل حيث أنت — والحق معك
أينما كنت — لا تفارق المكارم ولو اضطُرت — وأنت مجبول على الخير لا يحوم
حولك شر أبداً، ولا تصدر عنك نقيصة قصداً — ولا تهن في قضاء حق، ولا تني
عن شهادة صدق — ومع هذا وهذا وذاك إنك مع علمك بواقع أمرى، وعِرفانك
بسريرتى وسيرى، أراك ما دُدتَ عن حق كان واجباً عليك حمايته، ولا صنتَ عهداً

(١) هو محمد بن صفير ولد في أسعد آباد ونقل في بلاد الهند وأفغانستان، ثم رحل إلى الأستانة، ثم نفى
منها بجاء مصر وتفتح فيها من روجه وأسس نهضة إصلاحية في الدين والسياسة، وتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده
وغيره، ثم نفى من مصر، ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعى
إلى الأستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ.

(٢) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه في ذلك المقام أبلغ دفاع.

كانت عليك رعايته، وكنمت الشهادة وأنت تعلم أنى ما أضمرت للخيول ولا للصريين
 شرا، ولا أسررت لأحد في خفيات ضميري ضرا — وتركتنى وأنياب النذل اللئيم
 (فلان) حتى نهشني نهش السبع الهرم العظام، ضغينة منه على السيد إبراهيم اللقاني
 وإغراء من أعدائي أحزاب (فلان) ! ما هكذا الظن بك ولا المعروف من رشدك
 وسدادك — ولا يطاوعني لسانى — وإن كان قلبي مدعنا بعظم منزلتك في الفضائل، مقيرا
 بشرف مقامك في الكمالات — أن أقول عفا الله عما سلف إلا أن تصدع بالحق، وتقيم
 الصدق، وتظهر الشهادة إزاحة للشبهة، وإدحاضا للباطل، وإنزاء للشر وأهله —
 وأظنك قد فعلت أداء لفريضة الحق والعدل — ثم إني يا مولاي أذهب الآن إلى
 لندن ومنها إلى باريس مسلما عليكم وداعيا لكم — والسلام عليكم وعلى أنحى الفاضل
 البار أمين بك ٤
 جمال الدين الأفغانى

٨ صفر سنة ١٣٠٠

(٧) مصطفى بك نجيب^(١)

كتب مصطفى بك نجيب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

ورد الكتاب المطرز بحلى الكرم، المحلى بجيلى النعم، واستامت الهدية، فسلمت
 يد أهدتها، وحفظت السجايا التي لمحاسن الأعمال هدتها، ودامت رحاب لمثل
 هذه الحسنات فيها جمال، وللحسنات بهاء وبجمال، وللآمال محط رحال، وللقاصد

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب. شاعر كاتب، يمتاز بسهولة الأسلوب، ورشاقة العبارة، وإيراد أروع
 النكات في شعره ونثره. وقد نشأ في معية الخديو، ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها مناصبا كبيرا حتى
 مات رحمه الله، وهو صاحب رسائل «أحلام الأحلام» وكتاب «حياة الإسلام» الذى نشر منجما
 في جريدة اللواء. توفي سنة ١٣٢٠ هـ.

كعبة إقبال، وطابت نفس تعالى الله أن تُماثلها نفس عصام، فانها نسخت آية الكر والإقدام، بآية الجود والإكرام، وفعلت في القلوب بالعطاء والنوال، ما قصرت عنه الرماح الطوال، وتأنلتها فأرتني ما لا عين رأت، وأظهرت من محاسن المناظر ما أعمرت، وقربت كل منظور بعيد، وتلت ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وصفا وقي بصفائها، فلم أشته شيئا إلا جمعت بينه وبينى، وصح علينا قول القائل "رَأَيْتُ بَعَيْنَهَا وَرَأْتُ بَعْيِي" ثم سرحت نظري في الأطلال والرُسوم، حتى نظرت نظرة في النجوم، فلم تخيف عني شجرا ولا مدرأ، ولا نجما ولا قمرًا :

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

يَبْهَاءُ، يُخَيِّلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاءٍ، فلو كانت في يد ذلك الظمان — استغفر الله — لَمَا كَانَ يَحْسِبُ أَنَّ السَّرَابَ مَاءً، أَسْتَغْرِبْتُهَا الْعَقُولُ حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا تَنْظَرُ، وَاطَّلَعَتْ عَلَى تَفَاوُتِ النَّاسِ بِخَاءَتٍ لِكُلِّ بَصِيرٍ بِقَدَرٍ، وَنَالَ بِهَا كُلُّ قَصْدِهِ وَمَرَامِهِ، وَاسْتَوَى عِنْدَهَا "أَعْمَى وَأَعْشى ثُمَّ ذُو بَصِيرٍ وَزَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ" فلو كانت عَيْنًا لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ الضَّمَائِرِ، وَنَظَرَ بِهَا تَقَلُّبُ الْقُلُوبِ وَحَقِيقَةُ الْبَصَائِرِ، شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بِالْفَضْلِ لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةٌ ضَعْفِهِ، وَعَظَمَ مِقْدَارَهَا كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَهَا — رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا — عَلَى أَنْفِهِ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظَرْتُ بِهَا فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ، وَأُفُقِ شَرْقِكَ الطَّاهِرِ، فَلَمْ يَتَكَشَّفْ لِي بِهَا لُجُودُكَ آخِرُ، لَا زَالَ كَرَمِكَ بَعِيدًا حُدُّهُ عَلَى كُلِّ نَظِيرٍ وَبَاصِرٍ، وَفَضْلُ مَنَاهِلِكَ غَايَةً تَقْصِدُهَا الْأَوَائِلُ وَالْآخِرُ.

(٨) إبراهيم بك المويلحي^(١)

يشكو بلسان حاج ما رأى إحدى السنين في الحج من فتك الوباء بالحجاج
وإهمال السلطات شأنه وشأنهم .

ترجمت الى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد ؛
كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً
يقول الشاعر البيت الجزل من الشعر لغرض له حقير ، ثم يتركه ويأتي من
بعده من يضعه موضعه اللائق به من حوادث الزمان . وإن هذا البيت لا يحل
محلّه في رثاء واحد من الناس ؛ وإنما يقال ليكني به على ما أصاب المسلمين في مكة
هذا العام . ولا غرو أن ترتد اليد ويقف القلم ، ويتلغم اللسان عند وصف
ما فعلته المنيّة حين قامت تفيتك في الأرواح ، وتهتك في الأشباح ، حتى فريشت
الأزفة بالموتى ، وأقامت منهم كُتباناً تشهد على عجز القوم عن تدارك الأمور .

ولقد رأيت من المناظر المدهشة ما تتصاغر عنده عظيماة النوائب ، وتتضاءل
لديه جسيماة المصائب . فمن ذلك أني رأيت شاباً عليه شارة الحشمة والنجابة ،

(١) أصل أجداده من حرقا المويلح ببلاد العرب ، وقد انحدروا الى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ
إبراهيم في بيت محسوب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار في الحرير ، فزرع إبراهيم سمع مع معاملته للتجارة سمع
الى الأدب فقرأ كثيراً في كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ، حتى برع في الأدب ،
وحذق الفرنسية والتركية ، وجوّد التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرزين في عصره . وشرع
لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفخولة اللفظ وبين الوقوع على المعاني الغريبة ، والاستشهاد بالأمثلة
الدقيقة ، فكان في بيانه نسيج وحده . وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية في العصر الحديث .
وقد أصدر جريدة نزدة الأفكار ، ثم جريدة مضباح الشرق ، وحرر فيها وفي كثير من الصحف التي كانت
قائمة في عهده . وتوفي سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣) هـ .

يَتَخَبَّطُ فِي التُّرَابِ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِشَارَةً وَلَا كَلَامًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ بَعِيْنِيهِ الْمَمْلُوءَتَيْنِ
بِالِدَمْعِ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَحَدُ الْمَارَّةِ، فَدَتَّوَتْ مِنْهُ فَوَجَدَتْهُ قَدْ مَاتَ . فَأَبْكَانِي مَوْتَهُ
غَرِيبًا عَنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْمُؤَلِّمَةِ، فَطَلَبْتُ بِالْأَجْرَةِ مِنْ يَدِفْنِهِ فَلَمْ أَجِدْ
أَحَدًا، عَلَى إِفْرَاطِ حُبِّ الْمَالِ فِي هَذَا الْبَلَدِ . فَكُتِبَتْ وَرَقَةٌ وَأُرْسِلَتْهَا إِلَى قَاضِي
مَكَّةَ أَسْأَلُهُ الْمَعُونَةَ عَلَى دَفْنِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ الْمَطْرُوحِينَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ،
فَأَجَابَنِي بِأَنْ هَذَا لَا يَعْلَقُ بِشَيْءٍ مِنْ وَظِيفَتِهِ، وَلَا يَخُصُّهُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ ! فَسَأَلْتُ عَنْ
غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، فَوَجَدْتَهُمْ قَدْ طَارَوْا إِلَى الطَّائِفِ وَتَرَكُوا مَكَّةَ لِلْقَتْلِ
الْعَامِ .

وَبَيْنَمَا أَنَا حِيرَانٌ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ الْمَكْشُوفَةِ، إِذْ لَاحَتْ مِنِّي التَّفَاتَةُ إِلَى
الْمَوْتَى فَرَأَيْتُ — وَلَيْتَنِي لَمْ أَرَّ — امْرَأَةً اخْتَطَفَتْهَا الْمَنِيَّةُ مِنْ بِنْتِهَا صَغِيرَةٍ لَمْ تَبْلُغْ سِنَّ
الْتَّمِيزِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ، وَقَدْ شَرَعَتْ تِلْكَ الصَّغِيرَةُ تُحَرِّكُ أُمِّهَا بِيَسْديهَا لِإِقْظَافِهَا،
وَتَبْكِي لِعَدَمِ إِجَابَتِهَا، بَعِيُونَ تَقَسَّمَتْ نَظْرَاتُهَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَتَعِدُّهَا فِي خِلَالِ
تِلْكَ النَظْرَاتِ الْمُبْهِمَةِ أَنَّهَا لَا تَعُودُ لَشَيْءٍ كَانَتْ نَهَتْهَا عَنْهُ، بِعِبَارَاتٍ تَسْتَخْرِجُ الْحَنُوءَ
وَالشَّفَقَةَ مِنَ الْقُلُوبِ الصَّخْرِيَّةِ . فَأَمْسَكْتُ بِالْبِنْتِ وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَ لَكَ كَيْفَ
فَضَلْتُهَا عَنْ رِيمَةَ أُمِّهَا، وَكَيْفَ كَانَ حَالُهَا وَحَالُ مَنْ يَرَاهَا عِنْدَ آخِرِ نَظَرِهَا نَظَرُهَا إِلَى
وَالِدَتِهَا وَكَافَلَتِهَا .

ثُمَّ قَفَلْنَا إِلَى جُدَّةَ مَشْتَتَيْنِ، فَعَلَمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ أُرْسِلَتْ وَابُورَا لِنَقْلِ الْحُجَّاجِ،
وَلَيْتَهَا لَمْ تُرْسَلْ، فَإِنَّ قِبْطَانَ الْوَابُورِ كَانَ أَشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الْحُجَّاجِ مِنَ الْمَوْتِ : أَمْرٌ
أَوَّلًا بِالْقَاءِ قِسْمٍ مِمَّا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ فِي الْبَحْرِ بِدَعْوَى الْمَحَافِظَةِ عَلَى الصَّحَّةِ .

ثم أخذ يبيع لهم ثانياً، وهم في الجَلَّة، فما احتكره من القوت، بيع القَحِيط اليُوسُفِي .
ولما لم يبق معهم من النَّقْد شيء، شرع يبيع لهم بما معهم من الهدايا والسَّبع .
وكان الجَبَّار لا يُحب أن يسمع بمريض في السفينة . ولهذا اضطُر كثير أن يَكْتُمُوا
أمرَاضهم . وما زلنا معه على شفا الخطر إلى أن وصلنا إلى الطُّور، فلقينا هناك من
كبرياء الأطباء وعظمتهم ما ثمننا له أن نكون طُعماً للحِيتَان ؛ فانهم كانوا يَأْنَفُونَ أن
يَمْسُوا أيدي الحجاج بأيديهم، وكانوا يَكْتَفُونَ بالنظر الشَّرَّ اليهم . وكثيرا ما كانوا
يعترضون على الحجاج . فاعتقدت أن الخير أرتفع إلى السماء، وأن الأرض أصبحت
قائماً ضَفُصَفاً من نَوْع الإنسان، وأن الذين نراهم هم شياطين على صورة البشر .



وقصاري القول أننا في زمن أصبح القابض على دينه فيه كالقابض على الجمر .
فلا حول ولا قوة إلا بالله .

(٩) الشيخ ابراهيم اليازجي^(١)

كتب يعزى بعض أصدقائه :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ ، فَلَمْ يَصِحْبْ دَهْرَهُ
عَلَى غِرَّةٍ ، وَلَمْ يَفْتَرِ مِنَ الْأَقْدَارِ يَفْتَرَةً . لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرِّزِيَّةُ إِذَا أُغْتَالِبَ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ

(١) يعد ابراهيم اليازجي من علماء اللغة والنحو والأدب ، أصلي بمصر ثم جلى إلى البان والضياء .

وله مؤلفات محكمة في علوم اللغة والنقد اللغوي . توفي سنة ١٣٢٤ هـ .

(٢) الغرة بكسر الغين : الغفلة . (٣) يفتد : يسكن .

(٤) والفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين التوبتين من الحنى .

إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ، فَإِنَّ الدَّهْرَ رَقْدَةٌ وَهَبَةٌ، وَإِنَّ لِلْيَالِي كَمَّةً وَوَثْبَةً. وَمِثْلُكَ
 مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي الْأُمُورِ وَمَصَائِرِهَا، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا. وَإِنَّمَا
 الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ، وَأَنْحُرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ. وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا
 بِالْكُونِ وَشَرَائِعِهِ، وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ. إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ بَخَّاهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ، وَحَلَّ
 بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ. وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ
 الْمُبَاحِ، وَمِنَ النَّاسِيَةِ مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالِ مُحَاطِيكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ. وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ
 أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجْنًا عَلَى أَشْجَانِي، وَنَكَأَ مَا تَمَائَلُ مِنْ قَرْحَةٍ أَحْزَانِي.
 وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلَمٍ وَلَا قِتَالٍ.
 فَكُنَّا عِنْدَ إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نَبَالٍ
 فَيَصْرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكْسَرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ

- (١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له، وإن طال أمد السلامة لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلية في حسابه.
- (٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم.
- (٣) يريد بالكمة السكون.
- (٤) مضار الأمور : غاياتها.
- (٥) الناسية : التصيير والتعزية.
- (٦) ما أخلقني : ما أحقني وأولاني.
- (٧) الشجن : الهم والحزن، وجمعه أشجان.
- (٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرا.
- (٩) تمائل : قارب البرء.

(١٠) مصطفى باشا كامل^(١)

من خطبة له :

أيها السادة . إنكم باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع الوطنى ترفعون كثيرا من مقام
الوطنية المصرية ، وتحققون من آلام مصر العذبة التى قاست وتقاسى أشد العذاب
على مشهد منكم يا أعز بنيها ويانحبة أنجباها . فكل اجتماع وطنى تُذكر فيه مصر
ويُطالب بحقوقها ويعلن أبناءها إخلاصهم لها هو فى الحقيقة مرهم لجراحها ودواء
لدائها . فاذكروها ما أستطعتم فان فى ذكرها ذكرى آلامها ، وذكرى الآلام تجر
حتما الى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكروا الولد الحنون أمه الشفيقة وهى على
سرير المرض والعناء . اذكروها بآلامها وان كان غيركم يذكروا بلاده يمجدها ورفعته
شأنها . اذكروها فانكم ما دتم مقدرين لمصائبها ، عارفين بحقيقة آلامها ، دام الأمل
وطيدا فى سلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المستحيل أن يرى العاقل النار
فى داره ، والداء فى شخص أمه ، ويهمل النار ويهمل الداء .

ثم قال : وهناك فئة من المصريين لا أنكر إخلاص رجالها للوطن العزيز ، ولكن
أنكر عليهم اليأس الذى يتظاهرون به فى كل وقت وفى كل مكان . فهم ما عملوا
ولا يعملون للبلاد عملا نافعا ، ولكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل !
فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومى نافع للبلاد أجابوك : "نحن يأسون من

(١) خطيب وسياسى مصرى تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف الى مقاومة الاحتلال الانجليزى
بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين أحدهما بالفرنسية والأخرى بالانجليزية .
وتنقل فى بلدان أوروبا داعيا لمصر . وكان نصيحا مؤثرا فى كتابته وخطابته . مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ
(١٩٠٨ م) .

مستقبل الوطن ، معتقدون بظلمة الأيام الآتية " فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من الأطباء لا يئس أبدا من شفاء المريض حتى في آخر لحظة من حياته . فكيف يئس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ؟ ! وهم إن كانوا قد خبزوا داء مصر ، فيعلم الله ويعلم الناس أنهم الى اليوم ما قدموا لها الدواء !

كيف نئس من المستقبل ، والمستقبل بيد الله وحده ، وكثيرا ماتا في الحوادث بخلاف المنتظر وبغير حساب ؟

هى النفوس الصغيرة التى يُخلق عندها الأمل بكلمة أو بتلغراف ! ثم يستولى عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف ! أما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الأمل ما دام الدم فى العروق وما دامت الحياة .

وأي حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أيجع المرء فى جسم واحد الموت والحياة ؟ إذ اليأس موت حقيقى وأي موت !

كيف نياس ونحن جميعا عالمون بأن ما يظهر طويلا فى حياة الأفراد هو قصير فى حياة الشعوب ، فعشر من السنوات فى حياة الانسان طويلة حقا ، ولكنها فى حياة الأمة قصيرة جدا ، على أنه اذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم فعار عليهم أن يقوموا فى الأمة بوظيفة تثبیط همّ الآملين . والآملون فى البلاد كثيرون ، بل الأمة كلها مؤهلة خيرا فى المستقبل . وإن لم تظهر الى الآن أعمال الآملين فستظهر بعد قليل ، وسترى الأمة المصرية وأمم العالم أجمع أن للوطن المصرى أبناء مخلصين يقدرّون الوطنية قدرها ويعرفون لمصر حقوقها .

ولا غرو فان سبل خدمة الوطن عديدة، وإن أهمها إعلان الحقيقة في كل بلد
وفي كل زمان . فالحرية بنت الحقيقة، وما انتشرت الحقيقة في أمة إلا وارتفعت
كلمتها، وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم والظلمة، وانتشرت
الحرية والعدل . فكما أن الأفراد لا تُسلب حقوقهم ولا يتعدى الاصوص على امتعتهم
إلا في ظلام الليل الخالك — فكذلك شأن الأمم لا تُسلب حقوقها ولا يعتدى
العدو على أملاكها إلا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها، وكانت هي عائشة في الجهل
والظلام .

فيأيتها المصريون المخلصون لمصر: انشروا الحقيقة في أممكم وفي الأمم الأخرى .
قولوا للمصري إنه إنسان من بني الإنسان، له حقوق الإنسان، تروهم رجلا كرجال الأمم
الحرّة يحمل لواء الوطن بكل قوة وإقدام . قولوا للفلاح المصري إنه خلق إنسانا
ككل إنسان، وإن الله أعطاه في الحياة حقوق أكبر الأفراد، وإن له صوتا لورفعه
سمع في الملأ الأعلى، وإنه ما خلق لأن يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه، تروهم
عندئذ أشد الناس دفاعا عن حقوق الأمة والوطن . قولوا للأمة المصرية إنها أمة
كسائر الأمم، من أقدس حقوقها أن تحكم نفسها بنفسها، وأن لا تنفذ رغائب غيرها،
وأن تكون في بلادها عليا الكلمة قوية السلطة، لا يُرد لها رأى ولا يخالف لها أمر:
هنالك تجدون الأمة حية والشعب قويا، ولا ترون أولئك الذين يهزمون برغبة الشعب
ورغبة نوابه، ويستخرون من رغائب الأمة ومن مطالبها .

لم لا يقوم كبراء مصر ووزرائها السائقون بأمر تأسيس المدارس الأهلية
وتربية الأمة ؟ لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون أيامهم الأخيرة لهذا

العمل الشريف ؟ رأينا عظميا منهم قام بمسئلة الإعانة العسكرية وأجهد نفسه في هذا الأمر وله من الأمة والوطن جزيل الشكر والثناء ، فلم لا نراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسئلة إعانة عمومية لتأسيس مدارس أهلية ، والبلاد في أشد حاجة اليها ؟ يا أيها الكبراء ويا أيها العظماء ! ويا أيها الأغنياء ! ما الفخار بالرتب والألقاب ، ولا بسكنى القصور العالية ، والتحدث بما كان وما ربما سيكون . بل الفخار كل الفخار في العمل آثناء الليل وأطراف النهار لخدمة البلاد وإعلاء شأنها . فما الحياة بأيام تمر وستين تتركها بل بالعمل وبانخدمة الوطنية :

ليس الحَيَاةُ بانفاسٍ نردِّدها إن الحياةَ حياةُ الفكر والعمل

اتركوا الأبناء معشر الآباء في الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا الوطن ويخدموا أنفسهم في غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحراراً غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ، ويؤسسوا في البلاد المعامل والمصانع ، تزدادوا بذلك شرفا ونفرا ، وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا .

وإلا فان أهملت تربية الأمة وبقى الكبراء منعكفين في إدارة شؤونهم الخاصة ، واستمر الآباء يلقون بالأبناء الى مهاوى التوظيف في الوظائف ، وبقيت التجارة والصناعة في كساد ، ودامت الأمة في حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها — دام الانحطاط ودام التآخرودام الخطر .

(١١) الشيخ أحمد مفتاح^(١)

كتب في التهادى :

الهدية — غمرك الله بالمعروف — تبسط يد المودة وتُدربها أخلاف القرب،
وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف .
وما أنا فيما أهديه إليك الا كستبضع تمرًا الى أرض خير، أو كالواهب الماء للبحر،
والضوء للبدر، والمُلك لسليان، والمال لقارون، والحلم لأحنف، والذكاء لإياس،
والنفسير لابن عباس . وما ذاك الا كتابٌ كما تراه ضربٌ في الأحكام بسهم، ووعى
من الأحكام ما خلت منه مفعمات الأسفار، وموجزات الرسائل، فهو كما قيل: كلُّ
الصَّيْد في جَوْف القَرا :

تَرَيْنَ معانيه أَلْفاظَه وأَلْفاظَه زائِناتُ المعاني

على أنى وإن تَطَلَّعتُ عليك ، وسُقْتُ لك هذا الكتابَ مزدلفًا الى جنابك
الرحب، ومقامك الأسنى، فقد أصبتُ كَيْدَ الصواب، ووضعتُه حيث يعرفه أهلوهُ،
ويتقبله من باذله عالموه، علمًا بأنك عمادُ العلوم ، وأساسُ الفضائل ، لا تغادر
شاردة إلا وِعْيَتها، ولا نادرة إلا رَوَيْتَها، وإلا :

لو كان يُهْدَى على قَدْرِى وقد رَكَو لَكنتُ أَهْدَى لك الدُّنيا وما فيها

(١) ينصل نسبه بالعرب، نشأ بمصر ودرس بالأزهر، وعنى بالأدب . ثم دخل دارالعلوم حتى إذا
خرج منها اشتغل في الصحافة والتدريس بدارالعلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله مؤلفات عدة
وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد في استعمال البديع .

(١٢) الشيخ علي يوسف^(١)

كتب تحت عنوان "لا تعصب في مصر" :

التعصب بالمعنى المعروف في الغرب عن أهل الشرق . وبعبارة أخرى عند المسيحيين عن المسلمين ، هو إثبات روح العدا والبغضاء من الآخرين ضد الأولين إثباتاً يحمل على الاعتداء عليهم حيناً بعد حين .

التعصب بهذا المعنى رذيلة من الرذائل التي ينهى عنها الدين الإسلامي ، والقوانين الاجتماعية ، وفي نظير الأوربيين هو التوحش الذي يفتك بنفوس الأبرياء كلما تار تأثيره . أو هو أشبه بالغول الكاسر الذي يتدفع بحماية فيسترس كل ما في طريقه من نفوس البشر .

التعصب على هذا مجموع أرواح شريرة لا نظام لها في ثوراتها وعدوانها ، نعوذ بالله أن تُرزا أمة بهذا البلاء العظيم .

قالوا : إن المصريين متعصبون تعصبا دينيا . ومعنى هذا أنهم يكرهون المخالفين لهم في الدين كراهة عمياء ، يعتدون عليهم بروح البغضاء المتناهية كلما سنحت لهم فرصة الاقتراس أو استفزهم صائح .

(١) أصله من بلدة بصفورة بجرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عنى بالأدب ، وخرج صحفيا بارعا ذا أسلوب قوى رائع ظهر في « المؤيد » صحيفته المصرية الإسلامية . وزال منزلة سامية بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جثاته . توفي سنة ١٣٣١ هـ .

في البلاد من قديم الزمان أديانٌ مختلفة يتجاور أهلها في المنازل ، ويتشركون في المرافق ، ويتنافسون في الأعمال ، فلم تكن بين المسلمين والأقباط تلك الروح الشريرة . ولو كانت في فطرة المسلمين أو فطرة الفريقين لآشت الأثرية الأقلية في عصور مضت ، وخصوصا في عصور كانت الجحالة فيها سائدة ، وكان بعض الحكام من الممالك وغيرهم يبذرون بذور البغضاء بين الفريقين لا لخدمة دينية إسلامية ، ولكن لأغراض شتى منشؤها الشهوات والمطامع . ولكن التواريخ تدل على أن الفريقين عاشا على الوئام والسلام في كل الظروف أو أكثرها .

وفد على القطر المصري منذ أول عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير وفود من كل الطوائف المسيحية ، غربية وشرقية : من أرمن وأروام وسوريين وفرنساويين وطياليين وانكليز ونمساويين وأمريكانيين : من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك : من علماء وتجار وصناع وعملة وهمل مفشدين . فلقى الكل في مصر صدرا رحيبا .

كان منهم الموظفون في كل مصلحة حتى تولى توبار باشا رئاسة النظار في مصر ، وكان قائم مقام خديوى ، ورئيس الاحتفال بموكب المحمل الشريف ، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل في رأس احتفالا دينيا مسيحيا مسلم أو غير مسيحي ؟ .

وكان من علمائهم الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون ، فهل الأمة التي تُربى أبناءها على أيدي الأساتذة من غير دينها . تعد متعصبة ؟ ! وكان التجار على ما يحبون من الرحب والسعة وحسن القبول ، فضربوا في البلاد بمتاجرهم

من غثٍّ وسمين، وجيدٍ ووديء، وخالصٍ ومغشوش، حتى هارت مصرُ من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التي وجدت إقبالا من الأمة هائلا .

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكراخ الصغيرة الحقيمة لبيع الخمر الرديئة في كل قرية من قرى القطر، مهما سحقت وقل عددها، أو يربون الخنازير ويثرون شيئا فشيئا حتى يكون الصعلوك منهم في بضع سنوات صاحب القرية ومزارعها ومدائن أهلها وسيدهم . فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يُخشى من شرهم في وادي النيل على الأوربيين ؟

كيف يكون عند المصريين تعصب ديني وهؤلاء بينهم، لتسع معاملتهم معهم، وكثيرا ما تنتهي هذه المعاملات بمصادرات المدينين في أملاكهم، ولا يخطر على بال مسلم خاطر سوء من ناحيتهم لعلهم أن دينه ينهيه عن ذلك حيث لا تكفي القوانين النظامية زاجرة للنفوس المتعصبة، لأن للأعتداء ضروبا شتى وطرقا خفية أكثر منها ظاهرة، وهذه تعديّات الأهالي على بعضهم تُعدّ بالألوف في حين أن تعديّاتهم على غيرهم لا تكاد تذكر في جانب تعديّات الأجانب على بعضهم في هذه البلاد .

فكيف تعمى أعين الناظرين عن هذه الشمس المشرقة العامة بأشعتها على أرجاء القطر، ويقوم مفترّون يزعمون أن في المصريين الآن تعصبا نائرا يكاد يفتيك بالأوربيين لمجرد كونهم مسيحيين ؟ .

أيها المدّعون ! راقبوا الله في أمة رُزئت بالإهمال في شؤونها حتى انحلت عُرى الجامعة بين أفرادها وذهبت منها ريح العصبية في كل شيء . فحرام عليكم مع هذا الانحلال أن تهملوها بالتعصب في أشد حالاته .

(١٣) الشيخ حمزة فتح الله^(١)

قال يبنى نصراء العربية :

أى جَهَائِذَ الْكِتَانَةِ ، نِبَالَ الْجَنَانَةِ ، مِيَاهَ الْإِجَانَةِ ، أَبْنَاءَ تِلْكَ اللُّغَى ، صَنَائِدَ هَذِهِ^(٢) ^(٣) ^(٤)
الْوَعَى ، وَإِلَيْكُمْ يُسَاقُ الْحَدِيثُ ، فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، عَنْ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَالْمُحَدِّثِ^(٥)
الصَّيِّمِ ، مَا لِي أَرَى فِي لُغَتِنَا الشَّرِيفَةِ « وَيَعْلَمُ أَوَّلُو النَّهْيِ آيَةُ هِيَ مِنَ اللُّغَاتِ ، أَحَقُّ^(٦) ^(٧)
بِهَذَا النَّبِيِّ أَنْ يُصَرَفَ إِلَيْهَا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ » هُبُوبًا غَبَّ حُمُولُ ، وَتَرَةً بَعْدَ حُمُولُ ،
وَنُورًا عَقِبَ أَفُولُ ، وَنُورًا إِثْرَ ذُبُولُ ، وَصَبًا وَرَاءَ قَبُولُ ، وَعَدَلًا وَلَا حَيْفُ ، وَقُوَّةُ^(٨)
وَلَا ضَعْفُ ، وَمَا يَشَاءُ الْمُطَرِّى فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْعَطْفِ ، آمَنْتُ بِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ ،
وَالْبَعِثِ وَالنُّشُورِ ، كَذَلِكَ يُنْجِي اللَّهُ الْمَوْتَى ، أَلَيْسَ رَجُلٌ وَاحِدٌ أَصْفَرَتْ عَنْهُ عَيْنَايُ^(٩)
التَّوْفِيقِ ، قَالَتْ إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ، بَلَى وَلَكِنَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَقُولُ فِي مِثْلِهِ مَبَاحِبُ^(٩)
بَنَى مِيكَال .

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمَرَ عَنَّا .

(١) أديب من أشهر أدباء مصر ، ولد في الاسكندرية وتعلم في الأزهر ثم سافر الى تونس فنزل
تحرير جريدة « الرائد التونسي » ثم عاد الى الاسكندرية وحرر جريدة « البرهان » ثم عين مفتشاً أول للغة
العربية بوزارة المعارف وقضى بها نحو ثلاثين عاماً . وقد اشتهر بغيرته على اللغة وميله الى الإغراب . مات
سنة ١٣٣٦ هـ — ١٩١٨ م .

(٢) الجنانة : الترس . (٣) الاجانة : إناء بغسل فيه الثياب .

(٤) اللغى : جمع لغة . (٥) الوغى : الحرب .

(٦) النبز : التعبير . (٧) الترة : من ترجمه عظم وامتلأ .

(٨) القبول : ريح تهب من الشمال ضد الدبور .

(٩) صاحب بن مكيال : يريد به ابن دريد وكان يمدحهم ، وهذا البيت في مقصورته المشهورة .

إِى وَرَبِّ تِلْكَ الْبَنِيَّةِ ^(١) ، بَارِئُ نَسَمِ الْبَرِيَّةِ ، إِنَّهُ لِرَجُلٍ الْبِلَادِ ، رَجُلٌ الْحَزْمِ
وَالسَّادَاتِ ، أَلَمْ تَرْجَنَانَهُ وَحَنَانَهُ ، وَبَنَانَهُ وَبَيَانَهُ ، عَوَامِلُ رَفَعٍ لِهَذِهِ اللَّغَةِ ، لُغَةِ
الْفُرْقَانِ ، لُغَةِ الْأَوْطَانِ ، لَا بَلَّ أَمْضَى مِنَ الْعَوَامِلِ ، حَتَّى ظَلَّتْ آدَابُهَا قَرَائِصُ ،
وَقَدْ كَانَتْ — وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدِيمٍ — نَوَافِلُ ، وَمِنْ حَلِيهَا أَجْيَادُ اللَّهَجَاتِ عَوَاطِلُ ^(٢) ،
اللَّهُمَّ إِلَّا بَقِيَّةً تَمُدُّ ^(٣) ، قَدْ مُنِبَتْ صَحْفُهَا لَا لِأَوْدٍ ، فَفَقَدْتِ الْجِلْدَ وَالْجِلْدَ ، وَبَعْدَ
أَنْ رَاجَّ سُوقُ الرِّطَانَةِ ، وَتَضَبَّ مَاءُ الْإِبَانَةِ ، وَخَبَتْ أَنْوَارُ الْبَلَاغَةِ ، وَذَوَتْ أَنْوَارُ ^(٤)
الْبَلَاغَةِ ، وَكَسَدَ الْبَيَانُ ، وَقَوَّضَ مِنْهُ الْبُيَانُ ، وَأَصْبَحَتْ الْعَرَبِيَّةُ لَقَى مُلْقَاةً ^(٥) ، وَبِضَاعَةً
مِنْ جَاةٍ ، فَأَيْهَذَا الْبِرَاعِ : لَا أَقَلَّ مِنْ نَفَثَاتٍ ، فِي صَوْنِ كَلِمَاتٍ ، تُقَدَّرُ هَذِهِ النُّعْمَةُ ^(٦)
قَدَرُهَا ، وَتَمْنَحُهَا شُكْرُهَا ، وَيَحْكُ هُبٌّ مِنْ سِنَتِكَ ، وَأَنْضُ حُسَامُكَ ، وَاشْتَدَّ كِهَامُكَ ^(٧) ،
وَأَنْثَلُ كِهَانَتِكَ ، وَأَعْمَلُ بَنَانَتِكَ ، وَصُغْ إِنْ اسْطَظَعْتَ تَهَانِيَّ غُرًّا ، بَلْ عُقُودًا دُرًّا ،
يَلْ أَنْجَمًا زُهْرًا ، مُشْتَارًا مِنْ خَلَايَا ذَلِكَ الْأَرَى الشَّهِيٍّ ^(٨) ، النَّدَى الذُّكَى .

(١) البنية : المراد بها هنا الكعبة .

(٢) الحلى : ما تزين به .

(٣) التمدد بالسكون والتحريك : الماء القليل .

(٤) الأنوار : الأولى جمع نور بالضم ، والثانية جمع نور بالفتح : وهو الزهر .

(٥) اللقى : كفتى الشيء المطروح .

(٦) البضاعة : المزجاة القليلة .

(٧) سل سيفك .

(٨) الكهام : الضعيف العي ، يريد قلبك الضعيف .

(٩) نثل الكانة : استخرج نيلها .

(١٠) الأرى : العسل .



وقد آثرت تلك النهضة العربية بتهنئتيكم أي بني جلدتي ، وإخوان حرقتي .
 لكونها — فيما إخال ، لا بل فيما أتيقن ويتيقن أولو الحجا — أعظم النهضات ،
 وأيمن ما اجتازه الوطن من العقبات ، ولو كان في نطاق الإمكان ، زيادة البيان ،
 في هذا الشأن ، لأسهب وأوسعت ، وأطربت وأطنبت ، ولو لم يكن في تلك
 النهضة ، إلا أن حياة الأمة حياة لغتها بحسب ، لكفاك وشفاك وأغناك ، وكان
 ذلك قصاراك وحماداك .

(١٤) حفي بك ناصف^(١)

كتب الى الفاضل السيد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كتابي إلى السيد السيد^(٢) ولا أجشمه الجواب عنه ، فذلك ما لا أنتظره منه ؛
 وإنما أسأله أن ينشط إلى قراءته ، ويتنزل إلى مطالعته . وله الرأي بعد ذلك أن
 يحاسب نفسه ويذكرها ، ويحكم عليها أولها .

فقد تنفع الذكرى إذا كان هجرهم دلالا ، فاما إن ملأ فلا نفعا

زرت السيد ، ويعلم الله أن شوقى إلى لقائه ، تحصى على بقائه . وكلفى^(٣)
 بشهوده ، كسغفى^(٤) بوجوده ؛ فقد بعد والله عهد التلاق ، وطال أمد الفراق ، وتصرم^(٥)

(١) تقدمت ترجمته في شعره . (٢) جشمه الأمر : كلفه إياه .

(٣) الكلف بفتح الحين : الحب الشديد . (٤) شهوده : رؤيته .

(٥) الشغف : كالكلف . (٦) نصرم الزمان : انقضى .

(١) الزَّمانُ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَيْهِ فِي حِرْمَانٍ، فَقَبِلَ لِي : إِنَّهُ نَحَرَ لَتَشْيِيعِ زَائِرٍ، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِرٌ. فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ، وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَهُ. وَلَمْ أَزَلْ أَعِدُّ اللَّحَظَاتِ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَاتِ، حَتَّى بَزَغَتِ الْأَنْوَارُ، وَارْتَجَّ صَحْنُ الدَّارِ، وَظَهَرَ الْأَسْتِيشَارُ عَلَى وَجْهِهِ الزُّوَارِ. وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ، وَجَلَالَةُ تَحْنِيْدِهِ وَمَنْصِبِهِ. فَقُمْنَا لِأَسْتِقْبَالِهِ، وَهَيَّئْنَا بِكَمَالِهِ. فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ وَجْهَهُ الْقَوْمِ حَتَّى حَاذَانِي، وَكَبَّرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي، فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى يَسَارِي، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي. وَبَرَ السَّلَامُ الْكَلَامُ، وَتَكَرَّرَ الْقُعُودُ وَالْقِيَامُ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ أَوْهُمْ جَارِي، أَنِّي فِي دَارِي، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّ شِدَّةَ الْأَلْفَةِ، تُسْقِطُ الْكُلْفَةَ، وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا قَاتَ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِيَامُ، وَالْإِمْسَالُ عَنِ الْكَلَامِ.

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ

(٢) وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَاتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ، وَأَنْ عَهْدِي لَدَيْهِ لَا يُخْفَرُ، فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ، وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ، وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ.

وَمَنْ مَدَّتِ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ الْإِنْسَانَ لَدَيْهِ صَغِيرُ

(١) تشييعه : توديعه .

(٢) صحن الدار : ساحتها .

(٣) الهيئته : الصوت الخفيف .

(٤) تخفرو عهده : تقضيه .

(٥) يقال : هو لا في العير ولا في النفير أي أنه لا قيمة له ولا يحسب له أي حساب .

وَلَا أَدْعِي أَنِّي أَوَازِي السَّيِّدَ - صَانَهُ اللَّهُ - فِي عُلُوِّ حَسَبِهِ ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ ،
 أَوْ أَقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرَتَبِهِ ، أَوْ أَكَاثِرُهُ فِي فِضَّتِهِ وَذَهَبِهِ ، وَإِنَّمَا أَقُولُ يَنْبَغِي لِلْسَّيِّدِ^(١)
 أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَارِ ، وَشُهُودِ الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ،
 وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ^(٢)
 اسْتِخْلَاصًا لِلْخِلَاصِ ، وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِيَّاهُ لِدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ . وَالْأَلَا يَسْتَبِيهِ عَلَيْهِ طُلَّابُ^(٣)
 الْفَوَائِدِ ، بِطُلَّابِ الْعَوَائِدِ ، وَقَنَاصِ الشُّوَارِدِ ، يَنْقَبِأُ الْمَوَالِدِ ، وَرُؤَادُ الطُّرَفِ ، بِأَرْبَابِ^(٤)
 الْحَرْفِ .

فَمَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَايَلَتْ سَائِلُكَ الْعُرْفَا
 فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغَضَى عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ . فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُغَضَى
 عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَلَا أَرُومُ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ مَنَزَلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا
 وَإِنَّمَا أَضُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضُّعْفَةِ ، وَلَا أَعْرُضُهَا لِلضُّيْقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَةً .
 وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي إِنْ أَهْتَمَّتْهَا وَحَقَّقَكَ لَمْ تَكْرُمَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
 فَلَا يُصْعَرُ السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ؛ فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِهِ ، وَلَا يَغُضُّ مِنْ^(٦)
 عَيْنِهِ ، فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِهِ . وَلِيَتَّخِذْنِي صَاحِبًا مِنْ بَعِيدٍ ، وَلَا يُكَلِّمْنِي إِلَى يَوْمِ^(٧)
 الْوَعِيدِ .

(١) كَاثِرُهُ : فَاحِرُهُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ . (٢) الْخِلَاصُ : الصَّافِي مِنَ الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ ، وَالْغَرَضُ
 مِنْ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْعَطَاءُ . (٣) الْعَوَائِدُ جَمْعُ عَائِدَةٍ : وَهِيَ الْمُنْفَعَةُ .
 (٤) يَرِيدُ الشُّوَارِدَ غَرَائِبُ اللُّغَةِ وَنَوَادِرُ الْأَدَبِ . (٥) الطُّرَفُ بَعْضُ الطَّاءِ وَفَتْحُ الرَّاءِ .
 جَمْعُ طَرَفَةٍ بَعْضُ الطَّاءِ وَهِيَ الْجَدِيدُ الْحَسَنُ الْمُتَخَيَّرُ . (٦) صَعَرَ الرَّجُلُ خَدَّهُ : أَمَالَهُ كِبَارَتُهُ .
 (٧) يَغُضُّ عَيْنَهُ : يَغْمُضُهَا . (٨) يَوْمُ الْوَعِيدِ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ، عَلَى الدَّوَامِ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَيْسَ جَدِيدًا، وَكُلُّ عَامٍ وَهُوَ
بَحِيرٌ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا، وَمَرَحَى إِذَا أَصَابَ، وَشَيْعَتُهُ السَّلَامَةُ إِذَا غَابَ، وَقَدُومًا
مُبَارَكًا إِذَا آبَ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِ إِذَا أُعْرِسَ، وَبِالطَّلَعِ الْمَسْعُودِ إِذَا أُنْجِبَ، وَرَحِمَهُ
اللَّهُ إِذَا عَطِسَ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا نَعَسَ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَهَنِيئًا إِذَا شَرِبَ،
وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ إِذَا رَكَبَ، وَنِعَمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ، وَسَعِدَ مَسَاوُهُ إِذَا أَذِنَ
الْعَصْرَ، وَبِخِجٍ إِذَا نَثَرَ، وَلَا فُضَّ فَوْهُ إِذَا شَعَرَ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ، وَأَطْرَبَ
وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورًا، وَإِذَا شَاعَ جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكُورًا.

وكتب الى الشيخ علي الليثي، رحمهما الله، يشكره على هدية عنب :

وَصَلِّ يَا مَوْلَايَ إِلَى هَذَا الطَّرَفِ، مَا خَصَّصْتَ بِهِ الْعَبْدَ مِنَ الطَّرَفِ،
«قَفْصٌ» مِنْ عَنِيبٍ كَاللُّؤْلُؤِ فِي الصَّدْفِ، تَتَأَلَّقُ عُنَاقِيهِدُهَا مِنْ صِنَاعَةِ «النَّجِيفِ»
وَلَعَمْرُ الْحَقِّ إِنَّهَا مُخَفَّةٌ مِنْ أَحْلَى النَّحِيفِ، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ «الصَّدْفِ» .
فَقَابَلْنَاهُ لَثَمًا بِالْأَفْوَاهِ، وَرَشَفًا بِالشِّفَاهِ . وَاحْتَفَيْنَا بِقُدُومِهِ كُلَّ الْاِحْتِفَاءِ، وَلَمْ نُفَرِّطْ

(١) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء . كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٢) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتام واستيلاد الأولاد .

(٣) أعمرس : تزوج . (٤) أنجب : ولد له ولد .

(٥) بخ : كلمة تقال عند استحسان الشيء . والابحباب به . (٦) ثر : أرسل القول مثورا .

(٧) لا فض فوه : لا خلا من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول . (٨) شعر : قال الشعر .

(٩) يريد بالطرف : النحف . (١٠) النجف : كلمة مولدة .

(١١) لعمر الحق : قسم بالحق .

(١٢) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السروريه .

فِي حَبِيهِ عِنْدَ اللَّقَاءِ . بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحَبِيَّ ^(١) ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا . وَأَوْسَعْنَاهُ
 عَضًا وَلَتَمًا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا وَخَمًا ^(٢) . وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ الْمَكْنُونِ ، وَطَوَّيْنَاهُ
 فِي غُضُونِ الْبُطُونِ ^(٣) . فَطَرِبَتْ مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاحُ ، وَلَا غَرَوَ فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ ^(٤) .
 وَأَنْتَشِينَا وَلَمْ نَحْمِلْ وَزَرًا ^(٥) ، وَثَمَلْنَا وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مُرًّا ^(٦) . فَهُوَ كَيَّانٍ مُهْدِيهِ ، سِحْرٌ وَلَكِنَّهُ
 حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَالٌ .

* * *

وَكَأَنَّ الْأُخْرَى بِهَذَا الْعَنِيبِ أَنَّ يُنَاطَ بِالتَّحْوِيرِ ، أَوْ تُزَيْنُ بِهِ الصُّدُورُ . فَمَا هُوَ
 إِلَّا اللَّوْلُو وَلَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سَجْنِ الْبَحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّرُّ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ ^(٨) .
 وَمَنْ كُنْتَ بِمَحْرًا لَهُ يَا عَلِيٌّ ^(٩) سِيٌّ لَا يَلْقُطُ الدَّرَّ إِلَّا كُبَارًا

وَمَا ضَرُّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفْصُ ، (حِصَّةٌ مِنَ الْحِصَصِ) ^(١٠) . فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ
 فِي الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَائِيَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا يَدْعُ أَنَّ تُسْتَقَلَّ
 فِي حَبَائِيهِ حَبَاتُ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلَجُ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابُ الْمَحْبُوبِ ^(١١) . وَكَأَنَّ
 الثَّرِيَّا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ ، فَغَرَّ الْهَلَالَ قَاهُ لَعَنَقُودَهَا يُرِيدُ أَكْلَهُ ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاءِ ،
^(١٢)

(١) يقال فلان بمن تحمل له الحبي : أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبي : جمع حبة وهى ما يجمع به بين الظهر والساق من حبل ونحوه . (٢) جمشه تجميشا : فرسه ولاعبه .

(٣) لا غرو : لا عجب . (٤) الراح : من أسماء النمر . (٥) انتشى : سكر .

(٦) نمل : سكر كذلك . (٧) يناط : يعلق . (٨) الصغار بضم الصاد : الصغير .

(٩) الكبار بضم الكاف : الكبير . (١٠) الحصة : النصيب والقسم عند الانقسام واستعمالها

فى الزمن موله وهو المراد هنا . (١١) الرضاب بضم الراء : الريق .

(١٢) فغرفاه : فتحه .

وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاءِ . وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، خَافَةَ الْإِلْهَامِ . هَذَا
 لِمَجْرِدِ تَشَابُهِ فِي الشَّكْلِ فَكَيْفَ بِالْثَرَيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَاوَةٌ وَرِيًّا . فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعَنَاقِيدُ
 مَا أَشَدَّ تَأَلُّفَهَا ، وَأَصْفَى مَاءَهَا وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا . مِنْ كُلِّ عُنُقُودٍ تَحَالُهُ عُمُودُ الصَّبِيحِ
 أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِي ، أَوْ غُصْنِ الْبَانَ تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقِمَارِي .

(١٥) السيد مصطفى لطفی المنفلوطی^(٥)

إنقاذ من الغرق (من رواية مجدولين) :

وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ حَتَّى بَلَّغْنَا شَاطِئَ النَّهْرِ ، فَرَاعَنَا أَنَا رَأَيْنَا هُنَاكَ جَمْعًا عَظِيمًا مِنَ
 النَّاسِ يَتَدَفَّعُ فَوْقَ الشَّاطِئِ الْآخِرِ تَدَفُّعَ الْمَوْجِ الْمُتَرَاكِبِ ، وَيُشِيرُ إِلَى الْمَاءِ بِأَصَابِعِهِ
 وَيُنَادِي : الْغَرِيقَ الْغَرِيقَ ! وَالنَّجْدَةَ النَّجْدَةَ ! فَالْتَفَتْنَا حَيْثُ أَشَارُوا ، فَإِذَا رَجُلٌ بَيْنَ مَعْرَكِ
 الْأَمْوَاجِ يُصَارِعُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ يَصْرَعُهُ ، وَيُغَالِبُ الْقَضَاءَ وَالْقَضَاءُ يَغْلِبُهُ ، يَطْفُو
 تَارَةً فَيَمْدُ يَدَهُ إِلَى النَّاسِ فَلَا يَجِدُ يَدًا يَمْتَدُّ إِلَيْهِ ، وَيَرْسِبُ أُخْرَى حَتَّى تَتَبَسَّطَ فَوْقَهُ
 صَفْحَةُ النَّهْرِ ، فَتَحْسِبُهُ مِنَ الْهَالِكِينَ . وَمَا زَالَ يَتَخَبَّطُ وَيَتَشَبَّثُ ، وَيُظْهِرُ ثُمَّ يَخْتَفِي ،
 وَيَتَحَرَّكُ ثُمَّ يَسْكُنُ ، حَتَّى كُلَّ سَاعِدِهِ ، وَوَهَتْ قُوَّتُهُ ، وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ ، وَاسْتَحَالَ

(١) الرى بالكسر : الشيع من الماء .

(٢) عمود الصبح : ضوءه .

(٣) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه في اعتدال القوام .

(٤) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قمرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت .

(٥) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر ، واشتغل محررا بالمؤيد ، ثم اتصل بالمرحوم

سعد باشا زغلول ، فألحقه بالمعارف ثم الحقاينة . وكان كاتباً رقيق القول بحكم النسيج ، يجيد تصوير الشعور

الحزين . وله شعر قليل . توفى سنة ١٣٤٣ هـ تاركاً آثاراً فنية جميلة .

أَدِيمُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ أَصْنَانَا مِنْهُ إِلَّا رَأْسٌ يَضْطَرُّ ، وَيدُ تَحْتَلِجُ . فَبَكَى الْبَاكُونَ ، وَأَعْوَلَ
 الْمُعْوِلُونَ ، وَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ كَأَنَّمَا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ رَجُلٍ رَحِيمٍ ، أَوْ شَهِيمٍ
 كَرِيمٍ ، وَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذَا رَجُلٌ عَارٍ يَدْفَعُ الْجَمْعَ بِمَنْكِبَيْهِ ، وَيَمُرُّ بَيْنَ النَّاسِ مَرَّ السَّهْمِ
 إِلَى الرَّمِيَّةِ ، حَتَّى أُنْفَعِ إِلَى النَّهْرِ ، وَسَبَّحَ حَيْثُ هَبَطَ الْغَرِيقُ فَهَبَطَ وَرَاءَهُ . وَمَا هِيَ
 إِلَّا نَظْرَةٌ وَالتَّفَاتَةُ أَنَّ انْفَرَجَ الْمَاءُ عَنْهُمَا فَآذَا هُمَا صَاعِدَانِ وَقَدْ أَمْسَكَ الرَّجُلُ بِذِرَاعِ
 الْغَرِيقِ ، فَكَبَّرَ النَّاسُ إِعْجَابًا بِهَيْمَةِ الْمُخْلِصِ ، وَفَرَحًا بِنَجَاةِ الْغَرِيقِ ، وَلَيْكَا مَا كُنَّا
 نَسْتَفِيقُ مِنْ هَذَا الْمَنْظَرِ الْمُحْزِنِ حَتَّى رَأَيْنَا مَنْظَرَ آخِرٍ أَجَلُ مِنْهُ وَقَعًا وَأَعْظَمُ هَوْلًا ،
 فَقَدْ رَأَيْنَا الْغَرِيقَ كَأَنَّمَا جُنَّ جُنُونُهُ فَظَنَّ أَنَّ مُخْلَصَهُ يُرِيدُ بِهِ شَرًّا ، وَأَنَّهُمَا أَمْسَكَ
 بِذِرَاعِهِ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَهْوِيَ بِهِ إِلَى قَاعِ الْمَاءِ ، فَبَعِيدُهُ سِيرَتُهُ الْأُولَى ، فَافْلَيْتُ
 مِنْهُ وَضَرْبُهُ يَجْمَعُ يَدَيْهِ فِي صَدْرِهِ ضَرْبَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ انْتَشَبَ أَظْفَارُهُ فِي عُنُقِهِ ، وَلَفَّهُ
 بِسَاقِيهِ لَفًّا خِلْنًا أَنَّ عِظَامَهُ تَنُفُّ لَهَا أَيْدِنًا ، فَاسْتَيْسَ الرَّجُلُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَدَّ هَالِكٌ ،
 فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهَتَفَ بِاسْمِ نُسْبِهِ اسْمُكَ يَا عَجْدُولِينَ . فَلَمَّ أَفْهَمَ مَاذَا يُرِيدُ ،
 وَلَا مَنْ هِيَ تِلْكَ الَّتِي يُرِيدُ ، ثُمَّ مَا لَبِثَا أَنْ هَوَى الْمَاءُ بِهِمَا ، وَجَرَى بِجَرَاهُ فَوْقَهُمَا .
 تَخَفَّتِ الْقُلُوبُ ، وَوَجَفَتِ الصُّدُورُ ، وَخَفَّتِ الْأَصْوَاتُ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ ، وَتَوَاتَبَتِ
 الْأَحْشَاءُ ، وَتَرَايَلَتِ الْأَعْضَاءُ ، وَمَشَى الْيَأْسُ فِي الرَّجَاءِ ، مَشَى الظَّلَالُ فِي الْأَضْوَاءِ ،
 وَصَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ دَقَائِقُ لَا نَضْطَرُّ فِيهَا مَوْجَةً ، وَلَا نَهَبُ نَسَمَةً ، فَفَزِعَتْ إِلَى أَبِي
 ذَاهِلَةَ حَائِرَةً ، وَقُلْتُ : أَيْتَغَذَّبُ الْغُرَى كَثِيرًا فِي مُصَارَعَةِ الْمَوْتِ ؟ فَبَكَى لِبُكَائِي
 وَقَالَ : نَعَمْ يَا بَنِيَّةُ ! وَلَقَدْ يَلُغُ الْأَمْرُ بِأَحَدِهِمْ أَنْ يَدُورَ بِيَدِهِ فِي قَاعِ الْمَاءِ يُهْتَشُّ عَنْ
 صَخْرَةٍ يَضْرِبُ بِهَا رَأْسَهُ ضَرْبَةً قَاضِيَةً يَسْتَرْجِحُ بِهَا مِنَ الْآلَامِ وَالْأَوْجَاعِ . فَفَرَكْتُ

حَلَى كُتْبَانَ الرِّمْلِ، وَرَفَعْتُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَقُلْتُ : اَللّهُمَّ إِنَّكَ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ تُجَازِيَ
بِالْإِحْسَانِ سُوءًا، وَبِالْخَيْرِ شَرًّا، فَلَقَدْ أَبْلَى هَذَا الرَّجُلُ فِي إِنْقَازِ هَذَا الْغَرِيقِ بَلَاءً
حَسَنًا، وَبَذَلَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ مَا ضَنَّ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا، فَاْمُدُّ إِلَيْهِ يَدَكَ
الْبَيْضَاءَ الَّتِي طَالَمَا أَنْزَلْتَ بِهَا ظُلُمَاتِ الْبَائِسِينَ، وَاشْكُفْ عَنْهُ كُرْبَتَهُ الَّتِي يُعَاجِلُهَا،
إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

ثُمَّ اسْتَغْرَقْتُ فِي دُعَائِي فَلَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا حَوْلِي، حَتَّى سَمِعْتُ صَجَّةً عَلَى
الشَّاطِئِ فَاسْتَفَقْتُ فَإِذَا النَّهْرُ يَنْتَابِبُ عَنِ الرَّجُلِ، وَإِذَا الرَّجُلُ صَاعِدٌ وَحْدَهُ حَتَّى بَلَغَ
سَطْحَ الْمَاءِ، فَهَتَفَ بِهِ النَّاسُ أَنْ انْجِبْ بِنَفْسِكَ فَقَدْ أَبْلَيْتَ، فَأَبَى عَلَيْهِ كَرَمُهُ وَوَفَاؤُهُ
أَنْ يَكُونَ قَاسِيًا أَوْ مُتَّقِيًا . فَنَاصَ مَرَّةً أُخْرَى : وَعَادَ بِالْغَرِيقِ يَحْمِلُهُ عَلَى كَتِفِهِ،
وَمَا زَالَ يَسْبَحُ بِهِ حَتَّى بَلَغَ الشَّاطِئَ، فَسَقَطَا جَمِيعًا .

(١٦) سعد زغلول باشا^(١)

وجه رحمه الله هذا النداء الى الأمة المصرية عقب عودته الى مصر في صدر

سنة ١٩٢١ :

رَحِبَتِ الْأُمَّةُ بِعُودَةِ نَوَابِهَا تَرْحِيًا فَاكْ كُلَّ تَرْحِيبٍ، وَأَعْجَزَ وَصَفَ كُلَّ كَاتِبٍ
وخطيب، فَقَدْ أَتَى أَفْرَادَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمُ النَّيِّرَةِ، وَبَاعَثَ مِنْ
شُعُورِهِمُ الْحَيِّ، تَرْتَعْشُ أَعْصَابُهُمْ حِمَاسَةً، وَتُخَفِّقُ قُلُوبُهُمْ بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ لِلْاِتِّفَافِ
حَوْلَ مَنْ اتَّخَذُوهُمْ رَمْزَ أَمَانِهِمْ وَعُنْوَانَ مَبَادِيهِمْ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ آيَاتِ الْحِكْمَةِ

(١) يعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية في عصره . درس في الأزهر دراسة استقلالية أعدته

ليكون كاتباً نابغاً ومحامياً بارعاً وقانونياً قديراً . كان زعيم النهضة السياسية حتى توفي سنة ١٩٢٧ م .

والكرامة والثبات نتجلى فيما استقبلنا به من مظاهر الفرح الباهر — تلك الصفات التي تضمن للشعوب تقدمها وللأُمم سعادتها . وشعرت من قبلات الترحيب التي غمرونا بها بحرارة قلب يتحقق في جسم شعب عظيم . وقد اشترك الأموات والأحياء في أن يُعلوا على المجموع وكل فرد واجبه نحو الوطن العزيز . وأجمع الكل على مطالبتنا بمواصلة السير في الطريق الذي سنه الحق القويم . وإن الشرف والكرامة والإخلاص لوطننا المقدس لما يوجب علينا طاعة هذا الأمر الكريم، والتزام هذا الطريق المستقيم .

إننا نشكر البلاد جميعها . قريبا وبعيدا، على حلة الثقة التي زينتنا بها، ونقسم بالوطن وشعائره المقدسة — ويشاركنا في هذا القسم العظيم أصحابنا المخلصون في جهادهم — أننا لا ندخر شيئا من وسعنا لتحقيق هذه الثقة الغالية، ولا نتحول لحظة واحدة عن الغرض الذي وضعناه نصب عيوننا حتى نصل إليه .

إننا لم نعد إلا لتنقوى بعزائم مواطنينا الكرام عزائمنا ، ونشد أزرنا باتحادهم المتين ، ونتمتع بمرآهم بعد طول هذه الغيبة، ونتأكد من أن الاشتراك في المفاوضات الرسمية التي دعتنا الوزارة الجديدة له متفق مع المبادئ التي وضعتها الأمة، وعاهدناها على احترامها ، ومع الخطوة التي رسمتها وتعهدنا بتابعيتها . ولا شيء أحب إلى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدة لأن تسترشد بإرادة الأمة، وعاملة على تحقيق غايتها السامية .

لم يبق علينا إلا أن يعود كل منا إلى عمله ، ويُقبل على شأنه ، فالتلميذ إلى مدرسته ، والفلاح إلى مزرعته ، والصانع إلى مصنعه ، والتاجر إلى متجره ،

والكاتب إلى مكتبه ، والمرأة إلى إدارة بيتها ، وعلى الكل من غنى وفقير أن يباشر عمله ، مراقبا أعمالنا ، واضعا نصب عينيه المقصد الأسمى ، وأن يعتقد أنه يزيد بما يعمل في كنوز الوطن كذا وبضم إلى قواه قوة .

إلى العمل جميعا . لترفع منار الوطن ، وتعلو كلمته ، ولتحي مصر .

(١٧) محمد بك المويلحي^(١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف في تركيا يعزیه في ابنته :
إلى الوزير الذي ترتعش بنظرة منه عقد السياسة ، حتى تتحل من شدة
الارتجاف ، والأمير الذي ينتعش به سرورا دست الرئاسة ، حتى يتيه على الأسلاف ،
والفيلسوف الذي تفرعت عنه أصول الحكم ، والهمام الذي أعيا النجوم أن تباريه
في علو الهيم . والرفيع الذي سارت عنه أمثال المجد المؤئل ، وانتشر على السمائر
حديث فضله المؤئل .

إلى قطب الدنيا الذي لو بفضله مدحت في الدنيا كفتهم فضائله
من عبد لدولته له الشرف الأسمى بهذه النسبة بعد أبيه ، والفخر الأعلى بذلك
وأفانين التيه . دهمه خبر المصاب الذي أنقض ظهره ، وأرقض دهره ، على أن
الموت — أطال الله بقاء المجد بطول بقاءك ، وأدام رونق التفضيل يدوامك — باب من

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحي . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكارأئمة العلم والأدب في عصره ، وحقق التركية وطائفة من اللغات الأوروبية . وبما زقله بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ، وتلاحم النسيج ، ومثانة السجع ، وقد أوتي من البراعة في فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بفباره . وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجما في جريدة « مصباح الشرق » التي كان يحررها مع أبيه . توفي سنة ١٩٣٠ م .

أبواب الطبيعة لا مفسر للانسان من ولوج فيه ، وعون من أعوان الحياة لا بد للحي من توافيه . وأسم الحياة لا معنى له بغير أسم الموت ، ولفظ العيش متضمن للفظ القوت . ولقد قيل لحكيم مثلك : ما سبب موت فلان ؟ قال : كونه ! فعجيب بعد ذلك من ابن آدم نُكِّلَهُ وحزنه ، وإني أتيقن أن مولاي الوزير مات جاسراً أن يلمس أذياله رسول الحزن والآسى ، ولا عارض نور حكيمته عارض من ظلمة ذلك اللهجى . وما تسنى لطفي الفرع أن يتلمظ على مائدة حلمه بعد ارتقاء هضباته . ولا طمع أشعبي الجزع في استجداء من معين وقاره وثباته .

لكنما الفريدة التي آخترت روحها فداء لبنات معاليك ومجديك ، ورضيت أن تكون نفسها زكاة لكتوز فضائلك وسعدك ، تستوجب من جهتين ، لا من جهة ، أنواع الأسف ، وينبغي لها إرسال الدمع المنذر ، وأحترق الكبد عليها من طرفين لا من طرف : الأول أن الوردة قد اقتطفت قبل إبانها ، وانترعت من أفتانها قبل أوانها ، واقتنصت الظبية من نحائليها ، قبل استكمال مخايلها . واختطفت الحمامة من وكريها قبل أن يطوق جيدها ، وينتظم نشيدها ، واقتنص الغصن قبل إثماره ، وانمحق الهلال قبل إبداره . وحين البدء في دور من أدواره ، وشعاع أمل لف عليه السحاب رداءه ، وساعة سرور نبذها حسد الأيام والليالي وراءه :

إن الفجيجة بالرياض نواضراً لا أجل منها بالرياض ذوابلاً

والثاني لأني لست من رأى من ينسب الى النبي أنه قال : « نعم الختن القبر » ولا من رأى العرب حين تتبجح بمصاهرة القبور ، وهضم حق الإناث وتفضيل الذكور . ولا أراي من مذهب الشيخ المعري ومن قبله حيث يقول :

وَدَفَنُ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ ، لِإِحْدَاثِ أَحَدَى الْمَكْرَمَاتِ

ولا من جانب الفرزدق ويروى عنه :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ تَقْنَعَا

ولا أَلْفِتُ لِنَاحِيَةِ الْبُحَيْرَى وَيُنْشَدُ لَهُ :

وَلَعَمْرِي مَا الْعَجَزُ عِنْدِي إِلَّا أَنْ تَبَيْتَ الرِّجَالَ تَبْكِي النِّسَاءَ

فَيَسِيَانُ فِي حَكْمِ الطَّبِيعَةِ مَقْنَعٌ بِلَامَةٍ الْحَدِيدِ فِي الْهَبِجَاءِ ، وَمُقْنَعَةٌ بِلَامَةٍ الْحَرِيرِ مِنَ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ بَيْنَهُمَا لَمَنْ جَاءَ بِالْعَاقِبَةِ الْحُسْنَى ، وَلَمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بِالنَّفْعِ الْأَسْنَى ، وَشَتَّانَ فِي حَكْمِ الْإِنْسَانِيَةِ بَيْنَ قَائِدٍ لِلْجَيْشِ مُعَلِّمٍ ، وَصَدْرَاءَ تَطَرَّزَ فِي ثَوْبِهَا وَتَمَنَّم . ذَاكَ يُشِيرُ بِنَانُهُ لَتَيْتِمِ الْأَطْفَالِ وَلِتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، وَتِلْكَ يُشِيرُ بِنَانُهَا لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ بِعَقْدِ الْوِدَادِ . وَفَرْقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدٍ مُخَضَّبَةٍ بِالْدِّمَاءِ ، وَأُخْرَى مُخَضَّبَةٍ بِالْحِنَاءِ . وَبَيْنَ مَنْ يَحْتَضِنُ الْأَطْفَالَ وَيُرَبِّيهِمْ ، وَبَيْنَ مَنْ يُسْتَثْنَى وَيُعَذَّبُهَا ، وَبَيْنَ كَفِّ لَا حِلَّةَ لَهَا إِلَّا السُّيُوفُ الْبَوَارِ ، وَأُخْرَى إِنَّمَا حَلَّتْهَا الْخَوَاتِمُ وَالْأَسَاوِرُ . وَكَمْ جَلَبَتْ تِلْكَ مِنْ قَفَاطِيعَ مَشْهُورَةٍ ، وَكَمْ لَهَذِهِ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ مَشْكُورَةٍ :

وَلَيْسَ الْخَمْسُ ضَارِبَةً بِسَيْفٍ تَطِيرُ الْخَمْسُ ضَارِبَةً بِدُفٍّ

أَبَاغَى حَظَّيْهِ يَقْنَأَ وَخَيْلٍ كَبَاغِيهِ بِمَنْوَالٍ وَحَفٍّ (١)

ومولاي أعز الله الفضل بوجوده يعلم حكاية إحدى العذارى مع عبد الله بن طاهر إذ ردت بوقفة منها أمام الجيش غرب الجيش عن قصيده ، وأدخلت سيف

(١) الحف بفتح الحاء وتشديد القاء : المنسج .

القاهر الجبار في غمده، ونجّت قومها من الخراب، وأنقذتهم من أليم العذاب،
حتى قال عبد الله قصيدة في ذلك، منها:

نَحْنُ قَوْمٌ تُذِيلُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْمُ لَمْ عَلَى أَنْتَا تُذِيبُ الْحَدِيدَا
طَلُوعَ أَيْدِي الْغَرَامِ تَقْتَادُنَا الْغَيْبُ دُ وَنَقْتَادُ بِالطَّعَانِ الْأُسُودَا

والأخرى التي لها ما يماثل ذلك مع أحد ملوك الفرس وهو يحارب قومها
في بلاد يهودا أثناء الزمن الأول، إلى غير ذلك من هذه الوقائع.

هذا ما قوى وقع المصيبة فينا، وأمد جيوش الهموم علينا. أما مولاي الوزير
فما يبعد الأسف منه، ويزيل الكدر عنه، علمه بضوء حكمته، ونور فلسفته، أنه
ما فقد تلك الفريدة، وما صارت عنه بعيدة، فهو يستنشقها في روائح الأزهار،
ويراها في أغصان الأشجار، ويسمع صوتها في صوت الأطيّار، وتمر عليه في ريح
الصبا من ليالى الربيع، ويشاهدها في كل شكل لطيف أو بديع.
ألهمنا الله عليها جزيل الصبر، وألبس مولاي الوزير ثوب الأجر، إن شاء الله.

وقال في وصف الصباح (من كتابه حديث عيسى بن هشام):

جلسنا تتجاذب أطراف الحديث، من قديم في الزمان وحديث، إلى أن صارت
الليلة في أنحرّيات الشّباب، واستهانت بالإزار والنّقاب، ثم دبّ المشيب في فودها،
وبان أثر الوسخ في جلدها، فعبثت بالعقود والقلائد، من الجواهر والفرائد، ونزعت
من صدرها كلّ منشور ومنظوم، من دُرر الكواكب ولايئ النجوم، وألقت
بالفرقدين من أذنيها، وخلعت خواتيم الثريا من يديها، ثم إنها مزقت جلبابها،

وَهَتَكَتْ جِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ لِلنَّاطِرِينَ عَجُوزًا شَمَطَاءً ، تَرْتَعِدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ ،
وَتُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْبَقَاءِ ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمَلَأَتِهِ الزَّرْقَاءَ ، وَدَرَجَهَا الصُّبْحُ فِي أُرْدِيتهِ
الْبَيْضَاءِ ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جُوفِ الْقَضَاءِ ، وَقَامَتْ عَلَيْهَا بَنَاتُ هَدِيلٍ ، نَائِحَةٌ بِالتَّسْجِيعِ
وَالْتَرْتِيلِ ، ثُمَّ أَتَقَلَّبُ الْمَاتَمُ فِي الْحَالِ عُرسُ اجْتِلَاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النِّجِيبُ بِالْغِنَاءِ ، لِإِشْرَاقِ
عُرُوسِ النَّهَارِ ، وَإِسْفَارِ مَلِكَةِ الْبَدُورِ وَالْأَقْمَارِ .

وقال في وصف الأهرام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ الَّذِي يُطَاوِلُ الرُّوَابِي
وَالْأَعْلَامِ ، وَالْمَضْضِبَةَ الَّتِي تَعْلُو الْهَضَابَ وَالْآكَامِ ، وَالْبَيْئَةَ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى رَضْوَى
وَشَمَامِ ، وَتُبْلِي بَبْقَائِهَا جِدَّةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَطْوِي تَحْتَ ظِلَالِهَا أَقْوَامًا بَعْدَ أَقْوَامِ ،
وَتُفْنِي بِدَوَامِهَا أَعْمَارَ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، خَلَقْتَ ثِيَابُ الدَّهْرِ وَهِيَ فِي ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ ،
وَشَابَتِ الْقُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنُهَا وَخُطَّ الْمَشِيبِ ، مَا بَرِحَتْ ثَابِتَةً تُسَاطِجُ مَوَاقِعِ النُّجُومِ ،
وَتُسَخَّرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبِ وَالرُّجُومِ ، وَتُحَدِّثُ حَدِيثَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْعِيَانِ ، مَا تَعَاقَبَ
الْفَتَيَانِ ، وَتَتَاوَبَ الْمَلُوكَانِ ، عَنْ قُدْرَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ ، فِي بَدَائِعِ الصَّنْعِ وَالْإِتْقَانِ ، وَتُنْذِي
عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيلِ ، فِي إِقَامَةِ مِثْلِ هَذَا الْأَثَرِ الْجَلِيلِ ، وَكَيْفَ لِهَذَا الْفَانِي
الْبَائِدِ ، أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْبَاقِي الْخَالِدِ — وَجَلَّ صُنْعُ الْقَدِيرِ الْخَالِقِ ، فِي تَصْوِيرِ
هَذَا الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا لِلْأَعْمَالِ الْمُتَنَاقِضَةِ ، وَالْأَفْعَالِ الْمُتَغَايِرَةِ
الْمُتَعَارِضَةِ ، فَبَيْنَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إِلَى أَجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِهَا ، وَيُبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا
وَمَعَالِمِهَا ، وَيَسِيرُ بِعِلْمِهِ فِي أَنْجَائِهَا وَمَنَاكِبِهَا ، وَيَهْتَدِي لِحَسَابِ أَقْمَارِهَا وَكَوَاكِبِهَا ،

أذ تراه يعثر عثرةً برجله ، فيكون فيها منتهى أجليه ، أويكبو في طريقه ، فيغص بريقه ،
ذاك الذي كبر وصغر ، وعظم وحقر ، وعز وذل ، وكثر وقل ، وصعد وهبط ، وعلا
وسقط ، وصلح وفسد ، وعرف وبخ ، وسعد وشقي ، وفني وبقي ، وسبحان
القاهر فوق عباده .

ثانياً - النثر العلني

(١) الشيخ عبد الرحمن الحبري^(١)

قال في كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار عند الكلام على الحملة الفرنسية
سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهي أولُ سنَى المَلَّاحِمِ العَظِيمَةِ ، والحوَادِثِ الجَسيمةِ ، والوَقَائِعِ النَّازِلَةِ ،
والتَّوَاظِلِ الهَائِلَةِ ، وَتَضَاعُفِ الشُّرُورِ ، وَتَرَادُفِ الْأُمُورِ ، وَتَوَالِيِ الْمِحْنِ ، وَآخْتِلَالِ
الزَّمَنِ ، وَانْعِكَاسِ الْمَطْبُوعِ ، وَانْقِلَابِ الْمَوْضُوعِ ، وَنَتَاجِ الْأَهْوَالِ ، وَآخْتِلَافِ
الْأَحْوَالِ ، وَفَسَادِ التَّدِيرِ ، وَحُصُولِ التَّدْمِيرِ ، وَغَمُومِ الْخَرَابِ ، وَتَوَاتُرِ الْأَسْبَابِ :
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)^(٢) .

: في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة وردت مكاتبات
على يد السَّعَاة من ثغر الاسكندرية ، ومضمونها أن في يوم الخميس ثامن حِضْرِ إلى

(١) هو مؤرخ مصري ولد بمصر وتعلم في الأزهر ، ونسبته إلى جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة . عينه
نابليون حين احتلاله مصر كاتباً في الديوان . وكان مفتي الحنفية في عهد محمد علي باشا . وأشهر مؤلفاته التاريخ
المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر من سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ .
بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قد قتل .

(٢) وردت الآية الكريمة في الأصل « مهلك القرى » فأصلحناها .

الثغر عدةً من مراكب من المراكب الانكليزية، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً. أيضاً فانتظر أهل الثغر ما يريدون، وإذا بقيت صغيراً وصل من عندهم وفيه عشرة أنفار، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد، والرئيس. إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض، السيد محمد كريم الآتي ذكره، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا أنهم إنكليز، حضروا للتفتيش على الفرنسيين لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة، يريدون جبهة من الجهات، ولا ندري أين قصدهم، فربما دهموكم، فلا تقدرّون على دفعهم ولا تتمكنوا من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول، وظن أنها مكيدة، وجابوهم بكلام خشن! فقالت رُسُلُ الانكليز، نحن نقف بمراكبنا في البحر، محافظين على الثغر، لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه، فلم يجيبوهم لذلك، وقالوا هذه بلاد السلطان، وليس للفرنسيين ولا غيرهم عليها سبيل، فذهبوا عنا، فعندها عادت رُسُلُ الانكليز، وأقلعوا في البحر، ليبتاروا من غير الاسكندرية، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ثم إن أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف البحيرة ليجمع العربان، ويأتي معهم للحفاظة بالثغر - فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللفظ الكثير من الناس، وتحدثوا بذلك فيما بينهم، وكثرت المقالات والأراجيف.

(٢) للشيخ حسين المرصفي في التخلق ببعض الأخلاق^(٢)

غير خاف أن التخلق بالكبر والتجمل، والعجب والتعظيم على الناس بما أفضل الله به على الإنسان : من علم وجاه ومال أمرٌ غيرُ حسنٍ، لما جُبلت عليه النفوس

(١) هكذا في الأصل والمصواب ولا تتمكنون .

(٢) هو الشيخ حسين بن أحمد المرصفي تلقى العلم في الأزهر، ثم درس فيه وفي دار العلوم . وهو يعدّ بحق من أوائل أولئك الأفذاذ الأعلام الذين رقدوا على اللغة في العصر الحديث ما كان لها من البهاء في العصر القديم . وقد توفي سنة ١٣٠٧ هـ ونجد أسلوبه يشبه أسلوب مقدمة ابن خلدون في السهولة والترتيب المنطقي .

من الإباء والتفرة عَمَّن يتعاضم عليها . فما أكثر ما بُدِّل حسن الود والتآلف بأشنع
العداوة والتنافر ، لكن ذلك موضعٌ يكون فيه حسنا . وبيانه : أن من المشاهد
كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تَعْيِشِهِ وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة ،
واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يُحِب لنفسه ، فإذا خرج بعض الناس عن
الجميعة ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبه بما يُعيدُه إلى
الصَّلاح . وربما كان التكبر والزَّهْوُ عليه أنكى له ، وأرجى لمثاب فكره ، وانحيازَه
إلى حِزِّ الاستقامة ، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فارسا من أصحابه
يمشى بين الصَّفَّين مختلفا ، يميلُ يميناً وشمالاً ، فقال : « هذه مِشْيَةُ يَكْرَهها الله تعالى
إلا فى هذا الموضع » ، فقد علمنا أن للتكبر موضعا يكون فيه حسنا .

(٣) للشيخ محمد عبده من رسالة التوحيد^(١)

القرآن :

جاءنا الخبر المتواتر الذى لا نتطرق إليه الريبة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان
فى تشاته وأمته على الحال التى ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء
بكتاب قال : إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب فى المصاحف ،
المحفوظ فى صدور من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم .

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده فى محلة نصر من احدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر
العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغانى ، وكان أكثر الناس انتفاعا به . ثم غنى
عقيب الثورة العرابية ، ولكنه عاد الى مصر وتولى التدريس والقضاء فى المحاكم الأهلية ثم الاقلام مجتهدا
محققا . وقد توفى سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثارا ثمينة وطبقة من أبنائه الطبقات المصرية .

كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه مُعْتَبَرٌ للأجيال الحاضرة والمستقبلة؛
نَقَّبَ على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التي ألحقها الأوهام بها ، ونبه على وجوه
العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم
وبين أممهم ، وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . أخذ العلماء
من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم وما خلطوا في أحكامهم ، وما حرقوا
بالتأويل في كتبهم . وشرع للناس أحكاما تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة
في العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت ^(١) عند
حد ما قزره ، ثم عظمت المضرة في إهمالها والانحراف عنها أو البعد بها عن الروح
الذي أودعته ، ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للناظر في شرائع الأمم .
ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواظ وآداب تخشع لها القلوب ، وتهش لاستقبالها العقول ،
وتتصرف وراءها الهمم ، أنصرفوا في السبيل الأمم .

نزل القرآن في عصر آتفق الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرق الأعصار عند
العرب وأغزرها مادة في الفصاحة ، وأنه الممتاز بين جميع ما تقبده بوفرة رجال
البلاغة ، وفُرسان الخطابة ، وأنفس ما كانت العرب لتناقس فيه من ثمار العقل
ونتائج الفطن والذكاء هو الغلب في القول ، والسبق الى إصابة مكان الوجدان من
القلوب ، ومقر الإذعان من العقول ، وتفاينهم في المفاخرة بذلك مما لا يحتاج
الى الإطالة في بيانه .

(١) يريد : ما دامت قائمة على حدره ، طامة بأحكامه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتماسهم الوسائل قريبتها وبعيدتها لإبطال دعواه ، وتكذيبه في الإخبار عن الله ، وإتيانهم في ذلك على مبلغ استطاعتهم ، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزه الملك على معاندته ، والأمراء الذين يدعوه السلطان الى مناوآته ، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعتة . وقد اشتد جميع أولئك في مقاومته ، وانهاؤا بقواهم عليه استبصارا عن الخضوع ، وتمسكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم وحمية لعقائدهم وعقائد أسلافهم . وهو مع ذلك يُخَطِّئُ آراءهم ، ويسقته أعلامهم ، ويحتقر أصنامهم ، ويدعوهم الى ما لم تعهده أيامهم ، ولم تتحقق لمشله أعلامهم ، ولا حجة له بين يدي ذلك كله إلا تحديدهم بالإتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب أو عشر سور من مثله . وكان في استطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به ليُطْلُوا الحجة ويُفْجَمُوا صاحب الدعوة .

جاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدى ، ولحاج القوم في التعدى ، أضيفوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام .

(٤) ولقاسم أمين بك من كتاب تحرير المرأة

إن طبيعة العصر الذي نحن فيه منفرة للاستبداد ، معادية للاستعباد ، مبالغة الى سوق القوى الإنسانية في طريق واحد وغاية واحدة ؛ فهذا الطائف الرحمانى الذى طاف على نفوس البشر ، فنبه منها ما كان غافلا لا بد أن ينال منه النساء نصيبهن .

(١) ينسب الى أصل كردى ، ولكنه ولد بمصر وتعلم فيها ، ودرس الحقوق ، وترقى في مناصب القضاء الى استشارة الاستئناف . وهو صاحب فكرة إصلاح شأن المرأة المسلمة ، عالج ذلك في كتابه تحرير المرأة والمرأة الجديدة ، وأسلوبه قوى واضح . توفى سنة ١٣٢٦ هـ .

فمن الواجب علينا أن نمدد اليه يد المساعدة، ونعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله في الضعيفين : المرأة واليتيم» ولا شيء أدخل في باب التقوى من تهذيب العقل وتكامل النفس وإعدادها بالتعليم والتربية الى مدافعة الرذائل ومقاومة الشهوات، ولا من حسن المعاملة واللفظ في المعاشرة . فعلىنا أن نجعل الصلة بيننا وبينهم صلة محبة ورحمة لا صلة إكراه وقسوة . وهذا ما تفرضه علينا الإنسانية، وتطالبنا به الشريعة ، وهو مع ذلك فريضة وطنية يجب علينا أداؤها حتى تكون جميع أعضاء المجتمع عندنا حية عاملة قائمة بوظائفها .



المرأة الفلاحة تعرف كل ما يعرفه الرجل الفلاح، مداركهما في مستوى واحد لا يزيد أحدهما عن الآخر، مع أننا نرى أن المرأة في الطبقة العليا أو الوسطى متأخرة عن الرجل بمسافات شاسعة؛ ذلك لأن الرجال في هذه الطبقات تربت عقولهم وأستنارت بالعلوم، ولم تتبعهم نساؤهم في هذه الحركة؛ بل وقفن في الطريق . وهذا الاختلاف هو أكبر سبب في شقاء الرجل والمرأة معا .

فالرجل المتعلم يحب النظام والتنسيق في منزله، وله ذوق مهذب يميل الى الأشكال اللطيفة، والإحساسات الدقيقة، والآلئاعات الرقيقة، ويبلغ الاهتمام بها عند بعض الأفراد حدا ينتهي الى إهمال الأمور المادية . يفهم بكلمة، ويؤد لو يفهم بالإشارة، يسكت في أوقات ويتكلم في أخرى، ويضحك في غيرها . له أفكار يحبها ومذهب يشغله، وجمعية يخدمها، ووطن يعزه . له لذائذ وآلام معنوية؛ فيبكي مع الفقير، ويحتزن مع المظلوم، ويفرح بالخير للناس، وفي كل فكرة تتولد في ذهنه، وإحساس يؤثر على أعصابه،

يود أن يجد بجانبه انسانا آخر فيشرح له ما يشعر به ويتسامر معه ؛ وهذا ميل طبيعي يجده كل شخص من نفسه . فإذا كانت أمراته جاهلة كتم أفراحه وأحزانه عنها ، ولم يلبث أن يرى نفسه في عالم وحده ، وأمراته في عالم آخر ؛ إذ هي تعتبر أن الرجل ما خلق في هذه الدنيا إلا ليشتري لها الأقمشة الغالية والجواهر النفيسة ، وليصرف أوقاته في ملاطفتها كأنه صورة أكبر من الصور التي يشتريها لها والدها في صغرها لتلهو بها . ومتى رأى الرجل أمراته بهذه المتزلة من الجهل بادر الى نفسه باحتقارها ، واعتبرها من الأعداء التي لا أثر لها في شئونه . وهي متى رآته أهمل وأغضى ضاق صدرها ، وظنت أنه يظلمها ، وبكت سوء حظها الذي ساقها الى رجل لا يقدرها قدرها ، ونبتت البغضاء في قلبها . ومن ثم تبدى عيشة لا أظن أن الجحيم أشد نكالا منها ؛ عيشة يرى كل منهما فيها أن صاحبه هو العدو الذي يحول بينه وبين السعادة .

(٥) فتجى زغلول بأشأ^(١)

من مقدمته لكتاب سر تقدم الإنجليز السكسونيين :

مِنَ الْحَقَائِقِ أَنَّ الْأُمَّةَ لَا تَنْهَضُ مِنْ رُقْدَتِهَا ، وَلَا تَهْبُ مِنْ مُسَبَّاتِهَا ، إِلَّا إِذَا خَلَّصَتْ مِنْ قُبُودِهَا ، وَفَارَقَتْهَا الْأَمْرَاضُ الَّتِي تَهْكُ قُوَاهَا وَتَحْطُمُ مِنْ عَزِيمَتِهَا . وَلَا يَتَيَسَّرُ لِلْأُمَّةِ أَنْ تَخْلُصَ مِنَ آلَمِهَا ، وَتَبْرَأَ مِنْ أَمْرَاضِهَا إِلَّا إِذَا عَرَفَتْ أَسْبَابَهَا ، وَأَخَاطَتْ

(١) وله في ابيانة وتعلم في مدارس مصر ثم درس الحقوق في فرنسا وعاد الى مصر فقلب في مناصب القضاء الى أن كان وكيل نظارة الحفانية .

وكان فقيها محققا ومترجما بارعا وخطيبا مقوها . شرح القانون المدني وألف كتاب المحاماة وترجم سر تقدم الانجليز وسر تطور الأمم وروح الاجتماع ، وله أثر كبير في أكثر ما وضع من القوانين المصرية في أيامه .
مات سنة ١٩١٤ م .

بمُوجِبَاتِ الضَّعِيفِ فِيهَا . فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ يَطْلُبُ مَصْلَحَةَ أُمَّتِهِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهَا
مَوَاضِعَ الضَّعِيفِ الْمُلِمِّ بِهَا حَتَّى إِذَا تَمَّ تَشْخِصُ الدَّاءِ ، سَهَلَتْ مَعْرِفَةُ الدَّوَاءِ . وَلَيْسَ
مَنْ يُنْكِرَانَا مُتَأَخِّرُونَ عَنْ أُمِّ الْغَرِيبِ ، وَأَنْتَا أَمَامَهَا ضِعَافٌ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ مُغَالَبَتَهَا ،
وَلَا يَسَعُنَا أَنْ تَقُوزَ بِنُغَيْتِنَا مَا دُمْنَا وَدَامَتْ هَذِهِ الْحَالُ . نَحْنُ ضِعَافٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ
تَقُومُ بِهِ حَيَاةُ الْأُمَمِ ، مُتَأَخِّرُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ مَدَارُ السَّعَادَةِ ، ضِعَافٌ فِي الزَّرَاعَةِ
وَهِيَ الْأَسُّ الْمَتِينُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ حَيَاةُ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ .

ضِعَافٌ فِي الصَّنَاعَةِ ، لِأَنَّتَا أَهْمَلْنَاهَا وَجَهَلْنَا طَرَائِقَهَا ، فَأَصْبَحْنَا وَلَيْسَ مِنَّا
إِلَّا الْفَعْلَةُ وَالْحَمَالُونَ وَمُنْفَذُو إِرَادَةِ الْأَجْنَبِيِّ . نَشْقَى لَيْسَعَدَ ، وَنَمُوتُ لِيَحْيَا . هَذِهِ
الْمَعَامِلُ الْفَاسِيخَةُ ، وَالْمَصَانِعُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي أُقِيمَتْ بَيْنَ بُيُوتِنَا : كُلُّهَا لِلْأَجْنَبِيِّ . وَإِذَا
زُرْتَهَا وَجَدْتَهَا تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ طَبِيعَةِ الْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ ، وَفِي كُلِّ قِسْمٍ
رَئِيسٌ مِنَ الْإِفْرِجِجِ . وَالْكُلُّ بَعْدَ ذَلِكَ مُضْرِبُونَ . هَذِهِ الْمَبَانِي الشَّاهِقَةُ ، وَالْقُصُورُ
الشَّاهِقَةُ ، سُيِّدَتْ كُلُّهَا بِيَدِ الْمِصْرِيِّينَ ، لَيْكُنْهُمْ كَانُوا فِي تَشْيِيدِهَا مِنَ الْأَجْرَاءِ ، يَعْمَلُونَ
بِمَشِيئَةِ الْأَجْنَبِيِّ وَلَفَائِدَةِ الْأَجْنَبِيِّ .

أَدْخُلْ بَيْتَ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِنَا ، أَوْ بَيْتَ شَيْخٍ مِنْ عُلَمَائِنَا ، أَوْ بَيْتَ رَاهِبٍ مِنْ
رُهَبَانِنَا ، أَوْ بَيْتَ حَقِيرٍ مِنْ أَجْرَائِنَا ، ثُمَّ أَعْدُدْ مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَثَاثِ وَالْأُمْتِعَةِ ؛
وَأَنْظُرْ إِلَى بَنَائِهِ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهُ ، وَوزَّعْ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى صَانِعِهِ ، وَابْحَثْ عَنْ يَدِ الْمِصْرِيِّ
فِيهِ ، لَا تَجِدُهَا إِلَّا فِي قَطْعِ الْأَخْجَارِ وَرَصِّهَا . وَمَا بَقِيَ كُلُّهُ مِنْ آتِيَةِ طَعَامٍ ، وَمَوَائِدَ
وَأَخْشَابٍ ، وَأَطَالِسَ وَحَرَائِرَ ، وَبُسُطٍ وَخَدِيدٍ ، وَمَقَاعِدَ وَمَصَابِيحَ ، وَأَكْوَابٍ وَمَقَاتِيعَ ،
وَأَلْوَانٍ وَمَلَابِسَ وَمَطَابِجَ ، وَكُلَّ شَيْءٍ مِنْ صُنْعِ الْإَجْنَبِيِّ .

(٦) جرجى بك زيدات^(١)

كتب في الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية :

”الأسلوب العصري الإنشائي“

إن كلامنا عن الشعر فيما تقدم ينطبق على الإنشاء ؛ لأنهما من باب واحد ؛ فكان تأثير هذه النهضة عليهما على شكلي واحد . ولعل هذا التأثير ظهر في الإنشاء أكثر من ظهوره في الشعر ، نعتي أن الكتاب أخذوا يعولون فيما يكتبونه على المعاني أكثر مما فعل الشعراء ، وكان الإنشاء في أواخر العصر العثماني قد أصبح المعول فيه على الألفاظ بين سجع وأستعارة وتورية وجناس ، بحيث يتعذر عليك الوصول الى المعنى ؛ لما يتلبد حوله من الصور المبهمة . فلما أئتنا هذه المدنية علومها الطبيعية والرياضية المبنية على المشاهدة والاختبار ؛ وتعود الناس تقدير الوقت بتقريب المسافات ، وأخذت الحرية في الشيوخ ، أصبح الأدباء ينفرون من استعمال مالا حقيقة له ، ويستنكفون من إضاعة الوقت في السجع البازد ، أو تكرار الألقاب والنعوت لمجرد التفخيم ، وهات عليهم العدول الى الحقيقة بحيث يكون هم الكاتب موجهاً بالأكثر الى المعنى المراد إيضاحه . فأخذت هذه الروح تسرى بين الكتاب من أواسط هذا العصر ؛ لكنهم لم يتفقوا على أسلوب واحد يتخذونه ، فهم مجمعون على

(١) ولد في بيروت ، واجتهد حتى أجاد العربية والانجليزية واللاتينية وأصاب حظاً من الطب ، ثم غلبت عليه الكتابات الأدبية والتاريخية واللغوية . وقام وحده بعمل شاق في ذلك حتى أنشأ الهلال وألف تاريخ آداب اللغة ومختصره وكتباً تاريخية واجتماعية وعدة روايات كذلك . وأسلوبه من النوع السهل الذي يقصد الى أداء المعنى . توفي سنة ١٩١٤ م .

أن الطريقة المدرسية المشوشة كما وصلت إلينا، لا تنفع لغنوضها وطولها، فتركوها وأختلفوا في الأسلوب الذي يقولون عليه فيما يلائم روح هذا العصر، فرجعوا إلى تحدى أساليب القدماء، فبعضهم تحدى أسلوب صدر الإسلام، وآخرون قبلوا أسلوب صدر الدولة العباسية ولا سيما أسلوب ابن المقفع، وهو الغالب على ألسنتهم. لسهولة ومثاقته، على أن بعضهم يتوخى أسلوب ابن خلدون في مقدمته، وآخرون يقلدون الجاحظ أو غيره.

ذلك شأن الكتاب المنشئين الذين يهمهم تقيق العبارة، ولا سيما في المواضيع الخطابية التي تحتاج إلى تقرير أو تهديد أو إرهاب أو ترغيب، أما في المواضيع العمومية، فقد نشأ في الإنشاء أسلوب عصري بسيط لا يرى أصحابه حاجة إلى تقيق العبارة والتأنق في التركيب، وإنما يجعلون همهم إيضاح المعنى وإيصاله إلى ذهن القارئ بسهولة، وفيهم من يبالغ في إهمال الصناعة اللفظية، ولو أخل بالإعراب، واستعمل العامي من الألفاظ. وهذا غلو يفسد اللغة ويضيعها. فيجب مع توخي السهولة في الإنشاء المحافظة على قواعد اللغة وروابطها.

(٧) الشيخ محمد بك الخضري^(١)

كما كتبه عن الدولة العباسية في كتابه تاريخ الأمم الإسلامية :
قامت الدولة العباسية وليس لها عصبية عنصرية تشد أزرها وتحمي بيضتها،
وإنما عصبيتها هؤلاء الموالى المصطنعون، وعصبية الولاء أو الحلف قد تقوم مقام

(١) درس الأستاذ الشيخ محمد بك الخضري في الأزهر ودارالعلوم، وتولى التدريس في عدة مدارس أهمها القضاء الشرعي والجامعة الأهلية. وكان الأستاذ معنيا بأصول الدين ومسائله وكذلك التاريخ الإسلامي الذي أسندت إليه دراسته بالجامعة، وله عدة مؤلفات تاريخية وشرعية. توفي سنة ١٩٢٧ م.

عصبية القرابة لولا ما يُكدرها من ميل هؤلاء الموالي الى استرجاع ما كان لأبائهم من المجد الذي يتوارثون ذكره، وقد وجد من هؤلاء الموالي في بدء الدولة جماعة لهم قدم ثابتة في الفارسية وفي الإسلام جعلهم العباسيون في مقدمة من يعتمدون عليه . لم يترك العباسيون في مبدأ أمرهم عصبية العرب ولم يهملوا شأنها، بل استعانوا بها لتكون لهم ملجأ إذا رأوا من الموالي نكوبا عن جادة نصرتهم، وميلا الى الاستئثار بالسلطان دونهم، فاصطنعوا كثيرا من رجال العرب وحماتهم من ربيعة واليمن ومُضَرَ، إلا أنهم لم يلتفتوا إلى إزالة ما بين هذه القبائل من أسباب العداء والثرة، بل بالعكس وجد منهم ما يدل على الميل إلى إنماء هذه الحمية ليستعينوا بفريق على الآخر.

لذلك كله يمكننا أن نقول : إنه لم يكن للدولة العباسية في بدء حياتها عصبية قومية متحدة الأوصال وثيقة العرا، وإنما كان الإسلام هو الذي يجمع بين تلك القوى، والدين وإن كان جامعا قويا لكنه إن لم يكن مدعما بعصبية قومية متحدة يضعف عمله . واعتبر هذا بما قد مناه لك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان مما اعتبره أساسا لقوته ومنبعا لحياته إمامة العصبية الجزئية، وسد الباب دون ذكرها والتلفظ بها .

+
+ +

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببغداد

في يوم ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥

(١٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٦)

مدير المطبعة الأميرية

محمد أمين الجبجي

Bibliotheca Alexandrina



0420199